

مجلد اول

شریف

محمد حجازی



0129082

قصص العرب

تأليف

محمد أحمد جاد المولى على محمد الجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الأول

طبعة جديدة

بها إضافة قصص وفيها زيادة ضبط وشرح وتحقيق

دار الحديث

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الطبعة الأولى

تُمَدُّ القِصَّةُ أَقْدَرُ الآثارِ الأدبية على تمثيل الأخلاق ، وتصوير العادات ،
ورسم خَلِجَاتِ النفوس ؛ كما أنها - إذا شرف غرضُها ، ونُبِّلَ مقصدُها ، وكرمت
غايَتُها - تُهَذِّبُ الطِّبَاعَ ، وتُرَفِّقُ القُلُوبَ ، وتدفع الناس إلى المُثُلِ العليا : من الإيمان
والواجب والحق والتضحية والكرم والشرف والإيثار .

وقد كانت القِصَّةُ - ولا تزال - ذاتَ الشأنِ الأسمى في آدابِ الأممِ قديميها
وحديثيها ؛ وقد وردت في التوراة ، وجاءت في الإنجيل ، وزخرت بها آيُ الذكرِ
الحكيم ، ثم هي في شعر الإغريق ومُخَلَّفَاتِ الرومان ، وآثارِ المصريين القدماء .

والعرب من الأمم التي أخذت بنصيب من هذا الفن الجميل ، وأثَرَ عنها فيضٌ
من ذلك الأدب الرفيع ؛ بيد أن بعضاً من الباحثين المحدثين قد جحدوا نصيبهم
من هذا الفن ، وهضموا حَقَّهُم في ذلك الباب ، ووَسَّموه بالخيال المقيم ، وعابوا
عليهم الفكر القريب ؛ ولكن للناصفين منهم قد هالم هذا الجحد ، ولم يرقهم
ذلك النكران ، فاعترفوا للعرب بالتقصص التي ترجوها عن الفرس والمنود ،
وتريدوا عليها في القاهرة وبغداد ، وتحدَّثوا للناس عن قصص عنتره وذات الهمة ،
وَبَرَّأ عليهم ألف ليلة وليلة وأخبار ابن دِي يَزَنَ .

وهذه القصص - وإن كانت قد نجحت نجاحاً تاماً في تصوير المصور التي وُضِعَتْ فيها ، وَرَسِمَتْ لنا البيئة التي نبتت منها - كثير منها نافه الغرض ، مُبَهِّمُ القصد ، ردى اللغة والأسلوب . وفي قصر قصص العرب عليها جَعَدُ للآداب العربية فضائها ، وإنكار عليها مفاخرها . . . وإلا فإن هناك قصصاً زخرت بها مجالس الخلفاء ، وسوامر الأمراء ، وملأت الكتب التي انحدرت إلينا عن المؤلفين القدماء ؛ وما مَنَعَ الناس أن يردُّوا شريعتهَا ، أو يحنوا أطيابها إلا بما مُنيت به هذه الكتب من اضطراب الترتيب ، وردى الطبع ، وتحريف الناسخين .

وكتابتنا هذا جمعنا فيه هذه القصص : ما انتبذ منها وما شرد ، وألقنا ما تنافر ، وافترق ، وجعلناه أقساماً ، وقسمناه أبواباً ؛ جمعنا كل قصة إلى مثلهَا ، وضممنا كل طُرْفَةٍ إلى شبههَا ؛ ليجتمع إلى غرض القصة - من تهذيب الطباع وترقيق النفوس - عَرَضٌ شامل لحياة العرب : مدينتهم وحضارتهم ، وعلومهم ومعارفهم ، وأديانهم وعقائهم ، وذكر لموانئهم وشمائلمهم ، وما طبعوا عليه من كريم الفرائض ، وحدة الذكاء ، ثم ما كان للمرأة عندهم من سامى المكانة وعظيم المنزلة ، وما أثر عنهم من أخبارٍ صوروا بها جبههم العنيف ، وغزلهم الرقيق ، وعشقهم الشريف ، ولم يخلُ كتابنا مما كان لهم من محاورات ومساجلات ومطالبيات ومناقلات ، وما نقله الرواة من أحوال العامة والمالوك ، وطُرَف القضاة والولاة ، وأخبار الأيام والحروب ، وغير هذا مما سيعرض مفصلاً في أبواب الكتاب .

ولم نقف في اختيار القصة على تعريفٍ خاص ، أو حذرٍ مرسوم ، فيما اخترناه ما ذكروه من طريف الأخبار وشائق الأحداث ، وما وضوه مصورين به المجالس والأشخاص ، وما صنعه على ألسنة الطير والحيوان ، وما تحيّلوه من أخبار الشياطين والجنان ؛ إذ كان الغرض تنقيف الأذهان بذكر الطرائف ؛ وانشرح الصدور بعرض

اللطائف ، مع كشف نواحي التاريخ ، وإظهار مفاخر العرب .
ولعل القارئ يروقه ما تدسّى فيها من شريف الخصال فيجتنبها ، أو تعجبه
كرائم العادات فيطبع نفسه عليها ، إلى ما في هذا من بحث فصيح الألفاظ ، وإحياء
رائع الأساليب . ولعله يكون فيها مبادئ صالحة ، وأسس قويمه إن يريد أن ينشئ
قصصاً طويلة على أساس ، أو يقيم روايات على بناء .
وكان من همتنا أن نحرص على اختيار القصص كما وضّموها ؛ إلا ما كان
من زيادة اقتضاها اختلاف الروايات ، أو تغيير لكلمات لا تألفها الآداب ،
أو حذف عبارات لا غناء فيها .
وقد بذلنا من الجهد في ضبط الألفاظ ، وكشف النقاب عن المعاني ، وتراجم
الأشخاص ، وذكر المراجع ما نرجو أن يكون به جنى الكتاب قريباً ومنمّله عذّباً ،
وورده سائناً ، وطريقه سهلاً معبداً .

نسأل الله أن ينفع به على ما صدقنا في النية ، ورجونا من الخير ؟

المؤلفون

{ ربيع الآخر سنة ١٣٥٩
(مايو سنة ١٩٣٩) }

مقدمة الطبعة الجديدة

وهذه هي الطبعة الخامسة من كتابنا « قصص العرب » تقدمه بعد أن نفذت طبعته الرابعة .

وفي هذه الطبعة أضفنا إلى الكتاب بعض القصص الطريفة التي انتخبناها في أثناء قراءتنا لكتب الأدب ، والتاريخ ؛ وقد أردنا بذلك أن يكون للكتاب مدد جديد يزيد من رونقه ، ويبقى على جده .

أما الشرح والضبط فقد زدنا فيه لتقربه إلى القراء جميعا ، ولينهل منه شبابنا وناشئتنا الذين ينشدون المورد الصافي ، للثقافة العربية ويودون له عرفوا مصادر هذه الثقافة وقرءوا من تراثها ما يشبع رغبتهم ، ويقفهم على حياة أسلافهم ، وأجداد عربهم .

والله نسأله التوفيق ، إنه سميع مجيب ؟

المؤلفون

{ الحرم سنة ١٣٩١
{ ايس سنة ١٩٧١

البَابُ الْأَوَّلُ

في القصص التي تسين بها مظاهر حياتهم وأسباب
مدينتهم، بذكر أسواقهم وأجّلاب تجارتهم، والمساكن
التي كانت تؤويهم، وسائر ما كان على عهدهم من دلائل
الحضارة ووسائل المعاش .

١ - قَوْسُ حَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ*

توالت على مضر الجدوبة والقحط سبع سنين : حتى كادوا يهلكون ، فدا رأى حَاجِبٌ^(١) بن زُرَّارَةَ الجُهدَ والجُدْبَ على قومه جمع بنى زُرَّارَةَ فقال : إني قد أزمعتُ على أن آتِيَ اللّٰك فَأُطْلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَأْذَنَ لِقَوْمِنَا فَيَكُونُوا نَحْتُ هَذَا الْبَحْرَ^(٢) حَتَّى يُحْيُوا ، فَتَلْكَأَ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : رَشِدْتَ قَافِلٌ ؟ غَيْرَ أَنْ نَخَافُ عَلَيْكَ بَكْرَ بْنَ وَاثِلٍ لِمَا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، وَلَا بَدَلَكَ مِنْ وُرُودِ مِيَاهِهِمْ . قَالَ : مَا مِنْهُمْ وَجْهٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا شَرِيفٌ إِلَّا وَلِيَ عِنْدَهُ يَدٌ خَضِرَاءُ ، إِلَّا ابْنُ الطَّوِيلَةِ التَّيْمِيُّ ، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَدَارِيَهُ : ثُمَّ ارْتَحَلَ .

فَجَبَلَ لَا يَأْتِي عَلَى مَاءٍ لِبَكْرٍ إِلَّا أَكْرَمَهُ سَيْدُهُمْ ، وَنَحَرَ لَهُ وَقَرَّاهُ ، حَتَّى نَزَلَ قُصُوفَانُ^(٣) ، وَعَلَيْهِ ابْنُ الطَّوِيلَةِ التَّيْمِيُّ ، فَلَمَّا أَضَاءَ الصُّبْحُ ، وَنَادَيْهِمْ قَرِيبٌ مِنْ مَنْزِلِ حَاجِبِ الَّذِي حَلَّ فِيهِ ، دَعَا حَاجِبٌ يَنْطُعُ ، ثُمَّ أَمَرَ فَصَبَّ عَلَيْهِ التَّمْرَ : ثُمَّ نَادَى : حَتَّى عَلَى الْغَدَاءِ . فَنَظَرَ ابْنُ الطَّوِيلَةِ ، فَلِذَا هُوَ بِحَاجِبٍ ، فَقَالَ لِأَهْلِ الْمَجْلَسِ : أَجِيبُوهُ ؛ فَإِنَّهُ سَيْدُ قَوْمِهِ ، فَأَتَوْهُ فَأَكَلُوا ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ ابْنُ الطَّوِيلَةِ جَزْوَراً^(٤) وَشِيْأَهَا ، فَنَحَرَ وَأَكَلَ وَأَطْعَمَ .

وَلَمَّا أَرَادَ حَاجِبٌ أَنْ يَرْتَحِلَ قَالَ لَهُ ابْنُ الطَّوِيلَةِ : إِنْ مَعَكَ حَتَّى تَبْلُغَ مَا مَعَكَ ؟

(*) قَائِلُ جَبْرِيرٍ وَالْقَزْدَقُ : ١ - ٤٦٢ ، صَبْحُ لَيْدِنَ ، بُلُوغُ الْأَرْبَابِ : ١ - ١٢٣ ، الْعَدَدُ الْفَرِيدُ : ١ - ١٧٥ .

(١) هُوَ سَيْدُ بَنِي تَيْمٍ ، وَكَانَ مِنَ الْغُرِّ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ التَّحِيانُ بَيْنَ النَّظَرِ إِلَى كَسْرِيٍّ بِعَدَنِ سَمِعَ مِنْهُ تَنْقِصَ الْعَرَبِ وَتَهْجِيئَ أَمْرِهِمْ . أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَأَسْلَمَ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٣ هـ (٢) الْبَحْرُ : الرَّيْفُ (٣) قُصُوفَانُ : مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ تَيْمٍ أَلْفَ بَنِي ثَعْلَبَةَ . (٤) الْجَزْوَورُ : الْبَعِيرُ .

فإني لا أدرى من يعرض لك أمّاك . قال حاجب : ليس أمانى أحد أخافه على .
وارتحل حاجب حتى أتى كسرى ؛ فلما شكّا إليه الجهد في أنفسهم وأموالهم ،
وطلب أن يأذن لهم فيكونوا في حدّ بلاده حتى يعيشوا ويحيوا قال له : إنكم
- معشر العرب - حُرّاء على الفساد ، فإن أذنتُ لهم أفسدوا البلاد ، وأغاروا
على الرعيّة وآذوهم . قال له حاجب : فإني ضامنٌ لللاك ألا يفعلوا ، قال :
ومن لي بأن تني بما تقول ؟ قال : أرهنتك قومى بالوفاء بما ضمنتُ لك .

ولما جاء حاجبٌ بقوميه ضحك القوم الذين كانوا حول الملك لما رأوا قومه ،
وفالوا : بهذه العصا تني لللاك بما ضمنت له ! فقال الملك لهم : ما كان ليُسَلِّها لشيء .
أبدأ . وأمرهم فقبضوها ، وأذن للعرب في أن يدخلوا الرّيف ^(١) .

ومكث بنو زُرارة في الرّيف مدة ، ثم مات حاجب ، وبسدها زال الخط ،
وخرج أصحابُ حاجب إلى بلادهم ، وارتحل عطارد بن حاجب إلى كسرى ليطلبَ
قوسَ أبيه ، ولما دخل عليه وكلمه في القوس قال له كسرى : ما أنت بالذي وضعتها
عندى . قال : أجل ^(٢) ، أيها الملك ، ما أنا بالذي وضعتها . قال : فافعل الذي وضعتها ؟
قال : هلاك ، وهو والدى ، وقد وثّى لك أيها الملك بما ضمن لك عن قومه ، ووفى
هو بما قال لللاك ؛ قال كسرى : ردّوا عليه قوسه ؛ وكساه .

(١) الرّوب : الأرض فيها الزرع والمحب . (٢) أجل : نعم .

٢ - فتكة البرّاض *

كان البرّاضُ بن قيس الكنتاني رجلاً فاسكاً خليماً^(١)، ينجي الجنائيات على أهله،
نقله قومه، وتبرّءوا من صنيعه، فزارهم، وقدم مكة، خالف حرب بن أمية،
ثم نبأه المقام بمكة أيضاً، فزار أرض الحجاز إلى أرض العراق، وقدم على النعمان
ابن النضر الـلـكـ. وكان النعمان يبعث كل عام بلطيمة^(٢) للتجارة إلى عسكاظ^(٣)
تباع له هناك - قال يوماً، وعنده البرّاض وعروة بن عتبة بن جعفر المعروف
بالرّحّال^(٤) : من يجزى لي لطيتي هذه حتى يبلّغها عسكاظ؟ فقال البرّاض :
أيت اللـن ! أنا أجيزها على كنانة . قال النعمان : إنما أريد من يجيزها
على كنانة وقيس . قال عروة : أكلب خلع^(٥) يجيزها أيت اللـن ! أنا أجيزها
على أهل الشّيع والقيحوم^(٦) من أهل شهامة وأهل نجد ! فقال البرّاض - وقد غضب :
وعلى كنانة^(٧) تجيزها يا عروة ؟ قال : وعلى الناس كلهم !
فدفع النعمان اللطيمة إلى عروة الرّحّال ، وأمره بالسير بها ، وخرج البرّاض

(*) المضاف والمنسوب : ١ - ١٠١ ، جمع الأمثال : ٢ - ٢٣ ، السكامل لابن الأثير :

١ - ٣٦٠ .

(١) البرّاض بن قيس الكنتاني : ذلك جاهل يضرب فتكة للتل ، تبرأ منه قومه فزارهم وقدم مكة ، ثم رحل إلى العراق . وبجبهه حاجت حرب النجار بين خندف وقيس .

(٢) اللطيمة : المير التي تحمل الطيب ويز التجار (٣) عسكاظ : موضع كان بين نخلة والطائف ، كانت تقام من أول ذي القعدة إلى اليوم العشرين منه ، وكان يجتمع بها أكثر أشراف العرب للتجارة ومفاداة الأسرى والتحكيم في الخصومات والمناخرة والمنافرة بالشمع والمطبخ .

(٤) لقب بالرحّال لكثرة رحلته إلى الملوك (٥) كان في الأهلية إذا قال لائل : هذا ابني خلته لا يؤخذ بحريته (٦) الشّيع والقيحوم : نباتان مما يطلع في السهل ، ويريد على العرب كلهم .

(٧) كنانة : ٥ قبله " ا .

يَبْنَعُ أثره، وعروة يرى مكانه ولا يخشى منه، حتى إذا كان عروة بين ظهراني^(١) قومه أدركه البراء بن قيس، فأخرج قِلَاحَهُ يَسْتَقْسِمُ^(٢) بها في قتل عروة، فرب به عروة فقال: ما تصنع يا براء؟ فقال: أَسْتَقْسِمُ في قتلك، أبؤذن لي أم لا؟ فقال عروة: هَتُّكَ أضعف من ذلك! فوثب إليه البراء بالسيف فقتله.

فلما رآه الذين يقومون على العير^(٣) والأحمال قتيلا انهزموا فاستأق البراء العير، وسار على وجهه إلى خيبر، وتبعه رجلا نياخذاه: أحدهما غنوي^(٤) والآخر غطفاني، وسارا حتى لقيهما البراء بخيبر، فقال لهما: من الرجلان؟ قالا: نحن من قيس، قدما لنقتل البراء، فأترلها. وعقل راحتيهما، ثم قال: أيكما أجزأ عليه وأجود سيقا؟ قال الغطفاني: أنا، فأخذه ومشى معه ليدلّه - بزعمه - على البراء، ثم قال للغنوي: احفظ راحتيكما، ففعل.

وانطلق البراء بالغطفاني حتى أخرجه إلى خربة^(٥) في جانب خيبر، وقال له: هو في هذه الخربة بأوى إليها، فأمهلي حتى أنظرك أهو فيها؟ فوقف، ودخل البراء: ثم خرج فقال: هو فيها وهو نائم، فأرني سيفك حتى أنظر إليه: أضراب هو أم لا، فأعطاه سيفه، فضربه به حتى قتله، ثم أخفى السيف وعاد إلى النوى، فقال له: لم أر رجلاً أجبن من صاحبك، تركته في البيت الذي فيه البراء وهو نائم فلم يُقدِّم عليه! فقال: أنظركي من يحفظ الراحتين حتى أمضي إليه فأقتله، فقال: دَعِهما وما عليّ، ثم انطلقا إلى الخربة، فقتله وسار بالعير إلى مكة.

(١) بين ظهراني قومه: أي في وسطهم. (٢) الاستقسام: كانوا إذا أراد أحدهم سراً أو تزويجاً أو نحو ذلك من المهم ضرب بالداح، وكان على بعضا مكتوب: أمرني ربي، وعلى بعضا الآخر: نهاني ربي، والباقي غفل، فإن خرج أمرني ربي مضى لشأله، وإن خرج نهاني ربي، أمسك، وإن خرج الغفل أبالما، وضرب بها أخرى إلى أن يخرج الأمر أو الهوى (٣) العير: الإبل تحمل البزة ولا تحمل الحمال. (٤) الغنوي: موضع الخراب.

٣ - حياة آل جفنة*

قال خارجة بن زيد : دُعينا إلى مأدبة^(١) . فحضرتها وحسان^(٢) بن ثابت قد حضرهما ، جللسنا جميعاً على مائدة واحدة ، وهو يؤمئذ قد ذهب بصره ، ومعه ابنه عبد الرحمن ، فكان إذا أتى طعام سأل ابنه : أطلع يد أم يدين ؟ (يعني باليد الثريد وباليد الشواء لأنه يُنْهَشُ نِهْشاً) . فإذا قال : طعام يد يدين أمسك يده . فلما فرغوا من الطعام أتوا بجارتين : إحداهما راقية ، والأخرى عزة ، جللسنا وأخذنا مزهريهما^(٣) ، وضربنا ضرباً عجيباً ، وغنَّتا بقول حسان :

انظُرْ خَلِيلِي يَبْطُنُ جِلْقَ هَلْ تُونِسُ^(٤) دُونُ الْبَلْقَاءِ مِنْ أَحَدٍ

فسمع حسان قول : قد أراي بها سميماً بصيراً ، وعيناه تدمعان ، فإذا سكنتا سكنت عنه البكاء ، وإذا غنَّتا بكى ، فكنت أرى ابنه عبد الرحمن إذا سكنتا يشير إليهما أن تنفيا ، فيبكي أبوه !

فلما اقلب^(٥) حسان من اللأذية إلى منزله استلقى على فراشه ، ووضع إحدى رجليه على الأخرى ، وقال : لقد أذكرتني راقية وصاحبها أمراً ما سمعته أذنأى بعيد ليالى جاهليتنا مع جبلة بن الأيهم ، ثم تسم وجلس فقال : لقد رأيت عشرين قيان ؛ خمس روميات ينزين بالرومية بالبرابط^(٦) ، وخمس ينزين غناء أهل الحيرة أهلهن

(*) الأغاني : ١٦ : ١٤ .

- (١) للأذية : كل طعام يصنع لعمرة أو عرس . (٢) هو شاعر رسول الله ، وقد نشأ في الجاهلية ونبه شأه فيها ، وعاش طويلاً في الإسلام ، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ .
(٣) الزهر : عود يشرب به . (٤) تونس : تبصر : اللسان مادة - عجب . ومادة - بلق . وجلق بكسرتين وتشديد اللام وقف : اسم لكورة النوبة كلها : وقيل قرية من أراها . وقيل : مشتق منها (المراد) (٥) اقلب : رجع . (٦) البربط : البود .

إليه إياس بن قبيصة ، وكان يَفْدِرُ إليه مَنْ يَفْتِيهِ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ مَكَّةَ وَغَيْرِهَا ، وَكَانَ إِذَا جَلَسَ لِلشَّرْبِ فَرِشَ تَحْتَهُ الْأَمْسُ وَالْيَاسَمِينَ وَأَصْنَافُ الرِّيحَانِ ، وَضُرِبَ لَهُ الْعَنْبَرُ وَاللِّسْكُ فِي صَحَافِ الْفَضَّةِ وَالنَّهَبِ ، وَأُتِيَ بِالْمِسْكِ الصَّحِيحِ فِي صَحَافِ الْفَضَّةِ ، وَأَوْقَدَ لَهُ الْمُنْدَى إِنْ كَانَ شَاتِيًا ، وَإِنْ كَانَ صَائِفًا أَتَى هُوَ وَأَصْحَابُهُ بِكِسَاءٍ ^(١) صِيفِيَةٍ يَتَفَضَّلُونَ ^(٢) بِهَا ، وَفِي الشِّتَاءِ يُؤْتَى بِفِرَاشِ الْفَنَكِ ^(٣) وَمَا أَشْبَهَهُ ؛ وَلَا وَاللَّهِ مَا جَلَسْتُ مَعَهُ يَوْمًا قَطُّ إِلَّا خَلَعَ عَلَى ثِيَابِهِ الَّتِي عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَعَلَى غَيْرِى مِنْ جُلُسَانِهِ ، هَذَا مَعَ حِلْمٍ عَنِ جَهْلٍ وَضَحْكٍ ؛ وَبَذَلَ مِنْ بَغِيرِ مَسْأَلَةٍ ، مَعَ حُسْنِ وَجْهِ وَحَسَنِ حَدِيثٍ ، مَا رَأَيْتُ مِنْهُ خَفًّا ^(٤) قَطُّ وَلَا عَرَبِيَّةً ، وَنَحْنُ يَوْمَئِذٍ عَلَى الشَّرْكِ .

خَلَاءُ الْإِسْلَامِ فَمَحَا الْكُفْرَ ، وَتَرَكْنَا الظُّلْمَ وَمَا كَرِهَ . وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ مُسْلِمُونَ تَشْرَبُونَ هَذَا النَّبِيذَ مِنَ التَّمْرِ ، وَالْفَضِيخِ ^(٥) مِنَ الزَّهْرِ وَالرُّطْبِ ؛ فَلَا يَشْرَبُ أَحَدُكُمْ ثَلَاثَةَ أَقْدَاحٍ حَتَّى يَذْهَبَ بِعَقْلِهِ وَدِينِهِ ؛ أَفَلَا تَنْتَهُونَ !

(١) الْكِسَاءُ : جَمْعُ كِسْوَةٍ . (٢) الْفَضْلُ : التَّوَشُّعُ ؛ وَأَنْ يَخَالَفَ الرَّءْيَ مِنْ أَطْرَافِ نَوْبِهِ .

(٣) الْفَنَكُ : دَابَهُ فَرَوَتْهَا أَلْيَابُ أَنْوَاعِ الْفَرَاشِ وَأَشْرَفَهَا . (٤) الْخَفَا : التَّحَشُّ ، وَالْقَبْحُ .

(٥) الْفَضِيخُ : شَرَابٌ يَتَخَذُ مِنْ بَسْرِ .

٤ — الأعشى والمطلق

قال بعض أهل البادية :

كان لأبي الحلق^(١) شَرَفٌ ، فأتت وقد أتلَفَ ماله ، وبقي الحلقُ وثلاثُ أخواتٍ له ولم يتركْ لهنَّ إلَّا ناقةٌ واحدةٌ وبرْدَيْنِ كان يشهدُ فيهما الحلقُ .

فأقبل الأعشى^(٢) من بعض أسفاره يريد منزله بالجمامة ، فزل للماء الذي به الحلقُ قَرَاهُ^(٣) أهلُ الماء وأحسنوا قَرَاهُ . ثم أقبلت عمةُ الحلقِ ، فقالت : يا بنِ أختي ، هذا الأعشى قد نزل بماننا ، وقد قرأه أهلُ الماء ، والعربُ تزعم أنه لم يمدحْ قوماً إلَّا رَفَعَهُمْ ، ولم يهْجُ قوماً إلَّا وَضَعَهُمْ ، فانظر ما أقولُ لك واحتلِّ في زِقٍّ من خمر من عند بعض التجار ، وأرسل إليهِ بهذه الناقة والزَّقَّ وبرْدَيَّ أهلك ، فوالله لئن اعتلج^(٤) السكيدُ والسنامَ والحمرُ في جوفه ، ونظر إلى عِطْفِيهِ في البرْدَيْنِ ، ليقولَنَّ فيك شعراً يرفضك به . قال : ما أملك غيرَ هذه الناقة ، وأنا أنوقَّعَ رِسْلَهَا^(٥) .

ثم أقبل يدخل ويخرج ويهْمُ ولا يفعلُ ، فكلما دخلَ على عتسه حصَّته ، حتى دخلَ عليها فقال : قد ارتحل الرجلُ ومضى . قالت : الآن والله أحسن ما كان القِرَى ؛ تُنْذِعُ ذلك مع غلام أهلك - وهو مولى له أسود شيخ - فإذا لحقه أخْبَرَهُ عَنْكَ أَنْكَ كُنْتَ غَائِباً عن الماء عند نزوله إياه ، وأنتك لماوردت الماء فعلتَ أنه كان

(*) الأغانى : ٩ : ١١٣ ، بلوغ الأرب : ٢ : ١٦٢ .

(١) الحلق : لقب عبدالمزى بن حاتم من كلاب بن ربيعة ، ولقب بذلك يوم غسه حصان في وجنته فزك بها ثمراً على شكل الحلقة . (٢) هو أعشى قيس ، واسمه ميسون بن قيس ، أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وغوْلهم ، وهو أول من سأل بشعره وانتجع به أفاقي البلاد ، أدرك الإسلام ولكنه لم يسلم . توفي سنة ٧ هـ . (٣) قرأه : قدم له القرى ، وهو ما يقدم للضيف عند نزوله . (٤) اعتلج : اختلط . (٥) الرسل : اللابن .

به كَرِهَتْ أَنْ يَفُونَكَ قِرَاهُ ؛ فَلَنْ هَذَا أَحْسَنُ لِمَوْعِدِهِ عِنْدَهُ . وَلَمْ تَزَلْ تَحْضُهُ حَتَّى أَتَى بَعْضُ التَّجَارِ فَكَلِمَهُ أَنْ يُقْرِضَهُ ثَمَنَ زَيْقٍ خَيْرٍ ، وَأَنَّهُ بَعْنُ يَضُنُّ ذَلِكَ عَنْهُ فَأَعْطَاهُ . ثُمَّ وَجَّهَ بِالنَّاقَةِ وَالْخَمْرِ وَالْبُرْدَيْنِ مَعَ مَوْلَى أَبِيهِ ، فَخَرَجَ يَتْبَعُهُ ؛ فَكَلِمَا مَرَّ بِنَاءٍ قِيلَ : ارْتَعِلْ أَمْسِ عَنْهُ ، حَتَّى صَارَ إِلَى مَنْزِلِ الْأَعْشَى بِمَنْفُوحَةٍ^(١) الْإِيْمَامَةِ ؛ فَوَجَدَ عِنْدَهُ عِدَّةً مِنَ الْفَتَيَانِ قَدْ غَدَّاهُمْ بِخَيْرِ لَحْمٍ ، وَصَبَّ لَهُمْ فَضِيخًا^(٢) ؛ فَهُمْ يُشْرِبُونَ مِنْهُ . وَقَرَعَ الْبَابَ فَقَالَ : انظُرُوا مَنْ هَذَا ؟ فَخَرَجُوا فَلَإِذَا رَسُولُ الْخَلْقِ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا ؛ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا : هَذَا رَسُولُ الْكِلَابِ أَنْتَا كَبَيْتَ وَكَيْتَ . وَقَالَ : وَيَسْكُمُ ! أَغْرَابِي وَالَّذِي أَرْسَلَ إِلَيَّ لَا قَدْرَ لَهُ ! وَاللَّهِ لَأَنْ تَعْلَجَ الْكَيْدُ وَالسَّيِّئَاتُ وَالْخُرُوفُ فِي جَوْفِي لِأَهْوَلَنِّ فِيهِ شَرًّا لَمْ أَقُلْ قَطُّ مِثْلَهُ . فَوَائِبُ الْفَتَيَانِ وَقَالُوا : غَبَتْ عَنَّا فَأَمَلْتَ الْغَيْبَةَ ، ثُمَّ أَتَيْتَنَا فَلَمْ تَطْعَمْنَا لَحْمًا وَسَقَيْتَنَا الْفَضِيخَ ؛ وَاللَّحْمُ وَالْخُرُوفُ بِبَابِكَ ؛ لَا نَرْضَى بِذَا مِنْكَ . قَالَ : أَتَذْنُونَا لَهُ ؛ فَدَخَلَ فَأَذَى الرِّسَالَةَ ، وَقَدْ أَنَاخَ الْجَزُورَ بِالْبَابِ ، وَوَضَعَ الزَّيْقَ وَالْبُرْدَيْنِ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ قَالَ : أَقْرِهَ السَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُ : وَصَلَّتْكَ رَحِمٌ ؛ سَيِّئَتِكَ تَنَاوُثَا .

وَقَامَ الْفَتَيَانُ إِلَى الْجَزُورِ فَخَرَّوْهُمَا وَشَقَّوْا خَاصِرَتَهَا عَنْ كَبِدِهَا وَجَلَدَاهَا عَنْ سَنَامِهَا ؛ ثُمَّ جَاهَدُوا بَيْنَهُمَا ، فَاقْبَلُوا يَشْوُونَ ، وَصَبَّوْا الْخَمْرَ فِيْهِمَا ، وَأَكَلَ كُلُّ مَعَهُمْ وَشَرَبَ ؛ وَلَبِسَ الْبُرْدَيْنِ ؛ وَنَظَرَ إِلَى عِطْفَيْهِ فِيْهِمَا ؛ فَانْشَأَ يَقُولُ :

أَرِقْتُ وَمَا هَذَا الشَّهَادُ لِلْوُرُقِ وَمَا بِيْ مِنْ سَقَمٍ وَمَا بِيْ مَعَشَقٍ^(٣)

وَفِيْهَا يَقُولُ :

نَتَى لَدَيْهِ عَنْ آلِ الْخَلْقِ جَعْنَةً كَجَابِيَةِ^(٤) الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ نَهْمٍ^(٥)

(١) مَنْفُوحَةٌ : قُرْبَةٌ فِي نَوَاحِي الْإِيْمَامَةِ ؛ يَسْكُنُهَا الْأَعْشَى وَفِيْهَا قَبْرُهُ . (٢) الْفَضِيخُ : شُرَابُ يَتَخَذُهُنَّ بَسْرٌ . (٣) مَعَشَقٌ : عَشَقٌ . (٤) الْجَابِيَةُ : حَوْضٌ ضَخْمٌ . (٥) لَهَقَ الْإِنَاءُ ؛ امْتَلَأَ .

ترى القوم فيها شاريعينَ وبينهم مع القوم ولذآن من النسلِ دَرَدَقُ^(١)
 لعمري لقد لاحتْ عَمَنُ كثيرة إلى ضوءِ نارٍ باليقاعِ^(٢) تحرقُ
 تُشَبُّ لِمَقْرُورِينَ يَصْطَلِيَانَهَا وبات على النارِ النَّدَى والحلقُ
 رضيعي لبانٍ نَدَى أُمِّ قَاسِمَا^(٣) داجِعِ عوضُ لا تنفِرُ
 ترى الجودَ يجرى ظاهراً فوق وجهه كازانَ مَتَنَ الِهِنْدَوَانِي رَوْنَقُ^(٤)
 يدهُ بدأ صِدْقٍ، فكفَّ مُبِيدَةً وكفَّ إذا ما صُنَّ بالمالِ مُنْفِقُ
 وسار الشعرُ وشاع في العرب . فما أتت على الحلقِ سنة حتى زوَّج أخواته الثلاث ،
 كل واحدة على مائة ناقة ؛ فأيسرَ وشرف .

٥ - احتكام الشعراء في عكاظ *

حكى عن نابتة^(٥) بنى ذُبْيَانُ أَنَّهُ كَانَتْ تُضْرَبُ لَهُ قَبَّةٌ مِنْ أَدَمَ^(٦) بِسَوْقِ
 عُكَاظَ يَجْتَمِعُ فِيهَا الشُّعْرَاءُ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَعِنْدَهُ الْأَعْشَى ،
 وَقَدْ أَنْشَدَهُ شِعْرَهُ ، وَأَنْشَدَتْهُ أَنْثَىاءُ قَوْلَهَا :
 قَدَى بَمِينِكَ أُمٌّ بِالْمَيْنِ عَوَارُ أُمٌّ دَرَفَتْ^(٧) إِذْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
 حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى قَوْلَهَا :

(١) الدردق : الصبيان الصغار . (٢) اليقاع : التل . (٣) الأسحم : الأسود ؛ والمراد الليل ، ودنيا الليل : أعظم . وعوض : أبدأ . (٤) المنتوانى : السيف عمل يبلاد الهند ، وروني السيف : ماؤه وحسنه .

(٥) الأغاني : ٩ : ٣٤٠ ، الشعر والشعراء : ١٢٣ .

(٦) هو أبو أمامة زياد بن معاوية ، أحد غول شعراء الجاهلية وحكهم بكناظ ، ولقب بالنابتة لنبوغه في الشعر فجاءه وهو كبير بعد أن امتنع عليه وهو صغير ، وهو من أشرف ذبيان ، وعمر طويلا ومات قبل البعثة . (٦) آدم : جلد . (٧) العوار : كل ما أعل العين . ودرفت : قطرت .

وإنَّ صَخْرًا لَنَاتَمَّ إِلَى الْمَلَأَةِ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ^(١) فِي رَأْسِهِ نَارُ
وإنَّ صَخْرًا لَمَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا وَإِن صَخْرًا إِذَا نَشْتَوْ^(٢) لِنَعَارُ
قَالَ : لَوْلَا أَن أَبَا بَصِيرٍ^(٣) أَنشَدَنِي قَبْلَكَ لَقُلْتُ : إِنَّكَ أَشْعَرُ النَّاسِ . أَنْتِ
وَاللَّهُ أَشْعَرُ مِنْ كُلِّ أَثَى ! قَالَتْ : وَاللَّهِ وَمِنْ كُلِّ رَجُلٍ .
قَالَ حَسَانٌ : أَبَا وَاللَّهِ أَشْعَرُ مِنْكَ وَمِنْهَا . قَالَ : حَيْثُ تُقُولُ مَاذَا ؟ قَالَ :
حَيْثُ أَقُولُ :

لَنَا الْجَفْنَاتُ الْغُرَّةُ^(٤) يَلْمَعَنَّ بِالضُّحَا وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرُونَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا
وَلَدْنَا بَنِي الصَّنَاءِ^(٥) وَابْنِي مُحَرَّقٍ فَأَكْرِمْ بَنَانَنَا^(٦)
قَالَ : إِنَّكَ شَاعِرٌ لَوْلَا أَنَّكَ قُلْتَ : « الْجَفْنَاتُ » قُلْتَ الْمَدَدَ ، وَلَوْ قُلْتَ :
« الْجِفَانُ » لَكَانَ أَكْثَرَ . وَقُلْتَ : « يَلْمَعَنَّ فِي الضُّحَا » ، وَلَوْ قُلْتَ : « يَبْرُقَنَّ
بِالدُّجَا » لَكَانَ أَلْبَغُ فِي الْمَدِيحِ ؛ لِأَنَّ الضَّيْفَ بِاللَّيْلِ أَكْثَرُ طُرُوقًا . وَقُلْتَ :
« يَقْطُرُونَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا » ، فَدَلَّلْتَ عَلَى قِلَّةِ الْقَتْلِ ، وَلَوْ قُلْتَ : « يَمْجِرِينَ »
لَكَانَ أَكْثَرَ لَانْصِبَابِ الدَّمِ ، وَفَخَرَّتَ بِمَا وَلَدْتَ ، وَلَمْ تَفْخَرْ بِمَنْ وَلَدَكَ .
فَقَامَ حَسَانٌ مُنْكَسِرًا مُنْقَطِعًا !

(١) العلم : الجبل . (٢) حَتَا الْقَوْمِ : أَجْدَبُوا فِي الشَّوَاءِ . (٣) أَبُو بَصِيرٍ : كُنْيَةُ الْأَعْمَشِ .
(٤) الْجَفْنَاتُ : جَمْعُ جَفْنَةٍ . وَالْغُرَّةُ : الْبَيْضَاءُ .
(٥) الصَّنَاءُ : قَبِيلَةُ بَنِي عَمْرِو مَزِينِيَا بَيْنَ عَامِرِ بْنِ مَاءِ السَّجَاءِ . وَ مُحَرَّقٌ : هُوَ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرِو
مَزِينِيَا . وَلَكَانَ أَوَّلُ مَنْ عَاقَبَ بِاللَّزْرِ . (٦) ابْنَانَا : ابْنَا .
(٢ - ثَمَنِي - أَوَّل)

٦ — عند كسرى *

خرج أبو سفيان في جماعة من قريش ، يريدون العراق بتجارة ؛ فلما ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان ، فقال لهم : إنا من مسيرنا هذا لعل خطر ، لقد قدمنا على ملك جبّار ، لم يأذن لنا في القدوم عليه ، وليست بلادُه لنا بمجتبى ، ولكن أبكم يذهبُ بالخير ، فإن أُصيبَ فنحنُ برّآء من دمه ، وإن غيِمَ فله نصفُ الربح . فقال غيلان^(١) بن سَلَة : دعوني إذن ، فأنا لها .

فلما قدِمَ بلاد كسرى تخَلَّق^(٢) ، ولبس ثوبين أصفرين ، وشهر أمره ، وجلسَ بباب كسرى حتى أُذنَ له ، فدخل عليه ، وخرج إليه الترجان^(٣) وقال له : يقولُ لك الملك : ما أدخلكَ بلادى بنيرِ إذن !

فقال : قل له : لستُ من أهلِ عداوةٍ لك ، ولا أتيتُك جاسوساً ليُضدَّ من أضدادك ؛ وإنما جئتُ بتجارةٍ تَسْتَمْتِعُ بها ؛ فإن أردتها فهي لك ، وإن لم تُردّها ، وأذِنْتَ في بيعيها لرعيّتكِ بمثلها ؛ وإن لم تأذن في ذلك رَدَدْتُهَا ؛ وجعل يتكلم ، فإذا سمع صوتَ كسرى سجد . فقال له الترجان : يقولُ لك الملك : لم سجدتُ ؟ فقال : سمعتُ صوتاً عالياً ، حيث لا ينبغي لأحد أن يعلوَّ صوتهُ إجلالاً للملك ، فعملتُ أنه لم يقدِّم على رفع الصوتِ هناك غيرُ الملك ؛ فسجدتُ إعظاماً له . فاستحسنَ كسرى ما فعل ، وأمرَ له بِمِرْقَةِ^(٤) توضع تحته . فلما أُتِيَ بها

* بلوغ الأرب : ١ - ٣٢٠ ، القند القريد : ١ - ١٧٥ .

(١) غيلان بن سلمة الثقفي شاعر جاهلي ، كانت له ثلاثة أيام : يوم يحكم فيه بين الناس ؛ ويوم يشهد فيه شمره ، ويوم ينظر فيه إلى جماله ، وأسلم بعد فتح الطائف . (٢) تخلق : تلبس .

(٣) الترجان : ضم التاء المشددة وفتحها : القصر . (٤) المِرْقَة : الخشبة .

رأى عليها صورة الملك ؛ فوضعتها على رأسه ؛ فاستجبه له كسرى واستحمله .
وقال للترجمان : قل له : إنما بعثنا بهذه لتجلس عليها . قال : قد علمت ، ولكنني
لما أتيت بها رأيت عليها صورة الملك ، فلم يكن من حق مثلي أن يجلس عليها ، ولكن
كان حقها التعظيم ؛ فوضعتها على رأسي ؛ لأنه أشرف أعضائي وأكرمها علي !
فاستحسن فعله ، ثم قال له : ألك ولد ؟ قال نعم ! قال : فأيهم أحب إليك !
قال : الصبي حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والنائب حتى يثوب ^(١) . فقال
كسرى : زه ! ما أرى . . . علي ، وذلك على هذا القول والفعل لإحطك ! فهذا فعل
الحكماء ، وكلامهم ، وأنت من قوم جفاة لا حكمة فيهم ؛ فما غذاؤك ؟ قال : خبز
البر ^(٢) . قال : هذا العقل من البر لا من الدين والتمر .
ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها ، وكساه ، وبعث معه من الفرس من بني
له أطما ^(٣) بالطائف ، فكان أول أطم بني بها .

(١) يثوب : يرجع . (٢) البر : القمح . (٣) الأطم : الفرس ، وجمه أطام .

٧ — عند النجاشي *

قال عمرو^(١) بن العاص :

لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعتُ رجالاً من قريش كانوا يرون رأيتُ ،
ويسمون مني ، قلت لهم : تعلمون - والله - أني أرى محمداً يعلم الأمور علواً منكراً ؛
وإني قد رأيتُ أمراً فأترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قل : رأيتُ أن نلحق
بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، وإن ظهر
قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتيانا منهم إلا خير . قالوا : إيان هذا لرأى ! قلت :
فاجمعوا لنا ما تُهديه له ، وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم .

فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا كُنْزُهُ إذ جاءه
عمرو بن أمية الضمري - وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد بعث إليه في شأن
جعفر^(٢) وأصحابه . قال : فدخل عليه ، ثم خرج من عنده ، قلت لأصحابي : هذا
عمرو بن أمية الضمري ، لو قد دخلتُ على النجاشي فآلتُهُ إياه فأعطانيه ، فضربتُ
عنقه ! فإذا ضلَّ ذلك رأيتُ قريش أني قد أجزأتُ عنها حين قتلْتُ رسولَ محمد .

قال : فدخلت عليه ، فسجدتُ له كما كنتُ أصنع ، قال : مرحباً بصديقي ؛
أهديتُ إليَّ من بلادك شيئاً ؟ قلت : نعم ، أيها الملك ؛ قد أهديتُ إليك أدماً كثيراً ؛
ثم قربتُه إليه ، فأعجبني واشتهاه ، ثم قلتُ له : أيها الملك ؛ إني قد رأيتُ رجلاً خرج

* البروش الأثني: ٢ - ١١٢ .

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل أحد دعاته إلى الإسلام وفضائلهم وسامتهم وفتح مصر على عهد
عمر بن الخطاب ، توفي سنة ٤٢ هـ . (٢) جعفر بن أبي طالب ، وكان قد هاجر إلى الحبشة .

من عندك؛ وهو رسولٌ رجلٍ علويٍّ لنا، فَأَعْطَيْنِيهِ لَأَقْتُلَهُ، فإنه قد أصاب من أشرِّنا وخيَّارنا .

فغضب، ثم مدَّ يده فضرب بها أنفه ضربةً ظنَّ أنَّه قد كسره؛ فلوانشقتُ إلى الأرض لدخلتُ فيها فرَّقا^(١) منه ! ثم قلتُ له : أيُّها الملك، والله لو ظنَّ أنَّك تكبره هذا ما سألتُكَه ! قال : أنساني أن أعطيك رسولَ رجلٍ يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لَتَقْتُلَهُ ؟ قلتُ : أيُّها الملك، أكذلك هو ؟ قال : ويحك يا عرو ! أَعْطِنِي وَاتَّبِعْهُ، فإنه واللهِ كَلَى الحقِّ، وليظهرنَّ على مَنْ خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .

قلتُ : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم، فيسقط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجتُ إلى أمِّها، وقد حال^(٢) رأيي عما كان عليه؛ وكنتُ أمِّها على إسلامي . ثم خرجتُ عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقيتُ خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبلٌ من مكة، قلتُ : أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام اليَّيسم^(٣)، وإن الرجلَ لنبي، اذهب والله فأتلم عتقى متى ؟ قلتُ : والله ما جئتُ إلا لأسلم .

فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتقدَّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوتُ قلتُ : يا رسول الله، إني أبايعك على أن يُنفَرَنِي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عرو، بايع فإن الإسلامَ يَجِبُ^(٤) ما كان قبله، وإن الهجرةَ تَجِبُ ما كان فبايعته ثم انصرفت .

(١) فرقا : خوطا . (٢) حال رأيي تغير . (٣) استقام اليَّيسم : يريد استمر الأمر .

(٤) يجب ما قبله : يقطع .

٨ - رسول الله في سوق عكاظ*

روى عبد الرحمن العامري عن أشياخ من قومه ، قالوا :
 أتاننا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن بسوق عكاظ ؛ فقال : بمن القوم ؟
 قلنا : من بني عامر بن صعصعة ! قال : من أي بني عامر ؟ قلنا : بنو كعب
 ابن ربيعة . قال : كيف للنعمة فيكم ؟ قلنا : لا يرأفنا قتلنا ، ولا يصعالي بنارنا ؛ فقال :
 إني رسول الله ؛ فإن أتيتم تمنوني حتى أبلغ رسالة ربي ، ولم أكره أحداً منكم
 على شيء ؛ قالوا : ومن أي قريش أنت ؟ قال : من بني عبد المطلب ؛ قالوا : فأين
 أنت من بني عبد مناف ؟ قال : هم أول من كذبني وطرّدني ؛ قالوا : ولكننا
 لانظرؤدك ولا نؤمن بك ، ولا نمثلك أن تبلغ رسالة ربك .

فنزّل إليهم والقوم يتسوّفون^(١) . إذا تأمّ بجرّة بن قيس القشيري ؛ فقال : من
 هذا الذي أراه عندهم وأنكره ؛ قالوا : هذا محمد بن عبد الله القرشي . قال : وما لكم وله ؟
 قالوا : زعم لنا أنه رسول الله ويطلب إلينا أن نمنّعه حتى يبلغ رسالة ربه . قال :
 فماذا ردّدتم عليه ؟ قالوا : قلنا : في الرخب والسعة ، نخرجك إلى بلادنا ؛ ونمنّلك
 بما تمنع منه أنفسنا . قال بجرّة : ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشيء شريئ
 من شيء ترجعون به ، بدأتّم لئناً بذّكم الناس ، وترميكم العرب عن قوس واحدة ،
 قومه أعلم به ؛ لو أنسوا منه خيراً لكانوا أسعد الناس به ، تميدون إلى مرهق^(٢)
 قد طرده قومه وكذبوه فتؤوونه ؛ فبئس الرأي ما رأيتم !

* أسواق العرب : ٢١٧ .

(١) سوق القوم : إذا بلغوا واشتروا . (٢) فلان مرهق : أي متهم بسوء وسفه .

ثم أقبل على رسول الله فقال: قم؛ ألحق بقومك، فوالله لولا أنك عند قومي لضربت عنقك! فقام رسول الله إلى ناقته فركبها. فمزمها بُجْرَة^(١) قَمَصَتْ^(٢) برسول الله فألقته، وعند بني عامر يومئذ ضُبَاعَةُ بنت عامر بن قُرْط، وكانت من النسوة اللاتي أسلن مع رسول الله بمكة، جاءت زائرة إلى بني عمها، فقالت: يا آل عامر، أئصنع هذا برسول الله بين أظهركم لا يمنعه أحد منكم! فقام ثلاثة من بني عمها إلى بُجْرَة وثلاثة أغانوه، فأخذ كل رجل منهم رجلاً، فَجَلَدَ^(٣) به الأرض، ثم جلس على صدره، فقال رسول الله: اللهم بارك على هؤلاء وآلهم هؤلاء.

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخهم، قد أدركته السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم للوسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك اللوسم. فلما قلعوا عليه سألهم عن كان في اللوسم، فقالوا: جاءنا نبي من قريش ثم حدث أنه أخذ بنى عبد المطلب، يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن نمنعه وهوم معه، ونخرج به معنا إلى بلادنا! فوضع الشيخ يده على رأسه، ثم قال: يا بني عامر! هل لها من تلاف؟ هل لذئابها^(٤) تطلب؟ فوالذي نفس فلان بيده ما تقو لها إسماعيل قط، ألا إنها الحق، فأين كان رأيكم!

(١) في تاريخ الطبري صفحة ٢٣٢ من الجزء الثاني: بجرة بن فراس. (٢) قصت: وثبت.

(٣) جلد به الأرض: ضربها. (٤) أصل الذئبي: الذئب.

٩ - الكرم طروب*

قدم عبد الله بن جعفر^(١) على معاوية بالشام ، فأنزله دار عياله ، وأظهر من إكرامه ما يستحقه ، فضاظ ذلك زوج معاوية ، ثم سمعت ذات ليلة غناء عند عبد الله ابن جعفر ، فجات إلى معاوية ، وقالت : هلم فاسمع ما في منزل الذي جعلته من لحك ودمك وأنزلته بين حرّك .

فجاء معاوية ؛ فسمع شيئاً حرّكه وأطربه ، فقال : والله إنى لأسمع شيئاً تسكاد الجبال تحرق^(٢) له ! ثم انصرف .

فلما كان في آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر ، وهو قائم يصلى ، فنبه زوجته ، وقال لها : اسمى مكان ما أسمعتنى ، هؤلاء قومى ملوك بالتهار ، ورهبان بالليل !

ثم إن معاوية أرق ذات ليلة ، فقال لخادمه : اذهب فانظر من عند عبد الله ابن جعفر وأخبره أى قادم عليه .

فذهب وأخبره ، فأقام عبد الله كل من كان عنده ؛ فلما جاء معاوية لم ير فى المجلس غير عبد الله ، فقال : مجلس من هذا ؟ قال عبد الله : هذا مجلس فلان يا أمير المؤمنين . فقال معاوية : مره فليرجع إلى مجلسه ، حتى لم يبق إلا مجلس رجل واحد . قال : مجلس من هذا ؟ قال : مجلس رجل يداوى الآذان يا أمير المؤمنين ؛ قال : إن أذننى عليه^(٣) فمره أن يرجع إلى مجلسه ، وكان مجلس يدّج النقى ،

* المستطرف : ٢ - ١٤٩ ، القند الفريد : ٢ - ٤٩ ، الأغاني ٤ - ٢١٢ .

(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، كان كريماً جواداً يحب البذل ويرتاح للمطاء ، ويعيل إلى سماع الغناء ، وأخباره في الكرم والسماح كثيرة ، توفى سنة ٩٠ هـ . (٢) تحرق : تسجد . (٣) عليه : مريضة .

فأمره عبد الله بن جعفر فرجع إلى موضعه ، فقال له معاوية : داوِ أذنى من عذتها ،
فتناول الموَدَّ وغشى ، وقال :

ودَّعْ هَريرةَ إِنْ الرِّكْبَ مُرْتَحِلٌ وهل تطيقُ وداعاً أيها الرجلُ^(١)

فحرك عبد الله بن جعفر رأسه ، فقال له معاوية : لم حركتَ رأسك يا ابن جعفر ؟
قال : أَرْجِيَّةٌ^(٢) أجدها يا أمير المؤمنين لو لقيتُ عندها لأبليتُ ، ولو سئلتُ
لأعطيت .

وكان معاوية قد خَضَبَ ، فقال ابن جعفر لبُدَيْح : غنَّ غير هذا - وكان معاوية
جارية أعزُّ جواريه عليه ، وكانت تتولى خِضابَه ، فغنى بُدَيْح وقال :
أليس عندك شكرٌ لتي جَمَلَتْ ما ابْيَضَّ من قَادِمَاتِ^(٣) الرأْسِ كالحَمِّ^(٤)
وجَدَدَتْ منك ما قد كان أخلقه صَرَفُ الزمان وطولُ الدهر والقدم
فطُربَ معاوية طرباً شديداً ، وجعل يحرك رجله ، فقال له ابن جعفر :
يا أمير المؤمنين ، إنك سألتني عن تحريكِ رأسي فأجبتك وأخبرتُك ، وأنا أسألك
عن تحريكِ رجلك ! فقال : كلُّ كَرِيمٍ طروب !

ثم قام ، وقال : لا يبرِّح أحدٌ منكم حتى يأتى له إذنى - ثم ذهب فبعث
إلى ابن جعفر بمشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته ، وإلى كل رجل
منهم بألف دينار ، وعشرة أثواب .

(١) هَريرة : اسم فينة كانت لرجل من آل عمرو بن مرثد أحبها إلى قريب له . والبيت من
قصيدة لأعشى قيس (٢) أَرْجِيَّة : خنفة (٣) أسل القوادم : أربع ريشات في مقدم الجناح ،
والواحدة قائمة ، يبريد مقدم الشر . (٤) الحَمِّ : تنعم .

١٠ — الأعراب في جهدم وضنك عيشهم *

قال زيادٌ لَنَيْلانَ بنِ خَرَشَةَ: أَحَبُّ أَنْ تَحْدِثَنِي عَنِ الْعَرَبِ وَجَهْدِهَا، وَضَنِّكَ^(١) عَيْشِهَا، لِنَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى النِّعْمَةِ الَّتِي أَصْبَحْنَا بِهَا، فَقَالَ غَيْلانُ: حَدِثْنِي عَمِّي قَالَ: نَوَالَتْ عَلَى الْعَرَبِ سَنُونَ تَسَعٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حَطَلَتْ كُلُّ شَيْءٍ، نَفَرَجَتْ عَلَى بَكْرُلَى فِي الْعَرَبِ، فَكُنْتُ سَبْعًا لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا يَنَالُ مِنْهُ بِمِيرَى، أَوْ مِنْ حَشَرَاتِ الْأَرْضِ، فَتَشَدَّدْتُ عَلَى بَطْنِي حَجَرًا مِنَ الْجَوْعِ، حَتَّى دَفَعْتُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ إِلَى حِوَاهِ^(٢) عَظِيمٍ، فَإِذَا بَيْتٌ جُحِشَ^(٣) عَنِ الْحَيِّ، قِيلْتُ إِلَيْهِ، نَفَرَجْتُ إِلَى امْرَأَةٍ طَوَالَةَ^(٤) حُسَانَةٍ^(٥)، قَالَتْ: مَنْ؟ قُلْتُ: طَارِقُ لَيْلٍ، يَلْتَمِسُ الْقَرَى! قَالَتْ: لَوْ كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ لَأَكْرَهْنَاكَ بِهِ، وَاللَّهِ! عَلَى الْخَيْرِ كِفَاعُهُ، حَيْسٌ^(٦) هَذِهِ الْبُيُوتِ، ثُمَّ انْظُرْ إِلَى أَعْظَمِهَا، فَإِنْ يَكُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا خَيْرٌ فَعِيهِ.

فَعَلْتُ حَتَّى دَفَعْتُ إِلَيْهِ، فَرَحَّبَ بِي صَاحِبُهُ، وَقَالَ: مَنْ؟ قُلْتُ: طَارِقُ لَيْلٍ، يَلْتَمِسُ الْقَرَى. قَالَ: يَا فُلَانُ، فَأَجَابَهُ، قَالَ: هَلْ عِنْدَكَ طَعَامٌ؟ قَالَ: لَا، فَوَافَقَهُ مَا وَقَرَ^(٧) فِي أَذُنِي شَيْءٌ كَانَ أَشَدَّ عَلَىَّ مِنْهُ.

قَالَ: فَهَلْ عِنْدَكَ شَرَابٌ؟ قَالَ: لَا. ثُمَّ تَأَوَّهَ، فَقَالَ: قَدْ بَقِينَا فِي ضَرْعِ الْفَلَانَةِ^(٨) شَيْئًا لَطَارِقُ إِنْ طَرَّقَ. قَالَ: فَأَتَتْ بِهِ: فَأَتَى الْمَطْنُ^(٩) فَاثْبَمَتْهَا، فَمَا

* المحاسن والمساوي: - ٩٩ (طبعة ليزنج)، عيون الأخبار: ٣ - ٢٤٤.

(١) الضنك: الضيق. (٢) الحواه: جماعة البيوت المتداينة (٣) جحش: نحى وأبعد عن البيوت (٤) طوالة: طويلة القامة (٥) حسانة: حسنة (٦) حيس: تمر أو تمرات (٧) وقَرَ: نزل. (٨) الفلانة والفلان بالتمريف كناية عن غير آدميين (٩) المطن: مئاة الإبل حول ووردها.

سمعتُ شيئاً قطُّ كان أشدَّ من شَحْبِ رِيكِ النَّاقَةِ فِي تِلْكَ اللَّعْبَةِ^(١)، حتَّى إِذَا مَلَأَهَا، وَقَاضَتْ مِنْ جَوَانِبِهَا، وَارْتَفَعَتْ عَلَيْهَا رَغْوَةُ كَجَمَّةِ الشَّيْخِ، أَقْبَلَ بِهَا يَهُوْيَ نَحْوِي، فَتَرَّ بَسُودٌ أَوْ حَجَرٌ، فَسَقَطَتِ اللَّعْبَةُ مِنْ يَدِهِ، فَمَا أَصَبْتُ بِمَصِيبَةٍ أَفْزَعَ لِقَلْبِي، وَلَا أَعْظَمَ مَوْقِعاً عِنْدِي مِنْ انْكَفَاءِ تِلْكَ اللَّعْبَةِ عَلَى مِثْلِ الْحَالِ الَّتِي كُنْتُ فِيهَا .

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَبُّ الْبَيْتِ خَرَجَ شَاهِراً سَيْفَهُ، فَبِعَثَ الْإِبِلَ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى أَعْظَمِهَا سَنَآمًا، وَدَفَعَ إِلَيَّ مُدَيَّةً، وَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ، اصْطَلِرْ وَاحْتَمِلْ .

فَجَمَلْتُ أَهْوِيَّ بِالْبِضْعَةِ^(٢) إِلَى النَّارِ، فَإِذَا بَلَغَتْ إِنَاءَهَا^(٣) أَكَلْتُهَا، ثُمَّ مَسَحْتُ مَا فِي يَدَيَّ مِنْ إِهَائِهَا^(٤) عَلَى جِلْدِي، وَقَدْ قَجِلَ^(٥) عَلَى عَظْمِي، حَتَّى كَأَنَّهُ شَنٌّ^(٦)، ثُمَّ شَرَبْتُ شُرْبَةً مَاءً، وَخَرَزْتُ مَغْشِيًّا عَلَىَّ، فَمَا أَقَفْتُ إِلَى السَّحَرِ .

وَقَطَعَ زِيَادُ الْحَدِيثِ، وَقَالَ : لَا عَلَيْكَ أَلَّا تَتَخَبَّرَنَا بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا، فَمَنْ الْمَنْزُولُ بِهِ ؟ قُلْتُ : عَلَمُرُ بْنُ الطَّافِلِ .

(١) اللَّعْبَةُ : قَدَحٌ ضَخْمٌ مِنْ جُلُودِ الْإِبِلِ، أَوْ مِنْ خَشَبٍ : يَجْلِبُ فِيهَا . (٢) الْبِضْعَةُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْلَحْمِ . (٣) بَلَغَ إِنَاءَهُ : نَضِجَهُ وَإِذْرَأَكَه . (٤) الْإِهَاءُ : الشَّجْمُ أَوْ مَا أُذِيبَ مِنَ الشَّحْمِ . (٥) قَجِلَ : بَيَسَ . (٦) الشَّنُّ : الْقُرْبَةُ الْخَلْقُ الصَّغِيرَةُ .

١١ - حَقْلُ غَنَاءِ*

خرجت جميلة^(١) حاجةً ، فخرج معها من الرجال المغنين والنساء والأشراف وغيرهم جماعة ، وحبَّ معها من التقيان^(٢) مُشَيَّعَاتٍ لها ومعظَمَاتٍ لِقَدْرِهَا وَلِحَقِّهَا خَسُون قَيْنَةٍ وَجَهَ بَيْنَ مَوَالِيْنٍ مَعَهَا ؛ وَأَعْطَوْهُنَّ النِّفَقَاتِ وَحَمَلُوهُنَّ عَلَى الْإِبِلِ فِي الْمَوَادِجِ وَالْقِيَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَأَبَتْ جَمِيلَةُ أَنْ تُنْفِقَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ دَرَاهِمًا فَا فَوْقَهُ حَتَّى رَجَعْنَ ، وَتَخَايَرَ مَن خَرَجَ مَعَهَا فِي اتِّخَاذِ أَنْوَاعِ اللِّبَاسِ الْمَجِيبِ الْفَارِيفِ وَالْمَوَادِجِ وَالْقِيَابِ ، فَلَمْ يَرَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِثْلَ ذَلِكَ الْجَمْعِ سَفَرًا^(٣) طَلِيْبًا ، وَحُسْنًا وَمَلَا حَةً .

ولما قاربوا مكة تلقاهم سَمْعِدُ بْنُ مَسْتَحَبٍ وَابْنُ مَرْجِيٍّ وَالتَّرِيضُ وَابْنُ مُخْرَزٍ وَالْمُذَلِّيُّونَ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمَغْنِيِّينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَقِيَانٌ كَثِيرٌ ، وَمِنْ غَيْرِ الْمَغْنِيِّينَ عَمْرُ ابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَالْحَارِثُ بْنُ خَالِدِ الْخَزَوِيِّ ، وَالْعَرَجِيُّ ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأَشْرَافِ . فَدَخَلَتْ جَمِيلَةُ مَكَّةَ وَمَا بِالْحِجَازِ مُغْنٍ حَاقِظٌ وَلَا مَغْنِيَةٌ إِلَّا وَهُوَ مَعَهَا وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأَشْرَافِ مِنْ تَمِيمِيٍّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ . وَخَرَجَ أَبْنَاءُ أَهْلِ مَكَّةَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ يَنْظُرُونَ إِلَى جَمْعِهَا وَحُسْنِ هَيْئَتِهِمْ .

فَلَمَّا قَضَتْ حَبَّهَا سَأَلَهَا اللَّكَّيْثُونَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ مَجْلِسًا ؛ فَقَالَتْ : لِلْغَنَاءِ أَمٌ لِلْحَدِيثِ ؟ قَالُوا : لَهُمَا جَمِيعًا . قَالَتْ : مَا كُنْتُ لِأَخَاطِطَ جِدًّا بِهِ زَلٌّ ، وَأَبَتْ أَنْ تَجْلِسَ لِلْغَنَاءِ . قَالَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ : أَقْسَمْتُ عَلَى مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حُبٌّ لِمَسْتَمَاعِ

(*) الْأَفْأَانِي : ٨ - ٢٠٩ ، نِهَآةُ الْأَرْبِ : ٥ : ٤٣ .

(١) هِيَ جَمِيلَةُ مَوْلَاةُ بَنِي سَلَمٍ ، كَانَتْ أَسْلَمًا مِنْ أَصُولِ الْغَنَاءِ ، وَعِنَهَا أَخُذُ مَعْبِدٍ وَابْنِ عَائِشَةَ وَجَبَابَةٍ وَسَلَامَةَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمَغْنِيِّينَ وَالْمَغْنِيَّاتِ ، تَوَفَّيَتْ سَنَةَ ١٢٥ هـ تَقْرِيبًا .

(٢) الْمَرَادُ بِالتَّقِيَانِ هُنَا الْمَغْنِيَّاتِ . (٣) السَّفَرُ : الْمَسَافَرُونَ .

غناها إلا خرج معها إلى المدينة فإني خارج ، فزَمَ القوم كلهم على الخروج ،
ففرجت في جمع أكثر من جميعها بالمدينة .
فلما قدمت المدينة تلقاها أهلها وأشرافهم من الرجال والنساء ؛ فدخلت بأحسن
مما خرجت منها ، وخرج الرجال والنساء من بيوتهم ، فوقفوا على أبواب دُورهم
ينظرون إلى جميعها وإلى القادمين معها : فلما دخلت منزلها وتفرق الجمع إلى منازلهم ،
ونزل أهل مكة على أقاربهم وإخوانهم أتاها الناس مسلمين ، وما استنكف
من ذلك كبير ولا صغير .

فلما مضى لتقدمها عشرة أيام جلست للفناء ، قالت لعمر بن أبي ربيعة :
إني جالسة لك ولأصحابك ، وإذا شئت فمدِ الناس لفلان اليوم ؛ فنصت الدار
بالأشراف من الرجال والنساء ، فابتدأت جملة فغنت صوتاً بشعر عمر^(١) :

هيات من أمة الوهاب منزلاً إذا حللنا بسيف^(٢) البحر من عدن
وآحتل أهلك أجياداً^(٣) وليس لنا إلا التذكر أو حظ من الحزن
لو أنها أبصرت بالجزع عبرته من أن تفرد قمرى على فن^(٤)
إذن رأت غير ما ظنت بصاحبها وأيقنت أن لحجاً^(٥) ليس من وطني
ما أنس لا أنس يوم الخيف^(٦) موقفاً وموقفي ، وكلانا ثم ذو شجن^(٧)
وقولها للثريا وهي باكية والسمع منها على الخدين ذو سن^(٨) :
بالله قولي له في غير ممتبة : ماذا أردت بطول المكث في المن ؟
إن كنت حاولت دنياً أو نمت بها فما أصبت بترك الحج من ثمن

(١) كان الحارث بن أبي ربيعة ينهى أخاه عن قول الشعر فأبى أن يقبل منه ، فأعطاه ألف دينار
على ألا يقول شعراً ، فأخذ المال وخرج إلى أخواله بالبحر وأبين مخافة أن يهجه مقامه بكة على قول
الشعر ، فطرب يوماً فقال هذا الشعر ١ (٢) سيف البحر : ساحله (٣) أجياد : موضع بكة -
(٤) فن : غصن - (٥) لحج : تلال باليمن (٦) الخيف : موضع بجي (٧) شجن :
حزن - (٨) ذو سن : ذو طرائق .

فكلهم استحسن الفناء وَصَحَّ القومُ من حُسْنِ ما سمعوا ، وَدَمَعَتْ عَيْنُ عَمْرِو
حتى جرى الدمعُ على ثيابه ولحيته ، ثم أقبلتُ على ابنِ سُرَيْجٍ فقالت : هاتِ ،
فاندفع يُغْنِي ورفعَ صوتهَ بشعرِ عمر :

أَلَيْسَتْ بِأَلْقَى قَالَتْ لِمَوْلَاةٍ لَهَا ظُهُرًا
أَشِيرِي بِالسَّلامِ لَهُ إِذَا هُوَ نَحْوَنَا نَظَرًا
وَقَوْلِي فِي مُلَاطِفَةٍ لَزَيْنَبَ نَوَلِي عُمَرَا
وَهَذَا سِحْرُكَ النَّسْوَا^(١) نَ قَدْ خَبَّرَنِي الْخَبْرَا

فَسَمِعَ من ابنِ سُرَيْجٍ في هذا اللَّحْنِ من الحُسْنِ ما يقالُ إنه ما سَمِعَ مثله .
ثم قالت لسميد بنِ مِسَجَحٍ : هاتِ يا أبا عُمَانَ ، فاندفع فغنى :

قَدْ قُدَّ قَبْلَ الْبَيْنِ^(٢) لِمَا خَشِيتُهُ لَتُعْقَبَ وَدًّا أَوْ تَلْعَمَ مَا عِنْدِي
لَكَ الْخَيْرُ هَلْ مِنْ مَصْدَرٍ تَصْدُرُ بِهِ^(٣) يُرِيحُ كَمَا سَهَلَتْ لِي سُبُلَ الْوَرْدِ
فَلَمَّا شَكَوْتُ الْحَبَّ صَدَّتْ كَأَنَّمَا شَكَوْتُ الَّذِي أَلْقَى إِلَى حَجَرٍ صَلْدِ

فَاسْتَحْسِنَ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَبَرَعَ فِيهِ . ثم قالت : يا معبد ، هاتِ ؛ فغنى :

أَحَارِبُ مَنْ حَارَبْتَ مِنْ ذِي عِدَاوَةٍ وَأُحْبِسُ مَا لِي إِنْ غَرِمْتَ فَأَعْقِلُ^(٤)
وَإِنِّي أَخُوكَ الدَّائِمُ الْمَهْدِ لَمْ أَحُلْ إِنْ أَبْرَأَكَ^(٥) خَصْمٌ أَوْ نَبَا بِكَ مَنْزِلُ
سَتَقْطَعُ في الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينُكَ فَانْظُرْ أَيَّ كَفَرٍ تَبْدَلُ

قَالَتْ جَمِيلَةً : أَحْسَنْتَ يَا مَعْبُدُ اخْتِيَارَ الشَّعْرِ وَالْفَنَاءِ .

ثم قالت : هاتِ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ ؛ فَإِنِّي لَمْ أُؤَخِّرْكَ لِنَاسَةِ بِكَ ؛ وَلَا جَهْلًا بِالَّذِي
يَجِبُ في الصَّنَاعَةِ ؛ وَلَكِنِّي رَأَيْتُكَ تَحِبُّ مِنَ الْأُمُورِ كُلِّهَا أَوْسَطَهَا وَأَعْدَلَهَا ؛

(١) النسوان : النساء . (٢) البين : القراق . (٣) يقال : صر هو ، وصدر غيره وأصدره .

(٤) يريد فأعقل عنه ، وعقل عنه : إذا غرم ما لزمه من دية . (٥) لم أحل : لم أتنبأ . أبرزك

خصم : فبرك . والعر لمن بن أوس ، وهو شاعر فحل من مخضري الجاهلية والإسلام .

فجاءتك - حيث تحب - واسطة بين الكيئين والدينين ، ففنى .

ثم قالت للفرىض : هات ، فأندفع فنى بشعر عمرو بن شأس :

فَوَانْدَمِي عَلَى الشَّبَابِ وَوَانْدَمَ نَدِمْتُ وَبَانَ الْيَوْمَ مَنِ بَنِي رِي دَمَ
وَإِذْ أَخَوَتِي حَوَّلِي وَإِذَا أَنَا شَاخٌ وَإِذَا لِأَجِيبُ الْعَاذِلَاتِ مِنَ الصَّمَمِ
أَرَادَتْ عَرَارًا^(١) بِالْهُوَانِ وَمَنْ يُرِدْ عَرَارًا لَعَمْرِي بِالْهُوَانِ قَدْ ظَلَمَ

قالت جميلة : أحسن عمرو بن شأس ولم تحسن ؛ إذ أفسدت غناءك بالتعريض ؛
والله ما وضممتك إلا موضعك ، ولا نقصنا من حظك ، فماذا أهناك !

ثم أقبلت على الجماعة فقالت : يا هؤلاء ، اصدقوه وعرفوه نفساً ليقنع بمكانه ؛
فأقبل القوم عليه . وقالوا له : قد أخطأت إن كنت عريضة . قال : قد كان ذلك !
ولست بمائد . وقام إلى جميلة قبل طرف ثوبها واعتذر ، فقيلت عذره ،
وقالت له : لا تمد .

ثم أقبلت على ابن عائشة ، فقالت : يا أبا جعفر ؛ هات ، ففنى بشعر النابغة :
سَقَى النِّيثُ قَبْرًا بَيْنَ بَصْرَى^(٢) وَجَسَمٍ عَلَيْهِ مِنَ الْوَسْمَى^(٣) جَوْدٌ وَوَابِلُ
قالت جميلة : حسن ما قلت يا أبا جعفر . ثم أقبلت على نافع وبديع فقالت :

أَحِبُّ أَنْ تُفَنِّيَانِي صَوْتًا وَاحِدًا ؛ ففنى جميعاً بصوت واحد ولحن واحد :

أَلَا يَأْمَنُ يَلُومُ عَلَى التَّصَابِي أَفْنَى شَيْئًا لَتَسْمَعَ مِنْ جَوَابِي
بَكَرْتُ تَلُومُنِي فِي الْحَبِّ جَهْلًا وَمَنَى حَبٌّ مِثْلِي مِنْ مَعَابٍ^(٤)
أَلَيْسَ مِنَ السَّعَادَةِ غَيْرَ شَكٍّ هَوَى مُتَوَاصِلِينَ عَلَى اقْتِرَابِ
كَرِيمٌ نَالَ وَدًّا فِي عَفَافٍ وَسَتَرَ مِنْ مُنْعَمَةٍ كَمَا بٍ^(٥) .

(١) هو عرار بن عمرو بن شأس ، وهو من أمة لمبرو سوداء ، وكان بينه وبين زوج أبيه
نزاع وخلاف ، فقد كانت تؤذيه وتميره وتكتمه ، وحاول عمرو أن يصلح ما بينهما فلم يفلح فطلقها .

(٢) بصري وجسم : موضحان بالتمام . (٣) الوسى : أول المطر ؛ لأنه يسم الثبات .

(٤) معاب : عيب ؛ وهو مصدر ميمي . (٥) ستر : ناهية التدى .

قالت جميلة : هَوَاكُمَا والله واحد ، وَغِنَاكَا واحد . وَأَنَا نُحْيِيكُمَا مِنْ بَقِيَةِ
الكرم وواحد الشرف : عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .
ثم أقبلت على الهذليين الثلاثةِ قَالَتْ : غَنُوا صَوَاتَا وَاحِدًا ، فَاذْفَعُوا فَنَنُوتَا
بشعر عَنَتَرَةَ الْمُبَيِّ :
حُيِّتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى ^(١) وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَنْثِمِ
كَيْفَ لِلزَّارِ وَقَدْ تَرَعَّ أَهْلُهَا بُنَيْرَتَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالْفَيْلِمِ ^(٢)
إِنْ كُنْتِ أَرْمَعَتِ الْفِرَاقَ فَإِنَّمَا زَمَّتِ ^(٣) رَكَابَكُمْ بَلِيلِ مُظْلِمٍ
قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بَفَنَائِكُمْ مِنْ أَتْفَاقِ أُرُوَاحِكُمْ .
ثم أقبلت على نافع بن مُثَنبُورَةَ ، قَالَتْ : هَاتِ يَا نَقِشَ النَّضَارِ ^(٤) ، وَبَاخَسَنَ
اللسان ، فَاذْفَعْ يَنِي .

يَا طُولَ لَحْيٍ وَبَتْ لَمْ أَتَمِّهِ وَسَادَى الْهَمُّ مُبْطِنٌ سَقَى
أَنْ قُمْتُ يَوْمًا عَلَى الْبِلَاطِ ^(٥) فَأَبَدَ صَرْتُ رَقَانَا وَلَيْسَتْ لَمْ أَذَرِ
قَالَتْ جَمِيلَةٌ : حَسَنٌ وَاللَّهِ !

ثم قَالَتْ : يَا مَالِكُ ؛ هَاتِ ؛ فَإِنِّي لَمْ أُؤْخَرْكَ لِأَنَّكَ فِي طَبَقَةِ آخِرِهِمْ ، وَلَكِنِّي
أَرَدْتُ أَنْ أَخْتِمَ بِكَ يَوْمَنَا تَبَرُّكَ كَأَبْكَ ، وَكِي يَكُونُ أَوَّلُ مَجْلِسِنَا كَأَخْرِهِ ، وَوَسْطُهُ
كَطَرْفِهِ ، فَإِنَّكَ عِنْدِي وَمَعْبِدًا لِنِي طَرِيقَهُ وَاحِدَةً وَمَذْهَبَ وَاحِدٍ ، لَا يَدْفَعُ ذَلِكَ
إِلَّا ظَالِمٌ ، وَلَا يَنْكُرُهُ إِلَّا عَاضِلٌ ^(٦) ، الْحَقُّ أَقُولُ ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْكِرْ ، فَكَتَبْتُ
الْقَوْمَ كُلَّهُمْ إِفْرَارًا لِمَا قَالَتْ ؛ وَانْدَفَعْ يَنِي :

عَدُوٌّ لِمَنْ عَادَتْ وَسَلَّمٌ لِسَدِّهَا وَمَنْ قَرَّبَتْ سَلَى أَحَبٌّ وَقَرَّبَا

(١) أقوى : خلا . (٢) بنيرتين : موضع واتفيلم : موضع في جدار بني عيس . (٣) زم
: بر : خطبه . (٤) النضار : الطين اللارج ، الأخضر ، وهو لنب له .
(٥) البلاط : الأرض المنوَّهة السماء (٦) العاضل : اللعن .

هَبْنِي أَمْرًا إِمَّا بَرِيئًا ظَلَمْتِهِ وَإِمَّا مُسِيئًا تَابَ بِسُدِّ وَأَعْتَبَا
أَقُولُ - التَّمَسَّاسَ العَذِرَ لِمَا ظَلَمْتَنِي وَحَمَلْتَنِي ذَنْبًا وَمَا كُنْتُ مُذْنِبًا
لَيْسَ بِكَ إِثْمَاتُ العَدُوِّ بَهَجَرْنَا وَقَطَعْتَ حَبْلَ الوَصْلِ حَتَّى تَقْضِبَ^(١)
قَالَ جَمِيلَةٌ : لَيْتَ صَوْتِكَ يَا مَالِكُ قَدْ دَامَ لَنَا وَدُمْنَا لَهُ ! وَقَطَعْتَ المَجْلِسَ ؛
وَانصَرَفَ عَامَّةُ النَّاسِ وَبَقِيَ خَوَاصُّهُمْ .

فَلَمَّا كَانَ اليَوْمُ الثَّانِي حَفَرَ القَوْمُ جَمِيعًا ، فَقَالَتْ لَطَوِيسُ : هَاتِي يَا أَبَا عَبْدِ
النَّعِيمِ ؛ فَاجِدُوا طَوِيسَ فَضَى :

قَدْ طَالَ لَيْلِي وَعَادَلِي طَرَبِي مِنْ حُبِّ خَوْدِ^(٢) كَرِيمَةِ الحَسْبِ
غَرَاءُ مَثَلِ المَلَالِ آتِيَةٍ أَوْ مَثَلِ تَمَسَّالِ صُورَةِ الذَّهَبِ
صَادَتْ فَوَادِي بِجَمِيدٍ مُنْزَلَةٍ^(٣) تَرَعَى رِيَاضًا مُلْتَفَّةَ العُشْبِ
فَقَالَتْ جَمِيلَةٌ : حَسَنَ وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ النَّعِيمِ !
ثُمَّ قَالَتْ لِلدَّلَّالِ : هَاتِي يَا أَبَا يَزِيدَ ، فَانْدِفِعْ فَضَى :

قَدْ كُنْتُ آمَلُ فِيكُمْ أَمَلًا وَالرَّهْ لَيْسَ بِمَلِكٍ أَمَلُهُ
حَتَّى بَدَأَ لِي مِنْكُمْ خُافٌ فَزَجَرْتُ قَلْبِي فَارْعَوَى جَمَلُهُ
لَيْسَ الْفَقِي بِمُخَلِّدٍ أَبَدًا حَيًّا ، وَلَيْسَ بِفَائِتٍ أَجَلُهُ
قَالَتْ : حَسَنَ وَاللَّهِ يَا أَبَا يَزِيدَ ! ثُمَّ قَالَتْ لِهَيْتِ : إِنَّا مُبْجَلُوكَ اليَوْمَ لِكِبَرِ
سَيِّئِكَ وَرِقَّةِ عَظَمِكَ . قُلْ : أَجَلُ !

ثُمَّ قَالَتْ لِبُرْدِ الفَوَادِ ، وَنَوْمَةِ الضُّحَى : هَاتِيَا جَمِيعًا لِحَنَا وَاحِدًا فَضِيًّا :
إِنِّي تَذَكَّرْتُ فَلَا تَنْلَحِي^(٤) لَوْلَا مَكُونَةُ تَنْطِقُ

(١) تَقْضِبُ : تَقَطُّعُ . (٢) الخَوْدُ : الحِمْلَةُ المُلْقَى الثَّابِتُ .

(٣) المُنْزَلَةُ : الطَّيْبَةُ ذَاتُ النِّزَالِ . (٤) لَا تَلَحِي : لَا تَلْمِزِي .

قالت جميلة : أحسنتا .

ثم قالت لغير وجهه وهبة الله : هاتوا جميعا صوتا واحدا ؛ فإنكم متفقون
في الأصوات والألحان ؛ فاندفعوا فغنّوا :

أشأقك من نحو العميق برؤف لوامع تخفى نارة وتشوق
وما لي لا أهوى جوارى بربري وروحي إلى أرواحن تنوق
لمن جمال فائق ومصلحة ودل على دل النساء يفوق
وكان بربر حاضرا ، قال : جوارى والله على ما وصفتن ؛ فمن شاء أقر ومن
شاء أنكر . قالت جميلة : صدق . ثم غنّت جميلة بشعر الأعشى :

بانت سعاد وأمسى جبلها أقطعا وأخلت النور فالبدين فالقروما^(١)
واستكرنتي وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلما
تقول بني وقد قربت مرتحلا : يارب جنب أبي الأوصاب^(٢) والوجما
وكان شيء إلى شيء فسيره دهر ملىح على تفريق ما جمعا
فلم يسمع شيء أحسن من ابتدائها بالأمس وختمها في اليوم الثاني ، وقطعت
الجلس ، فانصرف قوم وأقام آخرون .

فلما كان اليوم الثالث اجتمع الناس ، فضربت سيطرة وأجلست الجوارى
كلهن ففربن وضربت ، ففربن على خمسين وترا ، فزلزلت الدار ؛ ثم غنّت
على عودها ؛ وهن يضربن على ضربها بهذا الشعر :

فإن خفيت كانت لمينك قرّة وإن تبد يوماً لم يعمك^(٣) عارها
من الخفرات البيض لم تر غلظة وفي الحسب الضخم الرفيع نجارها^(٤)

(١) الجمال والفرح : موزان . (٢) الأوصاب : الأوجاع .

(٣) لم يعمك : لم يلمسك . (٤) النجار : الأمل .

فَارَوْضَةً بِالْحَزَنِ طَيِّبَةَ الثَّرَى يَمِجُّ النَّدَى جَنَاحُهَا^(١) وَعَرَارُهَا
بَاطِلِبٍ مِنْ فِيهَا إِذَا جَتَّ طَارِقًا وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدَلِ^(٢) الرُّطْبِ نَارُهَا
فَدَمَعَتْ أَعْيُنُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ حَتَّى بَلَّوْا ثِيَابَهُمْ وَتَنَفَّسُوا الصُّعْدَاءَ ، وَقَالُوا : بَأَنفُسِنَا
أَنْتِ يَا جَمِيلَةَ ، ثُمَّ قَالَتْ لِلْجَوَارِي : اكْفَنْنَ ، فَكَفَنْنَ ؛ وَقَالَتْ : يَا عَزُّ ؛ غَنِي ،
فَفَنَّتْ بِشَعْرِ لَمَرٍ :

تَذَكَّرْتَ هُنْدًا وَأَعْصَارَهَا^(٣) وَلَمْ تَقْنِيْ نَفْسُكَ أَوْطَارَهَا
تَذَكَّرْتَ النَّفْسُ مَا قَدْ مَضَى وَهَاجَتْ عَلَى الْعَيْنِ عَوَارُهَا^(٤)
لِتَمْنَحَ رَامَةً مِنْهَا الْهَوَى وَتَرْغَى لِرَامَةِ أَسْرَارَهَا
إِذَا لَمْ تَزُرْهَا حِذَارَ الْعِدَا حَدَّنَا عَلَى الزَّوْرِ زُورُهَا
قَالَتْ جَمِيلَةُ : يَا عَزُّ ، إِنَّكَ لِبَاقِيَةٍ عَلَى الدَّهْرِ ، فَهِنْتَنَا لَكَ حَسْنُ هَذَا الصَّوْتِ
مَعَ جَوْدَةِ هَذَا الْفَنَاءِ !

ثُمَّ قَالَتْ لِجَبَابَةِ وَسَلَامَةَ : هَاتِيَا لِحَنًا وَاحِدًا ، فَفَنَّتَا :

كَفَى حَزَنًا أَنِيْ أَعْيَبُ وَتَشْهَدُ وَمَا تَلْتَقِي وَالْقَلْبُ حَرَّانُ مُقْصَدُ^(٥)
وَمَنْ عَجَبٍ أَنِيْ إِذَا اللَّيْلُ جَنَّى أَقُومُ مِنَ الشَّوْقِ الشَّدِيدِ وَأَقْعُدُ
أَحْنُ إِلَيْكُمْ مِثْلَ مَا حَنَّ تَائِقُ إِلَى الْوَرْدِ عَطْشَانُ النَّوَادِمِ صُرْدُ^(٦)
وَلِيْ كَيْدٌ حَرَمِيْ يَمُدُّهَا الْهَوَى وَلِيْ جَسَدٌ يَبْسِلُ وَلَا يَتَجَدَّدُ
فَاسْتَحْسَنَ غَنَاؤُهُمَا .

(١) البُجْبُجَاتُ مِنْ أَحْرَارِ الشَّجَرِ ؛ لَهُ زَهْرَةٌ صَفْرَاءُ طَيِّبَةٌ . وَالْعَرَارُ : نَيْتُ طَيْبِ الرِّيحِ وَهُوَ
الْتِرَاجِسُ الْبَرِّي . (٢) الْمَنْدَلُ : أَجُودُ الْوُودِ . (٣) الْأَعْصَارُ : جَمْعُ عَصَرٍ ، يُرِيدُ الْأَوْقَاتَ الَّتِي
كَانَ يَجْتَمِعُ مَعَهَا فِيهَا . (٤) الْمَوْلَرُ : مَا طَرَى الْعَيْنَ مِنَ الْغَفَى وَالرَّمْدِ فَأَوْجَعَهَا .
(٥) مُقْصَدٌ : مَجْرُوحٌ . (٦) تَائِقٌ : مُشْتَاقٌ . وَالتَّصْرِيدُ : سَقَى دُونَ الْوَرْدِ .

ثم أقبلت على خُلَيْدَةَ، فقالت لها : بنقسي أنت ! غنى ، ففتت :
 ألا يا مَنْ يَوْمَ عَلَى التَّصَابِي أَفَنِي شَيْئًا لَتَسْمَعَ مِنْ جَوَابِي
 بَكَرَتْ تَلَوْنِي فِي الْحَبِّ جَهْلًا وَمَا فِي حَبِّ مِثْلِي مِنْ مَعَابِي
 أليس من السعادة غَيْرُ شَكٍّ هَوَى مُتَوَاصِلِينَ عَلَى اقْتِرَابِ
 كَرِيمٍ نَالَ وَدًّا فِي عَفَافٍ وَسَتَرٍ مِنْ مُنْعَمَةٍ كَكَابِي
 فاستحسن منها ما غنت . ثم قالت لَمُعِيَّةَ وَالشَّامِيَّةَ : هاتيا فننثا :

هَجَرْتُ الْحَبِيبَ الْيَوْمَ فِي غَيْرِ مَا اجْتَرَمَ وَقَطَعْتَ مِنْ ذِي وَدِّكَ الْحَبْلَ فَانْصَرَمَ
 أَطْلَعْتُ الْوَشَاةَ الْكَاشِحِينَ^(١) وَمَنْ يُطْلَعُ مَقَالَةً وَاشِ يَفْرَعُ السَّنَّ مِنْ نَدَمِ
 ثم قالت لِقَرْعَةَ وَبُلْبُلَةَ وَلَذَّةَ الْعَيْشِ : هَاتِينِ فَنَثْنِ ، فاندفن بصوت واحد :
 لَعْمَرِي لئن كَانَ الْقَوَادُ مِنَ الْهَوَى بَعَى سَقَمًا ، إِنِّي إِذْنُ لَسَقِيمُ
 عَلَى دِمَاءِ الْبُذْنِ إِنْ كَانَ حُبُّهَا عَلَى النَّأْيِ فِي طَوْلِ الزَّمَانِ يَرِيمُ^(٢)
 نِلْمُ مُلْمَأَتٍ فَيُنْسَيْنَ بَسْمَهَا وَيُدْكَرُ مِنْهَا الْمَهْدُ وَهُوَ قَدِيمُ
 فَأَقْسَمُ مَا صَافَيْتُ بِمَلِكٍ خَلَّةٍ^(٣) وَلَا لِكَ عِنْدِي فِي الْقَوَادِ قَسِيمُ
 قالت : أَحْسَنْتُن ، وهو لَعْمَرِي حَسَنٌ !

وقالت لِسَعْدَةَ وَالزَّرْقَاءَ : غَنِيَا ، فنثنا ، فاستحسن غناؤهما .
 ثم قالت لِلْجَعَاةِ : غَنُوا جَعِيمًا ؛ فَنَثُولَا ، وانفضَّ الْجُلُوسُ ، وعاد كلُّ إِنْسَانٍ إِلَى
 وطنه . فَأَرْنَى بَجَاسٍ وَلَا جَمْعَ أَجْسُنُ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ !

(١) الكاشح : ضمير المداوة . (٢) يريم : يتابعه . (٣) الخلة : الخيلة .

١٢ - الفناء يحى القلب*

حدث من فهم الفناء ، قال :

بلغنى أن جميلة قعدت يوماً على كرسي لها وقالت لأذنتها : لا تحجبى عنا أحداً اليوم ، واقعدى بالباب ، فكل من يمر بالباب فاعرضى عليه مجلسي ؛ ففعلت ذلك حتى غصت الدار بالناس ؛ قالت جميلة : اصعدوا إلى العاللي^(١) ؛ فصعدت جماعة حتى امتلأت السطوح .

لجأته بعض جواربها فقالت لها : ياسيدتى ؛ إن تئادى أمرك على ما أرى لم يبق فى دارك حائط إلا سقط ، فأظهرى ما تريدن ؟ قالت : اجلسي ! فلما تمالى النهار واشتد الحر استسقى الماء الناس ، فدعت لهم بالسويق^(٢) ، فشرب من أراد ، ثم قالت : أقسمت على كل رجل وامرأة دخل منزلى إلا شرب ، فلم يبق فى سفلى الدار ولا علوها أحد إلا شرب ، وقيام على رؤسهم الجوارى بالمناديل والمراوح الكبار ، وأمرت جواربها فقمن على كرامى صغار فيما بين كل شجرة جارية تروح .

ثم قالت لهم : إني قد رأيت فى منامى شيئاً أفزعنى وأزعبنى ، ولست أعرف ما سبب ذلك ، وقد خفت أن يكون قرب أجلى ، وليس ينفعنى إلا صالح على ، وقد رأيت أن أترك الفناء كراهة أن يأتحنى منه شيء عند ربي !

فقال قوم منهم : وفك الله وثبت عزمك ! وقال آخرون : لا حرج عليك فى الفناء . وقال شيخ منهم ذو سين وعلم وفقه وتجربة : قد تكلمت الجماعة ،

* الأغانى : ٨ - ٢٢٤ .

(١) اللالى : جمع غلبة ، ومى الفرفة . (٢) السويق : شراب يتخذ من المنطة والشعير .

وكلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون، ولم أَعترض عليهم في قولهم، ولا شَرَّ كُتُهم في رأيهم فاستمعوا الآن لقولي، وأنصتوا ولا تشغبوا^(١) إلى وقت انقضاء كلامي، فن قِيلَ قولي فإله موفِّقهُ، ومن خالفني فلا بأسَ عليه إذ كنتُ في طاعة ربِّي .

فسكت القومُ جميعاً، وتكلم الشيخُ فضيدُ الله وأثنى عليه وصلى على محمد النبي صلى الله عليه وسلم . ثم قال : يامعشر أهل الحجاز، إنكم متى تخذلتم فسلمتم، ووثبَ عليكم عدوكم، وظفر بكم، ولا تفلحوا بعدها أبداً . . . إلى أن قال : إن الفناء من أكبر اللذات، وأسَرُّ للنفوس من جميع الشهوات، يُحْيِي القلب، ويزيد في العقل؛ ويسرُّ النفس، ويفسِّحُ في الرأي، ويتيسر به السيرُ، وتُفتَح به الجيوشُ، ويدلُّ به الجبارون حتى يمتنعوا أنفسهم عند استماعه، ويبري الرضى ومن مات قلبه وعقله وبصره، ويزيد أهل الثروة غنى وأهل الفقر قناعة ورضاً باستماعه، فيمِرُّ نون^(٢) عن طلب الأموال . من تمسَّك به كان عالماً، ومن فارقه كان جاهلاً، لأنه لا مزاولة أرفع، ولا شيء أحسن منه، فكيف يُستصوبُ تركه، ولا يُستعان به بجلى النشاط في عبادة ربنا عز وجل ! وكلام كثير غير هذا .

فأردَّ عليه أحد، ولا أنكرَ ذلك منهم بشرُّ، وكلُّ عاد بالخطأ على نفسه، وأقرَّ بالحق له !

ثم قال بجملة : أوعيت ما قلتُ؟ ووقع من نصيبك ما ذكرتُ؟ قالت : أجل ! وأنا استغفرُ الله . قال لها : فاختمى مجلسنا وفرَّقى جماعتنا بصوتٍ قطع، فغنت :

أفَى رَسْمِ دَارِ دُمُكِ المَترقُ
سَفَاهَا ! وما استنطاقُ ماليس ينطقُ
بحبِّ التَّقَى جَمْعٌ وأَقصَى مُحَسَّرٌ^(٣)
مَنَانِيهِ قد كَادَتْ عن المَهْدِ تَخْلُقُ

(١) شغبت على القوم : هيجت إليهم عليهم . (٢) عزلت نفسى عن الدنيا : تركته وزهدت فيه واهصرقت عنه . (٣) جمع : علم للزدلفة . ووادى عسر : موضع بين منى والزدلفة .

مُتَمِّمٌ لِنَا بَعْدَ الْعِشَاءِ وَمَنْزِلٌ بِهِ لَمْ يَكْدُرْهُ عَلَيْنَا مُعَوِّذٌ
فَأَحْسَنُ شَيْءٍ كَانَ أَوَّلُ لَيْلِنَا وَآخِرُهُ حُزْنٌ إِذَا تَفَرَّقُوا
قَالَ الشَّيْخُ : حَسَنٌ وَاللَّهِ ! أَمْثَلُ هَذَا يُتْرَكُ ! لَا وَاللَّهِ وَلَا كَرَامَةُ ابْنِ خَالِفٍ
الْحَقُّ . ثُمَّ قَامَ وَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ ، وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَفَرِّقْ جَمَاعَتَنَا عَلَى الْيَأْسِ مِنَ
الْغَنَاءِ وَلَا جُجُودِ فَضِيلَتِهِ ، وَسَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ يَا جَمِيلَةَ .

١٣ — ضَرْبٌ مِنَ التَّمْثِيلِ *

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : جَلَسْتُ بِجَمِيلَةَ يَوْمًا وَكَلِمَتُ بُرْنَسًا ^(١) طَوِيلًا ، وَأَلْبَسْتُ
مَنْ كَانَ عِنْدَهَا بَرَانِسَ دُونَ ذَلِكَ ، وَكَانَ فِي الْقَوْمِ ابْنُ سُرَيْجٍ ، وَكَانَ قَبِيحَ
الصَّلَاحِ ، قَدْ اتَّخَذَ وَفْرَةً ^(٢) شَعْرَ يَضَعُهَا عَلَى رَأْسِهِ ، وَأَحَبَّتْ بِجَمِيلَةَ أَنْ تَرَى
صَلَمَتَهُ ^(٣) ، فَلَمَّا بَلَغَ الْبَرْنَسُ إِلَى ابْنِ سُرَيْجٍ قَالَ : دَبَّرْتُ عَلَى وَرَبِّ الْكَعْبَةِ !
وَكَشَفَ صَلَمَتَهُ وَوَضَعَ الْقُلَنْبِيَّةَ ^(٤) عَلَى رَأْسِهِ ، وَضَحَكَ الْقَوْمُ مِنْ قُبْحِ صَلَمَتِهِ .
ثُمَّ قَامَتْ جَمِيلَةُ وَرَقَصَتْ ، وَضَرَبَتْ بِالْعُودِ ، وَعَلَى رَأْسِهَا الْبُرْنَسُ الطَّوِيلُ ،
وَعَلَى عَاتِقِهَا بُرْدَةٌ ^(٥) بَيَاضِيَّةٌ ، وَعَلَى الْقَوْمِ أَمْثَالُهَا ، وَقَامَ ابْنُ سُرَيْجٍ بِرُقْصٍ وَمَعْبَدٍ
وَالْفَرِيضِ وَابْنِ حَائِثَةَ وَمَالِكٌ ، وَفِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عُودٌ يُضْرَبُ بِهِ عَلَى ضَرْبِ
جَمِيلَةَ وَرَقَصِيصًا ، فَفَنَّتْ وَغَنَّى الْقَوْمُ عَلَى غَنَائِهَا :
ذَهَبَ الشَّبَابُ وَلَيْتَهُ لَمْ يَذْهَبِ وَعَلَا الْفَارِقَ وَقَعُ شَيْبٍ مُغْرِبٍ ^(٦)

* الْأَغَانِي : ٨ - ٢٢٦ .

- (١) الْبَرْنَسُ : قُلَنْبُوسٌ طَوِيلَةٌ ، أَوْ كُلُّ ثَوْبٍ رَأْسُهُ مِنْهُ ، دِرَاعَةٌ كَانَتْ أَوْ جَبَّةٌ أَوْ مِطْلَأٌ .
(٢) الْوَفْرَةُ : الشَّعْرُ الْمَجْتَمِعُ عَلَى الرَّأْسِ (٣) الصَّلَمَةُ : بَفْتِجُ اللَّامِ وَسُكُونُهَا : مَوْضِعُ الصَّلَعِ .
(٤) الْقُلَنْبِيَّةُ : الْقُلَنْبُوسَةُ : مَا يُلْبَسُ فِي الرَّأْسِ . (٥) الْبُرْدَةُ : مَا يَلْبَسُ بِهِ .
(٦) مُغْرِبٌ : أَيْضٌ .

وَالْغَايَاتُ يُرَدْنَ غَيْرَكَ صَاحِبًا وَيَعِدُكَ الْمَجْرَانُ بَعْدَ تَقَرُّبِ
إِنِّي أَقُولُ مَقَالَةً بِتَجَارِبِ حَقًّا ، وَلَمْ يُخْبِرْكَ مِثْلُ مُجَرَّبِ
صَافِ الْكَرِيمِ وَكَانَ لِمَوْضِكِ صَائِنًا وَعَنِ اللَّثِيمِ وَمِثْلِهِ فَتَنَكَّبِ
ثُمَّ دَعَتْ بَشَابِ مُصَبَّغَةٍ وَوَفْرَةٍ شَعْرٍ مِثْلُ وَفْرَةِ ابْنِ سُرَيْجٍ فَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِهَا ،
وَدَعَتْ لِلْقَوْمِ بِمِثْلِ ذَلِكَ فَلَبِسُوا ، ثُمَّ ضَرَبَتْ بِالْمُودِ وَتَمَشَّتْ وَتَمَشَّى الْقَوْمُ خَلْفَهَا ،
وَعَثَّتْ وَغَنَّتْ وَغَنَّا بِهَا بِصَوْتٍ وَاحِدٍ :

يَمَشِينَ مَشَى قَطَا الْبَطَاحِ تَأَوُّدًا^(١) قُبُ^(٢) الْبُطُونِ رَوَاجِحَ الْأَكْفَالِ
فِيهِنَّ آتَةُ الْحَدِيثِ حَيَّيَّةٌ لَيْسَتْ بِفَاحِشَةٍ وَلَا مِثْقَالِ^(٣)
وَتَكُونُ رِيثُهَا^(٤) إِذَا نَبَهَتْهَا كَالْمَسْكِ فَوْقَ سُلَافَةِ الْجِرْيَالِ^(٥)
ثُمَّ نَمَرَتْ^(٦) وَنَمَرَ الْقَوْمُ طَرِبًا ، ثُمَّ جَلَسَتْ وَجَلَسُوا وَخَامُوا ثِيَابِهِمْ ، وَرَجَعُوا
إِلَى زِيَّهِمْ ، وَأَذِنَتْ لِمَنْ كَانَ بِيَابِهَا فَدَخَلُوا ، وَانصَرَفَ الْمُتَشَوُّونَ ، وَبَقِيَ عِنْدَهَا مِنْ
يَطَارِحُهَا مِنَ الْجَوَارِي

١٤ — وفود ابن مسجع على عبد الملك بن مروان *

قَالَ دَحَّانُ الْأَشَقَرِ : كُنْتُ عَامِلًا لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِمَكَّةَ ، فَتَوَيْتُ إِلَيْهِ
أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ يُقَالُ لَهُ : سَعِيدُ بْنُ مَسْجَعٍ^(١) أَفْسَدَ فِتْيَانُ قَرِيشٍ ، وَأَغْفَقُوا عَلَيْهِ
أَمْوَالَهُمْ ، فَكُتِبَ إِلَيَّ : أَنْ أَقْبِضَ مَالَهُ وَسِيرَهُ ، فَقَعَلْتُ .

- (١) تَأَوُّدُ الْقِي : تَمُوجٌ ، وَتَفَنَّى . (٢) قُبُ الْبُطُونِ : ضَامِرُ الْبُطُونِ .
(٣) الْمِثْقَالُ : لِلتَّخْفَةِ الرَّخَاءُ لِمَنْ لَزِقَ الصُّبْبُ . (٤) الرِّيقُ : مَاءُ الْقَمِّ وَيُؤْتَى فِي الشَّعْرِ .
(٥) الْجِرْيَالُ : مِنْ أَسْمَاءِ الْحِمْرِ . (٦) لَمَرُ الرَّجُلِ : صَاحَ ، وَصَوْتُ يَحْيِيهِ .
* الْأَغَانِي : ٣ - ٧٧٢ .

(٧) سَعِيدُ بْنُ مَسْجَعٍ - أَحَدُ الْمَوَالِي مَكِّي أَسْوَدَ ، مِنْ مَقْتَدِرٍ ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ غَنَى الْفَنَاءَ الْعَرَبِيَّ
بِمَكَّةَ ، وَهُوَ الْقِي عَلِمَ ابْنُ سُرَيْجٍ وَالتَّرِيضُ .

فتوجه ابن مسجح إلى الشام ، فصحبه رجل له جوار مُغْنِيَاتٌ في طريقه ، فقال له أين تريد ؟ فأخبره خبره ، وقال له : أريد الشام . قال له : فتكون معي ؟ قال : نعم .

فصحبته حتى بلغا دِمَشق ، فدخلا مسجدًا ، فقالا : مَنْ أَخَصُّ النَّاسِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فقالوا : هؤلاء النَّفَرُ من قريش ، فوقف ابن مسجح عليهم وسلم ، ثم قال : يا قَتِيانُ ؛ هل فيكم من يُضَيِّفُ رجلاً غريباً من أهل الحجاز ؟ فنظر بعضهم إلى بعض . وكان عليهم موعد أن يذهبوا إلى قَبِيْنة فقال لها « بَرِّقِ الْأَقْبُ » . فتشاقفوا به إلا فتي منهم تَذَمَّرُ^(١) ؛ فقال : أنا أضيفك . وقال لأصحابه : انطلقوا أنتم ، وأنا أذهب مع ضيفي . قالوا : بل تحب أن تضيفك .

فذهبوا جميعاً إلى بيت التَّيْنَةِ ؛ فلما أتوا بالنداء قال لهم سعيد : إني رجل أسود ، ولعل فيكم من يَقْدَرُنِي^(٢) ، فأنا أجلسُ وآكلُ باحِيَّةً ، وقام . فاستحيوا منه ، وبشوا إليه بما أكل ، فلما صاروا إلى الشراب قال لهم مثل ذلك ، فقلوا به كما فعلوا في المرة الأولى . وأخرجوا جارتين جلستا على سرير قد وُضِعَ لهما فننَّتا إلى العشاء ، ثم دخلتا ، وخرجت جاريةٌ حَسَنَةُ الْوَجْهِ وَالْهَيْئَةِ ، وهما معها ، جلست على السرير وجلستا أسفلَ منها عن يمين السرير وشماله ، قال ابن مسجح : فتمثلتُ هذا البيت :

قَتَلْتُ أَشْمُسَ أُمِّ مَصَابِيحٍ^(٣) بَدَّتْ لَكَ خَلْفَ السَّجْفِ^(٤) أَمْ أَنْتَ حَالِمٌ !
فَمَضِبْتُ الْجَارِيَةَ ، وَقَالَتْ : أَبْضَرْ هَذَا الْأَسْوَدَ فِي الْأَمْثَالِ أَنْظَرُوا إِلَى نَظَرَا
مُنْكَرًا ، وَلَمْ يَزَالُوا يَسْكُنُونَهَا ، ثُمَّ غَنَّتْ صَوْتًا . قَتَلْتُ : أَحْسَنْتِ وَاللَّهِ ؛ فَمَضِبُ

(١) تَذَمَّرَ : خفي القوم والاروم . (٢) قَدَرْتُ الشيء : استغفرتُه وكرهته .

(٣) البَيْتَةُ : كناية النصارى . (٤) السَّجْفُ - بالفتح ويكسر : السرير .

مولاهما ، وقال : أمثلُ هذا الأسود يُقدِّمُ على جاريتي ! فقال لى الرجل الذى أنزلنى عنده : قم فانصرف إلى منزلى ؛ فقد ثَقُلْتُ على القوم . فذهبتُ أقومُ فتدبِّرُ القوم ، وقالوا لى : بل أقم وأحسن أدبك ، فأقت وغنت . فقلت : أخطأتِ والله وأسأتِ ! ثم اندفعتُ ففَنَيْتُ الصوت . فوثبتِ الجارية وقالت لمولاهما : هذا والله أبو عثمان سعيدُ بنِ مسجح ! فقلت : والله أنا هو ، والله لا أقيمُ عندكم ! فوثب القُرشيون ؛ فقال هذا : يكونُ عندى . وقال هذا : يكونُ عندى . وقال هذا : بل عندى ! فقلت : والله لا أقيمُ إلا عند سيِّدكم . يعنى الرجل الذى أنزله منهم .

ثم سألوهُ عَمَّا أَقْدَمَهُ ؛ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبْرَ ، فقال له صاحبه : إني أُثَمِّرُ اللَّيْلَةَ مع أمير المؤمنين ؛ فهل تُحْسِنُ أَنْ تَحْدُو؟ قال : لا ! ولكنى أُسْتَعْمِلُ حُدَا . قال : فإن منزلى بمِجْدَاءَ منزل أمير المؤمنين ؛ فإن واقْتُ منه طيبَ نفس أرسلتُ إليك .

ومضى إلى عيْدِناك ، فلما رآه طيِّبُ النَّفْسِ أرسل إلى ابنِ مسجح ، فأخْرَجَ رأسَهُ من وراءِ شُرْفِ القصر ، ثم حدَا :

إِنَّكَ يَا بُنَيَّ بَيْنَ الْفُضْلِ إِنْ زُلْزِلَ الْأَقْدَامُ لَمْ تَزَلْزِلِ
عَنْ دِينَ مُوسَى وَالْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ تُقِيمُ أَصْدَاغَ الْقُرُونِ اللَّيْلِ^(١)
* لِلْحَقِّ حَقٌّ يَنْفُتِحُوا لِلْأَعْدَلِ *

فقال عبدُناك للقرشى : مَنْ هذا ؟ قال له : رجل حجازى قَدِيمٌ عَلَى . قال : أخضره . فأخضره وقال له : اخْدُ حِدًّا ، ثم قال : هل تنفى غناء الرُّكبان ؟ قال : نعم . قال : غنّه . فتنقّى . فقال له : فهل تنفى الفناء اللُّتُنْ ؟ قال : نعم . قال : غنّه ، فتنقّى .

(١) الصدغ : ما بين العين والأذن . والقرنان : جانبا الرأس ، والصدغ : الليل ، ومنه : « لأفبين صدغك » أى : يالك .

فَاعْتَرِ عِبْدَ الْمَلِكِ طَرَبًا . ثم قال : أَتَقْسِمُ إِنَّ لَكَ فِي الْقَوْمِ لَأَسْمَاءَ كَثِيرَةً
مِنْ أَنْتَ وَبَيْتِكَ ! قَالَ لَهُ : أَنَا الْمَظْلُومُ ، الْمَقْبُوضُ مَالُهُ ، الْمُسَيَّرَعِنُ وَطْنُهُ سَعِيدِ بْنِ
مُسَجَّحٍ ، قَبَضَ مَالَهُ ، عَمِلَ الْحِجَازَ وَفَقَانِي !
فَتَبَسَّمَ عَبْدُ الْمَلِكِ . ثم قال له : قَدْ وَضَحَ عُذْرُ فَتَيَانٍ قَرِيشٍ فِي أَنْ يُنْفَقُوا
عَلَيْكَ أَمْوَالُهُمْ . وَأَمْنَهُ وَوَصَلَهُ ، وَكَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ بِرَدِّ مَالِهِ عَلَيْهِ وَالْأَلَا يَعْرِضُ
لَهُ بِسُوءٍ .

١٥ — دُعَايَةُ لِلْوَطَنِ *

كَانَ بَعْضُ وَلَاتِ السَّكُوفَةِ يَذُمُّ الْحَيْرَةَ فِي أَبْيَامِ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ
أَهْلِهَا - وَكَانَ عَاقِلًا ظَرِيفًا - : أَنْسِيبُ بِلَدَةٍ بِهَا يُضْرَبُ الْمَثَلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ !
قَالَ : وَبِمَاذَا تُمَدِّحُ ؟ قَالَ : بِصَخْرَةٍ هَوَاتِيهَا ، وَطِيبِ مَائِهَا ، وَتُرُوعَةِ ظَاهِرِهَا ، تَصَانُحُ
لِلْخُفِّ وَالظَّلْفِ ، سَهْلٌ وَجَبَلٌ ، وَبَادِيَةٌ وَبُسْتَانٌ ، وَبَرْقٌ وَبَحْرٌ ، مَحَلُّ الْمُلُوكِ
وَمَرَارَتِهِمْ ، وَمَسْكَنُهُمْ وَمَثْوَاهُمْ ، وَقَدْ قَدِمَتْهَا - أَصْلَحَكَ اللَّهُ - مُخَفًّا ^(١) فَرَجَعَتْ
مُنْقَلًا ، وَوَرَدَتْهَا مُقَلًّا فَأَصَارَتْكَ مُسْكِنًا ، قَالَ : فَكَيْفَ نَعْرِفُ مَا وَصَفْتَهَا بِهِ مِنْ
الْفَضْلِ ؟ قَالَ : بَأَن تَصِيرَ إِلَيَّ ، ثُمَّ أَدْعُ مَا شِئْتَ مِنْ لَذَائِ الْمَيْشِ ، فَوَاللَّهِ لَا أَجُوزُ
بِكَ الْحَيْرَةَ فِيهِ !

قَالَ : فَاصْنَعْ لَنَا صَنِيعًا ^(٢) ، وَاخْرُجْ مِنْ قَوْلِكَ . قَالَ : أَفْضَلُ ، فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا
وَأَطْعَمَهُمْ مِنْ خُبْزِهَا وَسَمَكِهَا وَمَا صِيدَ مِنْ وَحْشِهَا : مِنْ ظَبْيَاءَ وَنَمَامٍ وَأَرَانِبَ
وَحَبَّارَى ^(٣) ، وَسَقَاهُمْ مَاءَهَا فِي قِلَالِهَا ، وَأَجْلَسَهُمْ عَلَى رَقَمِهَا ^(٤) ، وَلَمْ يَسْتَخْدِمْ لَهُمْ

* الْأَغَانِي : ٢ - ٣٥١ .

(١) يَقَالُ أَخَذَ الرَّجُلُ : إِذَا خَفَتْ حَالُهُ وَرَقَّتْ . (٢) مَقَالًا : قَتِيرًا . (٣) الصَّنِيعُ هُنَا :
الْعِطَامُ . (٤) مَائِثٌ طَوِيلٌ الْمَنْقَى رِمَادَى الْإِوْنِ . (٥) الرِّقْمُ : الْوَشْيُ الْمُخَطُّطُ .

حرّاً ولا عبداً إلا من مولديها ومولدايتها، من خدم ووصائف ووصفاء كأنهم للؤلؤ،
لقتهم لغة أهلها، ثم غنّاهم حنين وأصحابني شعر عدى بن زيد شاعرهم وأعشى
مندان لم يتجاوزهما، وحيّاهم برّيا حينها، وقهّاهم^(١) على شرابها - وقد شربوا -
بفواكهها - ثم قال له: هل رأيته استعنت على شيء بما رأيت وأكلت وشربت
واقترشت وشممت وسممت بغير ما في الخيرة؟ قال: لا والله، ولقد أحسنت
صفة بلدك، ونصرتة فأحسنت نصرتة والخروج مما تضمنته، فبارك الله لكم
في بلدكم.

١٦ - أى الأمم أعقل؟*

قال شبيب^(٢) بن شيبه أحد بلقاء العرب وجليس الملوك:
كنا قوقا بالمربد^(٣)، وكان المربد مألّف الأشراف، إذ أقبل ابن المقفع^(٤)
فبششنا به وبدأناه بالسلام، فردّ علينا السلام ثم قال: لو ملّتم إلى دار تيزوز

(١) قتلهم: أطلعهم النمل.

* أسواق الذهب: ٤٠٠، بلوغ الأرب: ١ - ١٥٩.

(٢) هو شبيب بن شيبه بن عبد الله النخعي التميمي خطيب البصرة في زمانه، نشأ في البصرة
وامتاز ببنائه نفس وسفاه كف، وحن تواضع وتزامة لسان. وعرف شبيب أبا جعفر المنصور
قبل خلافته، ثم اتصل به بعدما، فحصله ولي عهده المهدي، وبقي كذلك حتى ولي المهدي
الخليفة فصار من خيرة مناره وجلساته إلى أن مات سنة ١٧٠ هـ. (٣) مربد البصرة: هو
في الأصل منقح اللابل تعرض فيه للبيع، ثم أصبح على عهد الأيوبيين سوقاً عامة تتخذ فيه المجالس وتتعدد
الحفلات بتوسطها الشراء والرجاز يؤمها الأشراف فيتناشدون ويضفرون ويتهاجون وينشأون.
(٤) كان عبد الله بن المقفع من أبناء الفرس الذين نشأوا بين العرب، ولد سنة ١٠٦ هـ ونشأ

بالبصرة وكان أبوه مجوسيا يجمع خراج فارس للصجاج بن يوسف وبني ابن المقفع أكثر أيامه على
دين الخويفية، ثم أسلم في آخر عمره، وتعلّم صناعة الكتابة، وبرع في ذلك، وكتب لكثير من
الأمرء، وكان غاية في الدكاء، اشتهر بيلافته ورشاقته عبارته، وكان فوق ذلك من كبار المترجمين
والؤلفين، ومات مقتولا سنة ١٤٢ هـ.

وظلَّ الظليل ، وسورها ، المديد ، ونسيمها العجيب ، فودَّعْتُمْ أبدانكم تمهيداً
الأرض ، وأرحمْتُمْ دوابكم من جهدِ النُّقل ! فإن الذي تطلبونه لم تُمَلِّتوه ^(١) ،
ومهما قضى الله لكم من شيء تناوله .

فقبلنا وملكنا ، ولما استقرَّ بنا المكانُ قال لنا : أيُّ الأممِ أعقل ؟ فنظر بعضهم إلى
بعض ! قلنا : لعله أراد أصله من فارس ، قلنا : فارس ، فقال : ليسوا بذلك ؛ إنهم
ملكوا كثيراً من الأرض ، ووجدوا عظاماً من الملائكة ، وغلبوا على كثير من
الإنساق ، ولبثَ فيهم عَهْدُ الأمر ، فاستنبطوا شيئاً بقولهم ، ولا ابتدعوا باقى حكمهم
في شؤسهم .

قلنا : فالروم ، قال : أصحاب صنعة . قلنا : فالصين ، قال : أصحاب طرفة .
قلنا : فالهند . قال : أصحاب فلسفة . قلنا : فالسودان ، قال : شرُّ خلقِ الله . قلنا :
فالترك . قال : كلاب مُحْتَلِسة . قلنا : فالتَّحَزُّر ، قال : بقرٌ سائمة . قلنا : قل ،
قال : العرب !

فضحكنا جميعاً ؛ فقال : أما إني ما أردتُ موافقتكم ، ولكن إذ فاتني حظي
من النسبة ، فلا يفوتني حظي من المعرفة ؛ إن العرب حكمت على غير مثال لها ، ولا
آثار أثيرت ؛ أصحاب إيل وغنم ، وسكانُ شعر وأدم ، يعجود أحدهم بقوته ، ويفضل
بجهوده ، ويشارك في ميسوره ومعسوره ، ويصف الشيء بعقله فيكون قُدْوَةً ،
ويعمله فيصير حجة ، ويمسح ما شاء فيحسن ، ويقبح ما شاء فيقبح ، أدبهم أنفسهم
ورفتهم همهم ، وأعلتهم قلوبهم وأستهم ، فلم يزل حياءً ^(٢) الله فيهم ، وحياءهم في

(١) أي لم ينفلت منكم . (٢) حياء : عطاء ..

أغصهم حتى رفع لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذكر . وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتتح دينه وخلافته بهم إلى الحشر ، ولم قال سبحانه : ﴿ إِنَّا الْأَرْضَ لَنَّا يَوْمِهَا مَن يُشَاهِدُ مِن عِبَادِهِ وَالْمَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) .
فَمَنَ وضع حقهم خسر ، ومن أنكر فضلهم خُصِمَ ^(٢) ، ودفع الحق بالسان أكتب للجنان .

(٢) خصم : غلب بالمجبة .

(١) سورة الأعراف ، آية ١٢٧

١٧ - قرآن العلية*

قال خادم أمير المؤمنين المؤمنون^(١) : طلبني أمير المؤمنين ليلة ، وقد مضى من الليل ثلثه ، فقال لي ، خذ معك فلانا وفلاتا وسماها : أحدهما علي بن محمد ، والآخر دينار الخلام . واذهب مسرعاً لما أ قوله لك ؛ فإن أصحاب الأخبار قد أكثروا في أن شيخاً يحضر ليلاً إلى آثار البرامكة ، ويُفشد شمرأ ويذكرهم ذكراً جليلاً ، ويندبهم ويبكي عليهم ، ثم ينصرف ، فامض الآن أنت وعلى دينار حتى تردوا هذه الخربات ، فاستقروا خلف جدار من هذه الجدر ، فإذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وتذب ، وأنشد شيئاً فأقوى به .

قال : فأخذتهما ومضينا حتى وردنا الخربات ، وإذا نحن بنلام قد أتى ، ومعه بساط وكرسی جديد ، وإذا شيخ وسيم ، له جمال وعليه مهابة وصلف ، جلس بيكي وفتح وبقول :

ولما رأيت السيف جَلَّ^(٢) جعفرأ
بكيت على الدنيا وأيقنت أنه
أجفأ إن تهلك قُرب عظيم
قل للذي أبدى ليحيى وجعفر

ونادى منادٍ للخليفة في يحيى
قصارى^(٣) القتي يومافارقة الدنيا
كشفت وتعمى قدوصات بها نعمى
ثمانته : أبشر ، كتائبهم المعفى

* انقد التريز الملك السيد : ٨٩ ، المحاسن والساوى : ١٢٢ - طبع ليزج .
(١) هو عبد الله المؤمن بن هارون الرشيد ، بويح بالخلافة بعد مقتل الأمين سنة ١٩٨ هـ ، كان ميالاً للفقو معتبوعاً على الخير ، راغباً في العلم ، محباً للعدل ، وأخباره في كل حيننا مشهورة مأفورة ، توفي سنة ٢١٨ هـ .
(٢) جاله : علاه . (٣) قصاراه : مايتهى إليه .

لَنْ زَالَ غُصْنُ لِّلْكَ عَنْ آلِ بَرْمَكٍ فَ^(١) زَالَ حَتَّى أَثْمَرِ الْغُصْنُ وَاسْتَعْلَى
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا دَوْلَةٌ بَدَلُ دَوْلَةٍ تُبَدِّلُ ذَا مَلِكٍ وَتُنْقِبُ ذَا بَلْوَى
عَلَى أَنِهَا لَيْسَتْ تَدُومُ لِأَهْلِهَا وَلَوْ أَنَّهُا دَامَتْ لَكُنْتُمْ بِهَا أَوْلَى
بَنِي بَرْمَكٍ كُنْتُمْ تُجْوِمَا مُضِيئَةً بِهَا يَهْتَدِي فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ مَنْ أَمْرَى
لِكُلِّكُمْ أُنْبِكِي بِعَيْنٍ غَزِيرَةٍ وَقَلْبٍ قَرِيحٍ لَا يَمُوتُ وَلَا يَحْيَا
قال . فقرأ بنا^(٢) له لما فَرَّخَ ، ثم قبضنا عليه ؛ فجزع وفزع ، وقال : مَنْ أَنْتُمْ ؟
قلتُ له : حاجبُ أمير المؤمنين ، وهذا فلان وفلان ! قال : وما تريدون مني ؟
فأعلته ما أمر به أمير المؤمنين من أخذه إلى مجلسه ؛ فقال : دَرْنِي أَوْصِيْ وصية ؛
فإني لا آمنُ العَطَبَ ، ثم تقدَّم إلى بعض الدكاكين ، وأخذ ورقة ، وكتب فيها
وصيةً دفعها إلى غلامه ، ثم مَرَّنا به .

فلما دخلَ إلى المجلس ومَثَلَ بين يدي أمير المؤمنين زَجَرَهُ ، وقال له : مَنْ أَنْتَ ؟
وبماذا استوجب منك البرامكةُ ما تَمَنَّاهُ في خَرِيَّاتِ دُورِهِمْ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛
للبرامكةِ عندي أيادٍ خضراء ، أفتأذن لي أن أحتذثك عن حالِ معهم ؟ قال : قل .
قال : أنا يا أمير المؤمنين المنذر بن المنيرة من أهل دِمَشْقَ ، كنتُ بها من أولادِ
الملك ، فزالت غنى نمتى كما تزول عن الرجال ، فلما ركبني الديوانُ ، واحتجبتُ إلى
بَيْعِ مَسْطَرَأْسِي ورءوسِ آبَائِي ، أشاروا عليَّ بالخروج إلى البرامكة ، فخرجتُ من
دِمَشْقَ ومعِي نَيْفٌ وثلاثون امرأةً وصبيًا وصبية ، وليس معنما يُباع ولا ما يرهن ،
حتى دخلنا بَدَادَ ونزلنا بِيَابِ الشَّامِ في بعض المساجد ، فدعوتُ بَشِيَابِي لي كنتُ

(١) الجواب للشرط مع تقديم القسم ، وهو قليل ، وإليه أشار ابن مالك في قوله :

وربما رجع بعد قسم شرط بلاذى خبر مقدم

وهو مذهب الفراء ، ويرى الجمهور أن مثل البيت اللام فيه زائدة (٢) نراهي له : تصدى .

قد أعدتها لاستميج^(١) بها الناس قلبتها، وخرجت وتركهم جئاعاً لا شيء عندهم، ودخلت شوارع بغداد أسأل عن دُور البرامكة . فإذا أنا بمسجد مزخرف، وفيه مائة رجل بأحسن زي وزينة وبرّة، وعلى الباب خادمان . فطعمت في التوم، وولّجت المسجد، وجلست بين أيديهم، وأنا أقدم وأوخر، والعرق يسيل مني؛ لأنها لم تكن صناعتي، وإذا بخادم قد أقبل فحدث الخادمين فدخلوا وأزعجوا التوم، فقاموا وأنا معهم .

فدخلونا دار يحيى بن خالد؛ ودخلت معهم، فإذا يحيى جالس على دكة^(٢) له وسط بستان، فجلسنا وهو يعدّنا مائة وواحد، وبين يدي يحيى عشرة من ولده، وإذا غلام أمرّد حين عذّر^(٣) خذاه . قد أقبل من بعض المقاصير، بين يديه خدام مُقرّطون^(٤)، وفي وسط كل خادم منطقة من ذهب بقرب وزنها من ألف مثقال، ومع كل خادم بحجرة من ذهب، في كل بحجرة قطعة من عود كهيئة الفهيّر^(٥)، قد ضمّ إليه مثله من المنبر السلطاني؛ فوضوه بين يدي الغلام، وجلس الغلام إلى جنب يحيى .

ثم قال يحيى للزبرقي القاضي: تكلم، فقد زوجت بنتي عائشة من ابن هـي هذا . فغضب القاضي وزوج، وشهدت أولئك الجماعة، وأقبلوا علينا بالنثار^(٦) وبنادق للسك والمنبر، فالتفتت والله يا أمير المؤمنين ملء كمي، ونظرت وإذا نحن مائة واثنا عشر رجلاً، فخرج إلينا مائة خادم واثنا عشر خادماً، مع كل خادم صينية فضة، عليها ألف دينار شامية؛ فوضع بين يدي كل رجل منا صينيته،

(١) استميجته: سأله البطاء . (٢) الدكة والدكان: الذي يقعد عليه . (٣) عذر الغلام:

نبت شعر عذاره . (٤) القرط كيتندب: ضرب من الثياب، (مرب كرهه) .

(٥) اللهو المجر ملء السكف . (٦) النثار: مائتات من الشيء .

فرايت القاضي والمشايع يصبون الدنانير في أكلمهم، ويحملون الصواني تحت آباطهم،
ويقوم الأول فالأول حتى بقيت بين يدي يحيى لا أجسرُ على أخذ الصينية، فمزنى
الخدم فجسرتُ وأخذتها، وجعلت الذهب في كعبي، وأخذتُ الصينية في يدي
وقت، فجعلت ألتفتُ ورأى تخافة أن أمتنع من الذهاب بها .

فبينما أنا كذلك في صحن الدار أكثرُ من الالتفات، ويحسني يلاحظني،
قال للخدم: انثني بذلك الرجل . فرددتُ إليه، فأمر فكبتُ الدنانير والصينية
وما كان في كفي، ثم أمرني بالجلوس فجلستُ؛ فقال: بمن الرجل؟ قصصت عليه
قصتي . قال: على بموسى، فأتي به، فقال: يا بني؛ هذا الرجل غريب، نُفذه
إليك واحفظه بنفسك ونعمتك .

فقبض موسى على يدي، وأخذني إلى بعض دُوره، فأكرمني وعاشرتني
يومى وليلتي أكلًا وشربًا؛ فلما أصبح دعا بأخيه العباس، وقال: إنَّ الوزير
أمرني بالمطف على هذا الفتى، وقد علمت اشتغالي في دار أمير المؤمنين، فاقبضه
إليك وأكرمه، ففعل، ثم لم أزل في أيدي القوم يتداولوني عشرة أيام، لا أعرفُ
خبر عيالي وصيبياني؛ أفى الأموات هم أم في الأحياء !

فلما كان اليوم العاشر دُفعت إلى يد الفضل، فمطف على وزاد في الكرامة،
فلما كان اليوم الحادى عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم، فقالوا: قم فاخرج
إلى عيالك بسلام . فقلت: وأويلاه! سلبتُ الدنانير والصينية، وقد تمزقت
ثيابي وآسختُ وأخرجُ إلى عيالي على هذه الحالة! إنا لله وإنا إليه راجعون!
فرفع الستر الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، ثم الرابع، ثم الخامس والسادس،
فلما رفع الخادم الست السابع قال لى: تمنّ ما شئتُ، وتقدّم إلى بقضاء جميع
ما تأمر به . فلما رفع الست رأيتُ حُجرةً كالشمس حسنًا ونورًا، استقبلني

منها رائحةُ النَّدِّ والعود ونفحاتُ السَّكِّ ، وإذا أنا بصياني يتقلبون في الحرير والديباج ، وقد حُلَّ إليَّ ألف ألف درهم مبدرة ، وعشرةُ آلاف دينار ، وقَبَّلَتَانِ^(١) بَضِيعَتَيْنِ ، وتلك الصينية فيها الدنانير والبنادق ، فبِيتُ يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة ، لا يعلم الناس : أَمِنَ البرامكة أنا أم رجل غريب اصطَفَوْني !

فلما جاءت القومُ البليةُ ، ونزلتْ بهم من أمير المؤمنين الرشيد النازلةُ ، قصدني عمرو بن مسعدة والأزمنى في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به ، فلما تحامل على الدهر كنتُ في أواخر الليل أقصد خربات القوم ، فأنذرتُهم وأذكرُ حسنَ صنيعهم إليَّ ، وفاء لهم على إحسانهم .

فقال للمأمون : على عمرو بن مسعدة . فلما أتني به قال له : يا عمرو : أتُعرفُ هذا الرجل ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، هو بعضُ صنائع البرامكة ، قال : كم ألزمتَه في ضيعتي ؟ قال : كذا وكذا . فقال : ودَّ عليه كل ما استأذنته^(٢) إياه من مبدته ، وأوغرُوا^(٣) ضيعتي تكونان له ولعقبه من بعده .

فغلا يحيبُ الرجل ! ولما طال بكائه قال له المأمون : أحسنًا إليك فلم يَبْكِ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ وهذا أيضًا من صنيع البرامكة . أرأيتك يا أمير المؤمنين لو لم أتَ خَرِبَتَهُمْ فأبكيهم وأندبهم حتى اتصلَ خبري بلِئام المؤمنين ففعل بي ما فعل ، من أين كنتُ أصلُ إلى ما وصلتُ إليه !

قال إبراهيم بن ميمون : فلقد رأيتُ للمأمون وقد دَمَعَتْ عيناه ، واشتدَّ حزنُهُ على القوم ، وقال : صدقت ! لعمري هذه أيضًا من صنائع البرامكة ؛ فليهم فأبكي ، وليأيم فأشكر ، ولهم فأوفٍ ، ولا إحسانهم فاذكُر !

(١) القِيالة : الكفاة . (٢) استأذاه مالا : إذا صادره وأخذته منه .

(٣) أوغر الملك الرجل الأرض : جعلها له من غير خراج .

١٨ - في قصور بني أمية *

قال محمد بن أحمد اللكّي : حدثني أبي قال : دخلتُ إلى علويّة^(١) أعوده في علّة اعتلّها ثم عوف منها . جرى حديثُ للأُمون قال : كِدْتُ - علم الله - أذهبُ دفنة ذات يوم وأنا معه ، لولا أن الله تعالى سلّني ووهب لي حلته . قلت : كيف كان السببُ في ذلك ؟ قال : كنتُ معه لما خرج إلى الشام ، فدخلنا دمشق فطُفْنَا فيها ، وجعل يطوفُ على قصور بني أمية ويتبيّعُ آثارهم ، فدخل صحنًا من مُحُونهم ، فإذا هو مفروش بالرخام الأخضر كلّهُ ، وفيه برّكة ماء فيهلك سمك ، وبين يديها بستانٌ على زواياه أربعُ سرّواتٍ^(٢) كأنها قُصّتْ بمقراض من التفانها ، أحسنُ ما رأيتُ من السرّوات قَدًّا وقَدْرًا .

فاستحسن ذلك وعزم على الصُّبح^(٣) ، وقال : هاتوا لي الساعة طامعًا خفيًا ، فأتى به بين ماء وورد ، فأكل ودعَا بشرابٍ ، وأقبل على وقال : غَنّني ونشْطُني ، فكَأَنَّ الله عز وجل أنشأ الغناء كله إلا هذا الصوت :

لو كان حولي بنو أمية لم تنطق رجالُ أراهم نطقوا
فنظر إلى مُنْضِبٍ ، وقال : عليك وعلى بني أمية لعنةُ الله ! وبلك ! أقلتُ لك
سوءي أو سرّتي ! ألم يكن لك وقتٌ تذكُرُ فيه بني أمية إلا هذا الوقت ؟
فعرّض لي !

● الأغانى : ١٠ - ١٢٤

(١) هو علي بن عبد الله بن سيف ، ويكنى علويّه أبا حنن ، كان مننيا حاذقًا ، ومؤدبًا حسنًا .
وخاربا متقدما ، معذبة روح ، وطيب عيالة ، وملاحة نوادر ، علمه إبراهيم الموصلي وعي به جدًا ،
فريع ، وغني لمحمد الأمين ، وعاش له أيام التوكل . (٢) السرو : شجر واحدته سروة .
(٣) أصل الصبح : ما حلب من اللبن بالفدلة ، وما أصبح عندهم من شراب .

فَصَحَّيْتُ^(١) عَلَيْهِ ، وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ غَلَطْتُ قَالَتْ : أَلَتَوْمُنِي عَلَى أَنْ أَذْكَرَ
بَنِي أُمِّيَةِ ! هَذَا مَوْلَاكُمْ زَرْيَابُ^(٢) عِنْدَهُمْ يَرْكَبُ فِي مَائَتِي غَلَامٍ مَمْلُوكَةٍ لَهُ وَبِمَالِكٍ
ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ وَهَبُوهَا لَهُ سِوَى الْخَلِيلِ وَالضَّيَّاعِ وَالرَّقِيقِ . وَأَنَا عِنْدَكُمْ أَمُوتُ
جُوعًا ! قَالَتْ : أَوَلَمْ يَكُنْ لَكَ شَيْءٌ تَذَكَّرُنِي بِهِ نَفْسِكَ غَيْرُ هَذَا ؟ قَالَتْ : هَكَذَا
خَصَّرَنِي حِينَ ذَكَرْتُهُ . قَالَتْ : اعْدِلْ عَنِ هَذَا وَغْنِي . فَأَنَسَانِي اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ
إِلَّا هَذَا الصَّوْتُ :

الْحَيْنَ^(٣) سَأَى إِلَى دِمَشْقٍ وَلَمْ أَكُنْ أَزْصَى دِمَشْقَ لِأَهْلِيهَا بَلَدًا
فَرَمَانِي بِالْقَدَحِ فَأَخْطَانِي فَانْكَسَرَ الْقَدَحُ . وَقَالَ : قِمِ عَنِّي إِلَى لِسَةِ اللَّهِ وَحَرِّ
سَقَرٍ^(٤) . وَقَامَ فَرَكَبٌ .

فَكَانَتْ وَاللَّهِ تِلْكَ الْحَالُ آخِرَ عَهْدِي بِهِ حَتَّى مَرَضَ وَمَاتَ .
ثُمَّ قَالَ لِي : يَا أَبَا جَعْفَرٍ ، كَمْ تَرَانِي أَحْسَنُ أَعْنَى ؟ ثَلَاثَةُ أَلْفٍ صَوْتٍ ، أَرْبَعَةُ
أَلْفٍ صَوْتٍ ، خَمْسَةُ أَلْفٍ صَوْتٍ ، أَنَا وَاللَّهِ أَعْنَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ . ذَهَبَ سَلَمُ اللَّهِ
كُلُّهُ ، حَتَّى كَأَنِّي لَمْ أَعْرِفْ غَيْرَ مَا عَنَيْتُ . وَلَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَتْ لِي أَلْفُ
رُوحٍ مَا نَجَّيْتُ مِنْهُ وَاحِدَةً مِنْهَا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ رَجُلًا حَلِيمًا ، وَكَانَ فِي الْعُمَرِ بَقِيَّةُ !

(١) انزعيل : الاحتيال . (٢) هو علي بن نافع ، فائقة الموسيقى فى زمانه ، رحل إلى الأندلس
وقداعت شهرته هناك ، ، وفضله عبد الحكم على ما عدها ، وأقام بقرطبة إلى أن مات سنة ٢٣٠ هـ .
(٣) الحين : الملاقاة . (٤) سقر : جهنم .

١٩ - في دار الفضل بن الربيع *

قال أحمد بن يحيى المكنى : دعاني الفضل ^(١) بن الربيع ودعا عتوبه ونحوها ، وذلك في أيام التأمون بعد رجوعه ورضه عنه . إلا أن حاله كانت نقصة متدنية : فلما اجتمعنا عنده كتب إلى إسحاق ^(٢) الموصل يدّله أن يصير إليه ويُعلمه الحال في اجتماعنا عنده . فكتب إليهم : لا تنتظروني بالأكل ، قد أكلت ، وأنا أصير إليكم بعد ساعة .

فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قرب العصر ، ثم وافى إسحاق مجلس ، وجاء غلامه يقطرمين ^(٣) نبيذ ، فوضعه ناحية ، وأمر صاحب الشراب بإسقاطه منه ، وكان عتوبه يُعني الفضل بن الربيع في لحن اقترحه الفضل عليه وأعجبه ، وهو :
فإن تعجبي أو تبصري الدهر طمّني ^(٤) بأخذائه طمّ انقصي بالجلم ^(٥)
قد أترك الأضياف تندى رجالهم وأكرمهم بالمحضر والتامك ^(٦) السّم
فقال له إسحاق : أخطأت يا أبا الحسن في أداء هذا الصوت ؛ وأنا أصلحه لك .
فجئ عتوبه وانغناط ، وقامت قيامته . ثم أقبل إسحاق على عتوبه فقال له :
يا حبيبي ، ما أردت الوضع ^(٧) منك بما قلته لك ، وإنما أردت تهذيبك وتقويمك ،

* الأغاني : ٥ - ٣٠٦

(١) كان الفضل بن الربيع وزيراً للرّشيد بعد زوال دولة البرامكة . وبعد موت الرّشيد استوزر للأميين ، ووقف معه ضدّ التأمون ، وبعد قتل الأمين نفع طاهر بن الحسين للفضل عند التأمون فرضي عنه ؛ ومات سنة ٢٠٨ هـ . (٢) إسحاق الموصل : من أشهر ندماء الخلفاء تفرد بصناعة النّاء وكان عالماً باللّغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام ورواية الشعر وحافظاً للأخبار . توفي سنة ٢٣٥ هـ . (٣) القطرمين : قلة كبيرة من الزّجاج . (٤) طمّني : غمرني (٥) الجلم : الذي يجر به الشعر والصوف . والقصص : الشيء الذي يقص . (٦) التامك : اللين الخالص بلا رغبة . والتامك : العظم النّام من الإبل ، ومثله السّم . (٧) الوضع : القصة .

لأنك منسوبُ الصوابِ والخطأ إلى أبي وإليَّ ، فإن كرهتَ ذلك تركتُك ؛ وقلتُ لك : أحسنتَ وأجَلتَ . فقال له عَلَوِيَّةُ : والله ما هذا أردتَ ، ولا أردتَ إلا ما لا تتركه أبداً من سوءِ عِشْرَتِكَ ! أخبرني عنك حين تبي هذا الوقتَ لما دعاك الأميرُ وعرفتُك أنه قد نشطَ للاصطباح : ما حملَكَ على الترفعِ عن مُبَاكَرَتِهِ^(١) وخِدْمَتِهِ مع صَنَائِعِهِ عندك ؟ وما كان ينبغي أن يشغلك عنه شيء إلا الخليفة ! ثم تبيته ومكَّ قَطْرَ مِيزُ نبيذٍ ترفُعاً عن شرا به ، كما ترفُعَتَ عن طعامه ومُجَالَسَتِهِ إِلَّا كما تَشْتَهِي وحين تَنَشُّطُ ، كما تفعل الأَكفَاءُ^(٢) ، بل تزيد على فِعْلِ الأَكفَاءِ . ثم تَعِدُّ إلى صوتٍ قد اشتباهَ واقتَرَحَه ، وسمِعَه جميعُ مَنْ حضرَ ، فاعابه منهم أحدُ ، فتعبيه لَيْتَ بِنَفْسِكَ إياه لذته ! أما والله لو الفضلُ بن يحيى أو أخوه جعفرُ دعاك إلى مثلِ ما دعاك إليه الأميرُ ، بل بعضُ أتباعهم ؛ لبادرتَ وباركتَ ؛ وما تأخرتَ ولا اعتذرتَ . فأمسك الفضلُ بن الربيع عن الجوابِ إيجاباً بما خاطب به عَلَوِيَّةُ إسحاق .

فقال له إسحاق : أمّا ما ذكرته من تأخرى عنه إلى الوقت الذي حضرت فيه ، فهو يعلمُ أني لا أتاخرُ عنه إلا بماتني فاطم ، إن وَرِثَ بذلك مني ، وإلا ذكرتُ له الحجةَ سرّاً من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل . وأما ترفعى عنه فكيف أترفع عنه وأنا أنسبُ إلى صناعته ، وأستمتحه وأعيشُ من فضله مذ كنتُ ! وهذا تَصْرِيحُ^(٣) لا أبالي به منك ، وأما حملُ التبيذ معي فإن لي في التبيذ شرطاً من طَعْمِهِ وريحه ؛ وإن لم أجده لم أقدر على الشرب ، وتنفّسَ على يومئذ ، وإنا حملناه لَيْتَ نطاعى ويُنتَفَعُ بي ، وأما طَعْنُ على ما اختاره فلاني لم أطمئن على اختياره ،

(١) يأكده : أناه بكرة : غدوة . (٢) الأكفاء : النظراء المتماثلون .

(٣) التصريح : الإغراء بين القوم .

وإنما أردتُ توبيخك ؛ ولستَ واللهَ ترائي متبعا لك بمد هذا اليوم ، ولا مؤمنا شيئا من خطئِكَ ، وأنا أنغى له - أعزه الله - هذا الصوتُ فيعلم وتعلم ؛ ويسلم من حضر أنك أخطأتَ فيه وقصرت . وأما البرامكةُ ومُلازمتي لهم فأشهرُ من أن أجهدهُ ، وإنني لحقيق فيه بالمعذرة ، وأخرى أن أشكرهم على صنيهم ، وبأن أذيه وأنشره ؛ وذلك - والله - أقلُّ ما يستحقونه مني .

ثم أقبلَ على الفضل - وقد غاظه مدحُهم - فقال : اسمع مني شيئا أخبرك به مما فعلوه ، ليس هو بكبير صنائهم عندي ولا عند أبي قبلي ، فإن وجدتَ لي عذرا وإلا فلي : كنتُ في ابتداء أُمري نازلا مع أبي في داره ، فكان لا يزالُ يجرى بين غلمانٍ وغلمانٍ وجواري وجواريه المصومة ؛ كما تجرى بين هذه الطبقات فيشكونهم إليه ؛ فأتين الضجَرَ والتنكرَ في وجهه ، فاستأجرتُ دارا بقُربه ؛ وانتقلتُ إليها أنا وغلمانِي وجواري ، وكانت دارا واسعة ، فلم أرضَ ما معي من الآلة لها ، ولأن يدخلَ إلي من إخواني أن يروا مثله عندي .

فكرتُ في ذلك ، وكيف أصنع ؛ وزادَ فِكْري حتى خَطَرَ بقلبي فُبْح الأُخْدُوثة من نزول مثلي في دارٍ بأجرة ، وأني لا آمنُ في وقتٍ أن يستأذنَ عليَّ صاحبُ داري ، وعندي من أحقَّتْ منه ^(١) ولا يعلمُ حالي فيقال : صاحبُ دارك ، أو يوجِّه في وقتٍ فيطلبُ أجرةَ الدار ، وعندي بمن أحقَّتْ منه ؛ فضاقَ بذلك صدرِي ضيقا شديدا حتى جاوزَ الحدَّ .

فأمرتُ غلامي بأن يسرَّجَ لي حمارا كان عندي ، لأمضي إلى الصحراءِ أتفرَّجَ فيها مما دخلَ على قلبي ، فأمرَجَه وركبتُ برداهُ وتعلُّ ، فأقضى بي السيرَ وأما فِكْري لا أميزُ الطريقَ التي أسلكُ فيها ، حتى هجمَ بي على باب يحيى بن خالد ، فتواب

(١) أحقَّتْ منه : استحقا .

غلامه إلى، وقالوا: إلى أين؟ قلت: إلى الوزير. فدخلوا فاستأنوا لي، وخرج الحاجب فأمرني بالدخول؛ وبقيت خجلاً، قد وقعت في أمرين فاضحين: إن دخلت إليه برداء ونعل؛ وأعلمته أنني قصده في تلك الحال كان سوء أدب، وإن قلت له: كنت مجتازاً، ولم أقصدك فجعلتك طريقاً كان قبيحاً.

ثم عزمتُ فدخلت؛ فلما رأيته تبسم وقال: ما هذا الزئ يا أبا محمد! قد علمنا أنك جعلتنا طريقاً، قلت: لا والله يا سيدي، ولكني أصدك. قال: هات. فأخبرته القصة من أولها إلى آخرها، فقال: هذا حق مستور؛ أفهذا شغل قلبك؟ قلت: إي والله! وزاد فقال: لا تشغل قلبك بهذا. يا غلام، ردوا حماره، وهانوا له خيلته. فجاموني بخيلة تامة من ثيابه فلبستها، ودعا بالطعام فأكلت، ووضع النبيذ فشربت وشرب فنتيته، ودعا في وسط ذلك بدواة ورقعة، وكتب أربع رقايع ظننت بعضها نوقية لي بمجازة؛ فإذا هو قد دعا بعض وكلائه فدفع إليه الرقايع وسأره بشيء، فزاد طمعي في الجائزة، ومضى الرجل وجلسنا نشرب، وأنا أنتظر شيئاً فلا أراه إلى التهمة^(١)، ثم انكأ يحيي فنام. فقامت وأنا منكسر خائب، فخرجت وقدم لي حماري.

فلما تجاوزت الدار قال لي غلامي: إلى أين تمضي؟ قلت: إلى البيت. قال: قد والله يبيت دارك، وأشهد على صاحبها، وإتيك الدرب كله ووذن تمنه، والمشتري جالس على بابك ينتظرك ليرفك، وأظنه اشترى ذلك للسلطان، لأن رأيت الأمر في استعجاله أمراً سلطانياً، فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حسابي، وجئت وأنا لا أدري ما أعمل، فلما تزلت على باب داري إذا أنا بالوكيل الذي سأره يحيي قد قام إلى. فقال لي: ادخل - أيدك الله - دارك حتى أدخل لحاطبتك في أمر أحاج

(١) النعمة: وقت صلاة العشاء.

إليك فيه ، فطابت نفسي بذلك ، ودخلت ، ودخل إلى فاقراً في توقيع يحيى :
 « يُطْلَقُ لأبي محمد إسحاق مائة ألف درهم ببتاع له بها داره وجميع ما يجاورها
 ويلاصقها » . والتوقيع الثاني إلى ابنه الفضل : « قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة
 ألف درهم ببتاع له بها داره ، فأطلق إليه مثلها لينفقها على إصلاح الدار كما يريد
 وبنائها على ما يشتهي » . والتوقيع الثالث إلى جعفر : « قد أمرت لأبي محمد إسحاق
 بمائة ألف درهم ببتاع له بها منزل يسكنه ، وأمر له أخوك بدفع مائة ألف درهم
 ينفقها على بنائها وممرتها على ما يريد ، فأطلق له أنت مائة ألف درهم ببتاع بها
 فرشاً لمنزله » . والتوقيع الرابع إلى محمد : « قد أمرت لأبي محمد إسحاق أنا وأخوأك
 بثلاثمائة ألف درهم لمنزل يبتاعه ونفقة ينفقها عليه ، وفرش يبتذله^(١) ، فر له أنت
 بمائة ألف درهم بصرفها في سائر نفقته » . وقال الوكيل ، قد جئت للمال واشترت
 كل شيء . جاورك بسبعين ألف درهم ، وهذه كتب الاتبيعات باسمي والإقرار لك ،
 وهذا المال بورك لك فيه فأقبضه .

فقبضته وأصبحت أحسن حالا من أبي في منزلي وفرشي وألتي ، ولا والله
 ما هذا بأكبر شيء . فقلوه لي أفألام على شكر هؤلاء !

فبكي الفضل بن الربيع وكل من حضر . وقالوا : لا والله لا نلام على شكر
 هؤلاء . ثم قال الفضل : بحماتي عن الصوت ، ولا تبخل على أبي الحسن بأن
 تقومه له ! فقال : أفعل . وغناه فتبين علويته أنه كما قال . فقام فقبل رأسه ، وقال :
 أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كل أحد ، وردّه^(٢) إسحاق
 مراتٍ حتى استوى لعلويته .

(١) الابتذال : ضد الصيانة . (٢) رده : أعاده ، مثل رده .

٢٠ - المعتصم في يوم العيد*

قال حمدون بن إسماعيل النديم : حضر العيد ، فعقب المعتصم ^(١) بالله خيله تعبية لم يُسمع بمثله ، ولم يُرَ لأحد من ولدِ العباس شبيهُ بها ، وأمر بالطريق فُسح ^(٢) من باب قصره إلى المصلّى ، ثم قسم ذلك على القواد وأعطى كل واحد منهم مَصَافَةً ^(٣) .

فلما كان قبلَ الفِطْرِ بيوم حضر القواد وأصحابُهم في أجمل زِيٍّ وأحسن هيئة ، فلزموا مصافهم منذ وقت الظهر ، إلى أن ركب المعتصم بالله إلى المصلّى ، فكان للموضع الذي وقع لإبراهيم بن المهدي بعد الحرّسي ^(٤) بجذاء مسجد الخوارزمي ، وإبراهيم واقف وأصحابه في اصاف .

فلما أصبح للمعتصم أمر القواد الذين لم يرتّبوا في اللصاف بالمسير إلى المصلّى على التعبية التي حدّها ، ولبس ثيابه ، وجلس على كرسي ينتظرُ مَضَى القواد . فلما اقضى أمرهم تقدّم إلى الرّجالة في السير بين يديه ، فتقدم منهم سبعة آلاف ناشب من الموالي ، كلُّ ثلاثمائة منهم في زِيٍّ يخالف لزيّ الباقين ، وأربعة آلاف من المغاربة ، وأمر الشيعة فكانوا وراءه بالأعمدة ، وعدّتهم أربعة آلاف ، وركبت لا أدري منزلتي أين هي ، ولا أعرف مرتبتي ، ولم أعلم أين أسيرُ من الموكب ؟

* المحاسن والساوئ : ١٦٤ .

(١) هو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد ، ولقب بالمعتصم بالله في اليوم الذي دعى له بالخلافة سنة ٢١٨ هـ ، وكان شجاعاً مقداماً شديد البأس عاباً للملّة ، منصرفاً إلى الجيش ، وتوفى سنة ٢٢٧ هـ . (٢) يقال : مسح الأرض ، أي ذرعاها . (٣) اللصف : موضع الصف ، وجهه مصاف . (٤) الحرسي : واحد حرس السلطان .

فلما وضع رجله في الركاب، واستوى على سرجه التفت إلى، وقال : يا حدون،
 كُنْ أَنْتَ خَلْفِي ، فإزمتُ مؤخَّرَ دَابَّتِهِ ، فلما خرج من باب القصر تلقاه القواد
 وأصحابُ اللصاف : يخرجُ الرجل من مضافه ، فإذا قرب نزل وسلم عليه بالخلقة ،
 فيأمره بالركوب ويمضى ، حتى وصل إلى إبراهيم بن المهدي فنزل وسلم عليه بالخلقة
 فرد عليه السلام ، فقال : كيف أنت يا إبراهيم ؟ وكيف حالك ؟ وكيف كنت في
 أيامك ! اركب فركب فلما جاوزه التفت إلى وقال : يا حدون ، قلت : لبيك يا أمير
 المؤمنين ! قال : تذكر ؟ قلت : إى والله ياسيدى ! وأمسك .

ففظرتُ فيما قال فلم أجدنى أذكر شيئاً في ذلك الموضع مما يشبه ما كنتُ فيه !
 فنصصُ على يومى ، وما رأيت من حسنه وسروره بالرتبة التي أهلتني بها ، وقلت :
 الخلقاء لا يماكون بالكذب ، ولا يجوزُ أن يسألنى عند انصرافى عن هذا الأمر ،
 فلا يكونُ له عندى جواب ولا حقيقة ! وتخوفت أن ينالنى منه مكروه ، فلم أزلُ
 واجماً في طريقى إلى وقتِ انصرافه ، ثم أجمعتُ على منالطته إن أمكننى ، وإعمالِ
 الحيلة في التخلص إن يسألنى .

فلما استقرتُ في مجلسه ، وبُسط السُّباط^(١) ، وجلس القواد على مراتبهم للطعام
 أقبلتُ أخدم وأختلف ، ليست لى همّة غير ما كان قد قاله لى ، لا أغفلُ عن ذلك ،
 حتى انقضى أمرُ السُّباط ، ورفع الستر ، ونهض أميرُ المؤمنين ، ودخل الحجره ، ومضى
 إلى الرقده ، فلم أثبتُ أن جاء الخادم وقال : أجب أميرُ المؤمنين ، فضيتُ .

فلما دخلتُ ضحك إلى ، وقال يا حدون ، رأيت ؟ قلت : نعم ياسيدى
 قد رأيت ! فالحمد لله الذى بلغنى هذا اليوم وأرانيه ؛ فما رأيتُ ولا سمعتُ لأحدٍ
 من الخلقاء والملوك بأجل منه ولا أبهى ولا أحسن ! قال : ويحك ! رأيتُ إبراهيم

(١) السباط : ما يمد عليه الطعام .

ابن المهدي؟ قلت: نعم ياسيدي! قال: رأيت سلامه على وردى عليه، ونزوله إلى؟ قلت: نعم! قال: إنه لما كان من أمره ما كان - بمعنى الخلافة - قسم الطريق في يوم عيده من منزله إلى المصلى كقسمتي إياه في هذا اليوم بين قواده، فوقع موضعي منه الموضع الذي كان به هذا اليوم، فلما حاذاني نزلت فملت عليه، فردت على مثل ما رددت، حرفاً حرفاً على ما قال لي.

فدعوت له، واخرج عنى ما كنت فيه، وتخلت عنى النعم والكرب: ثم قال: يا حمدون، إلى لم آكل شيئاً، وأنا أنتظر أن تأكل معي، فامض إلى حجرة الندماء؛ فإنك تجد إبراهيم هناك، فاجلس إليه وعانبه وضاحكه، وأجر له هذا الحديث، وقل له: إنك رأيت في ذلك اليوم فعل بي فعلي به في هذا اليوم؛ وانظر إلى وجهه وكلامه، وما يكون منه فمرفنيه على حقيقته، واصدقني عنه، وعجل ولا تحتبس! قلت: نعم ياسيدي.

فضيت، وقد دفعت إلى أغلظت بما كنت فيه؛ لعلني بأن إبراهيم لو كان من حجرٍ لأثر فيه هذا القول وتغير، وظهر منه ما يسكره، وخفت أن يأتي بما يسفك به دمه، ففصيت حتى دخلت الحجرة، فجلست إلى إبراهيم، وقلت ما أمرني به، وأنا مبادرٌ خَوْفاً من خادم يلحقني، أو رسول، فلا يمكنني منه تحمين الأمر، وما يظهر لي منه؛ فقلت لإبراهيم: كيف رأيت ياسيدي هذا اليوم؟ أما أعجبك حسنه؟ وما كان من تعبئة أمير المؤمنين؟ قال: بلى والله إنه أعجبني؛ فالله الذي بلننيه وأرانيه، وأطلب في الدعاء للمعتم.

فلما أمسك قلت: ياسيدي؛ أذكرك، في أيامك، وقد ركبت فضيت شيئاً بهذه التعبية، وقسمت الطريق مثل هذه القسمة؛ فوقع لأمر المؤمنين الموضع الذي وقع لك واجترت به، فنزل إليك وسلم، فرددت عليه كرده عليك في هذا اليوم!

فوالله ما قلتُ له ذلك حتى اربدَ لونه ، وجفَ ريقُه ، واعتَقِلَ لسانه ، وبقيَ لا يتكلمَ بحَرْفٍ ، ثم قال بلسانٍ ثقيلٍ : لكأننى فى ذلك الموضع فى ذلك اليوم ! فالحمد لله الذى رأيتُه لأَمير المؤمنين ، فعل الله به وفعل .

فتفنمتُ^(١) ذلك وقت ، وأنا ألتفتُ ونهضتُ حتى أتيتَ المتصم ، فقال لى : هيه يا حِمدون ! قلتُ : يا أَميرَ المؤمنين ! أتيتُ إبراهيم ، وقلتُ له ما أمرتنى به ، فأظهرَ سروراً ودعاءً ، وقال : كبت وكبت ، فقال : والله قال ! بحياى ! قلتُ : وحيايَ لك يا أَميرَ المؤمنين ! قال : فسكيفَ رأيتَ وجهه ! فلم أدِرَ ما أقولُ ، قلتُ : يا أَميرَ المؤمنين ، بالله لَمَّا تركتَنى من وجهِ عمَلِك الذى لا يَتَّبِعُ فيه فرح ولا حزن . فاستضعحك ، ثم أمسك ، ودعا بالطعام فأكلنا ، ثم رقد .

فلما انتبه وجلس دعا إبراهيم وسائرَ الندماء ، فشرب وبرزَ إبراهيم وألظَمَه .

(١) لثمة : اتمز غنمه ، وعده غنمية .

٢١ - حادثة الكلام*

لما رجع للمتصم من الشَّرق وصار بناحية الرِّقَّة ، قال لعُمر بن مسعدة : ما زلت تسألني في الرِّخِيِّ^(١) حتى وليته الأهواز ، فعمد في سرِّة الدنيا يأكلها خَصْماً وقَصْماً ، ولم يُوجِّه إلينا بدرهم واحد . أخرجُ إليه من ساعتك .

قالت في نفسى : أبعد الوزارة أصير مستحقاً على عامل خَرَج ! ولكن لم أجد بداً من طاعة أمير المؤمنين ، قلت : أخرجُ إليه أمير المؤمنين . قال : أخلف لي أنك لا تقيم ببغداد إلا يوماً واحداً . خلفتُ له ، ثم انحدرتُ إلى بغداد ، فأمرت فُرسَ لي زورق بالطيرى وعُشَى بالسَّخِ^(٢) ، وطُرح عليه السكر^(٣) . ثم خرجت ، فلما صرت بين دير هزْزَل ودير العاقول^(٤) إذا رجل يصيح : ياملاح ! رجل منقطع . قلت لللاح : قَرِّب إلى الشط . قال : ياسيدى ، هذا شحاذ ، فإن قد ملك أذاك . فلم ألتفت إلى قوله ، وأمرت الغلمان فأدخلوه ، فعمد في كُوَيْتِل^(٥) الزَّوْرُق . فلما حضر وقت الغداء عزمت أن أدعوه إلى طعامى ، فدعوته ، فجعل يأكل أكل جائع بهامةٍ إلا أنه نظيف الأكل ، فلما رفع الطعام أردت أن يستعمل معى ما يستعمل العوام مع الخواص : أن يقوم فيسل يده في ناحية ، فلم يفعل ، فغمزه الغلمان فلم يتم .

فتشأغلتُ عنه ثم قلت : يا هذا ، ما صناعتك ؟ قال : حائك ، قلت في نفسى :

* القد لاين عبد ربه ٤ : ١٧٥ ، صبح الأعشى ١ : ١٤٢ .

(١) هو عمر بن الفرج ، كما في صبح الأعشى . والرخي نسبة إلى رخي مدينة من نواحي كابل ، وكان عمر وأبوه فرج من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى أيام المتوكل .
(٢) السخ : الجلد . (٣) السكر : الكساء . (٤) دير هززل : دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم . ودير العاقول : بين مدائن كسرى ووالتمانية وبينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخاً . (٥) الكوتل : مؤخر السفينة .

هذه شرٌّ من الأولى ؛ قال لى : جُئْتُ فذاك قد سألتني عن صناعتى فأخبرتك ،
فاصنعتك أنت ؟ قال : قلت فى نفسى : هذه أعظم من الأولى ، وكرهت أن
أذكر له الوزارة ، قلت : أقصر له على الكتابة ، قلت : كاتب .

قال : جُئْتُ فذاك ! الكتاب على خمسة أصناف : فكتاب رسائل يحتاج إلى
أن يعرف الفصل من الوصل ، والصدر ، والتهانى ، والتعازى ، والترغيب والترهيب ،
والمقصود والممدود ، وجمال من العربية ؛ وكتاب خراج يحتاج إلى أن يعرف الزرع
والمساحة ، والأشغال ^(١) ، والطموق ^(٢) ، والتقسيم والحساب ؛ وكتاب جُند ، يحتاج إلى أن
يعرف مع الحساب الأطلاع ^(٣) ، وشيات الدواب ، وحلّ ^(٤) الناس ؛ وكتاب قض ،
يحتاج إلى أن يكون عالماً بالشروط والأحكام والفروع والناسخ والنسوخ والحلال
والحرام والموارث ؛ وكتاب شرطة يحتاج إلى أن يكون عالماً بالجروح والتعاص
والعقول ^(٥) . والديات . فأتيهم أنت أعزك الله !

قال : قلت : كاتب رسائل . قال فأخبرنى ؛ إذا كان لك صديق تكتب إليه
فى المحبوب والمكروه وجميع الأسباب ، فتزوّجت أمه ، فكيف تكتب له ، أنتهيه
أم تمزيه ؟ قلت : والله ما أقف على ما تقول ؛ قال : فلت بكتاب رسائل ،
فأبهم أنت ؟

قلت : كاتب خراج . قال : فا تقول أصلحك الله ! وقد ولّاك السلطان عملاً
فبذت عمالك فيه ، فجاءك قوم يتظلمون من بعض عمالك ، فأردت أن تنظر فى
أموارهم ، وتُدصفهم إذ كنت تحب العدل والبر ، وتؤثر حسن الأحدوة وطيب

(١) الأشغال : جمع شغل ؛ وهى النوق التى أتى عليها من عملها أو وضعها سبعة أشهر ؛ فجذب
إليها ، الواحدة شائلة . (٢) الطموق : جمع طموق ؛ وهو ما يوضع من الوطنية على البربان من
المراجح المرفوعة على الأرض ، فارسى معرب . (٣) الأطلاع : الروائب الجارية على الجند فى الأوقات
التي يستعملونها فيها على ١٠ تقضية كل زمان . (٤) الحلّ : جمع حلبة ، بالكسر وهى الصفة .
(٥) العقل : الدببة .

الذكر ، وكان لأحدهم قراح^(١) ، كيف كنت تمسحه ؟ قال : كنت أجذب العطوف في العمود ، وأنظر كم مقدار ذلك . قال : إذن تظلم الرجل . قلت : فأمسح العمود على حدة . قال : إذن تظلم السلطان . قلت : والله ما أدري . قال : فلست بكاتب خراج ، فأيتهم أنت ؟

قلت : كاتب جند . قال : فاقول في رجلين اسم كل واحد منها أحد ، أحدهما مقطوع الشفة العليا والآخر مقطوع الشفة السفلى ، كيف كنت تكتب حليتهما^(٢) ؟ قال : كنت أكتب : أحد الأعم وأحد الأعم . قال : كيف يكون هذا ، ورزقي هذا ما ثا درهم ورزقي هذا ألف درهم ، فيقبض هذا على دعوة هذا ، فيتظلم صاحب الألف اقلت : والله ما أدري .

قال : فلست بكاتب جند ، فأيتهم أنت ؟ قلت : كاتب قاضي . فقال : فاقول أصلحك الله في رجل توفي وخلف زوجة وسرية^(٣) ، وكان للزوجة بنت وللسرية ابن ، فلما كان في تلك الليلة أخذت الحرمة ابن السرية فادعته ، وجعلت ابنتها مكانه ، فتنازعا فيه ، فقالت هذه : هذا ابني ، وقالت هذه : هذا ابني ، كيف تحكم بينهما وأنت خليفة القاضي ؟ قلت : والله لست أدري .

قال : فلست بكاتب قاضي ، فأيتهم أنت ؟ قلت : كاتب شرطة . قال : فاقول أصلحك الله في رجل وثب على رجل فشجّه شجرة موضحة^(٤) ، فوثب عليه الشجوج فشجّه شجرة مأمومة^(٥) ؟ قلت : ما أعلم . ثم قلت : أصلحك الله ، قد سألت ففسّر لي ما ذكرت .

(١) القراح : الزرعة التي ليس عليها بناء ولا فيها شجر . (٢) حليتهما : مفتحا .

(٣) السرية : الملوكة ينسرها صاحبها .

(٤) الشجرة للموضحة : التي بلغت العظم فأوضحت عنه . (٥) الشجرة المأمومة التي بلغت أم الرأس .

(هـ - نصوص - أول)

قال : أما الذى تزوجت أمه فكتب إليه : أما بعد ، فإن أحكام الله تجرى
بغير محابٍ المخلوقين والله يختار للمباد ، يخار الله لك فى قبضها إليه ، فإن القبر
أكرم لها ، والسلام .

وأما القراح ، فتضرب واحداً فى مساحة العنوف ، فمن ثم بابه .
وأما أحمد وأحمد ، فكتب حلية المقطوع الشفة العليا : أحمد الأعلم ، والمقطوع
الشفة السفلى : أحمد الأثرم .

وأما المرأتان ، فيوزن لبن هذه ولبن هذه فأيهما كان أخف فهي صاحبة البنت .
وأما الشجة ، فإن فى اللوضحة خمساً من الإبل ، وفى المأمومة ثلاثاً وثلاثين وثلاثاً ،
فبرء صاحب المأمومة ثمانية وعشرين وثلاثاً .

قلت : أصلحك الله ! فما نزع بك إلى هنا ؟ قال : ابن عمى لى كان عاملاً
على ناحية ، ففرجت إليه فالفيتته معزولاً ، فقطع لى ، فأتا خارج اضطرب فى المعاش .
قلت : أأنت ذكرت أنك حائك ؟ قال : أنا أحوك الكلام ولست بحائك الثياب .
قال : فدعوت الزنن فأخذ من شعره ، وأدخل الخنم فطرحت عليه شيئاً من ثيابى .
فلما صرت إلى الأهواز كتبت الرخجى فأعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معى ،
فلما صرت إلى أمير المؤمنين ، قال : ما كان من خبرك فى طريقك ؟ فأخبرته خبرى
حتى حدثته حديث الرجل . فقال لى : هذا لا يستغنى عنه ، فلائى شئ يصلح ؟
قلت : هذا أعلم الناس بالمساحة والهندسة . قل : فولاه أمير المؤمنين البناء والمرومة .
فكنت واقفاً فى اللوكب النبيل فينحط عن دابته ، فأحلف عليه ، فيقول :
سبحان الله ! إنما هذه نمطك ، وبك أفدتها .

٢٢ -- ندامة الكسبي *

كان من حديث محارب بن قيس الكسبي أنه كان يرعى إبلًا له بوادي معشب ؛
فبينما هو كذلك إذ أبصر نبعة ^(١) في صخرة ، فأمجته ، قال : ينبغي أن تكون
هذه قوساً ، فجعل يشهدها ويرصدها ؛ حتى إذا أدركت قطعها وجففها ؛ فلما جفت
اتخذ منها قوساً ، وأنشأ يقول :

يا ربّ وقني لثحتِ قوسي فلأنها من لذتي لنفسي
وانفع بقوسي ولدي وعيبي أعتبها صفراء مثل الورسي

صفراء ليست كقسي الكسبي

ثم دهنها وخطها ^(٢) بوتر ، ثم عمد إلى ما كان من برأيتها فجعل منها خمسة
أسهم ، وجعل يقبها في كفه ويقول :

هّن وريّ أسهم حسان تلذّ للراي بها البنان
كأن قوامها ميزان فأبشروا بالخصب يا صيان
وإن لم يعقني الثوم والحرمان

ثم خرج حتى أتى قفرة ^(٣) على موارد حُر فكن فيها ؛ ففرّ قطع منها ، فرمى
غيراً ^(٤) منها فأخطه ^(٥) السهم ؛ فأورى ناراً ؛ فظن أنه أخطاه ، فأنشأ يقول :

أعوذ بالله العزيز الرحان من نكد الجلد معاً والحرمان
مالي رأيت السهم بين الصوان يورى شراراً مثل لون العيان
فأخلف اليوم رجاء الصبيان

* جمع الأشال للبدائي ٢ : ٣٤٨ .

(١) نبعة : قطعة من شجر النبق ، وهو يشتمل في القسي . (٢) خطها : علق فيها الوتر
(٣) القفرة : الموضع الذي ينف فيه الصائد . (٤) البير : الحمار . (٥) أخطه السهم :
جازه وأصاب البيل .

ثم مكث على حاله ، فرّ به قطيع آخر ، فرمى منها غيراً فأخطه السهم ؛ وصنع
صنيع الأول فأنشأ يقول :

لا بارك الله في رمي القترِ أعود بالخالق من سوء القدرِ
أأخط السهمُ لإرهاق البصرِ أم ذاك من سوء احتيالٍ ونظرِ

ثم مكث على حاله ، فرّ به قطيع آخر ، فرمى منها غيراً فأخطه السهم ، فصنع
صنيع الثاني ؛ فأنشأ يقول :

ما بال سهمي وقد الحجاب^(١) قد كنت أرجو أن أكون صائبا
وأمكن المير وولّى جانباً فصار رأيي فيه رأياً خائباً

ثم مكث مكانه ؛ فرّ به قطيع آخر ، فرمى منها ؛ فصنع صنع الثالث ،
فأنشأ يقول :

بأسني للشؤم والجدّة النكد أخلف ما أرجو لأهل وولد
ثم مرّ به قطيع آخر ، فرمى منها ؛ فصنع صنيع الرابع ؛ فأنشأ يقول :

أبعد خسرٍ قد حفظتَ عدّها أحل قوسى وأريد وردّها
أخزى الإله لينها وشدّها والله لا تسلّم عندى بمدّها
ولا أرجى ما حيت رفدّها

ثم عدّ إلى قوسه ، فضرب بها حجراً فكسرها . فلما أصبح نظر فإذا الحجر
مطروحة حوله مصرّعة ، وأسهمه بالدم مضرّجة . فقدم على كسر القوس ،
وشدّ على إبهامه قطعها ، وأنشأ يقول :

ندمتُ ندامةً لو أن نفسى تطاوعنى إذا لقطمت خمسى
تبين لى سفاه الرأى متى لمر أيبك حين كسرت قوسى

(١) الحجاب : ما يذلع من الصرار عند اقتطاع الصخر .

٣٣ — رسلُ الروم عند الناصر *

رحل الناصر ^(١) لدين الله من قصر الزهراء ^(٢) إلى قصر قرطبة ^(٣) لدخول وفود الروم عليه ، وقعد لهم في بهو المجلس الزاهر قصوداً حسناً غيّلاً ، وقعد عن يمينه وليُّ العهد من يمينه ، وقعد عن يساره مُنذِر بن سعيد ؛ وحضر الوزراء والوالى مراتبهم يميناً وشمالاً ، ووقف الحجابُ من أهل الخدمة من أبناء الوزراء والوالى وغيرهم ، وقد بُسطَ صحنُ الدار أجمع يتأقُّ البُسط ، وكرامُ الدرائك ^(٤) ، وقُطِلَت أبوابُ الدار وحنأها بقالى الديباج ورقيق السُتور .

فوصل رسلُ ملك الروم حائرين بما رأوه من بهجة الملك ونفخة السلطان ، ودفعوا كتابَ ملكهم صاحب قسطنطينية المظلى ؛ وهو فى رقى ^(٥) مصبوغ بلون سماوى ، مكتوب بالذهب بالخط الإغريقى ، وداخل الكتاب مدرجة ^(٦) مصبوعة أيضاً مكتوبة بفضة بخط إغريقى أيضاً ، فيها وصفُ هديته التى أرسل بها وعددها ، وعلى الكتاب طابع ذهب وزنه أربعة مثاقيل ، على وجهٍ منه صورةُ المسيح وعلى الآخر صورةُ الملك وصورةُ ولده .

وكان الكتابُ بداخل دُرُج ^(٧) فضة منقوش ، عليه غطاه ذهب ، فيه صورة الملك من الزجاج الملون البديع ، وكان الدرج داخل جعبة ملبسة بالديباج .

(١) هو عبد الرحمن الناصر لدين الله ثامن ملوك الأندلس وأول من تلقب بالخلافة منهم ؛ وكانت أيامه أيام جهاد ، وكان عادلاً عسكراً عالماً ، خفواً بالعبادة ، توفى سنة ٣٥٠ هـ .
(٢) هى المدينة التى بناها الناصر (٣) قرطبة : حضرة الخلافة بالأندلس ، وكانت أخت بغداد عزاً وعلواً وحضارة وفيها المسجد الجامع الذى بناه عبد الرحمن الأموى سنة ٧٩٢ م ، وهو الآن لكتيبة الكتترائية .

(٤) الدرائك : اللطافى . (٥) الرق : ما يكتب فيه ، وهو جلد رقيق .

(٦) أدرجت الكتاب : طويته .

(٧) أصل الدرج : السطح الصغير توضع فيه المرأة تتاعها وطيبها .

ولما احتفل الناصر لدين الله هذا الاحتفال أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه ليدكروا جلالة ملكه ، وعظيم سلطانه ، ويصفوا ما تهبأ من توطيد الخلافة في دولته .

وتقدم إلى الأمير الحكم ابنه وولى عهده بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء ؛ فأمر الحكم الفقيه محمد بن عبد البر الكيساني بالتأهب لذلك ، وإعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدي الخليفة ، وكان يدعى من القسرة على تأليف الكلام ما ليس في وسع غيره . وحضر المجلس السلطاني ، فلما قام يحاول التكلم بما رأى حاله وبهذه هول المقام وأبهة الخلافة ، فلم يهتد إلى لفظة ، بل غشى عليه ، وسقط إلى الأرض .

فصلى لأبي على القالي^(١) - وهو حينئذ ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق ، وأمير الكلام ، وبحر اللغة : ثم فارق هذا الوحي ، فقام حمد الله وأثنى عليه ، ثم اقتطع القول بالقالي ، فوقف ساكتاً مفكراً في كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه . فلما رأى ذلك مُنذِر^(٢) بن سعيد قام ، فوصل افتتاح أبي على لأول خطبته بكلام عجيب ، ونادى من الإحسان في ذلك المقام كلَّ عجيب ، يسهه سحاً ، كأنما كان يحفظه قبل ذلك بمدة ، وبدأ من المكان الذي انتهى إليه أبو على فقال^(٣) :

أما بعد حمد الله والثناء عليه والتمنيد لآلائه ، والشكر لنعمائه ، والصلاة والسلام على محمد صفيه وخاتم أنبيائه ، فإن لكل حادثاً مقاماً ، ولكل مقام مقالاً ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، وإني قمت في مقام كريم بين يدي ملك

(١) هو إسماعيل بن القاسم صاحب الأمالي ، رحل إلى المغرب ، ودخل الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر واستوطن قرطبة . توفي سنة ٣٥٦ هـ . (٢) كان إماماً نقيهاً خليفاً شاعراً فصيحاً ، ولي القضاء بقرطبة أيام عبد الرحمن ، وتولى بقرطبة سنة ٣٣٥ هـ .

(٣) الخطبة بتأملها في فتح الطيب : ١-١٧٢ طبع المطبعة الأزهرية ، وسجع الأدباء : ١-١٧٦ .

عظيم ، فاصفوا إلى معشر الملأ بأسماعكم ، وألقوا إلى بأفئدتكم ، إن من الحق أن يقال
للحق صدق ، والباطل كذبت ، وإن الجليل - تعالى في سماه و قدس بصفاته
وأسمائه - أمر كليمه موسى أن يدكر قومه بأيام الله عز وجلّ عندهم ، وفيه وفي
رسول الله أسوة حسنة ، وإن أذكركم بأيام الله عندهم ، وتلافيه لكم بخلافة
أمير المؤمنين ، التي لمت شمشكم ، وأمنت سربكم ، ورفعت قوتكم ؛ بعد أن
كنتم قليلاً فكثركم ، ومستضعفين قهواكم ، ومستذلّين فنصركم . . .

واستمر كذلك بكلام عجيب بهر العقول جزالة ، وملا الأسماع جلالة ؛ ففرج
الناس يتعدهون عن حسن مقامه وثبات جنانه ، وبلاغه لسانه ؛ وكان الناصر
أشدّهم تجباً منه ؛ فأقبل على ابنه الحكم ؛ فسأله عنه ؛ فقال له : هذا منفرين
سميد البلوطي ! فقال : والله لقد أحسن ماشاء ، ولئن أخرجني الله بعد لأرضن من
ذكره ، فضع يدك باحكم عليه ، واستخلصه وذكرني بشأنه ؛ فقال الصنيفة مذهب عنه .
ثم ولّاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزّهراء .

٢٤ — ليلة مآلقة •

قال أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد التَّحِيَّي: كنتُ بمدينة مآلقة ^(١) من بلاد الأندلس سنة ست وأربعمائة ، فاعطلتُ بها مدةً اضطلعتُ فيها عن التصرف ، ولزمتُ للنزل ، وكان يمرضني ^(٢) حينئذ رفيقان كانا معي يلمان من شعتي ، ويرقان بي . وكنتُ إذا جئني الليل اشتدَّ سهري وخَفَقْتُ حولي أوتارُ العيدان والطناير والمغازف من كلِّ ناحية واختلطت الأصواتُ بالفناء ؛ فكان ذلك شديداً عليّ ، وزائداً في قلتي وتألّي ؛ فكانت نفسي تَعافُ تلك الضروبَ طبعاً ، وتكره تلك الأصواتَ جيلةً ، وأودّ لو أجدُ مَسْكناً لا أسمعُ فيه شيئاً من ذلك ، ويتمدّر عليّ وجوده لنكبةٍ ذلك الشأن على أهل تلك الناحية وكثرته عندهم .

وإني لساهرٌ ليلةً بعد إغفاءةٍ في أول ليلتي ، وقد سكنتُ تلك الألفاظ للكروحة ، وهدأتُ تلك الضروبُ المضطربة ، وإذا ضربُ خفي معتدلٍ حسن لا أسمعُ غيره ، فكانت نفسي أُنْسِت به ، وسكنتُ إليه ، ولم تنفِرْ منه فَنَارَها من غيره ، ولم أسمعُ معه صوتاً ، وجعل الضرب يرتفعُ شيئاً فشيئاً ، ونفسي تدبّع ، وتسمي بصنفي إليه ، إلى أن بلغَ في الارتفاع إلى ملا غاية وراءه فارتحتُ له ، ونسيتُ الألم ، وتداخلني سرورٌ وطربٌ ، وخُيِّلَ إليّ أن أرضَ المنزل ارتفعتُ بي ، وأن حيطانه تمورُ ^(٣) حولي ، وأنا في كل ذلك لا أسمعُ صوتاً .

* شرح المختار من شعر بشار ١٤ .

(١) مدينة بالأندلس كانت تقرأ حصيناً على بحر الروم ، أسسها الفينيقيون ، وكان لها شهرة أيام الرومان والفرطاجيين ، وكان بها بنو حمود من ملوك الطوائف (٢) مرثه : قام عليه في مرثه .

(٣) تمور : تتحرك وتدب وتجي .

قلتُ في نفسي : أمّا هذا الضربُ فلا زيادةَ عليه ؛ فليت شعري كيف صوتُ
الضارب ! وأين وقع من ضربه ؟ ولم ألبث أن اندفعتُ جاريةً تنقُ في هذا الشعر
بصوتِ أُنْدَى من التّوار ، غِبَ القطارُ^(١) ، وأحلى من البارد المذب ، على كبد
الهائمِ الصَّب ؛ فلم أملكُ ضمي أن قُمْتُ ورفيقاي نائمَان ، فتفتحتُ الباب ؛ وتبعْتُ
الصَّوْت ، وكان قريباً مني ؛ فاطلمت من وسط منزلي على دار فسيحة ، وفي وسط
الدار بستانٌ كبير ، وفي وسط البستان شَرَبٌ^(٢) نحو من عشرين رجلاً ،
قد اصطفوا وبين أيديهم شراب وفاكهة ، وجوارٍ قيامٌ ببعدان وطلناير وآلاتٍ لَهُمْ ،
ومزامير لا يحرّكتُها ، وجاريةٌ جالسةٌ ناحية ، وعودُها في حِجْرِها ، وكلُّ يرمقُها
ببصره ، ويوعِيها سمعُه ، وهي تنقُ وتضربُ ، وأنا قائمٌ بحيثُ أراهم ولا يرونني ،
وكلا غنت بيتاً حفظته ؛ إلى أن غنت عدة أبيات وقطعت ؛ فعدتُ إلى موضعي ،
يشهدُ الله وكأنا أنشطتُ من عقال ، وكان لم يكن بي ألم ، وقد وعيتُ الأبيات
وهي :

ما بال أنجمِ هذا الليلِ حائرةٌ أضلّتِ القصد ، أم لستِ على فلك ؟
عادتِ سواريه وقفاً لا حرّاكَ بها كأنما جُثّت صرعى بمعتركٍ^(٣)
هل من بشرٍ بنورِ الصبح ، تُنفذُني بُشراه من طولٍ وجَدٍ غيرِ متركٍ
قد أجدّ القواء الليل لي شجناً وأضعفتني تباريحى على الحسك^(٤)
خذ يا تمبولُ كثوسَ الراح مُترعةً فسقنيها ولا تسألُ عن الدرك^(٥)

(١) القطار : جمع قطر ، وهو المطر . (٢) جمع شارب . (٣) السوارى : جمع سار .
(٤) تباريح الشوق : توهجه ، والتباريح : الشدائد . الحسك : نبات وورقه كورق الرجلة
وأذن ، وعند ورقة شوك صلب ذو ثلاث شعب .
(٥) تمبول : اسم غلام سقلي من مقابلة التصور .

وهج بالخائف الطنبور : إن له على شجون المعنى^(١) سطورة الملك
ثم انصرفت في صباح تلك الليلة ، فلقيت صديقاً لي من أهل العلم قرطبيّاً
سكن مآقّة ، فأخبرته الخبر ، وأنشدته الشعر ، ووصفت له الفار ، فأغرورت
عيناه وقال : الفار الوزير فلان ، والجارية فلانة البغداديّة ، إحدى الحسنات من
جوارى المنصور بن أبي عامر ؛ وصارت إلى هذا الوزير بعد موت المنصور ،
وتمزّق ملكه .

(١) المعنى : التعب .

الباب الثاني

في القصص التي تتضمن معتقداتهم، وأخبار كتبهم
وكواهمهم، وتبسط ما كانوا يعرفون من حقائق التوحيد
والبعث، والدار الآخرة، وما كانوا يتوسلون به من إقامة
الأوثان، وتمهدها بألوان الزُلفى والقُرْبَان

٢٥ - قوم عاد يستسقون بمكة

لما كذّبت عادٌ هودا - عليه السلام - تواتت عليهم ثلاثُ سنوات ، لم يروا فيها مطراً . فبعثوا من قومهم وفدًا إلى مكة ؛ ليستسقوا لهم ، ورأسوا^(١) عليهم قَيْلَ بنِ عُنُقٍ وَلَقِيمَ بنَ هَزَالٍ ، ولهمان بن عاد ، وكان أهل مكة إذ ذاك الممالئ ، وكان سيّدهم بمكة معاوية بن بكر .

فلما قدموا نزلوا عليه ؛ لأنهم كانوا أخواله وأصهاره ؛ فأقاموا عنده شهرًا ، وكان بكرمهم ، والجرادتان^(٢) تُفنيانهم ؛ ففسدوا قومهم ؛ فقال معاوية : هلك أخوالي ، ولو قلت لهؤلاء شيئًا ظنوا بي بخلاً ، فقال شعراً ، وألقاه إلى الجرادتين ، فأنشدناه ، وهو :

أَلَا يَا قَيْلَ^(٣) وَنَحَكَ قَمَ فَهَدَمَ^(٤) لَعَلَّ اللَّهَ يَبْمُهَا عَمَامَا !
ففسق أرض عاد ؛ إِنَّ عادًا من المطسّر الشديد فليس نرجو
وقد كانت نساؤهم بخير قد أمت نساؤهم أَيَّامِي^(٥)
وإن الوحش يأتيهم جهارًا ولا يخشى لعدى سِهاما
وأنتم ها هنا فيما اشتبهتم نهاركم وليكم التَّامَا^(٦)
صَبَّحَ وَفَدَّكُمْ من وفد قوم ولا تُقُوا التَّحِيَةَ والسلاما

* البداية والنهاية لابن كثير : ١ - ١٢٦ ، مع الأمثال : ١٠ - ١١٥ ، السمعاني : ١ - ٣٢١ ، ٢ : ٤٥٦ .

- (١) رأسوه : جلّوه رئيساً (٢) الجرادتان : منبتان لمعاوية المذكور ، كافتا بمكة .
(٣) قَيْل : هو رئيسهم من عاد . (٤) المينة : الصوت الخفيف ، والراد الدعاء .
(٥) الأيى : جمع الأيم : ومى من لا زوج لها . (٦) التَّامَا : النزول .

فلما غنّهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض : يا قوم ! إنما بشكم قوّمكم
بضموتون^(١) بكم !

فأماوا ليدعوا ، وتخلّف لقمان ، وكانوا إذا دعوا جاءهم نداء من السماء :
أَنْ سَأُوا ما شئتم ، فتعطون ما سألتهم ! فدعوا ربهم ، واستسقوا قومهم ، فأنشأ الله
ثلاث سحابات : بيضاء وحراء وسوداء ، ثم نادى مناد من السماء : يا قَيْلُ ،
اختر قومك ولنفسك واحدة من هذه السحاب !

قال : أما البيضاء فجبّل^(٢) ، وأما الحراء ففَارِض^(٣) ، وأما السوداء فهُبْلُ ،
وهي أكثر ماء ، فاخترها !

فنادى مناد : قد اخترت قومك رَمَادًا رَمِيدًا^(٤) ، لا تَذَر من عاد أحداً ،
لا والداً ولا ولداً !

وسير الله السحابة التي اختارها إلى عاد ونودى لقمان سلّ ، فسأل عُمرَ
ثلاثة^(٥) أنسر ، فأعطى ذلك !

وكان يأخذ فرخ النسر من وَكْرِهِ ، فلا يزال عنده حتى يموت ! وكان آخرها
لُبْدٌ ، وهو الذي يقول فيه النابغة :

أُضْحِثْ خَلَاءَ وَأُضْحِ أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ

(١) غوث الرجل واستغاث : سأل : واغوثاه . (٢) الجبّل : السحاب هراق مائه ومضى .

(٣) المارِض : السحابة الممرضة في الأفق . (٤) الرميد بالكسر : ينتهي في الدقة (٥) يقال سبعة

٢٦ - زيد بن عمرو يتلمس الدين الصحيح*

خرج زيد^(١) بن عمرو إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه ، فلقى عالماً من اليهود ، فسأله عن دينهم . فقال : لعلِّي أدين بدينكم فأخبرني به ؛ فقال اليهودي : إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله . قال زيد بن عمرو : لا أفرُّ إلا من غضب الله ، وما أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع ، فهل تدلني على دين ليس فيه هذا ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً ، قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم . نفرج من عنده وتركه .

فأتى عالماً من علماء النصارى ، فقال له نحواً مما قال لليهودي . فقال له النصراني : إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ، قال : إني لا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنا أستطيع ، فهل تدلني على دين ليس فيه هذا ؟ فقال له نحواً مما قال لليهودي ؛ لا أعلمه إلا أن يكون حنيفاً . نفرج من عندهما وقد رضوا بما أخبراه واتفقا عليه من دين إبراهيم ، فلما برز رفع يده ، وقال : اللهم إني على دين إبراهيم .

* الأغانى : ٣ - ١٢٦٠ .

(١) كان زيد بن عمرو أحد من اعتزل عبادة الأوثان وامتنع من كل ذابحها وكان يقول : يا مشرقيش ، أرسل الله قطر السماء ، ونبئت بقل الأرض ، ويخلق الساعة فزعى إليه ، وتذهبوها إليه ! تولى سنة ١٧ ق . هـ .

٧ - النمان بن المنذر يتنصّر *

خرج النمان بن المنذر إلى الصيد ومعه عدى بن زيد ، فرثوا بشجرة ، فقال له
عدى بن زيد : أيها الملك ، أتدرى ما تقول هذه الشجرة ؟ قال : لا ، قال تقول :
رُبَّ رَكْبٍ قد أناخوا عندنا يشربون الخمرَ بالماء الزلالِ
عصفَ الدهرُ بهم فاقترضوا وكذلك الدهرُ حالاً بعد حالٍ
ثم جاوز الشجرة فرث بمقبرة ، فقال له عدى : أيها الملك ، أتدرى ما تقول هذه
المقبرة ؟ قال : لا ، قال : تقول :

أيها الركب المغيـو نَ على الأرض المجذون
فكما أنتم كننا^(١) وكما نحن تكونون

فقال له النمان : إن الشجرة والمقبرة لا تتكلمان وقد علمت أنك إنما أردت
عظمتي ، في السبيل التي تُدرك بها النجاة ؟ قال : تدع عبادة الأوثان وتعبدُ الله ،
وتدبرُ بدين المسيح عيسى بن مريم ، قال : أوفى هذا النجاة ؟ قال : نعم ،
فتنصّر يومئذ !

* الأغانى : ٢ - ٩٦ .

(١) جاء في الأغانى : أن الشعر من مجزوء الرمل السبع وتقطيعه :

فاعلان فاعلان فاعلان فاعلان

فيكون على هذا غير موزون .

٢٨ — طَرِيفَةُ الْكَاهِنَةِ *

كانت العارةُ في أرض سَبَا أزيد من مَسِيرَةِ شَهْرَيْنِ لِلرَّاكِبِ الْمَجْدِ ، وكان أهلُهَا يَتَقَبَّسونَ النَّارَ بِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَسِيرَةِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ مَزُقُوا كُلَّ مَزُقٍ : وكان أَوَّلُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْيَمَنِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ عَزْرُوبُ بْنُ عَلَمَرٍ مَزَبَقِيَاءَ ^(١) ، وكان سببُ خروجه أَنَّهُ كانت له زوجةٌ كَاهِنَةٌ ، يقال لها طَرِيفَةُ الْخَلِيرِ ، وكانت رأت في منامها أَنَّ سَحَابَةً غَشِيَتْ أَرْضَهُمْ ، فَأَرَعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ ، ثُمَّ صَعَقَتْ ^(٢) فَأَحْرَقَتْ كُلَّ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ . فَفَزِعَتْ طَرِيفَةُ لِلذَّكَاءِ فَرَعَا شَدِيداً وَأَتَتْ لِلَّيْلِ عَمَرًا ، وَهِيَ تَقُولُ : « مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ، أَزَالُ عَنِّي النَّوْمَ ! رَأَيْتُ غَيًّا أَرَعَدَ وَأَبْرَقَ وَزَجَجَرَ وَأَصْصَقَ ، فَاوْقَعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَحْرَقَ » . فَلَمَّا رَأَى مَا دَاخِلَهَا مِنَ الْفَزَعِ سَكَنَتْهَا .

ثُمَّ إِنْ عَمَرًا دَخَلَ حَدِيقَةً لَهُ ، وَمَعَهُ جَارِيتَانِ مِنَ جَوَارِيهِ ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ طَرِيفَةَ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ وَخَرَجَ مَعَهَا وَصِيفٌ ^(٣) لَهَا اسْمُهُ سِنَانٌ ؛ فَلَمَّا بَرَزَتْ مِنْ بَيْتِهَا عَرَضَ لَهَا ثَلَاثُ مَنَاجِدَ ^(٤) مُنْتَصِبَاتٍ عَلَى أَرْجُلِهِنَّ ، وَاضْمَاتُ أَبْدِينِ عَلَى أَعْيُنِهِنَّ ، فَتَعَدَّتْ إِلَى الْأَرْضِ وَاضْمَةً يَدِيهَا عَلَى عَيْنَيْهَا ، وَقَالَتْ لَوْصِيفِيهَا : إِذَا ذَهَبْتَ هَذِهِ الْمَنَاجِدَ فَأَخْبِرْنِي . فَلَمَّا ذَهَبَتْ أَخْبَرَهَا ، فَانْطَلَقَتْ مُسْرِعَةً ، فَلَمَّا عَارَضَهَا الْخَلِيجُ الَّذِي فِي حَدِيقَةِ عَمْرٍو وَتَبَّتْ مِنَ الْمَاءِ سُلْحَفَةً ، فَوَقَعَتْ فِي الطَّرِيقِ عَلَى ظَهْرِهَا ، وَجَعَلَتْ

* شرح مقامات الحريري : ١ - ٢٦٥ ، بلوغ الأرب : ٣ - ٢٨٣ ، بحم الأنشال : ١ - ٢٥٢ ، السجودي : ١ - ٣٤٤ ، معجم البلدان : مأرب .

(١) ملك اليمن ، ومزبقياء : لقبه ، فقد كان يلبس كل يوم حللين ويمزقها بالمشى ، يكره العود فيها ، ويأثم أن يلبسها غيره . (٢) أصابت بصاعقة: وهي نار تسقط من السماء مع الرعد الشديد . (٣) الوصيف : الخادم ، غلاما كان أو جارية . (٤) هي دواب تشبه البرابيع ، واليهربوع : دويبة نحو العارة . لكن ذنبه وأذنيه أطول منها ، ورجليه أطول من يديه .

تَرُومَ الاقْلابَ فلا تَسْتَطِيعُ ، وتَسْتَمِينُ بِذَنبِهَا فَتَحْشُو التُّرَابَ عَلَى بَطْنِهَا مِنْ جَنَابَتِهَا ،
وَتَقْذِفُ بِالْبُولِ قَذْفًا .

فلما رأتها طرفةُ جلست إلى الأرض ، فلما عادت السلحفاةُ إلى الماء مضت
طرفةُ إلى أن دخلت على عمرو ، وذلك حين انْتَصَفَ النَّهَارُ في ساعة شديدة حرًّا؟
فإذا الشجرُ يتسكفاً^(١) من غير ريح ، فلما رآها استحيا منها ، وأمر الجاريتين
بالانصراف إلى ناحية ؛ ثم قال لها : هلمّي باطرفية ، فكهنّت^(٢) له ، وقالت :
« والنور والظلماء ، والأرض والسماء ؛ إن الشجرَ كهالك ، وليعودنّ الماء كما كان
في الزمن السالك » .

قال عمرو : من أخبركِ بهذا ؟ قالت : أخبرني المناجد ، بسنين شذائد ، يقطع
فيها الولدُ الوالد . قال : ماقولين ؟ قالت : « أقول قول النذمان كهنا ، لقد رأيت
سلحفاً^(٣) ، تجرفُ الترابَ جرفًا ، وتقذفُ بالبول قذفًا » ؛ فدخلتُ الحديقة ، فإذا
الشجر من غير ريح يتسكفاً !

قال : ما تَرَيْنَ في ذلك ؟ قالت : هي داهية دهياء^(٤) من أمور جسيمة ،
ومصائب عظيمة اقل : وما هو وبك ؟ قالت : « أجل ؛ إن فيه الويل ، ومالك
فيه من قَيل^(٥) ، وإن الويل فيما يحى به السيل ! »

فالتقى عمرو نفسه عن فراشه ، وقال : ماهذا باطرفية ! قالت : « حَطَبٌ جليل ،
وحُزْنٌ طويل ، وخَافَ^(٦) قليل ! » قال . وما علامة ما تذكّرين ؟ قالت : « اذهب
إلى السدِّ ، فإذا رأيت جُرْدًا^(٧) يُكثِرُ بيديه في السدِّ الحُفْرَ ، ويقلبُ برجليه
من أجل الصخر ، فاعلم أن عمَرَ النَّمْرِ^(٨) ، وأن قد وقع الأمر » .

(١) يَبِيلُ (٢) كهن له : قفى له بالقب (٣) السلحفاة (٤) داهية دهياء : شديدة

(٥) قال قيس : نام في القاعة ، وهي نصف النهار ، والمراد الإقامة والمكث .

(٦) الخلف : ما استغلغته من شيء . - (٧) غروب من الفتران . (٨) النم : لواء الكثير .

(٦ - قصص - أول)

قال : وما الذى تذكرين أنه يقع ؟ قالت : « وعدُّ من الله تعالى نزل ، وباطل بطل ، ونكالٌ بنا نكل ؛ فبغيرك يا عمرو يكون النكل ^(١) » !
فانطلق عمرو فإذا الجُرَذُ بقلب برجليه صخرةً مابقلهاً خسون رجلاً ، فرجع إلى طَريقه فأخبرها الخُمر ، وهو يقول :

أُبَصِّرْتُ أَمْرًا عَادَى مِنْهُ أَلَمٌ وَهَاجَ لِي مِنْ هَوَاهُ بَرْحُ السَّمَ ^(٢)
مِنْ جُرَذٍ كَفَعَلَ خَنْزِيرَ الْأَجَمِ ^(٣) أَوْ كَبَشَ صِرْمٍ ^(٤) مِنْ أَفَارِيقٍ ^(٥) النَّهْمِ
يَسْحَبُ صَخْرًا مِنْ جَلَامِيدِ الْعَرَمِ لَهُ مَخَالِبُ وَأَنْيَابُ قَصْمٍ ^(٦)
* مَا فَاتَهُ سَحْلًا ^(٧) مِنْ الصَّخْرِ قَصْمٍ ^(٨) *

فَقَالَتْ طَرِيفَةٌ : وَإِنْ عِلَامَةُ ذَلِكَ الِذَى ذَكَرْتَهُ لَكَ أَنْ تَجْلِسَ فَتَأْمُرَ بِزُجَاجَةٍ
فَتَوْضَعُ بَيْنَ يَدَيْكَ فَإِنَّ الرِّيحَ تَمْلُؤُهَا مِنْ تَرَابِ الْبِطْحَانِ مِنْ سِهْلَةٍ ^(٩) الْوَادَى
وَزَمَلِهِ ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْجِنَانِ مُظَلَّلَةٌ لَا يَدْخُلُهَا شَمْسٌ وَلَا رِيحٌ .
فَأَمَرَ عَمْرُو بِزُجَاجَةٍ فَوَضَعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَمْ تَمْسُكْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى امْتَلَأَتْ
مِنَ التَّرَابِ ، فَأَخْبَرَهَا بِذَلِكَ ، وَقَالَ لَهَا : مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ الْخُرَابُ الِذَى يَحْدُثُ
فِي السَّدِّ ؟ قَالَتْ : فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَبْعَ سَنِينَ . قَالَ : فَنَى أَيُّهَا يَكُونُ ؟ قَالَتْ :
لَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَوْ عَلِمَهُ أَحَدٌ لَمَلَعَتْهُ ، وَإِنَّهُ لَا تَأْتِي عَلَى لَيْلَةٍ فِيمَا بَيْنِي
وَبَيْنَ سَبْعِ السَّنِينَ إِلَّا خَلَنْتُ هَلَاكَهُ فِي غَدِهَا أَوْ مَسَائِهَا !

(١) النكل : كذب وقفل : الموت والملاك . (٢) البرح : الشدة . (٣) الأجم : جمع أجة ، وهو الصخر الكثير اللث . (٤) الصرم : الجماعة . (٥) الأفاريق : الفريق تجمع على فرق ، وجمعت في الشعر على أفارق وجمع الجمع أفراق وجمعه أفاريق . (٦) قصم قضا : أكمل بأطراف أسنانه . (٧) سحله : قشره ونحته . (٨) قصم : كسر . (٩) السهلة : تراب كالرمل يجرى به الماء .

ثم رأى عمرو في منامه سَيْلَ الْعَرَمِ^(١) ، وقيل له : إِنْ آيَةَ ذَلِكَ أَنْ تَرَى
الْحَصْبَاءَ قَدْ ظَهَرَتْ فِي سَفِّ النَّخْلِ ؛ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَوَجَدَ الْحَصْبَاءَ قَدْ ظَهَرَتْ فِيهَا ، فَعَلِمَ
أَنَّهُ وَاقِعٌ ، وَأَنَّ بِلَادَهُمْ سَتَخَرَّبُ .

فَكُتِمَ ذَلِكَ ، وَأُجْمِعَ عَلَى بَيْعِ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ بِأَرْضِ مَأْرِبَ ، وَأَنْ يُخْرَجَ مِنْهَا
هُوَ وَوَلَدُهُ ؛ ثُمَّ خَشِيَ أَنْ تُنْكَرَ النَّاسُ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ أَحَدَ أَوْلَادِهِ إِذَا دَعَاهُ
لِمَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ أَنْ يَقْبِضَ عَلَيْهِ^(٢) ، وَأَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ فِي اللَّأْمِ مِنَ النَّاسِ ؛ وَإِذَا
لَطَمَهُ يَرْفَعُ هَوْدَهُ ، وَيَلْعَلِمُهُ .

ثُمَّ صَنَعَ عَمْرُو طَعَامًا ، وَبَثَّ إِلَى أَهْلِ مَأْرِبَ : إِنْ عَمَرَآ قَدْ صَنَعَ طَعَامًا يَوْمَ
تَجْدٍ وَذَكَرَ ، فَاحْضَرُوا طَعَامَهُ !

فَلَمَّا جَلَسَ النَّاسُ لِلطَّعَامِ جَلَسَ عِنْدَهُ ابْنُهُ الَّذِي أَمَرَهُ بِمَا قَدْ أَمَرَهُ لِحُجْلِ . بِأَمْرِهِ
فَيَقْبِضُ عَلَيْهِ ؛ فَرَفَعَ عَمْرُو يَدَهُ فَلَطَمَهُ ، فَلَطَمَهُ ابْنُهُ ؛ فَصَاحَ عَمْرُو : وَإِذَا لَاهُ يَوْمَ نَفَرَ عَمْرُو !
يَهْبِجُهُ صَبِيٌّ وَيَضْرِبُ وَجْهَهُ ! وَحَلْفَ لِيَقْتُلَنِي ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى تَرَكَهُ ، وَقَالَ :
وَاللَّهِ لَا أَقِيمُ بِمَوْضِعٍ صُنِعَ هَذَا بِي فِيهِ ! وَلَا يَبْعُنُ أَمْوَالِي حَتَّى لَا يَرِثَ بَعْدِي
مِنْهَا شَيْئًا !

قَالَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : اغْتَنَمُوا غَضَبَةَ عَمْرُو ، وَاشْتَرَوْا مِنْهُ أَمْوَالَهُ قَبْلَ
أَنْ يَرَصَّيَ ؛ فَابْتَاعَ النَّاسُ مِنْهُ كُلَّ مَالِهِ بِأَرْضِ مَأْرِبَ ، وَفَتَا بَعْضُ حَدِيثِهِ فِيهَا بَلَنَهُ
مِنْ شَأْنِ سَيْلِ الْعَرَمِ ، فَهَامَ نَاسٌ مِنَ الْأَزْدِ فَبَاعُوا أَمْوَالَهُمْ ؛ فَلَمَّا أَكْثَرُوا الْبَيْعَ
اسْتَنْكَرَ النَّاسُ ذَلِكَ فَأَمْسَكُوا عَنِ الشِّرَاءِ أَفْلًا اجْتَمَعَتْ إِلَى عَمْرُو أَمْوَالُهُ أَخْبَرَ النَّاسَ
بشأن السيل وخرج ، ونفزع لخروجه منها بشر كثير .

(١) العرم : السيل الذي لا يطاق ، وقيل : هو الغمر الشديد ، وقيل : هو اسم واد

(٢) تأبى عليه : امتنع .

٢٩ - عُقَيْرَامَ وَمَرْثَدَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ *

قتل مَرَثَدَ ^(١) بن عبد كلال من غَزَاةٍ غزاها بِنِصْنَامَ كثيرة ، فوفد عليه زعماء العرب وشعراؤها وخطباؤها يهنئونه ؛ فرفع الحجاب عن الوافدين ، وأوسمهم عطلة ، واشتد سروره بهم .

فبينما هو كذلك إذ نام يوما ؛ فرأى رؤيا في المنام أخافته وأذعرته ، فلما انتبه أنسبها ، حتى لم يذكر منها شيئا ، وثبت في نفسه ارتياحه بها ، فانقلب سروره حزنا ، واحتجب عن الوفود ، حتى أساءوا به الظن .

ثم إنه حشر الكهَّان : فجعل يخلو بكاهن بعد كاهن ثم يقول له : أخبرني عما أريد أن أسألك عنه . فيجيبه الكاهن : بأن لا علم عندي ا حتى لم يدع كاهنا عليه إلا كان إليه منه ذلك افتضاع قلته ، وطال أرقه ، وكانت أمه قد تكهنت ^(٢) ، قالت له : أيت اللعن أيها ذلك المان الكواهن ^(٣) أهدي إلى ماتسأل عنه ، لأن أنبأ الكواهن من الجان ، ألف وأظرف من أنبأ الكهان .

فأمر بمشرك الكواهن إليه ، وسألهم كما سأل الكهان ، فلم يجد عند واحدة منهن علما مما أراد علمه ، ولما يس من طلبته سلا عنها ، ثم إنه بعد ذلك ذهب يتصيد ، فأوتل ^(٤) في طلب الصيد ، وانفرد عن أصحابه ، فرقت له آيات من

* بلوغ الأرب : ٣ - ٢٩٦ ، الأغانى : ١٠ - ٢٩ .

(١) هو أخو تبع بن حسان لأمه ، وكان ذاريا وبأس وجود ، وملك إحدى وأربعين سنة .

(٢) تكهنت : قصت بالنيب . (٣) الكواهن : جمع كاهنة . (٤) أوغلى طلب الصيد : بالغ في ذلك وأسن .

ذَرَا^(١) جبل ، وكان قد لَفَّحَهُ^(٢) الهَجِيرُ ، فعدَل إلى الأبيات ، وقصد بيتاً منها منفرداً عنها ، فبرزت إليه منه عجوز ، وقالت له : انزِلْ بِالْحَبِّ والسَّعَةِ ، والأَمْنِ والدَّعةِ والجَفْنَةِ المُدَّعَةِ^(٣) ، والمَلْبَةِ^(٤) للثَّرَعَةِ .

فَنَزَلَ عن جَوَادِهِ ، ودخلَ البيت ، فلما احتجبَ عن الشمس ، وخفت عليه الأرواح^(٥) ، نام فلم يستيقظ حتى تصرَّم الهَجِيرُ ، فجلس يسحُ عينيه ، فإذا بين يديه فتاةٌ لم يرَ مثلاً قواماً ولا جالاً ؛ فقالت : أبيت اللعن أيها الملك الهُمَام ! هل لك في الطعام ؟ فاشتدَّ إشفافُهُ ، وخاف على نفسه لما رأى أنها عرفته ، وتسامَّ عن كلمتها ، فقالت له : لا حَذَرَ ، فِذَاكَ البَشَرُ ، فبُذِكَ الأكبر ، وحفظنا بك الأَوْفَرَ . ثم قَرَّبَتْ إليه ثريداً وقديداً وحَيَساً^(٦) ، وقامت تَدُبُّ عنه حتى انتهى أَسْكَلُهُ ، ثم سقته لبناً صَرِيحاً وَصَرِيحاً^(٧) ، فشرب ما شاء ، وجعل يتألمها مُعْبِلَةً مُدْبِرَةً ، فَلَاتَ عينه حُسناً ، وقلبه هَوًى ، قال لها : ما اسْمُكِ يا جارية ؟ قالت : اسمي عَفِيرَاءُ ، قال لها : يا عَفِيرَاءُ ، مَنْ الذي دعوته بالملك الهُمَام ؟ قالت : مَرَمِّدُ العَظِيمِ الشَّانِ ! حاشِرُ الكواهن والكُهَّانِ ، لِمُعْضِلَةٍ^(٨) بَعُدَ عنها الجِلَانُ !

قال : يا عَفِيرَاءُ ، أتعلمين تلك للمعضلة ؟ قالت : أجل أيها الملك ! إنهما رؤيا مَنَام ؛ ليست بأضغاث أحلام !

قال الملك : أصبتِ يا عَفِيرَاءُ ! فما تلك الرؤيا ؟ قالت : رأيتُ أعاصير^(٩) زوايح ،

-
- (١) ذرا الجبل : كفته وستره . (٢) لفحه : أحرقه ، والهجير : نصف النهار وشدة الحر .
(٣) الجفنة : القصة ، والمُدَّعة : التي ملئت بقوة ثم حركت حتى تراس ما فيها ، ثم ملئت بعد ذلك
(٤) الملبية : إناء من جلد الإبل أو من خشب يحلب فيها ، وللثَّرَعَةِ : اللبوة .
(٥) الأرواح : جمع رُوح . (٦) الحَيَسُ : اللحم اللين ، والمليس : تمر وأقط وسمن .
(٧) الصريف : الإبن آن الحلاب يصرف من الضرع إلى الشارب . والصريف : اللبن الذي
يحلب من عدة للاح في إناء واحد فيضرب به يمين . (٨) المعضلات : الشدائد . وبعد عنها
الجلان : لم يطقوها . (٩) الأعاصير الزوايح : هي من الرياح ما يثير التراب فيعليه في الجلو ويديره .

بعضها لبعض تابع ، فيها لَهَبٌ لامع ، ولها دُخَانٌ ساطع ^(١) يقفوها نهرٌ مُتَدَافِع ،
وممَّعتَ فيما أنتَ سامع ، دعاءَ ذى جَرَس ^(٢) صادع : هلموا إلى المَشارِع ^(٣) ؛ فَرَوَى
جارِع ^(٤) ، وغَرِقَ كَارِع ^(٥) !

قال الملك : أَجَل ! هذه رؤىاى ! فما تأويلها يا عَفِراء ؟ قالت : الأعاصير
الزوابع ملوك تباع ^(٦) . والنهر علم واسع . واللواعى نبي شافع . والجارِع ولى تابع
والكارِع عدو متازع !

قال الملك : يا عَفِراء أَسَلِمَ هذا النبي أم حرب ؟ قالت : أَقْسِمُ برافع السماء ؛
ومُنْزِلِ الماء من العَمَاء ^(٧) ، إنه لَسَطِلٌ ^(٨) السماء وَمُنْطِقٌ ^(٩) المقاتل نَطَقُ الإمام .
قال الملك : إلآمٌ يدعى يا عَفِراء ؟ قالت : إلى صلاةٍ وصيامٍ وكَسْرِ أصنام .
وتعطيل أَرْزَام ^(١٠) ، واجتناب آثام !

قال الملك : يا عَفِراء ؛ إذا ذبح قومُه فَمِنْ أَعْضَادِهِ ^(١١) ؟ قالت أَعْضَادُهُ
عَفَّارِيف ^(١٢) يَمَانُون ، طائرُهم به ميمون ، يُفَرِّجُهُمْ فَيَفْرُزُون ؛ وَيَدْمَتُ ^(١٣) بِهِم
العُزُون ، وإلى نَصْرِهِ يَمْتَرُونَ !

فأطرق الملك يُوَائِر ^(١٤) نَفْسَهُ في خُطْبَتِهَا ؛ فقالت : أَيْتَ اللعن أيها الملك !
إن تابى غَيُور ، ولأمرى صَبُور ، والكَلْفُ بى مُبُور ^(١٥) .

فنهض الملك ، وحَالَ ^(١٦) في صَهْوَةٍ جَوادِهِ وانطلق ؛ فبعث إليها بمائة ناقة كَوْماء ^(١٧) !

(١) ساطع : مرتفع . (٢) الجرس : الصوت . (٣) المَشارِع : جمع مشرفة وهي التي ينحدر
إليها الماء . (٤) أى من شرب جرعا روى . (٥) أى ومن آمن في الشرب فرق .
(٦) التبايع جمع تبع ، وهو لقب للوك الذين . (٧) الماء : السحاب الكثيف .
(٨) طل دمه : حذر ، أو ألا يتأثر به . (٩) منطلق المقاتل : الكرام من النساء ؛ أى
يذهبن فيشددن الطلق على أوساطهن كالإمام للفهنة والمنفعة .

(١٠) الأَرْزَام : سهام كانوا يمتسون بها في الجاهلية ؛ أى يطلبون معرفة ما قسم لهم .
(١١) الأَعْضَاد : الأنصار ؛ أى إذا قتلوه وتركوا نهرته . (١٢) العَفَّارِيف : البادة ،
وتريد الأنصار وهم من أهل اليمن . (١٣) يدمت : يسهل . (١٤) يؤامر نفسه : يشاور .
(١٥) بُور : هلاك . (١٦) حال : أى وب واستوى ، والصهوة : مقعد القارس من ظهر
فرسه . (١٧) الكَوْماء : الناقة العظيمة السنام .

٣٠ — كاهنة بنى سَعْد*

نَذَرَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ أَنَّهُ مَتَى رَزَقَ عَشْرَةَ أَوْلَادٍ ذَكَوَرًا ، وَرَأْمَ بَيْنَ
يَدَيْهِ رَجُلًا أَنْ يَنْجَرَ أَحَدَهُمْ عِنْدَ الْكَتْمَةِ شُكْرًا لِرَبِّهِ !
فَلَمَّا اسْتَكْمَلَ وَلَدُهُ الْمَدَدَ ، وَصَارُوا مِنْ أَظْهَرِ الْمَدَدِ ، قَالَ لَهُمْ : يَا بَنِيَّ ؛
كُنْتُ نَذَرْتُ نَذْرًا عَلِمْتُمُوهُ قَبْلَ الْيَوْمِ ، فَمَا تَقُولُونَ ؟

قَالُوا : الْأَمْرُ لَكَ وَإِلَيْكَ . وَنَحْنُ بَيْنَ يَدَيْكَ ! قَالَ : لِيَنْطَلِقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ
إِلَى قَدْحِهِ ^(١) ، وَلِيَكْتُبَ عَلَيْهِ اسْمَهُ ، فَعَمَلُوا ؛ ثُمَّ أَتَوْهُ بِالْقِدَاحِ فَأَخَذَهَا .
ثُمَّ دَعَا بِالْأَمِينِ الَّذِي يَضْرِبُ بِالْقِدَاحِ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ قِدَاحَهُمْ ، وَقَالَ : حَرِّكْ
وَلَا تَمَجَّلْ .

وَكَانَ أَحَبُّ وَلَدِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ . فَضَرَبَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ السَّهْمَ ،
فَخَرَجَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ؛ فَأَخَذَ عَبْدَ الْمَطْلَبِ الشُّفْرَةَ ^(٢) ، وَأَتَى بِعَبْدِ اللَّهِ وَأَضْجَعَهُ بَيْنَ
إِسَافٍ ^(٣) وَنَائِلَةٍ .

وَهُمْ يَذْبَحُهُ ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ ابْنُهُ أَبُو طَالِبٍ ، وَكَانَ أَخَا عَبْدِ اللَّهِ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ ،
وَأَمْسَكَ بِيَدِهِ عَنْ أَخِيهِ .

فَلَمَّا سَمِعَ بَنُو غَزْوَمَ بِذَلِكَ - وَكَانُوا أَخْوَالَهُ - وَثَبُوا إِلَى عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فَقَالُوا :
يَا أَبَا الْحَارِثِ ، إِنَّا لَأَنْسِلُ إِلَيْكَ ابْنَ أَخْتِنَا لِلذَّبْحِ ، فَاذْبَحْ مَنْ شِئْتَ مِنْ
وَلَدِكَ غَيْرِهِ !

* بلوغ الأرب : ٣ - ٤٦ ، ابن هشام : ١ - ١٠٣ ، الطبري : ٢ - ١٧٤ .
(١) القدح : السهم . (٢) الشفرة . الكين العظيم . (٣) إساف ونائلة : منبان كانا
لنزيش ، وضما عمرو بن لحي على الصفا والمروة ، وكان يذبح عليهما نساء الكعبة .
(٦ - قصص العرب - أول)

قال : إني نذرتُ نذراً ، وقد خرجَ القِدْحُ ، ولا بدَّ من ذبحه ! قالوا : كلاً ! لا يكونُ ذلك أبداً ، وفيما رُوح ؛ ولما انقضى به جميعُ أموالنا من طارفيه وتآله . ثم وثب الساداتُ من قريش إلى عبد المطلب ، قالوا : يا أبا الحارث ؛ إن هذا الذي عزمْتَ عليه لمُظِمْ ، وإنك إن ذبحتَ ابنَكَ لم تَهْنَأْ بالعيش من بعده ، ولكن ثَبَّتْ حتى نصيرَ مَعَكَ إلى كاهنةِ بني سعد ، فما أمرتْكَ من شيء فامتثلْهُ . قال عبد المطلب : لكم ذاك .

ثم خرج في جماعةٍ من بني عَجْزٍ نحو الشام^(١) إلى الكاهنة ؛ فلما دخلوا عليها أخبرها عبدُ المطلب بما عزمَ عليه من ذبحِ ولده . فقالت الكاهنة : انصرفوا عني اليوم . فانصرفوا .

وعادوا من النَّدْرِ ، فقالت : كم ديةُ الرجلِ عنْدكم ؟ قالوا : عشر من الإبل . قالت : فارجعوا إلى بلدكم ، وقربوا هذا النِّلام الذي عزمَ على ذبحه ، وقد موأمه عشرًا من الإبل ، ثم اضربوا عليه وعلى الإبل القِدْحَ ، فإن خرجَ القِدْحُ على الإبل فاعمروها ، وإن خرج على صاحبكم فزبلوا على الإبل عشرًا عشرًا حتى يَرْضَى ربكم .

فانصرف القومُ إلى مكة ؛ وأقبلوا عليه يقولون : يا أبا الحارث ؛ إن لك في إبراهيمِ أسوةً حسنة ؛ فقد علنتَ ما كان من عزمه على ابنه إسماعيل وأنت سيدُ ولد إسماعيل ، قدَّم مالك دون ولدك !

فلما أصبحَ عبدُ المطلب قَرَّبَ عَبْدَ اللَّهِ وعشرًا من الإبل ، ثم دعا بأمينِ القِدْحِ وجعل لابنه قِدْحًا ، وقال : اضرب ولا تَعْجَلْ فخرجَ القِدْحُ على عبد الله ،

(١) في سيرة ابن هشام والطبري : فامتلقوا حتى قدموا المدينة .

فجعلها عشرين ، فضرب نخرج على عبد الله ؛ فجعلها ثلاثين فضرب نخرج القِدْح على عبد الله ؛ فجعلها أربعين ، . . . وكلما خرج القِدْح على ابنه زادها عشراً ، حتى جعلها مائة ، فضرب نخرج القِدْح على الإبل ، فكبر عبدُ الله وكبرت قريش ، وقالت : يا أبا الحارث ؛ إنه قد رضى ربُّك ، وقد نجا ابنُك من الذبح .
فقال : لا والله حتى أضربَ عليه ثلاثاً ! فضرب الثانية نخرج على الإبل ، فضرب الثالثة نخرج على الإبل ، فلم عبدُ للطلب أنه قد بلغ رضا ربه في فداء ابنه .

فقرَّبَت الإبلُ وهي مائة من جِلَّةِ إبلِ عبد للطلب ، فَنَحَرَتَ كلها ، فداء لعبد الله ، وتُرِكَتْ في مواضعها ، لا يُصَدُّ عنها أحدٌ ينتابها ممن دبَّ ودرج^(١) ؛ وانصرف عبد للطلب بابنه عبد الله فرحاً .

(١) درج : مئى ، ودب : مئى على هيئته ، والتقصود كل واحد .

٣١ - كهانة سَطْلِيح *

لما كانت الليلة التي وُلد فيها رسولُ الله اَرْتَحِسُ ^(١) إِيوانُ كَسْرَى ، وسقطت منه أربعَ عشرةَ شُرْفَةً وَخَذَتْ نَارُ فَارِس ، ولم تَحْمَدْ قَبْلَ ذَلِكَ مِائَةَ عَامٍ ، وَغَاضَتْ بِحُجْرَةٍ سَاوَةً ، وَرَأَى الْمُوَبِّذَانِ إِبِلًا صِغَابًا ^(٢) ، تَقُودُ خَيْلًا عَرَابًا ^(٣) ، قَدْ قَطَعَتْ دِجْلَةَ وَانْقَشَرَتْ فِي بِلَادِهَا .

فَلَمَّا أَصْبَحَ كَسْرَى أَفْزَعَهُ مَا رَأَى ، فَصَبَرَ تَشَجُّعًا ، ثُمَّ رَأَى أَنَّ يَكْتُمُ ذَلِكَ عَنْ وَزَرَائِهِ وَمَرَازِيئِهِ ^(٤) ؛ فَلَبِسَ تَلَاجُهُ ، وَقَعَدَ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَجَمَعَهُمْ إِلَيْهِ . فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَخْبَرَهُم بِاللَّيْلِ بَعَثَ إِلَيْهِمْ فِيهِ ؛ فَيُنَادِيهِمْ كَذَلِكَ إِذْ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ بَحْمُودِ النَّارِ ؛ فَازْدَادَ غَمًّا إِلَى غَمِّهِ ، فَقَالَ الْمُوَبِّذَانِ ^(٥) : « وَأَنَا - أَصْلَحَ اللَّهُ الْمَلِكُ قَدْ رَأَيْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ رُؤْيَا ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الرُّؤْيَا فِي الْإِبِلِ ، يَقَالُ لَهُ : وَأَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ هَذَا يَا مُوبِّذَانِ ، وَكَانَ أَعْلَمُهُمْ عِنْدَ نَفْسِهِ بِذَلِكَ - فَقَالَ : مَا عِنْدِي فِيهَا وَلَا فِي تَأْوِيلِهَا شَيْءٌ ، وَلَكِنْ أُرْسِلُ إِلَى عَامِلِكَ بِالْحُجْرَةِ نُوْحَةُ إِلَيْكَ رَحْلًا مَمْلُوءًا ، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ عِلْمٍ بِالْحَدِثَانِ . فَكَتَبَ عِنْدَ ذَلِكَ : « مِنْ كَسْرَى مَلِكِ الْمُلُوكِ إِلَى التَّنْمَنِ بْنِ الْمَنْزَرِ ، أَمَّا بَعْدُ ، فَوَجِّهْ إِلَى رَجُلًا عَالِمًا بِمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهُ » فَوَجَّهَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنُ عَمْرِو بْنِ مَبْقِيَلَةَ ^(٦) النَّسَائِي .

فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ ، قَالَ لَهُ : أَعْنَدُكَ عِلْمٌ بِمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلُكَ عَنْهُ ؟ قَالَ : لِيُخْبِرْنِي

* السيرة الحلبية : ١ - ٧٠ ، بلوغ الأرب : ٣ - ٢٨١ ، المقصد الفريد : ٢ - ١٠٨ ، الطبري : ٢ - ١٣١ ، لسان العرب - مادة سَطْلَح ، المقاتل لأبي عيسى : ١ - ٤٦٠ .
(١) ارتحس : ارتجف . (٢) بغير صبيح : غير متفاد . (٣) خيل عراب : عربية مفسوبة إلى العرب . (٤) المرازبة : جمع مرزيان : وهو الفارس السجّاج المقدم على القوم دون الملك . (٥) الموبذان : للجوس كقاضى القضاة للمسلمين . (٦) في اللسان : قبيلة .

الملك فَإِنْ كَانَ عِنْدِي مِنْهُ عِلْمٌ وَلَمْ أَخْبِرْتَهُ بَيْنَ يَمَلِهِ . فَأَخْبِرَهُ بِمَا رَأَى ، قَالَ :
عِلْمُ ذَلِكَ عِنْدَ خَالِي لِي يَسْكُنُ مَشَارِفَ الشَّامِ ، يَقَالُ لَهُ سَطِيع . قَالَ : فَأَتَيْهِ فَاسْأَلْهُ
عَمَا سَأَلْتُكَ وَأَتْنِي بِجَوَابِهِ ، فَرَكِبَ عَبْدُ الْمَسِيحِ رَاحِلَتَهُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى سَطِيعٍ وَقَدَّاشَتْنِي
عَلَى الْمَوْتِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَحَيَّاهُ فَلَمْ يَجِبْهُ ، وَكَلِمَةً فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ ، قَالَ :

أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ غَطْرِيفُ ^(١) الْبَيْنُ أَمْ قَادَ فَلَزَمَ بِهِ شَأْوُ الْعَيْنِ ^(٢)
بِأَفَاصِيلِ أَنْطَلَةِ أُعْيَتِ مَنْ وَمَنْ أَنْتَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنْتَنَ
وَأُمِّهِ مِنْ آلِ ذَنْبِ بْنِ حَجَّجَ أَيْبَسُ قَضْفَاضُ ^(٣) الرَّدَاءِ وَالْبِدَنُ
رَسُولُ قَيْلٍ ^(٤) السُّجْمِ بِسَرَى الْوُوسَنَ لَا يَرْهَبُ الرَّعْدَ وَلَا رَبِّبَ الزَّمَنَ
تَجَوَّبُ بِي الْأَرْضَ عِلْنَدَاةَ شَزَنَ ^(٥) تَرَفَعْنِي وَجَنَ وَتَهَوَّى بِي وَجَنَ
حَتَّى أَتَى حَارِي الْجَلَّاحِي وَالْقَطَنَ ^(٦) تَلَقَّنِي فِي الرِّيحِ بَوَغَاءَ الدَّمَنَ ^(٧)

فَلَمَّا سَمِعَ سَطِيعُ شَعْرَهُ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : عَبْدُ الْمَسِيحِ ، عَلَى جَهْلِ مُشِيح ^(٨) ،
جَاءَ إِلَى سَطِيعَ ، وَقَدْ أَوْفَى عَلَى الضَّرِيحِ ^(٩) إِبْنُكَ مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ ، لَا رَتَبَاسَ
الْإِيوَانَ ، وَخُودَ النِّيرَانَ ، وَرُؤْيَا الْوَبْدَانَ : رَأَى إِبِلًا صِعَابًا ، قُودَ خِيَلًا عِرَابًا ،
قَدْ اقْتَصَحَتْ فِي الْوُدَادِ ، وَانْتَشَرَتْ فِي الْبِلَادِ ؛ ثُمَّ قَالَ : يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ ؛ إِذَا كَثُرَتْ
التَّلَاوَةُ ، وَبُئِثَ صَاحِبُ الْمِرَاوَةِ ^(١٠) ، وَفَاضَ وَادِي السَّمَاءِ ، وَغَاضَتْ بِحِيرَةُ سَاوَةِ ،
وَنَحَدَتْ نَارَ الْفَرَسِ ، فَلَيْسَتْ الشَّامُ لِسَطِيعَ شَامًا ، يَمْلِكُ مِنْهُمْ مُلُوكٌ وَمَلِكَاتُ ، عَلَى هَدَدِ

(١) التطريف : السيد الشريف . (٢) قاد : مات ، وإزلم : ذهب مسرعاً . وشأوه : سببه
إليه ، والعين : ما يتوكل من عاونه . (٣) قضفاض : واسع . (٤) القيل : الملك أو هو
دون الملك . (٥) علنداة : ناقة ضخمة طويلة . وشزون : فيها نشاط . (٦) الوجن : هي
الأرض المليئة بالماء . (٧) القطن : أسفل الظهور . (٨) البوغاء : الغراب الناعم . والدمن :
ماتمن منه أي تجميع . (٩) ضريح : جاد مسرع . (١٠) الضريح : القبر ، والمراد الموت .
(١١) المراوة : الصاع . وصاحب المراوة هو سيدنا عماد ، لأنه كان يملك الصاع كثيراً عند مشيه .

الشرفات ؛ وكل ما هو آت آت ، ثم قبض سطيح مكانه ، ونهض عبد المسيح إلى راحلته وهو يقول :

شمر فإنك ما عمرت شمير لا يفزعك تقريق وتغيير
إن يمس ملك بني ساسان أفرطهم فإن ذا الدهر أطوار دهاير^(١)
فربما رعبا أضحتوا بمنزلة تهاب صولهم أسد مهاير^(٢)
منهم أخو الصرح بهرام وإخوتهم وهم مزان وساير وساير
والناس أولاد علات^(٣) فمن علوا أن قد أقل فهجور وعفور
وهم بنو الأم لما أن رأوا نشبا فذاك بالنيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان في قرن^(٤) فالخير متبع والشر محذور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بقول سطيح . فقال : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا تكون أمور ، ويدور الزمان . فلك منهم عشرة في أربع سنين ، وملك الباقيون إلى زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه !

(١) أفرطهم : تركهم . والدهاير : تصارييف الدهر ونوائبه ، مشتق من لفظ الدهر ليس له واحد من لفظه كباييد . (٢) المهاير : جمع مهيار أو مهير ، وهو الأسد . (٣) أولاد العلات : أولاد أمهات شقي لرجل واحد . (٤) القرن : الخيل .

٣٢ — مَصْرَعُ الْمُزَى *

كانت الْمُزَى شَيْطَانَةً تَأْتِي ثَلَاثَ سَمُرَاتٍ ^(١) يَبْطِنُ نَخْلَةٌ ^(٢). فَلَمَّا افْتَتَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ بَشَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، فَقَالَ لَهُ: إِيَّتَ بَطْنَ نَخْلَةٍ؛ فَإِنَّكَ تَجِدُ ثَلَاثَ سَمُرَاتٍ فَاعْصِدِ ^(٣) الْأُولَى! فَأَتَاهَا فَصَدَّهَا. فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهِ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — قَالَ: هَلْ رَأَيْتَ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَاعْصِدِ الثَّانِيَةَ! فَأَتَاهَا فَصَدَّهَا. ثُمَّ أَتَى النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: هَلْ رَأَيْتَ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَاعْصِدِ الثَّالِثَةَ! فَأَتَاهَا، فَلَمَّا هُوَ بِمَجْشِيَّةٍ نَافِثَةٍ شَعْرَهَا، وَاضِعَةٍ يَدَيْهَا عَلَى عَاتِقِهَا، تَصْرِفُ ^(٤) بِأَنْبِيَاسِهَا، وَخَلْفَهَا دُبْيَةً بَنَ حَرَمَى الشَّيْبَانِي وَكَانَ سَادِنَهَا ^(٥) — فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى خَالِدٍ قَالَ:

أَعُزَّاءُ شَدَى شَدَّةً لَا تُكَذِّبُنِي عَلَى خَالِدٍ أَلْتَقَى الْخِجَارَ وَقَمَرِي!

فَإِنَّكَ إِلَّا قَتَلْتُ الْيَوْمَ خَالِدًا تَبُوءُنِي بِذُلِّ عَاجِلٍ وَتَنْصَرِي

فَقَالَ خَالِدٌ:

بَاعِزُ كُفْرَانِكَ لَا سِبْغَانِكَ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ!

ثُمَّ ضَرَبَهَا فَفَلَقَ رَأْسَهَا، فَلَمَّا هِيَ مُجَمَّةٌ ^(٦). ثُمَّ عَصَدَ الشَّجَرَةَ، وَقَتَلَ دُبْيَةَ السَّادِنِ. ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ: «تِلْكَ الْمُزَى، وَلَا عَزَى يَدْعَا لِلْعَرَبِ! أَمَّا إِنَّمَا لَنْ نُعْبَدَ بَعْدَ الْيَوْمِ».

* الْأَصْنَامُ لِابْنِ الْكَلْبِيِّ: ٢٥.

(١) سَمُرَاتُ جَمِ سَمَرَةٍ، وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ الشَّجَرِ. (٢) بَطْنُ نَخْلَةٍ: قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَدِينَةِ.

(٣) فَاعْصِدُ: فَاقْلَعْ. (٤) تَصْرِفُ: تَصَوِّتُ. (٥) السَّادِنُ: خَادِمُ الْكُفَّةِ وَبَيْتِ الْأَصْنَامِ.

(٦) الْجَم: الْقَحْمُ، وَاحِدَتُهُ يَهَاءُ.

٣٣ - أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ وَرُؤْيَا شَقِّ الصَّدْرِ*

دخل يوماً أُمَيَّةُ^(١) بن أبي الصَّلْتِ على أُخْتِهِ ، وهى تَهَيَّأُ أَدَمًا^(٢) لها ، فأدركه النَّوْمُ ؛ فنام على سَرِيرٍ فى ناحية البيت ، ثم انشَقَّ جانبٌ من السقف فى البيت ، وإذا بطائرَيْنِ قد وقع أحدهما على صدرِهِ ؛ ووقف الآخرُ مكانه ، فشَقَّ الواقعُ صدرَهُ فأخرج قلبه فشَقَّهُ ، قال الطائر الواقع للطائر الذى على صدره : أَوْعَى ؟ قال : وَعَى ، قال : أَقْبِلْ ؟ قال : أبَى . قال : فردَّ قلبه فى موضعه . ثم نهض فأتبعهما أُمَيَّةُ طَرَفَةً ، وقال :

لَيْكُمَا لَيْكُمَا هَانَذَا لَدَيْكُمَا

لابرى ، فأعْطَرَ ، ولا ذو عَشِيرَةٍ فَأَنْتَصِر .

فرَجَّ الطائر فوقه على صدره فشَقَّهُ ، ثم أخرج قلبه فشَقَّهُ ؛ قال الطائر الأعلى : أَوْعَى ؟ قال : وَعَى ، قال : أَقْبِلْ ؟ قال : أبى ؛ ونهض ، فأتبعهما أُمَيَّةُ بصره وقال :

لَيْكُمَا لَيْكُمَا هَانَذَا لَدَيْكُمَا

لا مالَ يَنْفِنِي ؛ ولا عَشِيرَةٍ تَحْمِينِي . فرَجَّ الطائر فوقه على صدره فشَقَّهُ ؛ ثم أخرج قلبه فشَقَّهُ . قال الطائر الأعلى : أَوْعَى ؟ قال : وَعَى . قال : أَقْبِلْ ؟ قال : أبى . ونهض فأتبعهما أُمَيَّةُ بصره . وقال :

* الأغانى : ٤ - ١٢٧ .

(١) كان أُمَيَّة قد نظر فى الكُتُبِ وقرأ ما قبل بئسَ النبي صلى الله عليه وسلم وليس الروح تبعدا ، وجرى الحجر ، وشك فى الأوتان . ولما بئسَ النبي صلى الله عليه وسلم قال . « إنما كنت أرجو أن أكذب . » . ولم يسلم . (٢) تهيب وتقدروه قبل القطع وتقيه انقطعته مزادة أو قرينة أو خفا .

ليكا ليكا هأنذا لديكا

محفوظ بالنم ، محوط من الرب . فرجع الطائر فوق على صدره فشقه ،
وأخرج قلبه فشقه ، فقال الأعلى : أوعى ؟ قال وعى : قال أقبل ؟ قال : أبى .
ونهب فأتبعهما أمية بصرة ، وقال :

ليكا ليكا هأنذا لديكا

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَايُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَا
قالت أخته : ثم انطق السف ؛ وجعل أمية يمسح صدره ، فقلت : يا أخى ،
هل تجد شيئاً ؟ قال : لا ، ولكنى أجد حراً فى صدرى ، ثم أنشأ يقول :
ليقنى كنت قبل ما قد بدالى فى قنآن^(١) الجبال أرمى الوُعولا
اجعل الموت نصب عينيك واحذر غولة الدهر إن الدهر غولا^(٢)

(١) أَلَمْ : ارتكب العلم ، وهو صغار الذنوب . (٢) القنآن : أعلى الجبال ، واحدها قنة .

(٣) كل ما اغتال الإنسان فاعلمه .

٣٤ - أم الموم ؟*

خرج ركبٌ من قَيْفٍ إلى الشام ، وفيهم أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ، فلما قَنَلُوا راجعين نزلوا منزلاً لِيَتَمَشَّوْا بِمَشَاءٍ ، إِذْ أَقْبَلَتْ عَفْطَايَةُ^(١) حَتَّى دَنَتْ مِنْهُمْ ، فَحَصَّبَهَا بِمَضْمَنٍ فِي وَجْهِهَا ، فَرَجَعَتْ ، وَكَفَّتُوا^(٢) سَفَرَهُمْ ، ثُمَّ قَامُوا يَرْحَلُونَ مُتَمِّينَ ، فَطَلَّتْ عَلَيْهِمْ عَجُوزٌ مِنْ وَرَاءِ كَثِيبٍ مُقَابِلٍ لَهَا تَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَا ، فَقَالَتْ : مَا مَعَكُمْ أَنْ تَطْلِعُوا رَجِيئَةً ، الْجَارِيَةُ الْيَتِيمَةَ ، الَّتِي جَاءَتْكُمْ عَشِيَّةً ؟ قَالُوا : وَمَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا أُمُّ الْمَوَامِ ، أَمْتُ^(٣) مِنْذُ أَعْوَامَ ؛ أَمَا وَرَبُّ الْعِبَادِ ، لَتَفْتَرُقَنَّ فِي الْبِلَادِ ؛ وَضَرَبَتْ بِصَاحِهَا الْأَرْضَ ، ثُمَّ قَالَتْ ؛ بَطْلَى إِيَّاهُمْ ، وَنَفَرَى رُكَابَهُمْ ؛ فَوُثِّبَ الْإِبِلُ كَأَنَّ عَلَى ذُرْوَةِ كُلِّ بَعِيرٍ مِنْهَا شَيْطَانًا ، مَا يُمْلِكُ مِنْهَا شَيْءٌ ، حَتَّى افْتَرَقَتْ فِي الْوَادِي .

قال الراوى : فجمناها في آخر النهار من الغد ولم نكد ، فلما أُنْحَنَّاها لِنَرْحِلَهَا طَلَّتْ عَلَيْنَا الْعَجُوزُ ، فَضَرَبَتْ الْأَرْضَ بِصَاحِهَا ، ثُمَّ قَالَتْ كَقَوْلِهَا الْأَوَّلِ ، فَقَالَتْ الْإِبِلُ كَقَوْلِهَا بِالْأَمْسِ ، فَلَمْ تَجْمَعْهَا إِلَّا الْغَدَ عَشِيَّةً ؛ فَلَمَّا أُنْحَنَّاها لِنَرْحِلَهَا أَقْبَلَتْ الْعَجُوزُ ، فَقَالَتْ كَقَوْلِهَا فِي الْيَوْمَيْنِ ، وَنَفَرَتْ الْإِبِلُ .

فقلنا لأُمِيَّةَ : أَيْنَ مَا كُنْتَ تُخْبِرُنَا بِهِ عَنْ نَفْسِكَ ؟ فَقَالَ : أَذْهَبُوا أَنْتُمْ فِي طَلَبِ الْإِبِلِ وَدَعُونِي ؛ فَوُجِّهْ إِلَى ذَلِكَ الْكَتِيبِ الَّذِي كَانَتْ الْعَجُوزُ تَأْتِي مِنْهُ حَتَّى عُلَاهُ ،

* الأغانى : ٤ - ١٢٥ .

(١) العفطاية : دويبة طلاء ، تشبه سم أيرس ، من طبعها أنها تسمى مشياً سريعاً ثم تنف .

(٢) كففت الشيء : ضم بعضه إلى بعض . والفرقة : ما يسط تحت الموان من جف أو غيره .

(٣) أمت المرأة : إذا فقدت زوجها .

وهبط منه إلى وادٍ ؛ فإذا فيه كنيسةٌ وقناديل ، وإذا رجلٌ أبيضُ الرأسِ واللحية مُضطجعٌ معترضٌ على بابها ؛ فلما رأى أميةً قال : لِمَ لَكَ لَمْتُبُوعٌ ، فن أَيْنَ بَأْتِيكَ صاحِبُكَ ؟ قال : من أَدْنَى الْيَسْرِى ؛ قال : فَبَأَى الثِّيَابَ بِأَمْرِكَ ؟ قال : بِالسَّوَادِ ؛ قال : هَذَا خَطِيبُ الْجَنِّ ، كَدَتْ وَاهُّهُ أَنْ تَكُونَهُ ولم تفعل ؛ لِمَ صاحِبَ النُّبُوَّةَ بِأَتِيهِ صاحِبُهُ مِنْ قَبْلِ أَذْنِهِ الْيُمْنَى ، وبَأَمْرِهِ بلباسِ الْبَيَاضِ ، فَمَا جِئْتُكَ ؟ لَخَدَّتُهُ حَدِيثَ الْعَجُوزِ ؛ فقال : هِيَ امْرَأَةٌ يَهُودِيَّةٌ مِنَ الْجَنِّ ، هَلَكَ زَوْجُهَا مِنْذُ أَعْوَامَ ، وَلَمَّا لَمْ يَنْتَهِ تَزَالُ تَصْنَعُ ذَلِكَ بِكُمْ حَتَّى تُهْلِكَكُمْ إِنْ اسْتَطَاعَتْ .

فَقَالَ أُمِيَّةٌ : وَمَا الْحِيلَةُ ؟ فَقَالَ : جَمَعُوا ظَهْرَكُمْ ^(١) ؛ فَإِذَا جَاءَتْكُمْ فَقَعَلْتُ كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ فَقُولُوا لَهَا : « سَبِّعْ مِنْ فَوْقَ ، وَسَبِّعْ مِنْ أَسْفَلَ ، بِأَسْمِكَ اللَّهُمَّ ! فَلَئِنْ تَضَرَّكَمْ .

فَرَجَعَ أُمِيَّةٌ إِلَيْهِمْ وَقَدْ جَمَعُوا الظَّهْرَ ؛ فَلَمَّا أَقْبَلَتْ قَالَ لَهَا مَا أَمَرَهُ بِهِ الشَّيْخُ ، فَلَمْ تَضَرَّهُمْ . فَلَمَّا رَأَتْ الْإِبِلَ لَمْ تَتَحَرَّكَ قَالَتْ : قَدْ عَرَفْتُ صَاحِبَكُمْ ، وَلَيْسَ بِيضْنَ أَعْلَاهُ ، وَلَيْسَ سَوْدَنَّ أَسْفَلُهُ ؛ فَأَصْبَحْ أُمِيَّةٌ وَقَدْ بَرِصَ فِي عِذَارَتِهِ وَأَسْوَدَ أَسْفَلُهُ .

فَلَمَّا قَدِمُوا مَكَّةَ ذَكَرُوا لِمَ هَذَا الْحَدِيثُ ؛ فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا كَتَبَ أَهْلُ مَكَّةَ : « بِأَسْمِكَ اللَّهُمَّ » فِي كُتُبِهِمْ !

(١) الظاهر : الركائب التي تحمل عليها الأثقال في السفر .

٣٥ - عُمارة بن الوليد والسَّوحر *

كان عُمارة^(١) بن الوليد الحزومي قد خرج هو وعمرو بن العاص بن وائل السهمي - وكانا كلاهما تاجرين - إلى النجاشي ، وكانت أرض الحبشة لقريش متَجَرًّا وَوَجْهًا ، وكلاهما مُشْرِك شاعر فأتاك وهما في جاهليتهما ؛ وكان عُمارة مُعْجَبًا بالنساء صاحبٌ مُعْدَنة ، فركبا في السفينة ليلي . وحذِر عمرو على زوجته من عُمارة ، فجعل إذا شرب معه أَقَلَّ عمرو من الشراب ، وأرقَّ لنفسه بالماء ؛ مخافة أن يسكر فينلِّيه عُمارة على أهله .

ثم إن عمرو جلس إلى ناحية السفينة ، فدفعه عُمارة في البحر . فلما وقع فيه سَبَّح حتى أخذ بالْقَاس^(٢) ، فارتفع فظَهَرَ على السفينة . فقال له عُمارة : أما والله لو علمت يا عمرو أنك تُحَسِّن السَّباحة ما فعلتُ ؛ فاضطَّفتها عمرو ، وعلم أنه أراد قتله . فضيا على وجههما ذلك ، حتى قدما أرض الحبشة ونزلاها ، وكتب عمرو بن العاص إلى أبيه العاص : أن أَخْلَنِي^(٣) ، وتبرأ من جريرتي^(٤) إلى بني المغيرة وجميع بني مخزوم . وذلك أنه خشي على أبيه أن يُقْبِع بحيرته وهو يرصد^(٥) لهارة ما يرصد . فلما ورد الكتابُ على العاص بن وائل مشى في رجالٍ من قومه إلى بني المغيرة

* الألفاني : ٩ - ٥٦ .

(١) عُمارة بن الوليد : هو الذي دُفِعَ به قريش إلى أبي طالب حين طلبوا إليه أن يسلم إليهم عمدا (مر) ويأخذوه عوضا عنه . (٢) القاس : حبل غليظ من حبال السفن . (٣) يقولون : إنا خلعتنا فلاناً ، فلا تأخذ أحداً بمجنانية تحبى عليه ، ولا تؤاخذ بمجنانيته التي يجنيها . (٤) جريرتي : جنائتي . (٥) رصده وصدأ : رقبه .

وغيرهم من بنى غزوم ؛ قال : إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتُ ، وكلاهما فانتك صاحبُ شرٍّ ، وهما غيرُ مأمونين على أنفسهما ، ولا ندرى ما يكون ؛ وإنِّي أبرأ إليكما من عمرو من جريرته ، وقد خلعتُهُ .

فقال بنو المغيرة وبنو غزوم : أنت تخافُ عمراً على عمارة ! وقد خلعتنا نحن عمارة ، وتبرأنا إليك من جريرته ، فضلٌ بين الرجلين .

فقال السهميون^(١) : قد قيلنا ؛ فابعثوا منادياً بمكة : إننا قد خلعتناهما ، ونَبَرَأ كلُّ قومٍ من صاحبهم ومماجرِّ عليهم . فبعثوا منادياً ينادي بمكة بذلك . قال الأسود ابن المطلب : بطلَ والله دُمُ عمارة بن الوليد آخرَ الدهر !

فلما اطمانا بأرض الحبشة لم يلبث عمارة أن دبَّ لاسرأة عند النجاشي فأدخلته فاختلف إليها . وجعل إذا رجع يُخبرُ عمرو بن العاص بما كان من أمره . فجعل عمرو يقول : ما أصدقُ أنكَ قد رت على هذا الشأن ! إن للمرأة أرفعُ من ذلك .

فلما أكثر على عمرو بما كان يخبره قال له : إن كنت صادقاً قل لها : تَدَهْنُكَ من دهنِ النجاشي الذي لا يدَهْنُ به غيره . فإني أعرفه ، لو أتيتني به لصدقتُك ! ففعل عمارة فجاء بقارورة من دهنه ؛ فلما شمَّه عَرَفَه . فقال له عمرو عند ذلك : أنت صادق ! لقد أصبت شيئاً ما أصاب أحدٌ مثله قطُّ من العرب ، ونلت من المرأة شيئاً ؛ ما سمعنا بمثله هذا . وكانوا أهلَ جاهلية . ثم سكت عنه ؛ حتى إذا اطمان دخل على النجاشي فقال : أيها الملك ! إن ابن عَمِي سَفِيهٌ ، وقد خشيتُ أن يَمُرَّنِي^(٢) عنك أمره ، وقد أردتُ أن أعليك شأنه ؛ ولم أَفِضْ حتى استبنتُ أنه قد دخل على بعض نساءك ، وهذا من دهنِكَ قد أعطيه ودَهْنِي منه .

(١) السهميون : قوم عمرو بن العاص . (٢) عمره : لطفه بيب .

فلما شتم النجاشي دشمن قال : صدقت . هذا ذهني الذي لا يكون إلا عندي .
ثم دعا بمأرأة ودعا بالسواجر فبرغده من ثيابه فتفخن فيه ، ثم خلى سبيله ؛
فخرج هارباً .

فلما نزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب ؛ فخرج إليه
عبد الله بن أبي ربيعة ، فرصده على ماء بأرض الحبشة ، وكان يرذّه مع الوحش
فورد ، فلما وجد ريح الإنسان هرب ، حتى إذا أجهدته العطش ورد فثرب حتى
تملأ^(١) وغر ، فخرجوا في طلبه .

قال عبد الله بن ربيعة : فسعيت إليه فالتزمته ؛ فجعل يقول لي : يا بجير^(٢) ؛
أرسلني ، يا بجير أرسلني ، إني أموت إن أمسكتوني .

قال عبد الله : وضغطته فمات في يدي مكانه . فواربته ثم انصرفت ، وكان
شعره قد غطى كل شيء منه .

(١) ابتلا .
(٢) كان اسم عبد الله في الجاهلية بجيراً ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

٣٦ - في حفر زمزم *

قال عبدُ المطلب بن هاشم : إني لنأثم في الحجر^(١) إذ أتاني آتٍ ، قال :
 اخفر طيبة^(٢) ، قلت : وما طيبة ؟ فذهب عني . فلما كان من الندى رجعت إلى
 مضجعي ، فمتت فيه ، فجاءني فقال : اخفر برية^(٣) ، قلت : وما برية ؟ فذهب عني .
 فلما كان الندى رجعتُ إلى مضجعي فمتت فيه ، فجاءني فقال : اخفر المصنونة^(٤) ،
 قلت : وما المصنونة ؟ فذهب عني . فلما كان الندى رجعتُ إلى مضجعي ، فمتت فيه
 فجاءني ، فقال : اخفر زمزم ، إنيك إن حفرتها لا تندم . قلت : وما زمزم ؟ قال :
 لا تُنزفُ أبداً ولا تدم^(٥) ، تسقى الحجاج الأعظم ، وهي بين البرث والدم^(٦) ،
 عند قرة الثراب الأعصم^(٧) ، عند قرية^(٨) النمل .

قال ابن إسحاق : فلما بين له شأنها ، ودله على موضعها ، وعرف أنه قد صدق
 غدا بمحوه ، ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب ، ليس معه يومئذ ولد غيره ،
 فحفر فيها .

* سيرة ابن هشام : ٩ - ٩٨ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٢ - ٢٢٤ .

(١) الحجر : ما حواه الحطيم المدار بالكعبة من جانب الشمال . (٢) طيبة - بكسر الطاء : اسم زمزم ، قيل سميت بذلك لأنها للطيبيين والطييات من أولاد إسماعيل . أما طيبة فتقع الطاء فهي اسم لمدينة الرسول . (٣) برية : اسم لزمزم أيضاً . قال في الروض الأنف : هو اسم صادق عليها لأنها هابت للأيرار . (٤) المصنونة : سميت المصنونة ، لأنه ضن بها على غير المؤمنين .

(٥) لا تدم : من قول العرب : بئر ذمة ، أي قليلة الماء ، والمعنى أن ماءها لا ينقطع أبداً .

(٦) روى أنه لما قام ليحفرها رأى ما رسم له من قرية النمل وقررة الثراب ولم ير البرث والدم ، فبينا هو كذلك نادت بكرة من جازرها ، فلم يدركها حتى دخلت المسجد الحرام ، فحفرها في الموضع الذي رسم لعبد المطلب ، قال هناك البرث والدم ، فحفر عبد المطلب حيث رسم له .

(٧) الثراب الأعصم : الذي في جناحه يابس . (٨) شبه مكة - مكان زمزم - التي يرد إليها الحجاج والبار من كل جانب فيعملون إليها البر والشعر وغير ذلك ، وهي لا تحترق ولا تززع ، بقرية النمل التي لا تحترق ولا تززع ولا تبفر ، وتجتلب إليها محبوب من كل جانب .

فلما بدأ له الطَّوِيُّ^(١) كِبَرٌ ، فَرَفَتْ قَرِيشٌ أَنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ سَاجَتَهُ ، فَتَمَلَّوْا
إِلَيْهِ ، فَقَالُوا : يَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ ؛ إِنَّا بَنُو أَيْنَا إِسْمَاعِيلَ ؛ وَإِنَّا لَنَا فِيهَا حَقٌّ ، فَأُثِرَ كِنَا
مَمْلَكٌ فِيهَا . قَالَ : مَا أَنَا فَاعِلٌ ؛ إِنْ هَذَا الْأَمْرُ قَدْ خُصِمْتُ بِهِ دُونَكُمْ ؛ وَأُعْطِيَتْهُ
مِنْ يَدَيْكُمْ . فَقَالُوا لَهُ : فَأَنْصِفْنَا ؛ فَإِنَّا غَيْرُ تَارِكِيكَ حَتَّى نَخَاصِمَكَ فِيهَا ، قَالَ :
فَاجْعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ أَحَاكُمُكُمْ إِلَيْهِ . قَالُوا : كَاهِنَةٌ بِنْتُ سَعْدٍ . قَالَ : نَعَمْ .
وَكَانَتْ بِالشَّامِ .

فَرَكِبَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَرَكِبَ مِنْ
كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قَرِيشٍ نَفَرٌ . وَالْأَرْضُ إِذْ ذَاكَ مَقَاوِزٌ - نَفَرَجُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِيَمِضَ
تِلْكَ الْمَقَاوِزِ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ قَبِيْ مَاءَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَأَصْحَابِهِ ، فَظَمُّوا حَتَّى أَقْبَتُوا
بِالْهَلَكَةِ ، فَاسْتَسْقَوْا مِنْ مَعِهِمْ مِنْ قِبَائِلِ قَرِيشٍ ، فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ ؛ وَقَالُوا : إِنَّا بِمَقَاوِزِ
وَنَحْنُ نَحْتَشِي عَلَى أَنْفُسِنَا مِثْلَ مَا أَصَابَكُمْ .

فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ الْمَطْلَبِ مَا صَنَعَ الْقَوْمُ ؛ وَمَا يَتَخَوَّفُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَصْحَابِهِ قَالَ : مَاذَا
تَرَوْنَ ؟ قَالُوا : مَا أَيْنَا إِلَّا نَتَّبِعُ لِرَأْيِكَ ، فَرَأَيْنَا بِمَا شِئْتَ . قَالَ : فَإِنِّي أَرَى أَنَّ يَحْمُرَ
كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ حُمْرَتَهُ لِنَفْسِهِ بِمَا بِهِكُمْ الْآنَ مِنَ الْقُوَّةِ ، فَكَلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ دَفَنَهُ أَصْحَابُهُ
فِي حُمْرَتِهِ ، ثُمَّ وَارَازُوهُ حَتَّى يَكُونَ آخِرُكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا ؛ فَضِيْعَةُ رَجُلٍ وَاحِدًا يَسْرُ
مِنْ ضِيْعَةِ رَكْبٍ جَمِيعِهِ . قَالُوا : نَعَمْ مَا أَمَرْتَ بِهِ أَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لِحَفَرِ
حُمْرَتِهِ ؛ ثُمَّ قَدْ يَنْتَظِرُ الْمَوْتَ عَطَشًا .

ثُمَّ إِنْ أَعْبَدَ الْمَطْلَبُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : وَاللَّهِ إِنْ إِيْقَانَا بِأَيْدِينَا هَكَذَا لَمَوْتُ -
لَا نَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ ، وَلَا نَبْتَنِي لِأَنْفُسِنَا - لَعَجَزٌ ، فَضَى اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَنَا مَاءً يَبْعِضُ
الْبِلَادَ أَرْحَمَلُوا . فَارْتَحَلُوا ، فَارْتَحَلُوا ، حَتَّى إِذَا فَرَّغُوا وَمِنْ مَعِهِمْ مِنْ قِبَائِلِ قَرِيشٍ يَنْظُرُونَ إِلَى مَا مِمَّ
(١) الطَّوِيُّ : الْبَيْتُ الطَّوِيُّ بِالْحِجَازِ .

فاعلمون ، تقدّم عبد المطلب إلى راحلته فركبها ؛ فلما انبمشت به اضجرت من تحت
خفيها عين من ماء عذب ، فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ؛ ثم نزل فشرب
وشرب أصحابه ، واستقوا حتى ملأوا أسيقتهم .

ثم دعا القبائل من قريش ؛ فقال لهم هلموا إلى الماء فقد سقانا الله ؛ فاشربوا
واستقوا . فجاءوا فشربوا واستقوا ؛ ثم قالوا : والله قد قضى لك علينا يا عبد المطلب ؛
والله لا نخاصحك في زمزم أبداً ؛ إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك
زمزم ! فارجع إلى سقائك راشداً . فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة ،
وخلوا بينه وبينها .

٢٧ - سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ وَالْبَشَارَةُ بِرَسُولِ اللَّهِ*

لَمَّا ظَفِرَ سَيْفُ^(١) بْنُ ذِي يَزَنَ بِالْحَبَشَةِ؛ أَتَى وَفُودُ الْعَرَبِ: خَطَبَاؤُهَا وَأَشْرَافُهَا وَشُمَرَاؤُهَا لَتَهْنِئَتِهِ وَمَدْحِهِ، وَذِكْرِ مَا كَانَ مِنْ بِلَائِهِ وَطَلَبِهِ بِئَارَ قَوْمِهِ. وَقَدِمَ إِلَيْهِ وَفْدُ قُرَيْشٍ، وَفِيهِمْ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ، وَأَسَدُ بْنُ خُوَيْلِدٍ بْنُ عَبْدِ الْمُزَيِّ، فِي نَاسٍ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ. فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَجَدُوهُ فِي رَأْسِ قَصْرِ يُقَالُ لَهُ عُجْدَانٌ، فَاسْتَأْذَنُوا عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُمْ؛ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَإِذَا الْمَلِكُ مُضْمَخٌ بِالْمَنْبَرِ^(٢)، يُرَى وَرَيْضُ الطَّيِّبِ مِنْ مَفْرِقِهِ^(٣)، عَلَيْهِ بُرْدَانٌ مُؤْتَرِّزٌ بِأَحْدَها مُرْتَدٌّ بِالْآخَرِ، سَيْفُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ وَلِلْقَاوِلِ^(٤).

فَدَنَا عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَاسْتَأْذَنَ فِي السِّكْلَامِ؛ قَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ تَمِنُ بِتَسْلُكِي بَيْنَ يَدَيْ الْمُلُوكِ فَذِكْلُكُمْ، فَقَدْ أَذِنَّا لَكَ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنْ أَلَّهِ أَهْلَكَ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - عَحْلَارِ فَيَعَا، صَعْبًا مَنِيعًا، شَاخًا بِإِذْخَا، وَأَنْتَ بَكَتَ مَنِيعًا طَابَتْ أَرْمَتُهُ^(٥)، وَعَزَّتْ جُرُثُومَتُهُ^(٦)، وَثَبَتَ أَصْلُهُ، وَبَسَقَ قَرْعُهُ^(٧). فِي أَكْرَمِ مَوْطِنٍ، وَأَطْيَبِ مَدِينٍ، وَأَنْتَ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - مَلِكُ الْعَرَبِ وَرَبِيعُهَا الَّذِي بِهِ تُخَصِّبُ، وَأَنْتَ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - رَأْسُ الْعَرَبِ الَّذِي إِلَيْهِ تَفْتَادُ، وَتَعُودُهَا الَّذِي عَلَيْهِ الْعِمَادُ، وَمَعْقَلُهَا الَّذِي تَلْجَأُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ، سَائِلُكَ

* البداية والنهاية لابن كثير: ٢ - ٣٢٨، الأغانى: ١٦ - ٧٥، طيبة بولاق، المطبع: ١ - ١٧٥، بلوغ الأرب: ٢ - ٢٦٦، المختار من نوازل الأخبار - عطلوط.

(١) هو ملك اليمن من قبل كسرى أنوشروان، كان يكانه ويصدر عن رأيه إلى أن قتل يده الأحباش قبيل الإسلام. (٢) التضييق: الملقب بالجسم الطيب حتى كأنه يقطر. (٣) الويس: اللعان، ومفرق الرأس: حيث يفرق فيه الشعر. (٤) القاول: جمع مقول، وهو الرئيس دون الملك. (٥) الأرومة: الأصل. (٦) الجرثومة: الأصل. (٧) بسق: طال (٨) من تحيات ملوك العرب في الجاهلية.

خيرُ سلف ، وأنت لنا منهم خيرُ خلف ، ولن تحملَ ذِكْرُ من أنتَ سلفُه ، ولن يهلكَ منَ أنتَ خلفُه . ونحن - أيها الملك - أهلُ حَرَمِ الله وسِدَّةِ بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجتنا ؛ لكشف الكُرب الذي فدحنا ؛ فنحنُ وفدُ التهنئة لا وفدُ المرزئة ^(١) .

قال ابنُ ذِي يَزَن : فأَيُّهم أنتَ أيُّها التكلم ؟ قال : أنا عبدُ المطلبِ بنِ هاشم . قال : ابنُ أختنا ؟ قال : نعم ابنُ أختك . قال : اذنُ ، فأذناه وقال : مرحباً وأهلاً ، وناقّةٌ ورَحْلا ، ومُسْتَنَاحٌ سَهْلاً ، ومِلْكَاءٌ رِيحَلاً ^(٢) ، يُعطى عطاهُ جزلاً . قد سَمِعَ الملكُ مَقَالَتَكم ، وعرفَ قِراَبَتَكم ، وقَبِلَ وَسِيلَتَكم ، فأنتم أهلُ الليلِ والنهارِ ، لكم الكرامةُ ما أفتُم ، وإِلَهِياهُ ^(٣) إذا ظَلَمْتُم . ثم اسْتَنْهَضُوا إلى دار الضيافة والوفودِ ؛ فأقاموا شَهْراً لا يُؤدَّنُ لهم ولا يَصِلُون إليه .

ثم اتَّبعه أَشْبَاهُهُ ؛ فأرسل إلى عبدِ المطلبِ ، فأخلاه ^(٤) وأدنى مجلسه ، وقال : يا عبدَ المطلبِ ؛ إني مُفَضِّلٌ إليه مِن سِرِّي وعلى ما لو كان غيرك لم أُبَيِّحْ له ؛ ولكِنِّي رأيتُكَ مَمْدِنُهُ ، فأطلمتُك عليه ، فأَيُّكُنْ عندك مطوياً حتى يَأْذَنَ اللهُ فيه ؛ فإنَّ اللهَ بالغُ أمرِهِ . إني أُجِدُّ في الكتابِ للكنونِ ، والعلمُ الخزونِ ، الذي اختزناه لأنفسنا ، واحتجبناه دون غيرنا ، خيراً عظيماً ، وخطراً جسيماً ، فيه شرفُ الحياةِ ، وفضيلةُ الوفاةِ ، وهو للناسِ عامةٌ ، ولرَهطِكَ كَافَّةٌ ، ولكِ خاصةٌ .

قال عبدُ المطلبِ : أيُّها الملكُ ؛ فثَلَاكُ من سَرَّ وِبرٍّ ، فاهو ، فذاك أهلُ الوِبرِ ، زُمرًا بعد زُمرٍ .

قال : إذا وَلِدَ بِتِهامةِ غلامٍ بين كُتُفَيْهِ شَامَةٌ ، كانت له الإمامَةُ ولكم به الزَّعامَةُ ، إلى يومِ القيامةِ .

(١) رزاه ماله : أصاب منه شيئاً . ورزاه رزاهاً ومرزئة : أصاب منه خيراً ، أي لسنا وافدين للسلام . (٢) الرجل : الكثير العطاء . (٣) الهباء : العطاء . (٤) أخلاه : خلا به .

قال له عبدُ المطلب : أيتَ اللمن ! لقد أتيتُ بنجرٍ ما أتى بمثله وافد ، فلولا هيبةُ التِّلِكَ وإجلاله وإعظامه ، لسانتهُ مِن كُفِّ بشارته إياي ما أزدادُ به سروراً . قال ابنُ ذِي يَزَن : نبيُّ هذا حينه الذي يولدُ فيه - أو قد وُلِدَ - اسمه أحدٌ ؛ يموت أبوه وأمه ، ويكفله جدُّه وعَمُه ، واللهُ باعثُه جهاراً ، وجاعلُ منَّا له أنصاراً ، يُبرزُ بهم أوليائه ، ويُلدِّلُ بهم أعداءه ؛ يُكسِّرُ الأوثان ، ويُخمدُ النيران ، ويمدِّدُ الرحمن ، ويزجرُ الشيطان ، قوله فصلٌ ، وحكْمٌ عدلٌ ، يأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ ويبيطله .

قال عبد المطلب : أيها الملك ، عزَّ جدُّك ، وعلا كُتُبُك ، وطاب مُدحك ، وطال عُمرُك ! فهل الملكُ سارَّيْ بإفصاح ، قد أَوْضَحَ بعضُ الإيضاح .

قال ابنُ ذِي يَزَن : والبيتُ ذِي الحُجُبِ ، والعلاماتُ والنُصُبُ ^(١) ، إنك يا عبْدَ المطلب ، لجدُّه غيرُ الكَذِبِ . نفَرَ عبدُ المطلبُ ساجداً ثم رفع رأسه ، قال له ابنُ ذِي يَزَن : ارفعِ رأسك ، تَلَجَّ صدرك ، وعلا أمرُك ! فهل أحسستَ شيئاً مما ذُكِرْتُ لك ؟ قال : نعم ، أيها الملك ! كان لي ابنٌ وكنْتُ عليه شقيقاً ، وبه رفيقاً ، فزوَّجته كريمةً من كرائمِ قَوْمِي ، وهى آمنةُ بنتُ وهبِ بنِ عبدِ مناف ، فأتت بسلامٍ تَمَيَّنَتْهُ محمداً ، مات أبوه وأمه ، وكفَلَتْهُ أنا وعَمُه ، بينَ كَفَيْهِ شامةٌ ، وفيه كلُّ ما ذُكِرَ الملكُ من علامة .

قال ابنُ ذِي يَزَن : إن الذي قلتُ لك لَسَما قلتُ ، فاحفظِ بابنِكَ ، واحذرِ عليه من اليهود ، فإنهم له أعداء ، ولن يحملَ اللهُ لهم عليه سبيلاً ، واللهُ مظهرُ دَعْوَتِهِ ، ونامِرُ شَيْعَتِهِ ، فاطلُبْ ما ذُكِرَتْ لك دون هؤلاء الرُّهَط الذين مَكَ ، فإنِّي لستُ آمنُ

(١) النصب : كلُّ ما عُبِدَ من دُونِ الله ، جمعه أنصاب .

أَنْ تَدْخُلَهُمُ النَّفَاسَةُ^(١)، مَنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ الرِّيَاسَةُ، فَيَبْتَغُونَ لَهُ الْفَوَاضِلَ. وَيَنْصَبُونَ لَهُ الْحَبَائِلَ، وَهُمْ فَاعِلُونَ ذَلِكَ، أَوْ أَبْنَاؤُهُمْ، وَلَوْلَا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ يَجْتَنِي خَلْفِي قَبْلَ مَبْعَثِهِ لِسِرْتُ بِخَيْلِي وَرَجُلِي حَتَّى أَصِيرَ بِيَقْرَبَ دَارِ مُلْكِهِ، فَأَكُونَ أَخَاهُ وَوَزِيرَهُ، وَصَاحِبَهُ وَظَهْرَهُ، فَإِنِّي أَجِدُ فِي الْكُتُبِ الْمَسْكُونِ، وَالْعِلْمِ الْحَزُونَ، أَنَّ فِي يَثْرَبَ اسْتَحْكَامُ أَمْرِهِ، وَأَهْلُ نُصْرَتِهِ، وَارْتِفَاعُ ذِكْرِهِ، وَمَوْضِعُ قَبْرِهِ، وَلَوْلَا الْقِدَامَةُ^(٢) لَأُظْهِرْتُ أَمْرَهُ، وَأَوْطَأْتُ الْعَرَبَ كَعَبِي، عَلَى حَدَائِقِ سَنَةِ، وَلَكِنِّي صَارْتُ ذَلِكَ إِلَيْكَ، عَنْ غَيْرِ تَقْصِيرٍ بِكَ.

ثم أمر لكل رجلٍ من القوم بمشقة عبد وعشر إماء سود، وحلتين من حُلِّ اليمن، وخمسة أرمال ذهب وعشرة أرمال فضة، وكريشٍ مملوءةٍ بالعنبر. ولعبد المطلب بشرة أمثال ذلك.

وقال له: إذا حال الحولُ فأتني بأمره وما يكونُ من خبره. فأت ابنُ ذُعَيْنِزَنٍ قَبْلَ أَنْ يَحُولَ الْحَوْلُ.

فكان عبدُ المطلب كثيراً ما يقول: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لَا يَنْبَغِي لِرَجُلٍ مِنْكُمْ أَنْ يَنْزِيلَ عِطَامُ الْمَلِكِ، وَإِنْ كَانَ كَثِيراً، فَإِنَّهُ إِلَى نَفَادٍ، وَلَكِنْ لِيَنْبَغِي لِمَا يَبْقَى لِي وَلِمَتْبَعِي ذِكْرُهُ وَفَخْرُهُ وَشَرَفُهُ.

فإذا قيل له: وما ذاك؟ قال: ستعلمون ما أقولُ لكم بعدَ حينٍ!

(١) النفاسة: الحسد، تأس عليك فلان ينفس نفاً ونفاة: حسدك. (٢) القداماة: كالحرمة تترك - إذا ضيعتها - اللقمة.

٣٨ - بِشَارَةُ بَحِيرَى *

خرج أبو طالب^(١) بن عبد المطلب في ركب إلى الشام تاجراً ، فلما تمهياً للرحيل وأجمع السير ، صَبَّ^(٢) به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون ، فرق له وقال : والله لأخرجنَّ به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً . ففرج به .

فلما نزل الركب بَصْرَى^(٣) مروا ببَحِيرَى^(٤) - وكانوا كثيراً ما يمرُّون به قبل ذلك فلا يكلمهم ، ولا يمرض لهم - حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريباً من صومته صنع^(٥) لهم طعاماً كثيراً ، ثم أرسل إليهم فقال : إني قد صنعتُ لكم طعاماً بامعشر قريش ، وأحبُّ أن تحضروا كلَّكم صغيركم وكبيركم ، وعيدكم وحرَّكم . قال له رجل منهم : والله يا بحيرى إنَّ لك لثأناً اليوم ! ما كنتَ تصنع هذا بنا وقد كُنَّا نمرُّ بك كثيراً ! فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيرى : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنكم ضَيْفٌ^(٦) ، وقد أُحْبِيتُ أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً ، فتأكلوا منه كلَّكم .

فاجتمعوا إليه ، وتحلف رسول الله من بين القوم الحداثة سنَّه ، في رجال القوم تحت الشجرة ، فلما نظروا بحيرى في القوم ، ولم ير الصفة التي يعرفونها عنده قال :

* ابن هشام : ١ - ١١٨ .

- (١) كان أبو طالب هو الذي ولي أمر رسول الله عليه وسلم بعد وفاة جده عبد المطلب .
- (٢) الصبابة : رقة الشوق ، يقال : صببت (بكسر الباء) أصب ، وكانت سن رسول الله إذ ذاك تسع سنين فيما ذكر بعض من ألف في السير ، وقال الطبري : كانت سنه اثنتي عشرة سنة .
- (٣) بصرى : من أرض الشام . (٤) كان بحيرى يقيم في صومعة له هناك وكان إليه علم أهل نصرانية . (٥) زعموا أنه رأى رسول الله وهو في صومته في الركب حين أقبلوا ونخامة تظله من بين القوم ، ثم أقبلوا فزَلُّوا في ظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وتمهررت أعنان الشجرة على رسول الله حتى استظل تحتها . (٦) الضيف : يدلُّ على الواحد والجمع .

بِأَمْعَشَرَ قُرَيْشٍ ، لَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ طَعَامِي . قَالُوا لَهُ : يَا بَحِيرِيُّ ، مَا تَخْلَفُ عَنْكَ أَحَدٌ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَأْتِيكَ إِلَّا غِلَامًا ، وَهُوَ أَحَدُ الْقَوْمِ سَنًا . قَالَ : لَا تَقْمَلُوا ، اذْعُوهُ فَلْيَحْضُرْ هَذَا الطَّعَامَ مَعَكُمْ . قَالَ رَجُلٌ مِنَ قُرَيْشٍ مَعَ الْقَوْمِ : وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى . إِنْ كَانَ لِلَّوْءِ بَنَاءٌ أَنْ يَتَخَلَّفَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ طَعَامِهِ مِنْ بَيْنِنَا . ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ فَاحْتَضَنَهُ ، وَأَجْلَسَهُ مَعَ الْقَوْمِ .

فَلَمَّا رَأَاهُ بَحِيرِيُّ ، جَمَلَ يَلْحَظُهُ لَحْظًا شَدِيدًا ، وَيَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءَ مِنْ جَسَدِهِ . وَقَدْ كَانَ يَجِدُهَا عِنْدَهُ مِنْ صِفَتِهِ . حَتَّى إِذَا فَرَغَ الْقَوْمُ مِنْ طَعَامِهِمْ وَتَفَرَّقُوا ؛ قَامَ إِلَيْهِ بَحِيرِيُّ فَقَالَ : يَا غِلَامُ ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّاتِ وَالْعُزَّى إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ . وَإِنَّمَا قَالَ بَحِيرِيُّ ذَلِكَ لِأَنَّهُ سَمِعَ قَوْمَهُ يَحْفَظُونَ بِهِمَا .

قَالَ الرَّاوي : زَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا تَسْأَلُنِي بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى شَيْئًا ، فَوَاللَّهِ مَا أَبْضَعْتُ شَيْئًا قَطُّ بِنَفْسِهِمَا ! فَقَالَ لَهُ بَحِيرِيُّ : فَبِأَلَّهِ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ ! فَقَالَ لَهُ : سَلْنِي عَمَّا بَدَا لَكَ . فَجَلَّ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ حَالِهِ فِي نَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُورِهِ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ يُخْبِرُهُ ، فَيُوافِقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بَحِيرِيِّ مِنْ صِفَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ظَهْرِهِ فَرَأَى خَاتَمَ النَّبِوَةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ .

فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ ، وَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا الْغِلَامُ مِنْكَ ؟ قَالَ : ابْنِي . قَالَ لَهُ بَحِيرِيُّ : مَا هُوَ يَا بَنِيكَ ، وَمَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْغِلَامِ أَنْ يَكُونَ أَبُوهُ حَيًّا ! قَالَ : فَإِنَّهُ ابْنُ أُخِي . قَالَ : فَمَا قَمَلَ أَبُوهُ ؟ قَالَ : مَاتَ وَأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ . قَالَ : صَدَقْتَ ! فَارْجِعْ يَا بَنِي أَخِيكَ إِلَى بَلَدِهِ ، وَاحْذَرِ عَلَيْهِ يَهُودَ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ رَأَوْهُ وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ لَيَبْغُنَّهُ شَرًّا ، فَإِنَّ لَابْنَ أَخِيكَ هَذَا شَأْنًا عَظِيمًا ، فَأَسْرِعْ بِهِ إِلَى بَلَدِكَ . فَخَرَجَ بِهِ أَبُو طَالِبٍ سَرِيحًا حَتَّى أَقْدَمَهُ مَكَّةَ حِينَ فَرَغَ مِنْ تِجَارَتِهِ بِالشَّامِ !

٣٩ - في بعثة رسول الله

قال العباس بن عبد المطلب :

خرجتُ في تجارةٍ إلى اليمن ، في ركبةٍ منهم أبو سفيان بن حرب ، قدّمتُ
اليمنَ ، فكنتُ أصنعُ يوماً طملاً وأنصرفُ بأبي سفيان والنفرَ ، ويصنعُ أبو سفيان
يوماً ، فيفعلُ مثلاً ذلك . فقال لي في يومٍ الذي كنتُ أصنعُ فيه : هل لك
يا أبا الفضل أن تنصرفَ إلى بيتي وتُرجلَ إلى غداً ؟ قلتُ : نعم ، فانصرفتُ أنا
والنفرَ إلى بيتي وأرسلتُ إلى الغداء .

فلما تقدّى القوم قاموا واحتبسني فقال لي : هل علمت يا أبا الفضل أن ابنَ
أخيك يزعمُ أنه رسولُ الله ؟ قلتُ : وأيّ بني أخى ؟ قال أبو سفيان : إياي تكلم !
وأيّ بني أخيك ينبغي أن يقولَ هذا إلا رجلاً واحداً ! قلتُ وأيّهم هو على ذلك ؟
قال : محمد بن عبد الله . قلتُ : ما فعل ! قال : بلى قد فعل . ثم أخرج إلى كتاباً
من ابنه حنظلة بن أبي سفيان فيه : « إن محمداً قام بالأبطح ^(١) غدوةً فقال : أنا
رسولُ الله أدعوكم إلى الله » .

قلتُ : يا أبا حنظلة ، لله صادق ! قال : مهلاً يا أبا الفضل ؛ فوالله ما أحبُّ
أن تقولَ مثلاً هذا ، وإنّي لأخشى أن تكونَ على بصيرٍ من هذا الأمر . ثم قال :
يا بني عبد المطلب ، إنه والله ما برحتُ قریش تزعمُ أن لكم بُيعةً وشؤمةً ، كلَّ

• الأغانى : ٦ - ٣١٩ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٢ - ٣١٨ .

(١) أبطح مكة : ميل واديها .

واحدة منهما عامة ، فشدتُك الله يا أبا الفضل هل سمعتَ ذلك ؟ قلت : نعم . قال :
فهذه والله إذنٌ شوأمكم . قلت : فظلمها يُمنقنا !

فكان بعد ذلك إلا ليالٍ حتى قدِمَ عَبْدُ اللهِ بنُ حُذَافَةَ السَّهْمِيَّ بالخِبر وهو
مُؤْمِنٌ ، فَفَشَا ذلك في مجالس أهلِ البينِ يُصَدِّثُ به فيها ، وكان أبو سفيانَ يجلسُ
إلى حَبِيرٍ من أَهْبَارِ البينِ ، فقال له اليهودي : ما هذا الخبر الذي بَلَغني ؟ قال : هو
ما سمعتُ ، قال : أَيْنَ فيكم عَمُّ هذا الرجل الذي قال ما قال ؟ قال أبو سفيان : صدقوا ،
وأنا عمه . قال اليهودي : أَخو أبيه ؟ قال : نعم . قال : حَدِّثني عنه . قال : لا
تداني ، فإكنتُ أَحْسَبُ أن يَدَّعي هذا الأمرُ أبداً ، وما أَحِبُّ أن أعييهَ وغيره
خيرٌ منه . قال اليهودي : فليس به أذى ؛ ولا بأس على يهودٍ وتوراةِ موسى منه .
قال العباس : فتأدَّى إلى الخُبَرِ فَحَمِيْتُ وخرجتُ حتى أَجْلَسَ إلى ذلك المجلس
من غَدٍ ، وفيه أبو سفيان والخبَر . فقلت للخبَر : بَلَغني أنك سألتَ ابنَ عَمِّي هذا عن
رجلٍ منا يزعمُ أنه رسولُ الله فأخبركَ أنه عمه ؛ وليس بعمه ، ولكنه ابنُ عمه وأنا
عمه أَخو أبيه . قال : أَخو أبيه ؟ قلتُ : أَخو أبيه .

فأقبل على أبي سفيان فقال : أَصَدَقَ ؟ قال : نعم صدق . قال : فقلت : سَلِّني
عنه ، فإن كذبتُ فليردد عليَّ . فأقبل عليَّ فقال : أنشدك الله ، هل فشتَ لابن أخيك
صَبْوَةً أو سَفَهَةً ؟ قلت : لا وإلهَ عبدِ المطلب ، ولا كذب ولا خَانَ ، وكان اسمه
عند قريشِ الأُمَيْنِ . قال : فهل كتبَ بيده ؟ قال عباس : فظننتُ أنه خيرٌ له أن
يكتبَ بيده ، فأردتُ أن تُتَوَكَّأَ ، ثم ذكرتُ مكانَ أبي سفيان ، أنه مُكْذِبِي
ورادُّ عليَّ ، فقلت : لا يكتب . فذهب الخبَر وترك رِداءه وجعل يصيح : دُجِمَتْ
يهود ! قُتِلَتْ يهود !

قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان : يا أبا ، الفضل إن اليهودي

لَفَزِعَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ : قلت : قد رأيت ما رأيت ! فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به ، فإن كان حقاً كنت سبقت ، وإن كان باطلا فمك غيرك من أكفائك ؟ قال : لا والله ما أؤمن به حتى أرى الخليل تطلع من كداء ^(١) ! قلت : ما تقول ؟ قال : كلمة والله جاءت على في ما أقيت لها بالاً ، إلى أني أعلم أن الله لا يترك خيلاً تطلع من كداء .

قال السباس : فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظرنا إلى الخليل قد طلعت من كداء ، قلت يا أبا سفيان ، أتذكر الكلمة ؟ قال لي : والله إني ناكرها ! فالحمد لله الذي هداني للإسلام !

(١) كداء : جبل بكة :

٤٠ — تطهير المنصور *

قال الربيع ^(١) : نام المنصور ^(٢) ليلة — وكان في قصره في بغداد — فانتبه مرعوباً ، ثم عاود النوم ، فانتبه كذلك فزعاً مرعوباً ، ثم راجع النوم فانتبه كذلك ، ثم قال : ياربيع اقلت : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : لقد رأيتُ في منامي عجبا ، قلت : ما رأيتُ ، جعلني الله فداك ! قال : رأيتُ كأنَّ آتيا أتاني ، فمَهَّمَتِ ^(٣) بشيء لم أفهمه ؛ فانتبهتُ فزعاً ، ثم عاودتُ النوم فعاودني يقولُ ذلك الشيء ، ثم عاودني يقولُه حتى فهمتهُ وحفظتهُ وهو :

كَأَنَّ بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَعُرِّيَ مِنْهُ أَهْلُهُ وَمَنَازِلُهُ
وَصَارَ رَئِيسُ الْقَوْمِ مِنْ بَدِ بَهْجَةٍ إِلَى جَدَثٍ تُبْنَى عَلَيْهِ جَنَادِلُهُ
وَمَا أَحْسَنِي يَارَبِيعُ إِلَّا حَانَتْ وَقَاتِي ، وَحَضَرَ أَجَلِي ، وَمَالِي غَيْرُ رَبِّي أَقَمْتُ
فَاجْعَلْ لِي عُسْلًا ^(٤) . فَعَمَلْتُ فَانْقَسَلَ وَصَلَى رَكْمَتَيْنِ ، وَقُلْتُ : أَنَا عَازِمٌ عَلَى الْحَجِّ ،
فَهَيِّئْ لِي آلَةَ الْحَجِّ ، وَفَرَجَ وَخَرَجْنَا ، حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى السَّكُونَةِ ، وَنَزَلَ
النَّجَفَ ^(٥) أَقَامَ أَيَّامًا ، ثُمَّ أَمَرَ بِالرَّحِيلِ ، فَتَقَدَّمْتُ جُنُودُهُ ، وَبَقِيْتُ أَنَا وَهُوَ

* معاضرات الأبرار : ١٤٢ :

- (١) هو الربيع بن يونس ، كان يخدم المنصور ، ثم تدرج في المناصب عنده إلى أن استوزره وكان جليلا نبيلًا عارفاً بخدمة الخلفاء ، مات سنة ١٧٠ هـ . (٢) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ثاني خلفاء بني العباس وأعظمهم شدة وبأساً وخطأة وثباتاً . تولى سنة ١٥٨ هـ .
(٣) المهينة : الصوت المنفى . (٤) الفيل : بالضم والكسر : اللاء الفتي ينقل به .
(٥) النجف : النل . أو الثمفة التي بظهر الكوفة ، وهي تمنع الببل أن يعلو منازل الكوفة وقبورها . والنجفة أيضاً : موضع بين البصرة والبحرين .

(٨ — قصص — أول)

بالقعر، فقال لي : يا ربيع ؛ جئني بِفَحْمَةٍ مِنَ اللطِيفِ ، وقال لي : اخرج فكن مع
دأبقي إلى أن أخرج ، فلما خرج وركب ، رجعتُ إلى اللسان كَأَنِّي أَطْلُبُ شَيْئًا ،
فوجدته قد كتب على الحائط بالفتحة :

للره يهوى أن يعيش وطولُ عيش قد يضرُّه
تَقَى بِشَاشَتِهِ وَيَبْقَى بَعْدَ حُلُولِ الْعِيشِ مَرُّهُ
وَتَحْوَنُهُ الْأَيَّامُ حَتَّى مَا يَرَى شَيْئًا يَسُرُّهُ
كَمْ شَامَتِ بِي إِنْ هَلَكْتُ وَقَاتِلْ : قَدِّدْهُ !

٤١ - المنصور تَنَمَّى إِلَيْهِ نَفْسُهُ*

قال الفضلُ بن الربيع : كنتُ مع المنصور في السفر الذي مات فيه ، فنزل منزلاً من المنازل ، فبعث إلى وهو في قُبَّةٍ ، ووجهه إلى الحائط ، فقال لي : ألمْ أُنْهَكَ أَنْ تَدْعَ العامةَ يدخلون هذه المنازل ، فيكتبوا ما لا خيرَ فيه ؟ قلت : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : أما ترى على الحائط مكتوباً :
أبا جعفرٍ حانتْ وفاتُكَ ، واضْمُضْ سِنُوكَ وأمرُ الله لا بدَّ نازلُ
أبا جعفرٍ هل كاهنٌ أو مُنْجِمٌ يردُّ قضاءَ الله أم أنتَ جاهلٌ ؟
قلت : والله ما أرى على الحائط شيئاً ! وإنه لنتيٌّ أبيض ! قال : إنها والله إذَنْ نفسُ نُعَيْتِ إِلَى ، الرَّحِيلِ ! بادِرْني إلى حَرَمِ رَبِّي وأمنه ، لأهْرَبَ مِنْ ذُنُوبِي وإِسْرَافِي على نَفْسِي ، فرحلتنا وقد ثقل ، حتى إذا بلغنا بئرَ مَيْمُون تُوْفِي بها !

٤٢ - رؤيا الرشيد*

قال جبريل بن مجتاشوع :

كنت مع الرشيد^(١) بالرقعة^(٢) ، وكنت أول من يدخل عليه في كل غداة ، فأتعرّف حاله في ليلته ، فإن أنكر شيئاً وصفه ، ثم ينبسط فيحدثني بحديث جواربه وما عمل في مجلسه ، ثم يألني عن أخبار العامة وأحوالها ؛ فدخلت عليه في غداة يوم ، فسلمت فلم يكذب يرّفع طرفه ، ورأيت عابساً مفكراً مهموماً فوقفت بين يديه ملياً ، وهو على تلك الحال .

فلما طال ذلك أقدمت عليه ، قلت : يا سيدي ؛ جماني الله فذاك ! أما حالك هكذا ! أعله ! أخبرني عنها فلمه يكون عندي دواؤها ؛ أو حادثة في بعض من تحبّ فذلك مالا يُدفع ولا حيلة فيه إلا بالتسليم ، وأنتم لا درك فيه ؛ أو نثق وورد عليك في ملكك ، فلم تخل للوئك من ذلك ، وأما أولى من أفصيت إليه بالخير ، وتروّخت إليه بالمشورة .

فقال : ويحك يا جبريل ! ليس عني وكرّني لشيء مما ذكرت ، ولكن لرؤيا رأيتها في ليلتي هذه ، وقد أفرغتني ، وملأت صدري ، قلت : فرجّت عني

* الطبري : ١٠ - ١١٠ .

(١) هو هارون الرشيد بن محمد المهدي ، كان ديناً عافطاً ، كثير الإيثار ، توفي سنة ١٩٣ هـ .
(٢) الرقة : مدينة مشهورة على الأناب . الأيس للفرات بولاية حلب ، ويقال لها : الرقة البيضاء ، وبقرية كانت واقعة صفيح للمهورة .

يا أمير المؤمنين ! فدنوتُ منه قَبِلَتْ رِجْلَهُ ، وقالت : أهدنا النَّمَّ كله الرُّؤيا
إنما تكون من خاطِرٍ أو غيره . وإنما هي أضغاثُ أحلام !

بعد هذا كله قل : فاقصُّها عليك : رأيتُ كائى جالس على سريري هذا إذ
بَدَتْ من تحت ذِرَاعٍ أعرفها ، وكفُّ أعرفها ، وأنهم اسمُ صاحبها ، وفي الكف
تربة حمراء فقال لي قائلٌ أسمه ولا أرى شخصه : هذه التربة التي تُدفنُ
فيها ؛ قلتُ : وأين هذه التربة ؟ قال : يُطوس^(١) . وغابت اليدُ وانقطع
الكلام وانتهت .

قلت : يا سيدي ؛ هذه والله رؤيا بعيدة ملتبسة ، وأحسبك أخذت مضجعتك ،
فكثرت في خُراسان وحروبها ؛ وما قد وَرَدَ عليك من انتفاض بعضها . قال : قد
كان ذلك .

قلت : فذلك الفِكَرُ خالطَكَ في منامك ما خالطَكَ ؛ فولد هذه الرؤيا ، فلا
تغفل بها - جعلني الله فداك - وأتبِعْ هذا النَّمَّ سروراً يخرجُه من قلبك ..
وما برحتُ أطلبُ نفسَه بضروبٍ من الحيل حتى سَلَا وانبسط ، وأمر بإعداد
ما يشبهه ويزيدُ في ذلك اليوم من لهوه .

ومررت الأيامُ فَنسى ونسينا تلك الرؤيا فما خطرَتْ لأحدٍ منا ببالٍ ، ثم قدَّر
مسيره إلى خُراسان حين خرج رافع^(٢) ، فلما صار في بعض الطريق ابتدأت به
الملهة ، فلم تزل تزايدُ ، حتى دخلنا طُوسَ ؛ فبينما هو يُمرِّضُ في بستانٍ إذ ذكر
تلك الرؤيا ؛ فوثب متحاملاً يقوم ويسقط ، فاجتمعنا إليه ، كل يقول : ياسيدي
ما حالك ؟ وما دهالك ؟

(١) طوس : مدينة بخراسان ، وبها مات الرشيد . (٢) هو رافع بن الوليد ، خرج إليه الرشيد
سنة ١٩٢ هـ حينما استنفل أمره فيها وراء التهر .

فقال : يا جبريل ! تذكر رؤياي بالرفقة ؟ ثم رفع رأسه إلى مسرور ، فقال :
جئني بشيء من تربة هذا البستان ؛ ففضى مسرور فألقى بالتربة في كفّه حاسراً عن
ذراعه ، فلما نظر إليه قال : هذه والله التربة التي رأيته في منامي ، وهذه والله الكف
بينها ، وهذه والله التربة الحمراء ، ما خرمت شيئاً ، وأقبل على البكاء والنحيب ،
ثم مات بها - والله - بعد ثلاثة ، ودفن في ذلك البستان !

٤٣ - تطير الأمين *

قال إبراهيم بن المهدي : خرج الأمين^(١) ذات ليلة يريد أن يتفرج من الضيق الذي هو فيه ، فصار إلى قصر له ، ثم أرسل إلى ، فحضرت عنده ، قال : ترى طيب هذه الليلة ، وحسن القمر في السماء ، وضوء في الماء على شاطئ دجلة ! فهل لك في الشراب ؟ قلت : شأنك ! فشرب رطلاً ، وسقاني آخر ، ثم غنيته ما كنت أعلم أنه يحبه ؛ فقال لي : ما تقول فيمن يضرب عليك ؟ قلت : ما أحوجني إلى ذلك !

فدعا بجمارية متقدمة عنده اسمها « ضنف » ، فطيرت من اسمها ونحن على تلك الحال^(٢) ، فقال لها : غني ؛ فغنت بضمير الجعدي :

كليب لعمري كان أكثر ناصراً وأبسر جرماً منك صُرج بالدم

فاشتد ذلك عليه ، وطمير منه ، وقال : غني غير ذلك ، فغنت :

أبكي فراقهم عني فأرقها إن التفرق للأحباب بكاء

ما زال يمسدو عليهم ريب دهرهم حتى فاقوا - ورب الدهر عداء

* الطبري ١٠ - ١٩٥ ، المحاسن والمساوي : ٣٦١ - طبع ليرنج ، السعودي : ٢ - ٣٠١
(١) الأمين : هو عم بن هارون الرشيد ، اتخذ الفضل بن الربيع وزيراً ، فأغرى الفضل بينه وبين المأمون فنصب عمه ابنه موسى لولاية العهد بعده ، وأخذ له النيمة ، وجعله في حجر علي بن عيسى ، وأمر علياً بالوجه إلى خراسان لمحاربة المأمون سنة ١٩٥ هـ ووجه المأمون طاهر ابن الحسين ، فالتقيا بالري فقتلا ، ولم يزل القتال بينهما حتى قتل الأمين سنة ١٩٨ هـ . (٢) كان الأمين قد حصره طاهر بن الحسين من قبل المأمون .

قَالَ لَهَا : لَنُكَ اللَّهُ ! أَمَا تَعْرِفِينَ مِنَ الْفَنَاءِ غَيْرَ هَذَا ؟ فَهَاتِ : مَا تَنْقِيتُ إِلَّا مَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُحِبُّهُ أَتَمَّ غَنَّتْ :

أَمَا وَرَبَّ السَّكُونِ وَالْحَرَكَ
مَّا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا
إِلَّا لِنَقْلِ النِّعَمِ مِنْ مَلِكٍ
وَمَلِكَ ذِي الْعَرْشِ دَائِمٌ أَبَدًا
لِإِنْ لِلنَّاسِ كَثِيرَةُ الشَّرِكِ
دَارَتْ مَجْمُوعُ السَّمَاءِ فِي الْفَلَكَ
قَدْ زَالَ سُلْطَانُهُ إِلَى مَلِكِ
لَيْسَ بِقَانٍ وَلَا بِمَشْرُكِ

قَالَ لَهَا : قُوِي ، غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَلَمَنَّا !

وَكَانَ لَهُ قَدَحٌ مِنْ بَلُورٍ حَسَنُ الصَّنْعَةِ ، وَكَانَ مَوْضُوعًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَعَثَرَتْ
الْجَارِيَةُ بِهِ فَكَسَرَتْهُ ، قَالَ : وَيْحَكَ يَا إِبْرَاهِيمَ ! أَمَا تَرَى مَا جَاءَتْ بِهِ هَذِهِ الْجَارِيَةُ !
ثُمَّ مَا كَانَ مِنْ كَثَرِ الْقَدَحِ ! وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ أَمْرِي إِلَّا قَدْ قُرُبَ . فَقُلْتُ : يُدِيمُ اللَّهُ
مُلْكَكَ ، وَ يُعِزُّ سُلْطَانَكَ ، وَيَسْكُنُ عَذُوكَ ! فَاسْتَمَّ الْكَلَامَ حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتًا
« قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ » . قَالَ : يَا إِبْرَاهِيمَ ، أَمَا سَمِعْتَ ؟ قُلْتُ :
مَا سَمِعْتُ شَيْئًا ، وَكُنْتُ قَدْ سَمِعْتُ ! قَالَ : تَسْمَعُ حَسًّا ! فِدَنُوتُ مِنَ الشُّطِّ فَلَمْ أَرَ
شَيْئًا ، ثُمَّ عَاوَدْنَا الْحَدِيثَ ، فَضَادَ الصَّوْتُ بِمِثْلِهِ .

فَقَامَ مُتَمَتِّعًا إِلَى مَجْلِسِهِ بِالْمَدِينَةِ . فَاذْهَبْ إِلَى لَيْلَتَانِ حَتَّى تُقْتَلَ !

٤٤ - ذنب لا يطعم صاحبه في غفرانه*

قال يوسف الكوفي - وكان قد روى الأشعار والأحاديث :
حجبت ذات سنة ، فلما أنا برجل عند البيت ، وهو يقول : اللهم اغفر لي
وما أراك تفعل ! قلت : يا هذا ، ما أعجب بأسك من عفو الله ! قال : إن لي ذنباً
عظيماً ! قلت : أخبرني .

قال : كنت مع يحيى بن محمد بالموصل ، فأمرنا يوم الجمعة ، فاعترضنا المسجد ،
فقتلنا ثلاثين ألفاً ، ثم نادى مناديه : من علق سوطه على دار فالدار وما فيها له ،
فعلقت سوطي على دار ودخلتها ، فلما فيها رجل وامرأة وابنان لها ، فقدمت الرجل
فقتلته ، ثم قلت للمرأة : هاتي ماعنك ! ولا ألحقت أبنيك به ، فجاءتني بسبعة دنانير .
قلت : هاتي ماعنك ؟ قالت : ماعندي غيرها ، فقدمت أحد ابنيها فقتلته . ثم قلت :
هاتي ماعنك وإلا ألحقت الآخر به ، فلما رأته الجدة مني قالت : ارفقي إني عندي
شيئاً كان أودعني أبوها ، فجاءتني بذرع من ذهب لم أر مثلاً في حُسْنها ، فبعلت
أقربها فلما عليها مكتوب بالذهب :

إذا جاز الأمير وحاجباه وقاضى الأرض أسرف في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل وقاضى الأرض من قاضى السماء
فقط السيف من يدي وارتعدت ، وخرجت من وجهي إلى حيث نرى .

٤٥ — طيرة ابن الرومي *

قال علي بن إبراهيم : كنتُ بداري جالساً ؛ فإذا حجارة سقطت بالقرب مني ، فبادرتُ هارباً ؛ وأمرتُ الفلام بالصمود إلى السطح ، والنظر إلى كل ناحية ، من أين تأتينا الحجارة ؟ فرجع إلى وقال لي : امرأة من دار ابن الرومي ^(١) الشاعر ! قد نشفت ^(٢) ، وقالت : اتقوا الله فينا ، واستقونا جرّة من ماء ، وإلا هلكنا ، قد مات من عندنا عطشاً !

فقدمتُ إلى امرأة عندنا ذات عقل ومعرفة : أن تصمد إليها وتخطبها ، ففعلتْ وبادرتُ بالجرّة ، وأثبعتها شيئاً من الطعام ، ثم عادتُ إليّ فقالت : ذكرتُ للمرأة أن البلب عليها مُقفلٌ منذ ثلاثة أيام بسبب تطير ابن الرومي ؛ وذلك أنه بلبس ثيابه كل يوم ويصعدُ ؛ ثم يصير إلى الباب ، والفتح معه ؛ فيضع عينه على قفّ في خشب الباب ، ففعل على جاري له كان نازلاً يلزانه ؛ وكان أحدب يقعد كل يوم على بابه ؛ فإذا نظر إليه رجع ، وخلع ثيابه ، وقال : لا يفتح أحدُ الباب !

فصعبتُ لحديثها ، وبعتُ بخادِم لي كان يعرفه ، فأمرته أن يجلسَ يلزانه - وكانت العين تميلُ إليه - وتقدّمتُ إلى بعض أعراف أن يدعو الجارَ الأحدب . فلما حضر عندي أرسلتُ وراء غلامي ، لينهضَ إلى ابن الرومي ، ويستدعيه . فإني لجالسٌ ، ومعى الأحدب ؛ إذ وافى أبو خديفة الطرسوسي ، ومعه

* زهر الآداب : ٢ - ١٧٧ ، ذيل زهر الآداب : ٢٢٣ ، معجم الأدباء : ١٣ - ٢٩٦
(١) هو أبو الحسن علي بن النباب الرومي ، ولد ببغداد وعاش فيها متأثراً بالأدب اليوناني وبالثقافة العربية كذلك ، فكان شعره صورة طريفة في الأدب العربي من حيث الابتكار والتفريق والظلي والاستقصاء في أسلوب جزل متين ، ومات سنة ٨٢٨ هـ . (٢) نشفت : نظرت وتناولت .

برَدَّةَ اللّوسُوس، صاحبُ المعتضد، ودخل ابنُ الرومي، فلما تخطى عتبةَ باب الصَّحْنِ عَثَرَ، فاقطع شَيْعُ^(١) نَعْلَهُ، فدخل مذعوراً! وكان إذا فاجأه الناظرُ رأى منه منظراً يدل على تغيّر حاله .

فدخل، وهو لا يرى جاره للتطير منه، قُلت له: يا أبا الحسن، أَيْكونُ شَيْءٌ في خروجك أحسن من مخاطبتك للخدام، ونظرك إلى وجهه الجليل؟ قال: قُلْتُ لَنِي مارَأَيْتُ مِنَ الْمُتَعَرَّةِ، لَأَنِّي فَكَّرْتُ أَنَّ بِهِ عَاقَةً! وَهِيَ قَطْعُ أَنْفِئِيهِ^(٢)! قال برَدَّةُ: وشيخنا يطير؟ قلت: نعم ويُفْرِطُ! قال: وَمَنْ هُوَ؟ قلت: علي بن المصائب^(٣). قال: الشاعر؟ قلت: نعم! فَأَقْبِلْ عَلَيْهِ وَأَنْشُدْهُ:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ يُؤَاذِنُ صَرَفُهُ بِتَفْرِيقِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَبَائِبِ^(٤)

رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَوَطَّنْتُهَا عَلَى رُكُوبِ جَمِيلِ الصَّبْرِ عِنْدَ النَّوَائِبِ!

وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا عَلَى جَوْرِ حُكْمِهَا فَأَيَّامُهُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَصَائِبِ

فَخَذَ خُلْسَةً مِنْ كُلِّ يَوْمٍ تَمِيشُهُ وَكُنْ حَذِيراً مِنْ كَامِنَاتِ الْعَوَاقِبِ

وَدَوَّعَ عِنْدَكَ ذِكْرَ الْفَالِ وَالزَّجْرِ وَاطْرَحَ تَطَيُّرَ جَارٍ أَوْ تَقَاوُلَ صَاحِبِ!

فَبَقِيَ ابْنُ الرَّومِيِّ بَاهِتاً يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَلَمْ أَذَرِ أَنَّهُ قَدْ شَلَّ قَلْبَهُ بِحِفْظِ مَا أَنْشُدُهُ، ثُمَّ نَهَضَ أَبُو حَدِيفَةَ وَبَرَدَّةُ مَعَهُ .

خلف ابنُ الرومي ألا يطير أبداً من هذا ولا من غيره، وهب من جودة الشعر ومعناه، وحسن مآناه، قُلت له: كَيْتَبْنَا كَتَبْنَاهُ! قال: اكْتَبَهُ قَدْ حَفِظْتُهُ، وَأَمْلَاهُ عَلَيَّ .

(١) الفسخ: أحد سبور النمل، وهو الذي يدخل بين الإصبعين ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النمل المشدود في الزمام . (٢) يعني أنه محبوب . (٣) هو اسم ابن الرومي . (٤) الحبايب: مفردة حببية .

٤٤ - تطير الرشيد بن المعتمد*

قال ابن الأبيات^(١) : كنتُ بين يدي الرشيد بن المعتمد في مجلس أمه ، فورد الخبر بأخذ يوسف بن تاشفين غرناطة ، فتصجّع وتألف ، واسترجع^(٢) وتأسف ، وذكر قصر غرناطة ، فدعونا لقصره بالدوام ، ولملكه بترأخي الأيام ، وأمر عند ذلك أبا بكر الإشبيلي بالفناء ؛ فنفى :

يادارميمةً بالعلياء فالسند أقوت^(٣) وطال عليها سالف الأمد
فاستعالت^(٤) مسرته ، وتجهمت أمرته ، وأمر بالفناء من ستارته فنفى :
إن شئتَ ألا ترى صبراً لمصطبر فانظر على أي حال أصبح الطفل
فتأكد تطيره ؛ واشتدَّ إن بداد وجهه وتغيره ، وأمر مغنية أخرى للفناء ،
فنفى :

يألف نسي على مالٍ أفرقه على اللقلين^(٥) من أهل الرواة
إن اعتذاري إلى من جاء بسألي مالت أملك من إحدى لأصبيات
فخلافتُ الحال بأن قلت :

عمل مكرمة لا همد مبنه وقمّل مأثرة لا شئت الله
البيت كالبيت لكن زاداً شرقاً أن الرشيد مع المعتد ركنه
ناو على أنجم الجوزاء مقعده وراحل في سبيل السعد مشراه

* فتح الطيب : ٢ - ٣٩٢ .

(١) هو أبو بكر الداني ، ويرف بأبن الأبيات ، وقد قال عنه في الطبع م ٢٥٦ : للديد الباع ،
الغريد الاطلياع ، الذي ملك للمحاسن مقاداً ، وغدا له الديق مقاداً ... (٢) استرجع عند
المصيبة : قال : ولنا إليه راجعون . (٣) أقوت : خلت . (٤) استعالت : تغيرت .
(٥) أهل : انخر .

حتم على الملك أن يقوى وقد وصلت بالشرق والغرب يمناه ويسره .
فلعمري لقد بسطت من نفسه ، وأعادته عليه بعض أنسه . على أنى وقعت
فيما وقموا فيه لقولى : « البيت كالبيت » .
وأمر إثر ذلك أبا بكر بالفناء ، فنفى :
ولما قضينا من مئى كل حاجة
ولم يبق إلا أن نزم^(١) الرّكائب
فأيقنا أن هذا التأخير يستببه التنوير !

(١) زم البير : خطمه .

٤٧ — رؤيا *

قال عبد الله بن المعلم : خرجنا من المدينة حُجَّاجًا ، فإذا أنا برَجُلٍ من بني هاشم من بني العباس بن عبد المطلب ؛ وقد رفض الدنيا ، وأقبل على الآخرة ، فجمعتني وإياه الطريق ، فأنستُ به ؛ وقلتُ له : هل لك أن تصادني ^(١) ؛ فإنَّ مِى فضلًا من راحلتني ! فجزاني خيرًا ، ثم أنسَ إلى ؛ فجعل يحدثني ، فقال : أنا رجلٌ من وَلَدِ العباس ، كنتُ أسكنُ البصرةَ ، وكنتُ ذا كِبَرٍ شديد ، ونعمةٍ طائلة ، ومالٍ كثير ، وبَذَخٍ زائد . فأمرتُ يوماً خادماً لى أن يحشوا لى فراشاً من حريرٍ ومخدةً بورٍ نَثير ! ففعل .

فإنى لنأثم إذا بَقِعَ وَرْدَةً قد نسيه الخادم ، فاقمتُ إليه ، فأوجعته ضرباً ، ثم عدتُ إلى مَضْجَعِي بعد إخراج القِمَعِ من المِخْدَةِ ، فأتاني آتٍ فى منامى فى صورةٍ عظيمةٍ ، فهُزَّنِى ، وقال : أفرق من غَشِيَتِكَ ، واتقه من رَقَدَتِكَ ، ثم أنشأ يقول :

يا بَخلُ ، إنك إن تَوَسَّدَ كَيْناً وَسَدَّتْ بِمَدِّ الْيَوْمِ صُمَّ الْجَنْدَلِ
فامْهَدْ لِنَفْسِكَ صالِحاً تَعْمَدُ به فَلَتَقَنَّدَ مَنَّ غَدًا إِذَا لَمْ تَقْعَلِ
فانتَبَهْتُ مرعوباً ، وخرجتُ من ساعى هارباً إلى ربى !

* عجائب الأدب : ٤ - ٢٠ .
(١) عاده لى الحمل : ركب معه .

البَابُ الثَّالِثُ

في القصص التي تجلوعلوهمومهمومعارفهم، وتوضح منها
ثقافتهم، وما كان متداولاً بينهم من مسائل العقل والنقل
التي هدتهم إليها فطرتهم، أو أنهتها إليهم تجاربهم .

٤٨ - فِرَاسَةُ أَبْنَاءِ نِزَارٍ *

لما حضرت نِزَارًا الوفاة جَمَعَ بَنِيهِ : مُضَرَ وإِبَادًا وربيعة وأُتَمَارًا ، وقال لهم : يَا بَنِيَّ ؛ هذه القَبَةُ الحمراء - وكانت من أَدَمَ ^(١) - لمضر ، وهذا القِرْسُ الأَدمَ ^(٢) وانخبله ^(٣) الأسود لربيعة ، وهذه الخِلاَمُ - وكانت شِطَاءً ^(٤) - لإِيَادَ وهذه النَّدْوَةُ ^(٥) والجلسُ لأُتَمَارٍ يجلس فيه ؛ فإن أشكل عليكم كيف تَقَسِّمُونَ فَأَتُوا الْأَفْقَى الْجُرْهُمَى ، ومنزله بَنَجْرَانٍ ^(٦) . فلما ماتَ تَشَاجَرُوا في ميراثه ، فتوجهوا إلى الأنصَى الجرهمي .

فبينما هم في مَسِيرِهِمْ إليه ، إذ رأى مُضَرُّ أُنْثَرَ كَلًّا قَدْرُوعِي ؛ فقال : إن البعير الذي رعى هذا لأَعْوَرَ ! قال ربيعة : إنه لأَزْوَرُ ^(٧) ! قال إِيَادُ : إنه لأَبْتَرُ ^(٨) ! قال أُتَمَارُ : إنه لَشَرُّودُ ^(٩) !

ثم ساروا قليلا فإذا هم برجل يُنْشِدُ ^(١٠) جَلَّه ، فسألهم عن البعير ، فقال مضر : أَهْوَأَعْوَرُ ؟ قال : نعم ، قال ربيعة : أَهْوَأَزْوَرُ ؟ قال : نعم ، قال إِيَادُ : أَهْوَأَبْتَرُ ؟ قال : نعم . قال أُتَمَارُ : أَهْوَشَرُّودُ ؟ قال : نعم ! وهذه والله صِفَةُ بَعِيرِي فَذَلُّونِي عَلَيْهِ . قالوا : والله ما رأيناها ، قال : هذا والله الكَذْبُ ! وتماق بهم ، وقال : كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته ! فاروا حتى قدموا بَنَجْرَانَ .

* يجمع الأمثال : ١ - ١٥ ، بلوغ الأرب : ٣ - ٢٦٤ ، السعدي : ١ - ٣٠٢ .
(١) الأدم : الجلد . (٢) الأدم : الأسود . (٣) القباة : يكون من وبر أو صوف أو شعر .
(٤) شِطَاءُ : يرأسها شيب يخالط السواد . (٥) النَّدْوَةُ : مجلس القوم نهائراً .
(٦) نجران : مدينة شهيرة بلعین ، جرت فيها حوادث قصة « أم حبيب لأحدود » .
(٧) لأزور : من يمشي على شين . (٨) الأبر : مقطوع الذباب . (٩) الشرود : النافر .
(١٠) أفند الضاة : طنبها .

فلما نزلوا نادى صاحب البعير : هؤلاء أخذوا بحلي ، ووصفوا الى صِفَتِهِ ، ثم قالوا : لم نره .

فاختصموا الى الأفعى الجرهمي - وهو حَكَمُ العرب - فقال الأفعى : كيف وصفتموه ولم تروا؟ قال مضر : رأيته رمى جانباً وترك جانباً ؛ فقلت أنه أعور . وقال ربيعة : رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فليسدته ؛ فقلت أنه أزور ؛ لأنه أفسده بشدة وطئه لأزواره . وقال إِيَاد : عرفت أنه أبقر باجماع بقره ، ولو كان ذئباً لآ^(١) كصع به ^(٢) . وقال أنمار : عرفت أنه شرود ، لأنه كان يرعى في المكان للثف بنته ، ثم يجوزهُ الى مكان أرق منه وأخيب بنتاً ؛ فقلت أنه شرود . قال للرجل : ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه !

ثم سالم : من أنتم ؟ فأخبروه ، فرحب بهم ، ثم أخبروه بما جاء بهم ، فقال : أتحتاجون إلى وأنتم كما أرى ! ثم أنزلهم ، فذبح لهم شاة ، وأتاهم بخمر ، وجلس لهم الأفعى ، حيث لا يرى وهو يسمع كلامهم . قال ربيعة : لم أرَ كاليوم لحماً أطيب منه ، لولا أن شأته غُذيت بلبن كلبية ، قال مضر : لم أرَ كاليوم خيراً أطيب منه لولا أن حُبَلَتها ^(٣) نبتت على قبر ، قال إِيَاد : لم أرَ كاليوم رجلاً أسرى ^(٤) منه لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعى له ، قال أنمار : لم أرَ كاليوم كلاماً أضعف في حاجتنا من كلامنا ؛ وكان كلاً منهم بأذنه ، قال : ما هؤلاء إلا شياطين !

ثم دعا القهرمان ^(٥) فقال : ما هذه الحمر ؟ وما أمرها ؟ قال : من حُبَلَةٍ غرستها على قبر أبيك لم يكن عندنا شراباً أطيب من شرابها ، وقال للراعي : ما أمر هذه

(١) ذبالا : له ذيل طويل . (٢) مصح به : يقال مصمت الدابة بذنبا ؛ أى حركته .

(٣) الحبلية : الكرم أو أمل من أموله . (٤) السرو : اللوثة في شرف .

(٥) القهرمان : القائم بأمور الرجل .

الشاة؟ قال : شاة صغيرة أرضعتها بلبن كلبه ، وذلك أن أمها كانت قد ماتت ولم يكن في النعم شاة ولدت غيرها .

ثم أتى أمه فأنها عن أبيه فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير اللال ، وكان لا يولد له ، قالت : فحقت أن يموت ولا ولد له فيذهب الملك !

تخرج الأفي عليهم ، قصص القوم عليه قصتهم ، وأخبروه بما أوصى به أبوه ، فقال : ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر ، فذهب بالدنانير والإبل الحمر ، فمضى مضر الحمراء لذلك . وقال : أما صاحب الفرس الأذهم والخباء الأسود فله كل شيء . أسود ، فصارت لربيعة الخليل الذهم ، فقيل : ربيعة الفرس . وما أشبه الخادم الشمطاء فهو لإياد ، فصارت له الماشية البلق من الحبلق^(١) والنقد^(٢) ، فمضى إياد الشمطاء ، وقضى لأعمار بالبراهم وبما فضل ، فمضى أعمار الفضل ، وصدرُوا^(٣) من عنده على ذلك !

(١) الحبلق : غنم صفار لا تكبر ، أو قصار العز ودماها . (٢) النقد : جنس من الفم يبيع الشكل . (٣) صدرُوا : رجعوا .

٤٩ - ارعَى وأَحْذَرِي *

خرج أعرابيٌ مكفوفُ البصر، ومعه ابنةٌ عمِّ له لرَعَى غنمَ لها، قال الشيخ:
أحدُ رِيحِ النسيمِ قد دنا، فارفعي رأسك فانظري، قالت: أراها كأنها رَبَّ رَبِّ^(١)
معزى هزلى، قال: ارعَى وأَحْذَرِي.

ثم قال لها بعد ساعة: إني لأجدُ رِيحَ النسيمِ قد دنا، فارفعي رأسك فانظري.
قالت: أراها كأنها بِنَاءٌ دُهم، تجرُ جِلَها؛ قال: ارعَى وأَحْذَرِي.

ثم مكث ساعة، ثم قال: إني لأجدُ رِيحَ النسيمِ قد دنا فانظري. قالت:
أراها كأنها بطنُ حمارٍ أَصَحَر^(٢). قال: ارعَى وأَحْذَرِي. ثم مكث ساعة،
قال إني لأجدُ رِيحَ النسيمِ فَا تَرَيْنِ؟ قالت: أراها كما قال الشاعر^(٣):

دَانِ مُسِفٌ^(٤) قُوَيْنُ الْأَرْضِ هَيْدُ^(٥) يَكَادُ يَدْقُمُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ
كَأَنَّ بَيْنَ أَعْلَاهِ وَأَسْفَلِهِ رِبْطٌ^(٦) مَنشَرَةٌ أَوْ ضَوْءٌ مَصْبَاحُ
فَمَنْ يَنْجُو^(٧) كَمَنْ يَبْقُو^(٨) وَلَسْتَ كِئْ كَمَنْ يَبْشَى بِقُرُوحِ^(٩)

قال: انجي، لا أبالك! فإنا اضفَى كلامه حتى هطلت السماء عليهما!

* الأغانى: ١١ - ٧١.

- (١) الريب: التلطيع. (٢) الصحرة: حرة في غيرة. (٣) هو عبيد بن الأبرص.
(٤) المسف: الذى قد أسف على الأرض، أى دنا منها. (٥) الميذب: الحجاب يقرب من
الأرض كأنه متدل. (٦) الربط: جمع ربطة وهي كل ملءة غير ذات لفتين، كلها نسج واحد.
(٧) النجوة: السكان المرتفع الذى تنزل أنه نجاؤك. (٨) البقوة: ساحة الدار.
(٩) القروح: أرض قروح: واسعة. والقروح أيضا: البارز الذى لا يستر من السماء شيء.

٥٠ - طب الحارث بن كلدة*

وفد الحارث بن كلدة الثقفي على كسرى أنوشروان ، فأذن له بالدخول عليه ؛ فلما وقف بين يديه ، قال له : من أنت ؟ قال : أنا الحارث بن كلدة الثقفي . قال : فما صناعتك ؟ قال : الطب ، قال : أعرابي أنت ؟ قال : نعم ، من صميمها ، ومحبوبة^(١) دارها . قال : فما تصنع العرب بطب مع جهلها ، وضيء عقولها ، وسوء أغذيتها ؟ قال : أيها الملك ؛ إذا كانت هذه صفتها كانت أحوج إلى من يُصلح جهلها ، ويقيم عوجها ، ويسوس أبلانها ، ويسدل أمشاطها^(٢) ، فإن الماثل يعرف ذلك من نفسه .

قال كسرى : فكيف تعرف ما تورده عليها ؟ ولو عرفت الحظ لم تُنسب إلى الجبل !

قال : أيها الملك ؛ العقل من قسم الله تعالى ، قسمه بين عباده كقسيمة الرزق فيهم ، فكل من قسمته أصاب ، فمنهم مؤتمد ومعلم ، وجاهل وعالم ، وعاجز وحازم ، وذلك تقدير الميزان العليم . فأعجب كسرى بكلامه .

ثم قال : فما الذي تحمد من أخلاقها ، ويعجبك من مذاهبها وسجاياها ؟ قال الحارث : أيها الملك ، لها أنف سخية ، وقلوب جرية^(٣) ، ولغة فصيحة ، وألسن بليغة ،

* بلوغ الأرب : ٣ - ٣٢٨ ، المقصد الفريد : ٤ - ٣٢١ .

(١) كان الحارث من الطائفة ، وهو طبيب العرب في عصره ، سافر إلى فارس وتعلم الطب ، وعرف الداء والدواء ، وكان يشرب بالعود ، تعلم ذلك بفارس واليمن ، وبقي أيام رسول الله وأبي بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاوية وتوفي نحو سنة ٥٠ - (٢) بمحبوبة : صمم . (٣) الأمشاط : الأخطاط . (٤) جرية : جريئة .

وأنساب صحيحة ، وأحساب شريفة ، يرقى^(١) من أفواههم الكلام مُرُوق السهم من نَبْعَةِ الرّام^(٢) ، أَعْدَبَ من هواء الربيع ، وألينَ من سلسيل اللّين^(٣) ؛ مُطْعِمُو الطّعام في الجُدْبِ ، وضاريُو الهام في الحرب ، لا يرَامُ عزُّهم ، ولا يُضَامُ جازهم ، ولا يُسْتَبَاحُ حرّيمهم ، ولا يُذَلَّ كَرِيمهم ، ولا يُقَرُّون بفضيل للأنام ، إلّا للملكِ الهام ، الذي لا يقاسُ به أحد ، ولا يوازيه سُوقَة^(٤) ولا مَلِك !

فاستوى كسرى جالساً ، وسرّ لنا سمع من مُحْكَم كلامه ، وقال لجلسائه : إني وجدته راجعاً ، وقوميه مادحاً وبفضيلتهم ناطقاً ، وبما بُورِدُهُ من لفظه صادقاً ؛ وكذا العاقل من أحكمتُه التجارب انم أمره بالجلوس فليس ، فقال له : كيف بصرك بالطّب ؟ قال : ناهيك !

قال : فما أصلُ الطّب ؟ قال : ضَبَطُ الشفتين ، والرفقُ باليدين . قال : أصبت ! فما الدواء الدّوي^(٥) ؟ قال : إدخال الطّعام على الطّعام ، هو الذي يُفْنِي البريّة ، ويُهْلِك السباع في جَوْفِ البريّة . قال : فما الجرّة التي تُلْهَب منها الأدوية ؟ قال : هي التّخمة ، إن بقيت في الجوف قتلت ؛ وإن تحلّت أَسْقَمَت . قال : صدقت . فما تقول في الحِجامة ؟ قال : في هِصان الهلال ، في يوم صَحْو لا غَيْم فيه ، والنفس طيبة ، والروق ساكنة ، لسرورٍ يفاجئك ، وهمّ يباعدك . قال : فما تقول في دخول الحمام ؟ قال : لا تدخله شَيْمَان ، ولا تم بالليل عُرْيَان ، ولا تتمد على الطّعام غَضْبَان ، وارق بنفسك يكن أرغى لبالك ، وقُلْ من طامك يكن أهناً لنومك .

قال : فما تقول في الدّواء ؟ قال : ما لزمَتَكَ الصّحة فأجتنبه ، فإن حاج دواء

(١) يرقى : يخرج . (٢) الرام : شجر . (٣) السلسيل : الذب . واللين : الماء الجاري . (٤) السوقة : خلاف الملك . (٥) الدواء الدوي : المهلك .

فأخسه بما يردُّه قبل استحكامه ؛ فإنَّ البدنَ بمنزلة الأرض ؛ إنَّ أصلحتها عمرت ،
ولإنَّ تركتها خربت .

قال : فما تقولُ في الشراب ؟ قال أطيِّبه أهناه ، وأرقه أمرأه ، وأعذبه أشباهه ،
لا تشربه صِرْفًا^(١) فيورثك صداعاً ، ويشير عليك من الأدوية^(٢) أنواعاً .
قال : فأى اللّحمَان أفضل ؟ قال : الضأن النقي ؛ والتديدُ للمالح مهلكُ إلاَّ كل ؛
واجتنب لحمَ الجُرُور والبقر .

قال : فما تقول في الفواكه ؟ قال : كُلِّها في إقبالها وحينَ أوانها ، واتركها إذا
أدبرت وولَّتْ واقضى زمانها ؛ وأفضلُ الفواكه الرمان والأترجُ ، وأفضلُ الرياحين
الورد والبَنَفْسَج ، وأفضلُ البقول الجُنْدِيَاءُ^(٣) والنخس .

قال : فما تقول في شُرْبِ الماء ؟ قال : هو حياةُ البدن ، وبه قوامه ، ينفع
ما شرب منه بقدر الحاجة ، وشربه بعد النوم ضرر ، أفضلُه أمرءه ، وأرقه أضفاه .
قال : فما طعمه ؟ قال : شىء لا يوصف ، قال : فما لونه ؟ قال اشقَبه على الأبصار
لونه ؛ لأنه يحسكى لون كلِّ شىء يكون فيه .

قال : فما النور الذى فى السنين ؟ قال : مركَّب من ثلاثة أشياء : فالبياض
شحم ، والسواد ماء ، والناظر رِيح .

قال : فلى كم جَبَلٍ وطَبِيعَ البدن ؟ قال : على أربعة طباع : للرَّءُ السوداء
وهى باردة يابسة ، والرَّءُ الصفراء وهى حارَّة يابسة ، والدم وهو حارٌّ رطب ،
والبلغم وهو بارد رطب . قال : فلمَ لم يكن من طَبِيع واحد ؟ قال : لو خِلقَ من
طَبِيع واحد لم يأكل ولم يشرب ؛ ولم يعرض ولم يهلك ؛ قال : فن طبيعتين لو كان

(١) صِرْفًا : غير مزوج . (٢) جمع داء . (٣) بقلة نائمة للحمدة والكبد والطحال .

اقتصم عليها ! قال : لم يَجْزُ لَأَنَّهُمَا ضِدَانِ يَسْتَلْتَانِ ؟ قال : فمن ثلاث ؟ قال : لم يصلح
مُواضَعَانِ وَمُخَالِفِ الْأَرْبَعِ هُوَ الْاِعْتِدَالُ .

قال : فَأَتَجَلَّى لِي الْحَارَّةُ وَالْبَارِدَةُ فِي أَحْرَفِ جَامِعَةٍ ، قال : كلُّ حارٍ حار ، وكل
حامض بارد ، وكلُّ حَرِيفٍ ^(١) حار ، وكلُّ مَرَّةٍ معتدل ، وفي اللَّزَّةِ حارٌ وبارد . قال :
فَأَفْضَلُ مَا عُولِجَ بِهِ لِلرَّهَةِ الصَّفْرَاءُ ؟ قال : كلُّ باردٍ لين ، قال : فالرَّهَةُ السوداء ؟ قال :
كلُّ حارٍ لين . قال : فالبلغم ؟ قال : كلُّ حارٍ يابس . قال : فالدم ؟ قال : لإخراجه
إِذَا زَادَ وَتَغَلَّقَتْهُ إِذَا سَخَنَ بِالشَّيْءِ الْبَارِدَةِ الْيَابِسَةِ . قال : فالرَّيْحُ ؟ قال : بالحقن
اللينة ، والأَذْهَانُ الْحَارَّةُ اللَّيِّنَةُ . قال : أَتَأْمُرُ بِالْحَقْنَةِ ؟ قال : نعم ! قرأت في بعض
كتب الحكماء أَنَّ الْحَقْنَ تُنْفِى الْجُوفَ وَتَكْسَحُ الْأَدْوَاءَ عَنْهُ ، والمعجب لمن
احتقن كيف يَهْرَمُ أَوْ يَمُوتُ الْوَلَدُ ! وَلِمَنِ الْجَاهِلُ مَنْ أَكَلَ مَا قَدْ عَرِفَ مَضَرَّتَهُ ،
وَيُؤَثِّرُ شَهْوَتَهُ عَلَى رَاحَةِ بَدَنِهِ .

قال : فَمَا الرِّحْمِيَّةُ ؟ قال : الْاِتِّصَالُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِنَّ الْأَكْلَ فَوْقَ التَّسَدُّدِ
يُضَيِّقُ عَلَى الرُّوحِ سَاحَتَهَا ، وَيُدْهِمُ مَسَاسِمَهَا .
قال : فَمَا تَقُولُ فِي النِّسَاءِ ^(٢) ... وَأَيُّهُنَ التَّلَبُّ إِلَيْهَا أَمِيلٌ ، وَالْعَيْنُ بِرُؤْيَيْهَا أَسْرَءُ ؟
قال : إِذَا أَصَبَتْهَا مَدِيدَةُ الْقَامَةِ ، عَظِيمَةُ الْهَامَةِ ^(٣) ، وَاسِعَةُ الْجَبِينِ ، قَنَوَاءُ الْعَرِينِ ^(٤) ،
كَعْلَاءِ ^(٥) لَمْسَاءِ ^(٦) ، صَافِيَةِ الْخَدِّ ، عَرِيضَةِ الصَّدْرِ ، مَلِيحَةِ النَّحْرِ ^(٧) ، فِي خَدِّهَا
رِقَّةٌ ، وَفِي شَفَتَيْهَا لَمَسٌ ، مَقْرُونَةُ الْحَاجِبَيْنِ ، نَاهِلَةُ التَّنْدِيهِ ، لَطِيفَةُ الْخَصْرِ ^(٨)

(١) المريق: الذى يذوق اللسان .

(٢) عبارات في الأصل حذفنا . (٣) الهامة : الرأس . (٤) قنواء: بينة الفنا ، وهو
ارتفاع أعلى الأنف واحديداب وسطه وسبوغ طرفه . والعرين : الأنف كله أو ماصلب منه .

(٥) الكعلاء : التى كأنها مكحولة ولم تكحل . (٦) لمساء : في شفتها سواد .

(٧) النحر : أعلى الصدر . (٨) المنصر : وسط الإنسان .

والقدمين ، بيضاء فرعاء^(١) ، جعدة^(٢) غضة بيضة^(٣) ، تخالها في الظلمة بذراً زاهراً
تبسم عن ألقوان وعن ملبس^(٤) كالأرجوان^(٥) ، كأنها بيضة مكنونة ، أليف
من الزبد ، تفرح بقربها ، وتسرك الخلو ممها .

فاستضعطك كسرى حتى اختلجت كتفاه ! وقال : لله درك من أعرابي ! لقد
أعطيت علماً ، وخصيت فطنةً وفيهما . وأحسن صلتك ، وأمر بتدوين ما نطق به .

(١) الفرعاء : الناقة الشعر . (٢) جعدة : غير مسطحة الشعر . (٣) غضة : ناعمة .

(٤) الملبس : الثنز . الألقوان : ثوب من نبات الربيع ، له نور أبيض . كأنه ثوب جارية حديثة السن

(٥) الأرجوان : صبيح أحر .

٥١ - حديث قس بن ساعدة مع ملك الروم*

قال إسحاق بن إبراهيم اللوصلي :

حضرت مجلس للآمون ، قلت : يا أمير المؤمنين ؛ ألا أحدثك عن الفضل ابن يحيى ؟ قال : بلى ! قلت : دخلت دار الرشيد ، وإذا الفضل بن يحيى وإسماعيل ابن صبيح ، وعبد الملك بن صالح في بعض تلك الأروقة يتحدثون ؛ فلما بصرتُ الفضل أومأ إلى ، وقال : يا إسحاق ؛ انتظرناك منذ النذاة ؛ لتساعد على مانحن فيه من اللذاكرة ، قلت : يا سيدي ؛ أنا الشكيت^(١) إذا أجريت الجياد ، وفاز السابق وللصلي ! قال عبد الملك : مدحت نفسك ، ولما تكذب .

ولما فرغ عبد الملك من حديثه قال الفضل : إن نفس^(٢) حديثاً سمعته من الخليل بن أحمد ، فهل عند واحد منكم له ذكر ؟ فسكت القوم ، قلت : يا سيدي ؛ ما نعرف له حديثاً إلا حديثه خطبته بمكاظ ! قال : ذاك شيء قد فهمته العامة واختبرته الخاصة . ثم أطرق ساعة ، قلنا : إن رأيت أن تحدثنا ؟ فقال :

حدثني الخليل بن أحمد ، أن قيصراً ملك الروم بعث إلى قس بن ساعدة أسقف تَجْران - وكان حكماً طليماً بليماً في منطقته ؛ فلما دخل عليه ومثل بين يديه حمد الله

* المحاسن والمساوي : ٣٥١ - طبع ليزنجر .

(١) الشكيت : التي يحيى في الحلية آخر الخليل . (٢) هو قس بن ساعدة خطيب العرب فاطبة ، والمضروب به المثل في البلاغة والحكمة ، والموعظة الحسنة . كان يدين بالتوحيد ، ويؤمن بالبعث ويدعو العرب إلى نيز الأوثان ، في الميادين العامة ، ومواسم الأسواق وسمعه النبي قبل البعثة يخطب بمكاظ ، فسحب من حسن كلامه وأثنى عليه ، وعمر طويلاً ومات قبيل البعثة .

وأثنى عليه ، فأمره بالجلوس ، فجلس ورحَّبَ به ، وأدنى مجلسه ، وقال : ما زِلْتُ مشتاقاً إليك لِمَا سمعتُ من مُناظرتِكَ في الطب .

فكان أولُ مأسأله عن الشراب ، قال : أَىُّ الأَشربة أفضلُ عاقبةً في البدن ؟ قال : ماصفاً في العين ، واشتدَّ على اللسان ، وعلابت راحته في الأنف من شراب السكرم . قال : فما قول في مطبوخه ؟ قال : مرعى ولا كالسعدان ^(١) . قال : فما تقول في نَبِيذ الزبيب ؟ قال : مَيّت أخى ، وفيه بعضُ اللُتنة وما كاد يقوى شيء بعد الموت ! قال : فما تقول في نَبِيذ العسل ؟ قال : نَعَم شرابُ الشيخ للعدة الفاسدة . قال : فما تقول في أنبذة التمر ؟ قال : أوساخ يطيبُ مذاقها في اللهورات ، وتسوّه عاقبتها في البدن ، وتولد الأرواح ^(٢) في البطن لرقمتها .

قال : فمن أَىِّ شيء يكون التَّمَل الذي يُذهب النِّمَّ ويطيب النفس ؟ قال : زعموا أنَّ العقلُ نُصْفُهُ سَوْرَةُ الشراب إلى الدِّماغ ؛ فإذا صعدت السَّوْرَةُ إلى الدماغ الذي هو أصله ، احتجب البصرُ بغيرِ عَمَى ، والسمع بغيرِ صَمَم ، واللسانُ بغيرِ خَرَس ، فلا يزال العقلُ كذلك محتجباً حتى تفسكه الطبيعة من إسارِ السكر ، إمّا بقوة فيجعل ، وإمّا بضعفٍ فيبطل .

قال : فَمِنْ أَىِّ شَيْءٍ الخمار ^(٣) من بَعْدِ صَحْوِ السكران ؟ قال : من إعْيَا الطبيعة عن مُجَاهدة السَّوْرَةِ في فتسكالك العقلِ وتخلصه ، حتى يردّها النُّومُ إلى هُذُودِ وما أشبهه . قال : الصَّرْفُ أفضلُ أم المزوج ؟ قال : الصَّرْفُ سلطانٌ جائرٌ ، والجائرُ مذمومٌ ، وللمزوج سلطانٌ عادلٌ ، والمادلُ محمودٌ .

قال : فَصِفْ لِي الأَطعمة . قال : الأَطعمةُ كثيرةٌ مختلفةٌ ؛ وجملةُ ما أمرك به

(١) السعدان : نبت ذو شوك ، وهو من أنجح الرعى ، وهذا مثل يضرب لشيء يفضل على أقرانه وأشكاله . (٢) الأرواح : حم ریح . (٣) الخمار : بقية السكر .

الإشاكُ عن غاية الإكثار ، فإن ذلك من أفضل ما بَلَّوْناه من الأدوية ، ورأسُ ما نأمرُ به من الحَمِيَّةِ . قال له : عَمَّنْ حَلَّتْ الحِكْمَةُ ؟ قال : عن عِدَّةٍ من الفلاسفة . قال : فما أَفْضَلُ الحِكْمَةِ ؟ قال : معرفةُ للرَّءِ بَقَدْرِهِ . قال : فما تَقُولُ في الحِلْمِ ؟ قال : حِلْمُ الإنسانِ ما به وجهه . قال : فما تَقُولُ في اللالِ وفضله ؟ قال : أَفْضَلُ للالِ ما أُعْطِيَ منه الحقُّ . قال : فما أَفْضَلُ المَطْيَةِ ؟ قال : أَنْ تُعْطِيَ قَبْلَ السَّوَالِ .

قال : فأخبرني عما بَلَّوْتَ^(١) من الزمان ونصرته ، ورأيتَ من أخلاقِ أَهْلِهِ . قال : بَلَّوْنَا الزَّمانَ فوجدناه صاحِباً يَخُونُ صاحِبَهُ ، ولا يَتَعَبُ مَنْ عَاتَبَهُ ، ووجدنا الناسَ صُورَةً من صُورِ الحَيوانِ ، يَتَفاضَلُونَ بالقولِ ، ووجدنا الأَحابِسَ لَيْسَتْ بِالآبَاءِ وَالأُمَمَاتِ ، وَلَكِنَّها في أَخلاقٍ مَعْمُودَةٍ ، وفي ذلك أَقُولُ :

لَتَدَّ حَلَبَتُ الزَّمانِ أَشْطَرُهُ ثُمَّ تَخَضَّتْ^(٢) الصَّرِيحُ^(٣) مِنْ حَلَبِ
فَلَمْ أَرَ الْقَضَلَ وَلَلْمَالِي فِي قَوْلِ النَّقِيِّ : إِنِّي مِنَ الْعَرَبِ
حَتَّى نَزَعَنِي سَامِيًّا إِلَى خُلُقٍ يَدُودُ مَعْمُودُهُ عَنِ النَّسَبِ
مَابَيْنَفِخُ الرِّءِ فِي فُكَاهَتِهِ مِنْ عَقْلِ جَدِّ مَعْنَى وَعَقْلِ أَبِ
مَالِ الرِّءِ إِلَّا ابْنُ نَفْسِهِ قَبْهًا يُعْرِفُ عِنْدَ التَّحْصِيلِ لِلنُّوْبِ

ووجدنا أبا بَلَعِ العَظائِ النَّظَرَ إلى مَحَلِّ الأُمُوتِ ، وأَحَدِ البِلاغَةِ الصَّتِ ،
ووجدنا لأَهْلَ الحَزْمِ حَذاراً شَدِيداً ، وبذلك نَجَّوْا مِنَ المَكْرُوهِ ، وَالكَرْمُ حَسَنُ
الاصْطِبَارِ ، وَالْمَرْءُ سُرْعَةُ الاتِّصَارِ وَالتَّجَرُّبَةُ طُولُ الاعتِبارِ .
قال : أَخْبِرْنِي هَلْ نَظَرْتَ في النُّجُومِ ؟ قال : مَانظَرْتُ فيها إِلَّا فيا أَرَدْتُ بِهِ
الهِدَايَةَ ، وَلَمْ أَنْظَرْ فيها أَرَدْتُ بِهِ الكَهَنَةَ ، وَقَدْ قَلَّتْ في النُّجُومِ :

(١) بَلَّوْتَ : خَبَرْتُ . (٢) غَضَّ اللَّبَنُ : أَخَذَ زَبَدَهُ . (٣) الصَّرِيحُ : الخالصُ .

علم النجوم على العقول وبأل^(١) وطلاب^(٢) شيء لا يُنال ضال^(٣)
 ماذا طلابك علم شيء أغلقت^(٤) من دونه الأفلاك ليس يُنال^(٥)
 هيهات ما أحد بنامض قدره يدري كم الأرزاق والآجال^(٦)
 إلا الذي فوق السماء مكانه فلوجه الإكرام والإجلال^(٧)

قال : فهل نظرت في زجر^(٨) الطير ؟ قال : نحن معاشر العرب مولعون بزجر^(٩)
 الطير . قال : فما أعجب ما رأيته منه ؟ قال : شخّصت^(١٠) أنا وصاحب^(١١) لي من العرب
 إلى بعض الملوك ، فألقيناه^(١٢) يريد غزو قوم كانوا على دين النصرانية ، فخرج حتى
 إذا كان على فراسخ^(١٣) من مدينته أمر بضرب قساطيطه وأزوقته لتتوا في إليهجنوده^(١٤) ،
 وضرب له قساطر على شاطئ^(١٥) نهر ، وأمر ببناء فضر^(١٦) لي ولصاحبي ، فبيتنا نحن
 كذلك إذ أقبل طائران : أسود وأبيض ، وأنا وصاحبي نرممهما ، حتى إذا كانا على
 رأسه رفرفا ، ثم غابا ، ثم رجعا أيضاً ، حتى إذا كانا قريباً منه طويآه ، ثم أقبلا
 نحونا فوقاً ثم ركباً^(١٧) . قال صاحبي : ما رأيت كالיום طائران أعجب منهما ،
 فأيهما أنت مختار ؟ قلت : الأسود . قال : الأبيض أعجبهما إلي ، فأتاوتهما ؟ قلت :
 الليل والنهار يطويان هذا الرجل في سفره فيموت ، وتأولت اختيارك الأبيض أنك
 تنصرف بيد بيضاء مخففة^(١٨) من اللال . فإذا هو قد غضب .
 فلما جئ الليل بعث إلينا الملك لنسمر عنده ، فإذا صاحبي قد أخبره بالخبر ،
 فسألني فأخبرته وصدقته . فضّيب ، وقال : هذه حمية منك لأهل دينك ! قلت :
 أما أنا فهد صدقتك . فأمر بحبسي ومضى لوجه . فلم يتجاوز إلا قليلاً حتى مات !
 فأوصي لي بمشرين ناقة ، وقال : قاتل الله قساً ! لقد خضني النصيحة . فانصرفت^(١٩)
 من سفرى ذلك بعدة من الإبل ، وانصرف مخففاً من اللال .

(١) طلاب : طلب . (٢) الزجر : ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالتيب عند سنوح
 طائر أو حيوان . (٣) الرتم : الأكل والشرب رغداً في الرف . (٤) مخففة : خالية .

قال للالك : وما رأيتَ أيضاً من الزجر أعجب ؟ قلت : ما رأيتُ مرةً عند الملك
الهُنَّامِ أَيْ قَابُوسَ ، وقد خرج عليه خارجٌ من مُضَرَّ يريدُ مُلْكَهُ ، وقد حشد له ،
فبثَّ إلى بعض عمَّاله في توجيه أربعمائة فارس ، ووجهي مع الرسول ، وأمرنا بالشدِّ
على أيديهم في بَيعِ الخليل والرجال - وكان الرسولُ شاعراً ، فبينما نحن نسير إذ
سُئِلَ لَنَا غِلَاءٌ فِيهَا تَيْسٌ ^(١) يَدُومُهَا ، وكان أبو قابوس يواعد للقائه في يوم كذا
وكذا ، فصنع قول : إن كان اللالكُ خرج في يوم كذا فهو اليوم في موضع كذا ،
وقد أقبلنا ، ونحن هود جيئاً عَرَمَرَمًا ، فأنشأ الرسول يقول :

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي مَا تَقُولُ السَّوَّاحُ أَغَاوِ أَيْو قَابُوسَ أَمْ هُوَ رَاحُ ؟

فنظرتُ إلى التَّيْسِ عند فراغه من هذا البيت ، فوجدته قد دخل في مَكْنَسِهِ ^(٢)
حتى توارى فيه ، فدخلني من ذلك ما لم أقدِّر على أن أُمسِكَ نَفْسِي ! حتى استرجعت ،
فقال لي رفيقي : مالك ؟ قلت : إن صدَّقَ الزجر فصاحبك قد تَوَيَّ في التراب ،
والتصتَّ عليه أُمْلِقُ الثَّيِّ ! قال : كيف ذلك ؟ قلت : وافقَ فراغك من البيت
دخولَ التَّيْسِ في مَكْنَسِهِ ، فأعرضَ عني .

فلما أصبحتُ في اليوم الذي واعدنا للقائه لم يُؤَافِرْ ، ولم يكن بأَوْشَكَ من أن
أَنَا الخَيْرُ بهلاكه وقُود ابنه .

فأكرمته قَيْصَرَ وأحسنَ جائزته .

قلنا : أَيْدِ اللَّهِ الوزير ! لقد بلغتَ ما بلغتَ باستحقاق ، ولقد حُرِّتَ قصبة الرهان
في كل مَنَقَبَةٍ ، فنبهتم وقال : عِزُّ الشَّريفِ أَدْبُهُ ، وإذا رسولُ الرشيد قد وافاه قَهْضُ
نَحْوِهِ ، وتصدَّع المجلس وانصرفنا .

(١) التيس : الذكر من الطيلاء والمز والوعول . (٢) المكس : بكسر النون : مولج الوحش
من الطيلاء والبقير تكون فيه من الحر .

فلما مضى من الليل بمضهُ إذا أنا بطارق قد طرقتى ، وبين يديه غلمان على أعناقهم البدر^(١) ، وإذا رسول الفضل وقد حمل إلى مائة ألف درهم ، وقال : الوزيرُ يقرأ عليك السلام . ويقول : ضجرتَ بسماع الأحاديث ، وأوجبتَ على بذلك مئة ، وهذا عطاء وَجَّح^(٢) في جنب قدرك عندي ، نخذه ولا تمتدَّ به .

قلت : سبحان الله الذى خلق هذا الرجل ! وجَّبله على كرم بذِّه من مَعَى ومن غَيْر . وإذا هو قد وجَّه إلى أصحابي الذين كانوا معي بمثل الذى وجَّه به إلى ، ففدوتُ إليه وأردتُ أن أشكره ، قال : والله لئن ذهبتَ تكشِفُ ماستَر الله لأجوتِكَ ! فكأنما ألقمتى حجرًا . واحتبسنى عنده ، فطعمت وشهبت ، ورُخت وقد حملنى على عِدَّة أفراس يسُرُوج ولجم مذهبة ، ووجه معي بمشرة تحوت^(٣) وثيابي وعشر يدري .

قال للأُمون : وَغُك يا إسحاق ! ثوابُ حديثك ضعفُ ما أمر لك به الفضل ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم .
فقبضتُ ذلك وانصرفت .

(١) البدر : جم بدره : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم . (٢) وجَّح : قليل .

(٣) التحت : وعاء تصان فيه الثياب .

٥٢ — أعرابي في سفر *

زعموا أن رجلاً من كعب خرج في جماعة ، ومعه سقاء ^(١) من لبن ، فسار
صَدْرَ يومه فمطش فأناخ ليشرب ؛ فإذا غرابٌ منعب ^(٢) ، فأنار راحلته ، ثم سار ،
فلما أظهر ^(٣) أناخ ليشرب ، فنعب الغراب وتمرغ في التراب ، فغرب الرجل
السقاء بسيفه ، فإذا فيه أسود ^(٤) ضخم قتلته .

ثم سار ، فإذا غرابٌ واقعٌ على سِدْرَةٍ ^(٥) ، فصاح به فوق على سلّة ^(٦) ، فصاح
به ، فوقع على صخرة ، فأتته إليها ، فأنار كنزاً .

فلما رجع إلى أبيه قال له : إيه ما صنعت ؟ قال : سرتُ صَدْرَ يومي ، ثم أنختُ
لأشربَ فنعب الغراب ، قال : أثرتها ، وإلا فلستَ بابني ! قال : أثرتها ، ثم
أنختُ لأشربَ ؟ فنعب الغراب ، وتمرغ في التراب ، قال : اضرب السقاء ، وإلا
فلستَ بابني ! قال : فلت ، فإذا أسودٌ ضخم ، قال : ثم مة ! قال : ثم رأيتُ
غراباً على سِدْرَةٍ ، قال : أطرته وإلا فلستَ بابني ! قال : فلت . فوقع على سلّة ،
قال : أطرته وإلا فلستَ بابني ! قال : فلت ، فوقع على صخرة ، قال : أخبرني بما
وجدت ، فأخبره !

* نهاية الأرب : ٣ - ١٤٠ ، بلوغ الأرب : ٣ - ٣٠٩ .

(١) السقاء : ما يوضع فيه اللبن . (٢) نعب الغراب : صاح . (٣) أظهر : سار في الظهور
(٤) الأسود : العظم من الحيات . (٥) السدرة : شجرة التين . (٦) السلم : شجرة من
الضياء ، الواحدة سلّة .

٥٣ - في موت رسول الله *

قال أبو ذؤيب الهذلي ^(١) : بَلَفْنَا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيلٌ ؛
فَأَوْجَسَ أَهْلُ الْحَيِّ خِيفَةً عَلَيْهِ ، فَبِتُّ بِبَلِيَّةٍ ثَابِتَةٍ النُّجُومِ ، طَوِيلَةِ الْأَنَاءِ ؛ لَا يَنْجِبُ
دَيْمُورَهَا ^(٢) وَلَا يَطْلُعُ نُورُهَا ، حَتَّى إِذَا قَرُبَ السَّحَرُ غَفَوْتُ ، فَهَتَفَ لِي هَاتِفٌ
يَقُولُ :

خَطْبُ أَجَلٍ أَنَاخَ بِالْإِسْلَامِ بَيْنَ التَّخِيلِ وَمَقْدِ الْأَحْلَامِ ^(٣)
قُبُضَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَمَيُونُنَا تُدْرِي الدَّمُوعَ عَلَيْهِ بِالتَّسْجَامِ ^(٤)

فَوَبَّيْتُ مِنْ نَوَى فَرَعَا ؛ فَظَنَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ فَلَمْ أَرِ إِلَّا سَمَدَ الْقَاصِمِ ^(٥) ؛ فَضَاعَلْتُ
بِهِ ذُبَابًا يَتَّبِعُ فِي الْعَرَبِ ، وَعَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ ، أَوْ هُوَ مَيِّتٌ
مِنْ عِلَّتِهِ .

فَرَكِبْتُ نَاقَتِي وَمِيزْتُ حَتَّى أَصْبَحْتُ ، فَطَلَبْتُ شَيْئًا أَزْجِرُهُ ، فَضَلَّ لِي شَيْئُهُم ^(٦)
قَدْ أَرَمَ ^(٧) عَلَى صِلٍ ^(٨) ، وَهُوَ يَتَلَوَّى ، وَالشَّيْءُ يَنْقُضُهُ حَتَّى أَكَلَهُ ، فَزَجَرْتُ ذَلِكَ
شَيْئًا مِثْلًا ؛ فَهَلَّتْ : تَلَوَّى الصَّلَّ اخْتَالَ ^(٩) النَّاسُ عَنِ الْحَقِّ عَلَى الْقَائِمِ بِمَدِّ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَوَّلْتُ أَكْثَلَ الشَّيْءِ إِيَّاهُ ، غَلَبَةَ الْقَائِمِ عَلَى الْأَمْرِ .

* بلوغ الأرب : ٣ - ٣١٥ ، نهاية الأرب : ٣ - ١٤٢ ، معاهد التنصيص : ١ - ١٩٣

(١) أبو ذؤيب الهذلي : شاعر مقدم من شعراء هذيل ، كان في جند عبد الله بن سعد حينما فتح
إفريقية وعاد إلى مصر ومات بها . (٢) الديمور : الغلام . (٣) الأطم : القصر وكل حصن
مبنى بحجارة وكل بيت مريح ساطع ، جمه أطام . (٤) سجم الدمع : قطر وسال قليلا أو كثيرا .
(٥) منزل من منازل النمر . (٦) الشيم : ذكر القنافذ . (٧) أرم عليه : عض .
(٨) الصل : الحية . (٩) اقلل عن الشيء : انصرف .

فَجِئْتُ نَاقِي حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالْعِيلَةِ ^(١) زَجَرْتُ الطَّيْرَ فَأَخْسَرَنِي بَوَاقِيهِ .
وَنَسِبَ غَرَابٌ سَانِحًا ^(٢) بِمَثَلِ ذَلِكَ ، فَعَوَّذْتُ مِنْ شَرِّ مَا عَنَّنِي فِي طَرِيقِي ، ثُمَّ
قَدَمْتُ لِلدِّينَةِ ، وَلَأَهْلِهَا ضَجِيجٌ كَضَجِيجِ الْحَجِيجِ ، وَأَهْلُوا جَمِيعًا بِالْإِحْرَامِ ، فَقُلْتُ :
مَهْ ! قَالُوا : قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجِئْتُ لِلْمَسْجِدِ فَأَصْبَتَهُ خَالِيًا ،
فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَصْبَتُ بَابَهُ مُرْتَجًا ^(٣) ، وَقَدْ خَلَا بِهِ أَهْلُهُ ،
قُلْتُ : أَيْنَ النَّاسُ ؟ قِيلَ : فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ، وَصَارُوا إِلَى الْأَنْصَارِ .
فَجِئْتُ السَّقِيفَةَ ، فَوَجَدْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَأَبَا عُبَيْدَةَ وَسَلَامًا ،
وَجَمَاعَةً مِنْ قُرَيْشٍ ، وَرَأَيْتُ الْأَنْصَارَ فِيهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمَعَهُمْ شِعْرَاؤُهُمْ وَأَمَامَهُمْ
حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ ، فِي مَلَأَ مِنْهُمْ ، فَأَوَيْتُ إِلَى الْأَنْصَارِ ، فَتَكَلَّمُوا فَأَكْثَرُوا ،
وَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ ، فَلِلَّهِ مِنْ رَجُلٍ لَا يُطِيلُ الْكَلَامَ ، وَيَعْلَمُ مَوَاضِعَ الْقَصْلِ .
وَاللَّهُ لَقَدْ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ لَمْ يَسْمَعْهُ سَامِعٌ إِلَّا اتَّقَادَ لَهُ وَمَالَ إِلَيْهِ . وَتَكَلَّمَ بَعْدَهُ
عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكَلَامٍ دُونَ كَلَامِهِ ، وَمَدَّ يَدَهُ فَبَايَعَهُ ، وَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ ، وَرَجَعْتُ مَعَهُ ؛ فَشَهِدْتُ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَشَهِدْتُ دَفْنَهُ !

(١) علية القوم : جلتهم (٢) نسب الغراب : صاح - والبائع : ما أتاك عن يمينك من طير
أو طائر أو غير ذلك . والغرب تختلف في الميافة ، فمنهم من يتيانم بالبائع : ويتشاءم بالبارح ،
ومنهم من يخالف ذلك . (٣) أرغ الباب : أغلقه .

٥٤ — عِيفَاةٌ لِهَيْبَ *

تَشَقُّ كَثِيرٌ ^(١) امْرَأَةً مِنْ خُرَاعَةٍ يُقَالُ لَهَا أَمُّ الْحَوِزِثِ؛ فَشَبَّ بِهَا
فَكَرِهَتْ أَنْ يُسَمَّعَ بِهَا وَيُفَضَّحَ كَمَا سَمِعَ بَمَزَّةٍ، قَالَتْ لَهُ: إِنَّكَ رَجُلٌ قَبِيرٌ
لَا مَالَ لَكَ فَابْتَغِ مَالاً، نِمَ تَعَالَ فَاطْطَبْنِي كَمَا يَخْطُبُ الْكِرَامُ، قَالَ: فَاخْلُقِي
وَوَقِّتِي إِنَّكَ لَا تَزُوجِينَ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيْكَ، خَلَفَتْ وَوَقَّتْ لَهُ. فَدَحَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
ابْنَ إِبْرِيْقِ الْأَزْدِيَّ وَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَلَقِيَ ظِلْيَاءَ سَوَانَحٍ ^(٢)، وَلَقِيَ غُرَابًا يَفْحَصُ التُّرَابَ
بُوجْهِهِ، فَطَاطِرٌ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى قَدِمَ عَلَى حَيِّ لِهَيْبَ ^(٣)، قَالَ: أَيُّكُمْ يَزْجُرُ ^(٤)؟
قَالُوا: كُلُّنَا! فَنَ تَرِيدُ؟ قَالَ: أَعْلَمُكُمْ بِذَلِكَ! قَالُوا: ذَلِكَ الشَّيْخُ لِلنَّحْيِ الصُّلْبِ،
فَنَاهَا قَصَصَ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، فَكَرِهَ ذَلِكَ لَهُ، وَقَالَ: قَدِمَاتِ أَوْ تَزُوجَتِ رَجُلًا مِنْ بَنِي
عَمِّهَا؟ قَالَ كَثِيرٌ:

نِيَمَّتْ لِهَيْبًا أَبْتَنَى الْعِلْمَ عِنْدَهُم	وَقَدْ رُدَّ عِلْمُ السَّائِقِينَ إِلَى لِهَيْبَ
فِيَمَّتْ شَيْخًا مِنْهُمْ ذَا بَجَالَةٍ ^(٥)	بَصِيرًا يَزْجُرُ الطَّيْرُ مُنْحَنِي الصُّلْبِ
قَالَتْ لَهُ: مَاذَا تَرَى فِي سَوَانَحٍ	وَصَوْتِ غُرَابٍ يَفْحَصُ الْوُجْهَ بِالْثَّرْبِ
قَالَ: يَجْرِي الطَّيْرُ السَّنِيحُ يَبِينُهَا	وَنَادَى غُرَابٌ بِالْفِرَاقِ وَالسَّلْبِ

* نِهَآيَةُ الْأَرْبِ: ٣ - ١٤٠، الْأَعَانِي: ٩ - ٣٤

(١) كَثِيرٌ بَنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: مِنَ الشَّرَاءِ الْفَزْلَيْنِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ دَعِيًّا فِي الْمُبِّ غَيْرِ مَرْغُوبٍ فِيهِ نَاجِحِ
صُورَتِهِ وَهُوَ ابْنُ شَخْصِيَّتِهِ فَوَقَّ نَفَاقَةَ السِّيَاسِ، وَتَرَدَّدَ بَيْنَ الشَّيْخَةِ وَبَيْنِ أُمِّيَّةٍ. فَأَخَذَ بِمَهْرٍ بِمَزَّةٍ بَنَتْ
عِنْدَ الصَّمْرِى حَتَّى عَرَفَ بِهَا، وَكَانَتْ وَقَاتِهِ سَنَةُ ١٠٥ هـ. (٢) السَّاحِ: مَا أَنْكَ عَنْ يَمِينِكَ مِنْ
طَلَبٍ أَوْ طَائِرٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَالْبَارِحُ: مَا أَنْكَ مِنْ ذَلِكَ عَنْ يَمَانِكَ. (٣) لِهَيْبَ: قَبِيلَةٌ مِنَ الْبَلَيْنِ
مَعْرُوفَةٌ بِالْعِيفَاةِ وَزَجَرِ الطَّيْرِ. (٤) الْزَجْرُ: ضَرْبٌ مِنَ التَّسْكِينِ، وَهُوَ الْيَمِينُ وَالنَّشَاطُومُ بِالطَّيْرِ
وغيرها. (٥) يَبِينُهَا: يَجْعَلُهَا لِلنَّاسِ وَيُظْهِرُهَا.

فَإِلَّا تَكُنْ مَاتَ قَدْ حَالَ دُونَهَا سِوَالِكَ خَلِيلٍ بَاطِنٌ مِنْ بَنِي كَعْبٍ
 ثُمَّ مَدَحَ الرَّجُلَ الْأَزْدِيَّ فَأَصَابَ مِنْهُ خَيْرًا ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهَا ، فَوَجَدَهَا قَدْ
 تَزَوَّجَتْ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَمَّهَا ، فَأَخَذَهُ الْهَلَّاسُ ^(١) ، فَكَشَّحَ ^(٢) جَنْبَاهُ بِالنَّارِ ، فَلَمَّا
 انْدَمَلَ ^(٣) مِنْ عِلَّتِهِ ، وَضَعَ يَدَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ؛ فَلِذَا هُوَ بِرَقْمَتَيْنِ ^(٤) ؛ قَالَ : مَا هَذَا ؟
 قَالُوا : أَخَذْنَاكَ الْهَلَّاسَ ، وَزَعَمَ الْأَطْبَاءُ أَنَّهُ لَا عِلَاجَ لَكَ إِلَّا بِالْكَشْحِ بِالنَّارِ ،
 فَكَشَحْتِ بِهَا ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

عَفَا اللَّهُ عَنْ أُمِّ الْخَوَيْرِثِ ذَنْبَهَا عَلَامَ تُعْنِيْنِي وَنَكْبِي ^(٥) دَوَائِي ؟
 وَلَوْ آذَنُونِي قَبْلَ أَنْ يَرْقُمُوا بِهَا لَقُلْتُ لَهُمْ : أُمُّ الْخَوَيْرِثِ دَائِي

(١) الهلاس : الضمور ، أو مرض الل . (٢) كشح : كوى . (٣) اندمل : برى .
 (٤) المرقوم من الدواب : القى يكون على أوطفته كيات صفار ، وكل واحد منها رقة ، والمراد
 أنه ربيد أثر كيتين . (٥) كى الشيء : سزعه وكتمه .

٥٥ - أبو النشاش ولب

كان أبو النشاش من لصوص بني تميم ، وكان يعترض القوافل في شذاذ^(١)
من العرب بين طريق الحجاز والشام ، فَيَجْتَاكُهَا ، فَيَطْلُبُ به بعض عمال مروان بن
الحكم ، فحبسه وقيده مدة ، ثم استطاع أن يهرب في وقت غيرة ، فهرب ، ومرت
بفراب على بانة^(٢) ، يَنْتِفُ ريشه وينصب ، فجزع من ذلك ، ثم مر بحجر من
لب ، فقال لهم : رجل كان في بلاد وشر ، وحبس وضيق ، فنجنا من ذلك ، ثم
نظر عن يمينه فلم ير شيئاً ، ونظر عن يساره فرأى غراباً على شجرة بآن ، يفتف
ريشه ، وينصب ! فقال له اللهي : إن صدقت الطير يُمَادُ إلى حبسه وقيده ، ويطول
ذلك به ، ويُقْتَلُ ويُصَلَبُ ، قال له : فيك الحجر أقال : لا ، بل فيك أو أنشأ يقول :
وسائلة أين الرحيل وسائل
ومَن يسأل الصلوك أين مَذَاهِبُهُ ؟
مذاهبه أن الفجاج عريضة
إذا ضَنَّ عنبه بالنوال أقال به
إذا لره لم يسرح^(٣) سواماً ولم يرح
سواماً ولم ييسط له الوجه صاحبه
فللموت خير للقي من قموده
عديماً ومن موئى تُعَافُ مشاربه
ودوية^(٤) قفر يحار بها القطا^(٥)
سرت بأبي النشاش فيها ركاثيه
ليذكر نأراً أو ليكسب مَنَافاً
ألا إن هذا الدهر تَنَزَّى عجاثيه
فلم أر مثل الفقر ضاجته الفتي
ولا كسواد الليل أخفق طالبه
فيس مُندماً^(٦) أومت كرمافاني
أرى للموت لا يبقى على من يطالبه

* الأغانى : ١١ - ٤٢ ، ديوان الخامسة : ١ - ٣١

- (١) الشذاذ : الذين لم يكونوا في جهم ومنازلهم . (٢) البان : شجر لحب ثمره دهن طيب .
(٣) يقال سرح الناضية سرحاً : أخرجها بالفداة إلى الرعى ، والبوام والسائمة : الإبل أرسلت
لرعى ، وأراح الناضية : ردها من المشى إلى مراحها ليلاً . (٤) الدوية : منوبة إلى الدو وهو
الفلاة البعيدة الأطراف . (٥) يضرب المثل بالقطا في الهداية ، فيقال : أدل من قطاء .
(٦) للمدم : الذي اقتصر .

٥٦ - غراب يبشر بموت الحجاج *

قال مُحدَّث : كنتُ في حُبْس الحجاج ؛ فحُبِسَ مِنِّي رجل ، فأقام حيناً لا نسمعه يتكلم بكلمة ، حتى كان اليوم الذي مات الحجاجُ في الليلة التي تليه ، فأقبل غراب في عَشِيَّة ذلك اليوم ، فوقع على حائط السجن فنق^(١) ، فقال الرجل : وَمَنْ يَقْدِرُ على ما تَقْدُرُ عليه يا غراب ؟ ثم نقى الثانية فقال : مثلكَ مَنْ بَشَّرَ بخير يا غراب ! ثم نقى الثالثة فقال : مِنْ فيك إلى السماء يا غراب !

قلت له : ماسمُك تكلَّمتَ مذ حُبِسَ إلى الساعة ، فما دعاك إلى ما قلت ؟ قال : إنه نقى فقال : إني وقعتُ على سِرِّ الحجاج ، قلت : ومن يَقْدِرُ على ما تَقْدِرُ عليه ؟ ثم نقى الثانية ، فقال : إن الحجاجَ أصابه وَجَعٌ ، قلت : مثلكَ مَنْ بَشَّرَ بخير ! ثم قال في الثالثة : الليلة يموت ! ! قلت : مِنْ فيك إلى السماء .

ثم قال الرجل : إن أنسلخ^(٢) الصبحُ قبل أن أخرجَ فليس لي بَأْسٌ ، وإن دُعيتُ قبل الصبحِ فتضَرَّبُ عنقي ، ثم تلبثون ثلاثاً لا يدخلُ عليكم أحد ، ثم يدُعى بكم في اليوم الرابع ، فيهتف على رءوسكم بالكفالة ، فتن وجَدَ له كفيلاً حتى سبيله ، ومن لم يجدْ له كفيلاً فويلٌ له طويلاً .

فلما دخل الليل سمعنا الصراخَ على الحجاج ، ثم أخرج الرجل قبل الصبح ، فضرب عنقه ، ثم لم يدخل علينا أحد ثلاثاً ، ثم دُعي بنا وطلبَ منا الكفالة ، ثم صار الأمرُ لي ، فكنتُ طويلاً حتى خفتُ أن أَرُدَّ إلى الحبس ، ثم تقدم رجل فضمني ، قلت له : يا عبدَ الله ؛ مَنْ أنتَ حتى أشكرَكَ ؟ فقال لي : اذهب ، ولستُ بمشغولٍ عنكَ أبداً ، فاناطلقتُ .

* الفرَج بعد السُعة : ١ - ١١٤ .

(١) : نقى الغراب : نسبوا صاح . (٢) : انسلخ التَّهَار من الليل : خرج منه خروجا لا يبقى معه شيء من ضوئه .

٥٧ — صدق الزاجر ^(١) *

كان للنصور أزم خالد بن برمك ثلاثة آلاف درهم ، ونذر دمه فيها ،
وأجله ثلاثة أيام ، قال خالد ليحيى ابنه : إني قد طولت بما ليس عندي ، وإنما
يراد بذلك دمي ، فانصرف إلى أمك فاكنت فاعلا بعد موتى فافعله ، ثم قال :
يا بني ؛ ولا يمنعك ذلك من أن تلقى إخواننا ، فتعلمهم حالنا .
قال يحيى : فأيت إخوان والدي ، ففهم من جبهتي ^(٢) بالرد ، ثم بعث إلى
بمال جنين ، ومهم من لم يأذن لي ، وبعث بمال في أثرى لكيلا يخبر
به المنصور .

فدخلت على عمارة ^(٣) بن حمزة ، وهو متجه بوجهه إلى الحائط ، فسلمت
فردّ ردا ضميكا ، فضاعت بي الأرض ، ثم كلمته فيما كنت أتيته فيه ، فقال :
إن أمكننا شيء فسيأتيك . فانصرفت عنه ، وصيرت إلى أبي ، فأعلمته ذلك ،
وقلت : أرا لك تيق من عمارة بما لا يؤثق به .

فوالله إني لفي ذلك الحديث ، إذ طلع رسول عمارة بمائة ألف درهم ، ورسول
صاحب الصلي بمائة ألف درهم ، ورسول مبارك التركي بمائتي ألف درهم ، فجمعنا
في يومين أئني ألف درهم ، وبيعت ثلاثمائة ألف درهم ، فتمدّر ذلك ، فوالله إني
لما لبس مهنوما مهنوما ، إذ وثب إلى زاجر ، فقال : قف أخبرك ، فلم ألتفت

* الحسن والساوي : ٣٤٩

(١) الزجر : الميافة والتكهن . (٢) جبهه : رده عن حاجته واستقبله بما يكره .

(٣) عمارة بن حمزة : من الولاة الأجواد الشعراء جمع له بين ولاية البصرة وفارس والأمواز
واليماة والبحرين ، وله في الكرم أخبار عجيبة ، وتوفي نحو سنة ١٨٠ هـ .

إليه ، فلتعني وتلقني ، قلت : ونحك ! اذهب عني ، فإني مشغولٌ عنك ،
 قال : أنت والله مهموم ، والله ليُفرجنَّ همك ، ولتبرنَّ غدا في هذا للوضع
 واللواء بين يديك ، فأقبلتُ أعجب من قوله ، قال لي : إن كان ذلك فلي عليك
 خمسة آلاف درهم ! قلت : نعم ! ولو قال خمسين ألف درهم لقلت نعم ؛ لبعدي
 ذلك عني !

ثم مضيتُ ؛ فوالله ما انصرفتُ حتى وردَ على المنصور الخبير باستناض أمر
 الموصل ، وانتشار الأكراد بها ؛ فقال المنصور : ويمحك ؟ مَنْ لها ؟ - وكان
 السببُ ^(١) بن زهير عند المنصور ، وكان صديقاً لخالد - هاهنا : عندي - والله -
 مَنْ يكفيك ، وأنا أعلمُ أنك ستلقاني بما أكره ، ولكني لا أدعُ على حالٍ
 نصحك ! فقال للمنصور : ويمحك ! قل ، فليستُ أردُّ عليك . قال : يا أمير المؤمنين ،
 ما تربها بمثل خالد ! فقال المنصور : ويمحك ! وراه يصلحُ لنا بعد ما آتيناها ؟
 قال : نعم يا أمير المؤمنين ، وأنا زعيمه بذلك ، والضامن عليه .
 فتبسمَ المنصورُ ، وقال : صدقت . والله ما لها غيره ، فليحضر غداً ! فأخضر ،
 فصفح عما بقى عليه ، وعقد له .

قال يحيى : فرزنا والله بالزاجر واللواء بين يدي ، فلما رآني قال : أنا هاهنا
 أنتظرك منذ غدوة .

فتبسمتُ إليه وقلتُ : امضي ، ففضي معي ، ودفعتُ إليه خمسة آلاف
 الدرهم !

(١) كان السببُ بن زهير على شريطة المنصور والمهدي المباسمين ، وتوفي ببغداد سنة ١٧٥ هـ .

٥٨ — علم المأمون وسعة معارفه *

قال جعفر بن محمد الأتطاطي :

لما دخل المأمون ^(١) بغداد ، وقرَّ بها قرَّارُه ، أمر أن يَدْخُلَ عليه من الفقهاء والمتكلمين وأهل العلم جماعةٌ يختارهم لجلالته ومجده ، وكان يقعد في صدرِ نهاره على لبودٍ في الشتاء وعلى حصير في الصيف ، ليس معها شيء من سائر الفُرُش ، ويقعد للمظالم في كل جمعة مرتين ، لا يمتنعُ منه أحد . واختيرَ له من الفقهاء لجلالته مائة رجل ، فما زال يختارهم طبقةً بعد طبقة حتى حصل منهم عشرة ، وكان منهم أحمدُ بن أبي دُواد ، وبشرُ اللريسي ، وكنت أحدهم .

فتدبَّرنا يوماً عنده فظننتُ أنه وضع على المائدة أكثر من ثلثمائة لون ، فكلمنا وُضِعَ لونٌ نظر المأمون إليه ، قال : هذا يصلحُ لكذا ، وهذا نافع لكذا ؛ فمن كان منكم صاحبَ بلفم ورطوبة فليجنب هذا ، ومن كان صاحبَ صفراء فليأكل من هذا ، ومن غلبت عليه السَّوداء فليأكل من هذا ، ومن أحبَّ الزيادة في لحمه فليأكل من هذا ، ومن كان قصده قِلَّةُ الغذاء فليقتصرْ على هذا . فوالله إن زالت تلك حاله في كل لون تقدَّم ، حتى رُفِعت الموائد . فقال له يحيى بن أكثم : يا أمير المؤمنين ؛ إن خُصْنَا في الطب كنت جالينوس

* عصر المأمون : ١ - ٣٦٠

(١) هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ، من أعظم خلفاء بني العباس وعلماهم وحكامهم ، كان وافر الخلق ، عظيم الحلم ، عبقاً للعلم ، مؤثراً للحكمة ، توفي سنة ٢١٨ هـ .

في معرفته ! أو في النجوم كنت هُرميس في حاسبه ! أو الفقه كنت عليّ بن أبي طالب في عليه ! أو ذُكرنا السخاء فأنت فوق حاتم في جوده ! أو ذُكرنا صِدق الحديث كنت أبا ذرٍّ في صدق لهجته ! أو الكرم كنت كعب بن مامة في إثارة على نفسه !

فُسرَّ بذلك الكلام ، وقال : يا أبا محمد ! إن الإنسان إنما فُضِّل على غيره من المَوَأمِّ بفعله وعقله وتمييزه ، ولولا ذلك لم يكن لحمٌ أطيبَ من لحم ، ولا دمٌ أطيبَ من دم !

٥٩ — وفود الفارابي على سيف الدولة*

نزل أبو نصر الفارابي^(١) بدمشق ، ودخل على سيف الدولة^(٢) بن حمدان ، وهو إذ ذاك سلطانها ، ووقف بين يديه ؛ فقال له سيف الدولة : اجلس ! قال : أجلس حيث أنا أو حيث أنت ؟ قال : حيث أنت .

فخطى رقاب الناس حتى انتهى إلى مُسند^(٣) سيف الدولة ، وزاحه فيه ، حتى أخرجه عنه .

وكان على رأس سيف الدولة عماليك ؛ وله معهم لسان خاص يسأرون به ؛ فقال لهم بذلك اللسان : إن هذا الشيخ قد أساء الأدب ؛ وإني سأبله عن أشياء ، إن لم يعرفها فاجروا به !

فقال له أبو نصر بتلك اللغة : أيها الأمير ! اصبر ؛ فإن الأمور بمواقبها . فسيب سيف الدولة منه ، وعظم عنده .

ثم أخذ يتكلم مع العلماء والحاضرين في كل فن ، فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل ، حتى صمتوا ، وبقى يتكلم وحده .

ثم أخذوا يكتبون ما يقول ؛ فصرفهم سيف الدولة ، وخلا به ، فقال له :

* ثمرات الأوراق للصوى : ٩٧

- (١) لى الفارابي بالنام واشتغل فيها ، وكان فيلسوفا كاملا ، بارعا في كل فن ، وألف كتباً كثيرة في مواضع لم يسبقه إليها أحد ، توفي سنة ٣٣٩ هـ . (٢) سيف الدولة : هو علي بن عبيد الله ، صاحب التقي ومدوحه ، وهو أول من ملك حلب من بني حمدان ، توفي سنة ٣٥٦ هـ . (٣) كل شيء أسندت إليه شيئا فهو مسند بالضم ؛ وكذلك ما يسند إليه يسمى مسندا ، بكسر الميم .

هل لك في أن تأكل؟ قال: لا؛ قال: فهل لك أن تشرب؟ قال: لا. فقال:
هل تسمع؟ قال: نعم.

فأمر سيف الدولة بإحضار التقيان، فحضر كلُّ ماهر في الصنعة، نخطُّ الجميع،
فقال له سيف الدولة: هل تحسنُ هذه الصنعة؟ قال: نعم.

ثم أخرج من وسطه خريطة^(١) ففتحها، فأخرج منها عيداناً وركبها، ثم
لعب بها؛ فضحك كلُّ من في المجلس؛ ثم فكَّها وركبها تركيباً آخر؛ فبكى
كلُّ من في المجلس؛ ثم فكَّها وغيَّر تركيبها، فنام كلُّ من في المجلس، فتركهم
نياماً وخرج!

(١) الخريطة: مثل الكيس تكون من الخرق والأدم تُشد على ما فيها بالمرأ.

الباب الرابع

في القصص التي يُرى بها ما كانوا يتنوّنون به من
المكارم والمفاخر ، وما كانوا يذممون به من المناقص
والمرّات ، سواء أكان ذلك فيما يتعلق بكل منهم
في نفسه أم فيما يتصل بالأقربين من ذويه ، أم فيما يضم
أهل قبيلته ؟ أم فيما يشمل الناس جميعا .

٦٠ — سبق السيفُ المذَلُّ*

كان للنعمان بن ثواب العبدي بنون ثلاثة : سعد وسعيد وساعدة ، وكان ذا شرف وحكمة ، يوصى بنيه ، ويحملهم على أدبه .
أما ابنه سعد فكان شجاعاً بطلاً من شياطين العرب ، لم تُفقه طليئته قط ، ولم يفتر عن قرن .

وأما سعيد فكان يشبه أباه في شرفه وسودده .

وأما ساعدة فكان صاحب شراب وتدأى^(١) وإخوان .

فما رأى الشيخُ حال بنيه دما سعاداً — وكان صاحب حرب — قتال : يابئى ،
إن الصارمَ يَبْنُو ، والجوادَ يَكْبُو ، والأثر يَفُو ، فإذا شهدتُ حرباً ، فرأيتُ نارها
تستمر ، وبطلها يخطر ، وبحرها يزخر ، وضعيفها يُنصر ، وجبانها يحسر ، فأقلل
للكث والانتظار ، فإن القرار غيرُ عار إذا لم تكن طالب ثار ، وإياك أن تكون
صيد رماحها ، ونطيع نطاحها .

وقال لابنه سعيد — وكان جواداً : يابئى ؛ لا يبخل الجواد ، فأبذل الطارف^(٢)
والتلاد^(٣) ، وأقلل التلاح^(٤) ، تُذْكر عند السباح ، وابلُ إخوانك ، فإن وفيتهم
قليل ، واصنع للمروف عند مُحْتِمِه .

* الأمثال : ١ - ٦٤

(١) جمع نهمان ، وهو الندم الذى يرافئك ويشاربك . (٢) الطارف من المال : المتجدد
وهو ضد التالذ . (٣) التلاحى : النشام .

وقال لابنه ساعدة - وكان صاحب شراب : يا بُنَيَّ ، لِمَ كَثُرَ الشَّرَابُ نَفْسُ
الْقَلْبِ ، وَقَلَّ الْكَسْبُ ؛ فَأَبْصِرْ نَدِيمَكَ ، وَاحِرْ حَرِيمَكَ ، وَأَعِنْ غَرِيمَكَ ،
وَاعْلَمْ أَنَّ الظُّلْمَ الْقَامِحَ ^(١) خَيْرٌ مِنَ الرَّيِّ الْقَاضِحِ ، وَعَلَيْكَ بِالْقَصْدِ فَإِنَّ
فِيهِ بَلَاغًا .

ثُمَّ إِنَّ أَبَاهُمُ النَّهْمَانَ بْنَ ثَوَابٍ تَوَفَّى ، فَتَلَّ ابْنُهُ سَعِيدٌ - وَكَانَ جَوَادًا سِيدًا :
لَا أَخُذَنَّ بِوَصِيَّةِ أَبِي ، وَلَا يَكُونَنَّ إِخْوَانِي وَمَتَّاقِي .

فَمَدَّ إِلَى كَيْشٍ فَذَبَحَهُ ، ثُمَّ وَضَعَهُ فِي نَاحِيَةِ مِنْ خِيَابَانِهِ وَغَشَاهُ ثَوْبًا ، ثُمَّ دَعَا
بَعْضَ مِتَّاقِيهِ ، قَالَ : يَا فُلَانُ ، إِنَّ أَخَاكَ مَنَّ وَفَى لَكَ بِمَهْدِهِ ، وَحَاطَكَ بِرِفْدِهِ ،
وَنَصَرَكَ بِوُدِّهِ . قَالَ : صَدَقْتَ ! فَهَلْ حَدَّثَ أَمْرٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! إِنِّي قَتَلْتُ
فُلَانًا - وَهُوَ الَّذِي تَرَاهُ فِي نَاحِيَةِ الْخُبَاءِ - وَلَا بَدَّ مِنَ التَّمَاوُنِ عَلَيْهِ ، حَتَّى يُوَارَى !
فَمَا عِنْدَكَ ؟

قَالَ : يَا لَهَا سُوءًا وَقَعَتْ فِيهَا ! قَالَ : فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُعِينَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أُغَيِّبَهُ !
قَالَ : لَسْتُ لَكَ فِي هَذَا بِصَاحِبٍ ! وَتَرَكَهُ وَخَرَجَ . فَبِعَثَ إِلَى آخِرِ مِتَّاقِيهِ ،
فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، وَسَأَلَهُ مَوَاتَتَهُ ، فَوَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ ! حَتَّى بَعَثَ إِلَى عُلَدَمِهِمْ ، كُلِّهِمْ
يَرُدُّ عَلَيْهِ مِثْلَ جَوَابِ الْأَوَّلِ .

ثُمَّ بَشَّتْ إِلَى رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِهِ يُقَالُ لَهُ خَزِيمُ بْنُ نَوْفَلٍ ، فَلَمَّا أَتَاهُ ، قَالَ لَهُ :
يَا خَزِيمُ ، مَا لِي عِنْدَكَ ؟ قَالَ : مَا يَسْرُكُ ، وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : إِنِّي قَتَلْتُ فُلَانًا ، وَهُوَ

(١) الظُّلْمُ الْقَامِحُ : الشَّدِيدُ . وَالْمُنَى : الْعَطَشُ الشَّاقُّ خَيْرٌ مِنَ الرَّيِّ يَفْضَحُ صَاحِبُهُ (الْإِنْسَانُ ،
مَادَّةُ قَتَحَ) .

الذى نراه مُسَيِّئًا قال : أيسرُ خطب ! فتريدُ ماذا ؟ قال : أريدُ أن تُعِينَنِي حتَّى أَغِيْبَهُ ! قال : هانَ ما فَرَعْتَ فِيهِ إِلَى أَخِيكَ !

وكان غلامٌ لسميد قائمًا بينهما ، قال خُزَيْم : هل اطلَّع على هذا الأمر أحدٌ غير غلامك هذا ؟ قال : لا ! قال : انظر ما قولُ ! قال : ما قلت إلا حقًّا . فأهوى خُزَيْم إلى غلامه ، فضربه بالسيف قتله ، وقال : ليس عبدٌ بأخٍ^(١) لك .

فارتاع سميد ، وفزع لقتل غلامه ، وقال : ويحك ! ما صنعت ! وجعل يلومه . قال خُزَيْم : إن أخاك من وأبائك^(٢) !

قال سميد : فإني أردتُ تجربتك ! ثم كشفَ له عن الكبش ، وخبره بما لقي من إخوانه ومقاتله ، وما ردُّوا به عليه . قال خُزَيْم : سبقَ^(٣) السيفُ المذل^(٤) !

(١) ذهب أمتالا . (٢) المذل : اللوم ، ويضرب لا قد فات .

٦١ - إِيْثارُ ابْنِ مَامةِ الإيْادي *

خرج كعب^(١) بن مامة الإيادي في قَلْبٍ^(٢) معهم رجلٌ من بني النمر بن قاسط ، وكان ذلك في حرِّ الصيف ، فاضلوا وشحَّ ماؤهم ، فكانوا يَصَافَتُونَ^(٣) للماء - وذلك أن يُطْرَحَ في القعبِ^(٤) حَصَاةٌ ، ثم يُصَبُّ فيه من الماء بِقَدَرٍ ما يَمَرُّ الحِصَاةُ ؛ فيشرب كلُّ واحدٍ منهم قَدَرًا ما يشرب الآخر .

ولما نزلوا للشرب ، ودَارَ القعب بينهم ، حتى انتهى إلى كعب ، رأى الرجلَ النمرى يُحِدَ النظرَ إليه ، فأثره بمائه على نفسه ، وقال للساق : اسق أخاك النمرى ، فشرب النمرى نصيبَ كعب من الماء ذلك اليوم !

ثم نزلوا من الند منزلم الآخر ، فصافَتُوا بقية ما معهم ؛ فنظر إليه كنفظه أَمَسَ وقال كعب كقولهِ أَمَسَ ، وارتمل القوم ، وقالوا : يا كعب ، ارتحل ، فلم يكن له قوة للهبوض ، وكانوا قد قربوا من الماء ، فقالوا له : رَدِّ يا كعبُ ، إنك وارد ، فججز عن الجواب . ولا أيسوا^(٥) منه خيَمُوا عليه بشوبٍ يمنعه من السبع أن يأكله وتركوه مكانه ، فأت ونجار فيقه !

* بلوغ الأرب : ١ - ٨١ ، المحاسن والساوى : ٢٠٥ - طبعة ليزج ، الأمثال : ١ - ١٦٧ .

(١) هو كعب بن مامة بن عمر بن ثعلبة الإيادي ، الذى يضرب للتل بجوده ، وكان أبوه ملك لباد .

(٢) القفل (ينتح اقفاء) : اسم جمع لقافل ، أى راجع . (٣) تصافتوا الماء : اقتسموه بالمجلس .

(٤) القعب : القدح يروى الرجل - (٥) يشوا .

٦٢ — وفاة السموءل*

لما أراد امرؤ القيس للنقى إلى قيصر ملك الروم ، أودع عند السموءل^(١) دروعا وسلاحا وأمتعة ، تساوى جملة كثيرة ؛ فقامات امرؤ القيس أرسل ملك كندة يطلب الدروع والأسلحة المودعة عند السموءل ، فقال السموءل : لا أدفعها إلا إلى مستحقها ، وأبى أن يدفع إليه منها شيئا ؛ فآوده ، فأبى ؛ وقال : لا أغدير بذمتي ، ولا أخون أمانتي ، ولا أترك الوفاء الواجب عليّ .

فصدده ذلك الملك من كندة بسكره ، فدخل السموءل في حصنه^(٢) ، وامتنع به ، فحاصره ذلك الملك . وكان ولد السموءل خارج الحصن ، فظفر به الملك ، وأخذته أسيرا ، ثم حاف حول الحصن ، وصاح بالسموءل ، فأشرف عليه من أعلى الحصن ، فلما رآه قال له : إن ولدك قد أسرتُه ، وهو ذامى ، فإن سلّمت إلى الدروع والسلاح رحلتُ عنك ، وسلّمت إليك ولدك ، وإن امتنعت من ذلك ذبحتُ ولدك وأنت تنظرُ ! فاخترُ أيهما شئت .

* المتطرف : ١ - ٢٠١ ، الفرز : ١٩ ، بلوغ الأرب : ١ - ١٣٦

(١) هو السموءل بن غريش بن عاديّ شاعر جاهلي حكيم أشعر شعره لآبته التي مطالبا :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرسه فكل رداء يرتديه جميل

ويضرب التل بوقاه . توفي نحو سنة ٦٥ ق . هـ . (٢) هذا الحصن يسمى الأبلق الفرد ،

وقد بناه أبوه بتياء ، وفيه بقول السموءل :

لنا جبل يحتله من نجيره متبع يرد الطرف وهو كليل

هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره يز على من رامه ويطول

رحا أمه تحت الثرى وسما به إلى النجم فرع لا ينال طويل

فقال له السموءل : ما كنت لأخفِرَ ذِمَامِي ^(١) ، وأبطل وَقَاتِي ؛ فاصْنَعْ ما شئت ! فذبح ولده ، وهو ينظر . ثم لما عجز عن الحصن رجع خائِباً ، واحتسب السموءلُ ذَبْحَ ولده ، وصبر محافظةً على وفاته ؛ فلما جاء اللوم وحضر ورثته امرئ القيس ، سلم إليهم الدروع والسلاح ، ورأى حِفْظَ ذِمَامِهِ ، ورعايةَ وفاته أحبَّ إليه من حياة ولده وبقائه ؛ وقال في ذلك :

وفيتُ بأدْرُعِ الكِنْدِيِّ مَنيَ إذا ما خَانَ أَفْصَامُ وفيتُ

٦٣ — لا حُرَّ بَوَادِي عَوْفٍ *

لما مات لَيْثُ بن مالك أخذت بنو عيس فرسه وسَلَبَهُ ^(٢) ثم مالوا إلى خِيَابِهِ فأخذوا أهله ، وسلبوا امرأته مُخَاعَةَ بنتَ عَوْفِ بنِ مُحَلَمٍ ، وكان الذي أصابها عَمْرُو بن قارب وذؤاب بن أسماء ؛ فسالها مروان ^(٣) القَرْظُ بن زُبَاع : من أنت؟ قالت : أنا مُخَاعَةُ بنت عوف بن محم ، فأنزعها من عمرو وذؤاب ، لأنه كان رئيس القوم ، وقال لها : غَطِّي وجهك ، والله لا ينظر إليه عربٌ حتى أردك إلى أبيك ، وضمتها إلى أهله حتى إذا دخل الشهر الحرام أحسنَ كُتُوبَهَا وأخدمها وأكرمها وحملها إلى عُكَاظ .

فلما انتهى بها إلى منازل بني شَيْبَانَ قال لها : هل تَعْرِفينَ منازل قومك ومنزل

* الأشتال : ٢ - ٢٩٩ ، بلوغ الأرب : - ١٢٥

(١) أخفر الذمة : إذا لم يبق بالهد . (٢) اللب : ما يأخذه أحد الفريقين في الحرب من قرنه مما يكون معه وعليه من سلاح ودابة . (٣) سمى مروان القَرْظَ : لأنه كان ينزوي بين وحي منابت القَرْظ ، ويضرب به التل في التز ، فيقال : أعز من مروان القَرْظ .

أبيك ؟ قالت : هذه منازل قومي ، وهذه قبة أبي ! قال : فانطلقى إلى أبيك ؛ فانطلقت ففجرت بصليح مروان .

ثم إن مروان غزا بكر بن وائل فقصوا أثر جيشه ؛ فأمره رجل منهم ، وهو لا يعرفه ، فأتى به أمه ، فلما دخل عليها قالت له أمه : إنك لتختال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرظ ! فقال لها : وما ترتجى من مروان ؟ قالت : عظم فدانته . قال : وكم ترتجى من فدانته ؟ قالت : مائة بغير ! قال مروان : ذلك لك على أن تؤدبني إلى شحامة بنت عوف بن محلم !

فمضت به إلى عوف^(١) بن محلم ، فبعث إليه عمرو بن هند أن يأتيه به . وكان عمرو وجداً^(٢) على مروان في أمر ، فألقى ألا يفوعنه حتى يضع يده في يده ؛ فقال عوف - حين جاءه الرسول : قد أجارته ابنتي ! وليس إليه سبيل ، قال عمرو بن هند : قد آليت ألا أعفوعنه أو يضع يده في يدي . قال عوف : يضع يده في يدك على أن تكون يدي بينهما ! فأجابه عمرو بن هند إلى ذلك .

فجاء عوف بمروان فأدخله عليه ، فوضع يده في يده ، ووضع يده بينهما ، فضاغنه . وقال عمرو : لا حراً بوادي^(٣) عوف .

(١) من أشراف العرب في الجاهلية ، كان ملطاعاً في قومه ، قويّاً في عصيته ، وكانت تضرب له فية في عكاظ ، توفي نحو سنة ٤٥ ق. هـ . (٢) وجد : غضب . (٣) أي لاسيد به يناوته .

٦٤ — مروية حاتم*

كَانَ عَبْدُ قَيْسَ بْنِ خُفَافٍ الْبُرَيْجِيُّ أَتَى حَاتِمَ طَلْحِي^(١) فِي دِمَاءٍ حَمَلَهَا عَنْ قَوْمِهِ ،
فَأَسْلَمُوهُ فِيهَا ، وَهَجَرَ عَنْهَا ؛ قَالَ : وَاللَّهِ لَا يَتَيْنَّ مِنْ يَحْمِلُهَا عَنِّي ، وَكَانَ شَرِيفًا
شَاعِرًا شُجَاعًا .

فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ قَالَ : إِنَّهُ وَقَعْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمِي دِمَاءً فَتَوَارَكُوا كُلُّهُمْ^(٢) ، وَإِنِّي
حَمَلْتُهَا فِي مَالِي وَأَهْلِي ، قَدِمْتُ مَالِي وَأَخْرَجْتُ أَهْلِي ، وَكُنْتُ أَمْلِي ، فَإِنْ تَحَمَّلْتُهَا قَرِبَ
حَقِّي قَدْ قَضَيْتُهُ ، وَهَمٌّ قَدْ كَفَيْتَهُ ، وَإِنْ حَالَ دُونَ ذَلِكَ حَائِلٌ لَمْ أَذُمَّ يَوْمَكَ ،
وَلَمْ أَبْأَسْ مِنْ غَدِكَ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

حَلْتُ دِمَاءَ الْبُرَاجِمِ بَحْمَةً فَبُخْتُكَ لَمَّا أَسْلَمْتَنِي الْبُرَاجِمُ^(٣)
وَقَالُوا سَفَاهًا : لَمْ حَلْتُ دِمَاءَنَا قُلْتُ لَهُمْ : يَكْفِي الْحَالَةَ حَاتِمُ
مَتَى آتَيْتَ فِيهَا يُقْسَلُ لِي مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا أَعْطَانِكَ الْأَشْأَمُ^(٤)
فِيحْمِلَهَا عَنِّي ، وَإِنْ شِئْتُ زَادَنِي زِيَادَةً مَنِ حَلْتُ عَلَيْهِ الْمَكَارِمُ
يَعِيشُ النَّدَى مَا عَاشَ حَاتِمُ طَلْحِي^(٥) فَإِنْ مَاتَ قَامَتْ لِلْسَخَاءِ مَآسِمُ
يُنَادِينَ : مَاتَ الْجُودُ مَعَكَ فَلَا تَرَى مُجِيبًا لَهُ مَا حَامَ فِي الْجَوِّ حَاتِمُ
وَقَالَ رَجُلٌ : أَنْهَبَ الْعَامَ مَالَهُ قُلْتُ لَهُمْ : إِنِّي بِنُظْرِكَ عَالِمُ

* الأُنْثَانِي : ٨ - ٧٤٦ ، ذِيلُ الْأَمَالِ : ٢٢ ، السِّمِطُ : ١٢

(١) هُوَ حَاتِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ الْعَلَّاقِ مِنْ أَشْهُرِ أَجْوَادِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، مَاتَ نَحْوَ سَنَةِ
٤٥ ق . ه . - (٢) تَوَارَكُوا : انْتَكَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ . - (٣) أَسْلَمَهُ : خَذَلَهُ ، وَالْبُرَاجِمُ :
قَوْمٌ مِنْ أَوْلَادِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكٍ . - (٤) الْأَشْأَمُ : ضِدُّ الْيَاسَمِ .

ولكنه يعطى من أموال طيِّبٍ إِذَا جَلَّفَ^(١) المال المحقوق الوازم
 فيعطى التي فيها النسي وكانه لتصغيره تلك العطية جازم^(٢)
 بذلك أوصاه عدي وحشرج وسعد وعبد الله تلك الصَّاقم^(٣)
 قال له حاتم : إني كنت لأحب أن يأتيني مثلك من قومك ، هذا
 مرباعي^(٤) من الغارة على بني تميم فضَّده وافرأ ؛ فإن وقي بالحالة ، وإلا أكتتها
 لك ، وهو مائتا بئر سوى نديها وفصالها ، مع أني لأحب أن تؤبس^(٥) قومك
 بأموالهم .

فضحك أبو جُبَيْل ، وقال : أي بئر دفعته إلي ، وليس ذنبه في يد صاحبه
 فأت منه برى ، فذفها إليه ونياده مائة بئر ، فأخذها وانصرف راجعاً إلى قومه ؛
 فقال حاتم في ذلك :

أتاني البرجعي أبو جُبَيْلٍ لم في حمالته طويل
 قلت له : خذ الرباع منها فإني لت أرفع بالقليل
 على حالٍ ولا عودت نفسي على علايتها علل البغييل
 نخذها لها مائتا بئر سوى الناب الرذية^(٦) والفصيل^(٧)
 فلا من عليك بها ، فإني رأيت للنن يزري بالجبل
 فآب البرجعي وما عليه من أعباء الحمال من قبيل
 يحرق الدليل ينقض^(٨) مدرويه خفيف الظهر من حمل ثميل !

(١) جلف : ذهب به واستأمله . (٢) جازم : مذهب . (٣) الصاقم : جمع ققام وهو اليد
 العظيم ، وهو لاء الذين وردوا في البيت ثم أجداد حاتم . (٤) الرباع : ما يأخذه الرئيس من النسيمة
 خاصة دون أصحابها وهو ربع النسيمة . (٥) تؤبس : تروخ . (٦) الرذية : المزيعة الضيقة .
 (٧) الفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه . (٨) قال في التاموس : جاء ينقض مفرويه :
 جاء باغياً متهدداً ، والمفروان : ناحيتا الرأس مثل الفودين ، ثم استعير للمتكئين والإلبيين والطرفين .

٦٥ — مأويةٌ تحدث عن كرم حاتم*

قالت مأوية امرأة حاتم :

أصابنا سنةٌ اقشعرتْ لها الأرضُ ، واغبرَّ أفقُ السماء ، وراحت الإبلُ
حُدْباً حَدَايِر^(١) ، وضلتِ الراضعُ على أولادها ؛ فما تَبِضُ^(٢) بَقَطَرَةً ، وحلقت^(٣)
السَّنةُ النِّالَ ، وأيقنَّا بالهلاك . فوالله إنا لنى ليلةٍ صَنَبَر^(٤) ، بيسدةٍ ما بين
الطرفين ، إذ تصاغى^(٥) صبيئتنا جوعاً : عبدُ الله ، وعدى ، وسفانة . فقام حاتم
إلى الصَّبيَّين ، وقتُ أنا إلى الصَّبيَّة . وأقبل بعللى بالحديث ؛ ففرتُ ما يريد ،
فتناومتُ .

فلما تهوَّرت^(٦) النجوم ، إذا شئى قدر فع كسر البيت^(٧) ثم عاد . فقال
حاتم : من هذا ؟ قالت : جارتك فلانة ، أتيتك من عند صبيَّة يتعاونون عواء
الذئاب ، فما وجدتُ مموّلاً إلّا عليك يا أبا عدى . فقال : أعجلهم ، فقد
أشبعك الله وإياهم !

فأقبلت المرأةُ تحمّل اثنتين ، ويمشى بجانبها أربعة ، كأنها نعامه حولها
رئالها^(٨) .

فقام حاتمٌ إلى فرسه فوجأ^(٩) لَبَّتْهُ بِمَدْيَةِ نَفْرٍ ، ثم كَشَطَهُ عَنْ جِلْدِهِ ، ودفع

* النقد الجديد : ١ - ١٠٨ ، أمثال الميداني : ١ - ١٢٣

(١) الحدب : جمع أحدب وهو صفة للجبل عند الجوع ، والمداير : جمع حدبار وهي الناقة الضامرة .

(٢) تبض : تبيل قليلاً قليلاً . (٣) أى أهلكته واستأصانته كما تستأصل الموصى الشعر . (٤) صنبير :

بُرْدَةٌ . (٥) تصاغوا : تصايحوا . (٦) تهوَّرت : انهدمت إلى المغرب . (٧) الكسر : الفقة

العلل من الحباء . (٨) الرئال : أولاد النعام . (٩) وجأ : طعن .

للدية إلى المرأة ، فقال لها : شأنك ! فاجتمعنا على اللحم نَشْوَى ونَأْكُل . ثم جمل
يمشى في الحى يأتيهم بيتاً بيتاً ، فيقول : هُبُوا أَيُّهَا الْقَوْم ، عليكم النار ! فاجتمعوا
والتَفَعُّ في ثوبه ، وجلس في ناحية ينظر إلينا . فوالله إن ذاق منه مُرْعَةً^(١) ، وإنه
أحوجُ إليه منا ! فأصبحنا وما على ظَهْرِ الأرض من القرس إلا عَظْمٌ وحافر ؛
فأنشأ حاتم يقول :

مهلاً نَوَارُ^(٢) أَقْلَى اللُّوَمِ والسَّدَلَا وَلَا تَقُولِي لشيءٍ قَاتَ : ماضِلاً
ولا تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مُهْلِكَهُ مهلاً وإن كنتُ أَعْلَى الْإِنْسِ وَالْخَيْلَا^(٣)
يرى البَخِيلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً إنَّ الْجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلَا

(١) للزعة : القطعة من اللحم ، وإن نافية ، بمعنى ما .

(٢) هي امرأة حاتم . (٣) الخيل : الجين .

٦٦ - بين حاتم وماوية*

لما تزوج حاتم ماوية ، وكانت من أحسن النساء ؛ لبثت عنده زمناً ؛ ثم إن ابن عم له - يقال له مالك - قال لماوية :

ما تصنعين بحاتم ؟ فوالله لئن وجدته شيئاً لَيَتَلَفَنَّهُ ، ولئن لم يجدْ لَيَتَكَلَّفَنَّهُ ، ولئن مات لَيَتَرَكُنَّ ولده عيالاً على قومه ؛ طَلَّقَ حاتماً وأنا أَتَزَوَّجُ بك ، فإنا خيرٌ لكِ منه وأكثُرُ مالاً ، وأنا أَمْسِكُ عليك وعلى ولدك . فقالت ماوية : صدقت ، إنه لكذلك ، فلم يزل بها حتى طَلَّقَتْ حاتماً .

وكانت النساء أو بعضهن يَطْلُقْنَ الرجال في الجاهلية ، وكان طلاقهن أنهن يحوِلْنَ أبوابَ بيوتهن ، إن كان البلبُ إلى الشرق جعلته إلى المغرب ؛ وإن كان البلبُ قِبَلَ الميمن جعلته قِبَلَ الشام ؛ فإذا رأى ذلك الرجلُ علم أنها قد طَلَّقَتْهُ .

فأتى حاتم فوجدها قد حَوَّلَتْ باب الخباء ، فقال لابنه : يا عدي ، ما ترى . أمك ؟ ما عَدَا عليها ؟ قال : لا أدري ! غير أنها غَيَّرَتْ باب الخباء - وكأنَّه لم يَلْحَنُ^(١) - لِمَا قال ؛ فدعاه فهبط به بطنَ واد .

وجاء قومٌ فنزلوا على باب الخباء ، كما كانوا ينزلون فُتُوأَيَ خُسُونِ رجلاً ، فضاعت بهم ماوية ذرعاً ؛ فقالت لجاريتهما : اذهبي إلى مالك ، فقولي له : إن أضيافاً لحاتم قد نزلوا بنا وهم خُسُونِ رجلاً ، فأرْسِلِ إلينا بئلبِ نَقْرَمِ ولَبْنِ نَعْبُفُمُ^(٢) .

* ذيل الأمانى : ١٥٣

(١) لم يلحن : لم يظن . (٢) النُبوق : الشرب بالمضى ، وغبقة : سقاء إياه في هذا الوقت .

وقالت لجارتها : انظري إلى جبينه وفيه ، فإن شافهك بالمعروف فأقبل منه ؛ وإن ضرب ببلحيته^(١) على زوره ؛ فارجعي ودعيه .

فلما أنت مالكا وجدته متوسدا وطبا^(٢) من لبن ، فأيقظته وأبلغته الرسالة ؛ وقالت : إنما هي الليلة حتى يعلم الناس مكانك ؛ فأدخل يده في رأسه ، وضرب ببلحيته على زوره ، وقال لها : اقرئي عليها السلام ، وقولي لها : هذا الذي أمرتك أن تطلقي حاتما من أجله ، فما عندي من كبيرة قد تركت العمل ، وما كنت لأنحر صفيّة^(٣) غزيرة بشحم كلالها ، وما عندي لبن يكفي أضياف حاتم !

فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت منه ، وأعلمتها بمقاتته ؛ قالت لها : وبلك ! انئي حاتما فقولى له : إن أضيافك قد نزلوا الليلة بنا ، ولم يملوا بمكانك ، فأرسل إلينا بناب ننحرا ونقرّم ، وبلبن نسقم ، فإنا هي الليلة حتى يبرفوا مكانك .

فأتت الجارية حاتما فصرخت به . قال حاتم : لبيك ، قريبا دعوت ! قالت : إن ماوية تقرأ عليك السلام ؛ وتقول لك : إن أضيافك قد نزلوا بنا الليلة ، فأرسل إليهم بناب ننحرا لهم ولبن نسقم . قال : نعم وأبى ! ثم قام إلى الإبل فأطلق ثنيتين^(٤) من عقاليهما ، ثم صاح بهما حتى أتى الخباء ، فضرب عراقيهما^(٥) ، فطلعت ماوية نصيح وتقول : هذا الذي طلقته فيه ! ترك ولذلك وليس لهم شيء !

(١) اللحي : منبت اللحية ، وما لحيان . (٢) الوطب : سقاء اللبن ، وهو من جلد .

(٣) الصفيّة : الناقة الغزيرة . (٤) الثنية : الناقة الطاعنة في الداسة . (٥) الرقوب من الدابة في رجلها يمزله الركبة في يدها .

٦٧ — مروءة ووفاء*

خرج النعمان^(١) بن النذر يوماً يتصيد على فرسه اليمحوم^(٢) ، فأجراه على أثر عير^(٣) ؛ فذهب به القرس في الأرض ، ولم يقدر عليه ، واغرد عن أصحابه ، وأخذته السماء^(٤) ؛ فطلب ملجأ يلجأ إليه ، فدفع إلى بناء ، فإذا فيه رجل من طيء يقال له حنظلة ، ومعه امرأة له ؛ قال لها : هل من مأوى ؟ قال حنظلة : نعم ! وخرج إليه ، فأنزله ، ولم يكن للطائي غير شاة ، وهو لا يعرف النعمان ؛ فقال لامرأته : أرى رجلاً ذا هيئة ، وما أخلفه أن يكون شريكاً خطيراً ، فالحيلة ؟ قالت : عندي شيء من صلبين كنت أدخرته ، فأذبح الشاة لأشبع من الطعيف خبز ملة^(٥) :

وأخرجت المرأة الدقيق ، فخبزت منه ، وقام الطائي إلى شاته فاحتلبها ، ثم ذبحها ؛ فأتخذ من لحمها مرققة مضيرة^(٦) ، وأطعمه من لحمها ، وسقاه من لبنها ، واحتال حتى وجد له شراباً فسقاه ، وجعل يحذنه بقية ليلته . فلما أصبح النعمان لبس ثيابه ، وركب فرسه ، ثم قال : يا أخا طيء ؛ اطلب نوابك ، أنا الملك النعمان ؛ قال : أفعل إن شاء الله .

* أمثال اليماني : ١ - ١٤٦ ، للخطوف : ١ - ١٩٩ ، الأغاني : ١٩ - ٨٨ ، معجم البلدان : ٦ - ٢٨٥ ، الحسن والأنداد : ٥٨ ، بلوغ الأرب : ١ - ١٧٧ ، الحسن والساوي : ١١٧ ، طبعة ليزج .

(١) من ملوك الحيرة ، تولى الملك بعد عمرو بن هند ، ويكنى أبا قابوس ، وهو ممدوح النابغة الذبياني ، وحسان بن ثابت ، وحاتم الطائي ؛ ومات نحو سنة ٨٠ ق . هـ . (٢) اليمحوم : الأسود وهو اسم فرس كان للنعمان . (٣) العير : الجوار الوحشي . (٤) السماء : الرماح المالحار . وخبز الملة : ما يسمعون فيها . (٥) الملقية : أن يطبخ اللحم بالبن البحت الصريح حتى ينضج اللحم وتختل الملقية .

ثم لحق الخليل ، فضى نحو الحيرة ، ومكث الطائي بعد ذلك زمانا حتى أصابته نكبة وجهد ، وساءت حاله ؛ فقالت له امرأته : لو أتيت الملك لأحسن إليك ؟ فأقبل حتى انتهى إلى الحيرة ، فوافق يوم بؤس النعمان ، فإذا هو واقف في خيله في السلاح .

فلما نظر إليه النعمان عرفه ، وساء مكانه ، فوقف الطائي - المنزول به - بين يدي النعمان ، وقال له : أنت الطائي المنزول به ؟ قال : نعم . قال : أفلا جئت في غير هذا اليوم ! قال : أبيت اللعن ! وما كان علي بهذا اليوم ؟ قال : والله لو سئحت لي في هذا اليوم قايوس^(١) لم أجد بدا من قتله ، فأطلب حاجتك من الدنيا ، وسل ما بدا لك فإنك مقتول ! قال : أبيت اللعن ! وما أصنع بالدنيا بعد نفسي ؟ قال النعمان : إنه لا سبيل إليها . قال : فإن كان لا بد فأجئني حتى أرمي بأهلي ؛ فأوصي إليهم وأهبي حالم ، ثم أنصرف إليك . قال النعمان : فأقم لي كفيلا بموافاتك . فالتفت الطائي إلى شريك^(٢) بن عمرو ، وهو واقف . فبجب النعمان ، وقال له :

يا شريك يا بن عمر هل من الموت بحالة^(٣)

يا أخا كل مصاب يا أخا من لا أخاله

يا أخا النعمان فك اليوم ضيفا قد أتى له

فأبى شريك أن يتكفل به ؛ فوثب إليه رجل من كلب يقال له قراد ابن أجدع ، وقال للنعمان : أبيت اللعن ! هو على ! قال النعمان : أفصت ؟ قال : نعم ؛ فضمته إياه ، ثم أمر للطائي بخمسةائة ناقة ؛ فضى الطائي إلى أهله ، وقد جعل الأجل

(١) قايوس : ابن النعمان . (٢) كان شريك هذا رديف النعمان ، يجلس عن يمينه ويشرب بئده ويخلفه إذا غزا . (٣) حبة .

حولاً من يومه ذلك إلى مثل ذلك اليوم من قابل ، فلما حال عليه الحول ، وبقي من الأجل يوم ، قال النعمان لقراد : ما أراك إلا هالكا غداً ، فقال قراد :

فإن يك صدرُ هذا اليوم ولّى فإن غداً لنأظّره قريبٌ
فلما أصبح النعمان ركب في خيله ورجله^(١) مُتَسَلِّحاً كما كان يفعل حتى أتى
النمرين^(٢) فوقف بينهما ؛ وأخرج معه قراداً ، وأمر بقتله ، فقال له وزراؤه :
ليس لك أن تقتله حتى يستوفي يومه ، فتركه ؛ وكان النعمان يشتهي أن يقتل قراداً
ليُفْلِتَ الطائي من القتل ؛ فأكادت الشمس تجب^(٣) وقراد قائم على النطح^(٤) ،
والسياف إلى جنبه حتى أقبلت امرأته وهي تقول :

أيا عين بكى لى قراد بن أجدعا رهيناً لفتسل لارهيناً مودعاً
فبينما هم كذلك إذ رفع لهم شخص من بعيد ، وقد أمر النعمان بقتل قراد ،
ف قيل له : ليس لك أن تقتله حتى يأتيك الشخص فعلم من هو ؟ فكف حتى انتهى
إليه الرجل ، فإذا هو الطائي !

فلما نظر إليه النعمان شق عليه مجيئه ، فقال له : ما حملك على الرجوع بعد
إفلاتك من القتل ؟ قال : الوفاء ، قال : وما دعاك إلى الوفاء ؟ قال : ديني . قال
النعمان : وما دينك ؟ قال : النصرانية . قال النعمان : فاعرضها علي ، فعرضها عليه ؛
فتنصّر النعمان وأهل الحيرة أجمعون ، وترك القتل منذ ذلك اليوم ؛ وأبطل تلك

(١) الخيل : الفرسان ، والرجل اسم جمع للرجال ، وهو ما لا ظهر له في سفره يركبه .
(٢) النمران : مثنى غري ، بناءً على طولان ، يقال لما قبر مالك وعقيل ندبى جذبة . الأبرش
وسمياً بذلك . لأن النعمان بن النضر كان يهرهما بدم من يقتله يوم يؤسه . (٣) تجب الشمس : تغيب .
(٤) النطح : بباط من جلد .

السنة، وأمر بهدم النريين، وعنا عن فراد والطائي؛ وقال: والله ما أذكرى أيهما
أوفى وأكرم؛ أهذا الذي نجا من القتل ضاد، أم هذا الذي ضمه؟ والله لا أكون
الأم الثلاثة؛ فأنشأ الطائي يقول:

ما كنتُ أخلفُ ظنَّه بعد الذي أسدى إلى من الفَعَال^(١) الخالي
ولقد دعيتُ للخِلاف ضَلَّالتي فَيِتُ غيرَ تَمَجُّدي وَصَّالِي!

٦٨ - مَكْرَمَةٌ*

حدث عمرو بن العلاء قال :

جلس النعمانُ بنُ النضر وعليه حُلَّةٌ مرصَّعةٌ بالدرِّ ، لم يُرَ مثُلهَا قبلَ ذلكَ اليومِ . وأذنَ للعربِ في الدخولِ عليه ، وكانَ فيهم أوسُ بنُ حارثة^(١) ، فجعلتِ العربُ تنظرُ إلى الحُلَّةِ ، وكلُُّ منهم يقولُ لصاحبه : مارأيتُ مثلَ هذه الحُلَّةِ قطُّ ، ولا سمعتُ أن أحداً من الملوكِ قدَّرَ على مثِلهَا - وأوسُ بنُ حارثةٍ مطَّرقٌ لا ينظرُ إليها - فقال له النعمانُ : ما أرى كلَّ مَنْ دخلَ عليَّ إلا استَحَسَّنَ هذه الحُلَّةَ ، وتحدَّثَ مع صاحبه في أمرِها إلا أنتَ ؛ مارأيتُكَ استعصمتَها ولا نظرتَها .

قال أوسُ : أسعدَ اللهُ الملكَ ! إنما تُستَحَسِّنُ الحُلَّةُ إذا كانت في يدِ التاجرِ ، وأما إذا كانت على الملكِ ، وأشرقَ فيها وجهُهُ فنظري مقصورٌ عليه لا عليها ! فاسترجعَ عقْلَهُ .

فلما عزموا على الانصرافِ قال لهم النعمانُ : اجتمعوا إليَّ في غدٍ فإني مُلِّسٌ هذه الحُلَّةَ لسيدِ العربِ منكم ، فانصرفَ العربُ عنه ، وكلُُّ يزعمُ أنه لايس الحُلَّةَ . فلما أصبحوا تزينوا بأنقرِ الملائسِ ، وتقلَّدوا بأحسنِ السيوفِ ، وركبوا أجودَ الخيلِ ، وحضروا إلى النعمانِ ؛ وتأخَّرَ عنه أوسُ بنُ حارثةٍ ؛ فقال له أصحابه : مالكَ لا تَتَذَوُّعُ مع الناسِ إلى مجلسِ الملكِ ، فملكُكَ تكونُ صاحبَ الحُلَّةِ . فقال أوسُ : إن كنتُ سيدُ قومي فما أنا بسيدِ العربِ عندَ نفسي ، وإن حضرتُ ولم آخذها انصرفتُ منقوصاً ، وإن كنتُ المطلوبُ لما فيمُتَّرفُ مكاني ، فأمسكوا عنه .

* المختار من نواذر الأخبار - مخطوط .

(١) أوسُ بنُ حارثةٍ : من أجداد العربِ في الجاهلية ، بنوه بِلانُ من بني مزينة ، وم إحدى قبائلِ الأوسِ والمنزرجِ ، أسلمهم من اليمنِ ، وتزولوا يثربَ وجاءَ الإسلامَ ومم بها .

ونظر النعمانُ فوجوهَ القوم ، فلم يرَ أوسَ بنَ حارثة ؛ فاستدعى بعضَ خاصته ، وقال : اذهب لتعرفَ خيرَ أوس ، فضى رسولُ النعمان ، واستخبر بعضَ أصحابه ؛ فأخبره بمقاتله ، فباد إلى النعمان ، فأخبره بذلك ، فبعث النعمانُ إليه رسولاً ، وقال احضرُ آمنًا مما خَفْتُ عليه ، فحضرَ أوسُ بثيابه التي حضرَ بها بالأمس ، وكانت العزْبُ قد استبشرت بتأخره خوفًا من أن يكون هو الآخذُ للحلّة .

فلما حضر وأخذَ مجلسه ، قال النعمان : إني لم أركَ غيَرتَ ثيابَكَ في يومِكَ ؛ فالبس هذه الحلّة لتجملَ بها ، ثم خَلَمَهَا وألبسه إياها . فاشتدَّ ذلك على العرب وحسدوه ؛ وقالوا : لا حيلةَ لنا فيها ؛ إلا أن نرْعَبَ إلى الشعراء أن يهجوهُ بقبيحِ الفل ؛ فإنه لا يَنْفِضُ رفته إلا الشعر . فجمعوا فيما بينهم خمسائة ناقة ، وأتوا بها إلى رجلٍ يقال له جَرْمُولُ^(١) ، وقالوا له : خذ هذه ، واهْجُ لنا أوسَ بنَ حارثة .

وكان جَرْمُولُ يومئذٍ أشعر العرب وأقوامِهم ، قال لهم : يا قوم ؛ كيف أهجو رجلاً حَسِيْبًا لا يُنْكَرُ بيته ، كريمًا لا يَنْقُطُ عطاؤه ، فَيَصِلُ^(٢) لا يُطْمَنُ على رأيه ، شجاعًا لا يُضَامُ نَزِيلُهُ ، محسنًا لا أرى في بيتي شيئًا إلا مِنْ فضله !

فسمع بذلك بشر بن أبي خازم - وكان شاعرًا - فرغب في البَذَل ؛ وأخذ الإبلَ وهِجَاهُ ، وذكر أُمّةَ سَعْدِي . فسمع أوسُ بذلك ؛ فوجه في طلبه ، فهرب وترك الإبل ؛ فَأَتَوْا بها إلى أوس بن حارثة ، فأخذها وشدَّ في طلبه ؛ وجعل بشر ابن أبي خازم يطوف في أحياء العرب يلتمس عزيزًا يحجِّره على أوس ، وكل مَنْ قصده يقول : قد أَجْرَتُكَ إلا من أوس بن حارثة ، فإني لا أقدر أن أُجِيرَ عليه . وكان أوس قد بثَّ عليه العيون ؛ فرآه بعضُ مَنْ كان يرصده ، فقبض عليه ، وأتى به إلى أوس ، فلما مَثَلَ بين يديه قال له : ويلَكَ ! أتذكر أُمي وليس في عصرنا مثلها ؟

(١) هو الحبيشة . (٢) فيصل نرحاكم .

قال : قد كان ذلك أيها الأمير ؟ قال : والله لأقتلنك قتلةً تحيا بها سُعدى .
يعنى أمه .

ثم دخل أوس إلى أمه سُعدى ، وقال : قد أتيتك بالشاعر الذى هجأك ، وقد
آليتُ لأقتلنه قتلةً تحيين بها أقال : يا بنى ؟ أو خير من ذلك ؟ قال : وما هو ؟
قالت : إنه لم يجد ناصراً منك ، ولا مجيراً عليك ، وإننا قوم لا نرى فى اصطناع
المعروف من بأس ، فبحقِّ عليك إلا أطلقته ، ورددت عليه إياه ، وأعطيته من
مالك مثل ذلك ، ومن مالى مثله ، وأرجمه إلى أهله سالماً ؛ فإيهم أيسوا^(١) منه !
نفرج له أوس ، وقال : ما تقول أنى فاعل بك ؟ قال : تقتلنى لا محالة أقال :
أفتستحق ذلك ؟ قال : نعم ؟ قال : إن سُعدى التى هجوتها قد أشارت بكذا وكذا ،
وأمر بحلِّ كتابه^(٢) ، وقال له : انصرف إلى أهلِكَ سالماً ، وخذ ما أمرتُك به !
فرفع يشر يده إلى السماء وقال : اللهم أنت الشاهد على ألا أعود إلى شعير إلا
أن يكون مدحاً فى أوس بن حارثة .

(١) أيسوا : يشوا ، (٢) الكتاب : هو حل يشه به .

٦٩ — أُجَارَةُ مِنَ الْمَوْتِ *

أَتَى الْأَعْمَى الْأَسْوَدَ الْمَنْسِيَّ ^(١) وَقَدْ امْتَدَحَهُ فَاسْتَبْطَأَ جَائِزَتَهُ . فَقَالَ الْأَسْوَدُ :
لَيْسَ عِنْدَنَا عَيْنٌ ، وَلَكِنْ نُعْطِيكَ عَرَضًا ، فَأَعْطَاهُ بِخَمْسِمِائَةِ مِثْقَالِ دُهْنًا ،
وَبِخَمْسِمِائَةِ حُلَلًا وَعَنْبَرًا .

فَلَمَّا سَرَّ بَبِلَادِ بَنِي عَامِرٍ خَافَهُمْ عَلَى مَا مَعَهُ ، فَأَتَى عُلَقَمَةَ ^(٢) بِنَ عُلَائِمَةَ فَقَالَ لَهُ :
أَجِرْنِي ؛ فَقَالَ : قَدْ أُجِرْتُكَ . قَالَ : مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! قَالَ :
وَمِنَ الْمَوْتِ ؟ قَالَ : لَا !

فَأَتَى عَامِرَ بْنَ الطَّافِيلِ ، فَقَالَ : أَجِرْنِي ؛ قَالَ : قَدْ أُجِرْتُكَ . قَالَ : مِنَ الْجَنِّ
وَالْإِنْسِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! قَالَ : وَمِنَ الْمَوْتِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! قَالَ : وَكَيْفَ تُجِيرُنِي مِنَ الْمَوْتِ ؟
قَالَ : إِنْ مِتُّ وَأَنْتَ فِي جِوَارِي بَمَثَلِ أَهْلِكَ الدَّيَّةَ . فَقَالَ : الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ
أَجَرْتَنِي مِنَ الْمَوْتِ . ثُمَّ مَدَحَ عَامِرًا وَهَجَا عُلَقَمَةَ ؛ فَقَالَ عُلَقَمَةُ : لَوْ عَلِمْتُ الَّذِي أَرَادَ
كَفَتَ أُعْطِيَتْهُ إِيَّاهُ !

* الْأَفْأَى : ٩٠ — ١٢٠

(١) الْأَسْوَدُ الْمَنْسِي : هُوَ عُبَيْدُ بْنُ كَعْبٍ بْنِ غَوْثٍ ، خَرَجَ بِمَدْحِ حِجَّةِ الْوَدَاعِ فِي عَامَةِ مَذْحِجٍ ،
وَادْعَى النُّبُوَّةَ وَكَانَ كَاهِنًا قَتَلَهُ فَيَرُوزُ وَدَاوُوْدُ بْنُ قَيْسٍ غِيلَةً . وَالْأَعْمَى : هُوَ مَيْسُونُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ
شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، عَاشَ عُمُرًا طَوِيلًا ، وَأَحْرَكَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يَسْلَمْ ، وَمَاتَ فِي الْيَمَامَةِ
سَنَةَ ٧ هـ .

(٢) عُلَقَمَةُ بْنُ عُلَائِمَةَ : وَآلُ مِنَ الصَّحَابَةِ ، كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِهِ وَكَانَ كَرِيمًا ، تَوَفَّى
نَحْوَ سَنَةِ ٢٠ هـ .

٧٠ — يزيد بن عبد اللّذان عند الحارث بن جفنة*

قدم يزيد^(١) بن عبد اللّذان وعمرُو بن مديكرب ومكشوح المراكبي على ابن جفنة^(٢) زوّاراً ، وعنده وجوه قيس : مَلَاعِبُ الأُسْتَةِ ، ويزيد بن عمرو ، وذريد بن الصّصة . فقال ابن جفنة ليزيد بن عبد اللّذان : ماذا كان يقول الدّيان^(٣) إذا أصبح ؟ فقال : كان يقول : آمَنْتُ باللى رفع هذه - يعنى السماء - ووضع هذه - يعنى الأرض - وشقّ هذه - يعنى أصابعه - ثم يخر ساجداً ؛ فإذا رفع رأسه قال :

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَا وَأَيَّ عِدٍّ لَكَ مَا أَلَمَا

فقال ابن جفنة : إن هذا لذود ين ، ثم مال على التيسيين وقال : ألا تمدنوني عن هذه الرياح : الجنوب ، والشمال ، والدّبور ، والصّبا ، والنّكبّاء ؛ لم سميت بهذه الأسماء ؛ فإنه قد أعياني علّها ؟ فقال القوم : هذه أسماء وجدنا العرب عليها لا نعلم غير هذا ، فضحك يزيد ، ثم قال لابن جفنة : ياخير الفتيان ، ما كنت أحسب أن هذا يسقطُ عنه عن هؤلاء ، وهم أهل الوبر ! إن العرب تضرب أبياتها في القبلة مطلع الشمس لتدّينهم في الشتاء ، وتزول عنهم في الصيف ؛ فاهب من

* الأغاني : ١٠ - ١٣٩ ، مذهب الأغاني : ١ - ٥٧ .

- (١) كان يزيد سيد مذبح شاعرا من أشراف البين وشجعانها ، وفد على بني جفنة - أمراء بادية الشام ، وعاد إلى البين فأقام بنجران إلى أن كان يوم السبت الثاني فقتل فيه نحو سنة ٨٠ هـ .
(٢) كان بنو جفنة يقيمون بالشام ملوكا عليه وعلى ما يليه من بادية العرب ولكنهم كانوا عمالا للوك الروم ، وظلّوا حتى اتقاد آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم إلى الإسلام في عهد عمر بن الخطاب .
(٣) الديان : جد يزيد .

الرياح عن يمين البيت فهي الجنوب ، وما هبّ عن شماله فهي الشمال وما هبّ من أمامه فهي الصّبا ، وما هبّ من خلفه فهي الدّبور ، وما استدار من الرياح بين هذه الجهات فهي النّكباء ...

قال ابنُ جفنة : إن هذا لَلِمَلُمُ يابن عبد اللّذان !

وأقبل ابنُ جفنة على القيسيين يسألهم عن النّمان بن النّذر ، فجابوه وصغروه ، فنظر ابنُ جفنة إلى يزيد وقال له : ما تقولُ يابن عبد اللّذان ؟ قال : ياخير الفتيان ، ليس صغيراً من ممّلك العراق ، وشركك في الشام ، وقيل له : أبيت اللعن ! وقيل لك : ياخير الفتيان ! وألّني أباه مَلِكاً كما ألقيتَ أباك ملكاً ؛ فلا يسركَ مَنْ يُفركُ ، فإنّ هؤلاء لو سألهم عنك النّمان لقالوا فيك مثل ما قالوا فيه ، وإيم الله ! ما فيهم رجلٌ إلا ونعمة النّمان عنده عظيمة :..

فغضب عمرو بن مالك وقال : يابن الدّيان ، أما والله لنحتبّن بها دعماً ! فضحك يزيد وقال : ما لهم والله جرأةُ بني الحارث ، ولا فلك مُراد ، ولا بأس زُييد ، ولا مغارُ طيئ ، وما هم ونحن - ياخير الفتيان - بسواء ؛ ما قتلنا أسيراً قط ، ولا اشتبهنا حرّةً قط ، ولا بكينا قتيلاً نُبئ به ، وإن هؤلاء ليمجزون عن تأرم حتى يُقتل السّميّ بالسّميّ والجار بالجار .. ثم قال :

تمالّ على النّمان قومٌ إليهم موارِدُهُ في ملكه ومصادره
على غير ذنب كان منه إليهم سوى أنه جادت عليهم مَوَاطره
فباعدهم من كل شرٍّ يخافه وقرّ بهم من كل خير يبادره
فظنوا - وأعراضُ للنون كثيرة - بأن الذي قالوا من الأمر ضائره
فلم ينقصوه بالذي قيلَ شرّة ولا فلّت أنبياه وأظافره

وَلَلْحَارِثُ الْجَنْفِيُّ أَعْلَمُ بِالَّذِي يَبُوءُ بِهِ النِّمَانُ إِنْ حَفَّ^(١) طَائِرُهُ
فِي حَارِ كَمْ فِيهِمْ لِنِمَانٍ نِعْمَةٌ مِنْ التَّضَلُّ وَاللَّنَّ الَّذِي أَنَا ذَاكِرُهُ
ذُنُوبًا عَفَا عَنْهَا ، وَمَا لَا أَفَادَهُ ، وَعَظَمًا كَسِيرًا قَوْمُهُ جَوَابُهُ
وَلَوْ سَأَلَ عَنْكَ الْمَائِيْنُ ابْنُ مَنْذَرٍ قَالُوا لَهُ الْقَوْلُ الَّذِي لَا يُخَاذِرُهُ
فَلِمَا سَمِعَ ابْنُ جَنَّةٍ هَذَا الْقَوْلَ عَظَمَ يَزِيدُ فِي عَيْنِهِ ، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سِرِيرِهِ ،
وَسَقَاهُ بِيَدِهِ ، وَأَعْطَاهُ عَطِيَّةً لَمْ يُعْطِهَا أَحَدًا مِنْ قَبْلِهِ عَلَيْهِ قَطُّ . وَلَمَّا قَرَّبَ يَزِيدُ رُكَاثَهُ
لِيَرْتَحِلَ سَمِعَ صَوْتًا إِلَى جَانِبِهِ وَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ يَقُولُ :

أَمَّا مِنْ شَفِيعٍ مِنَ الزَّائِرِينَ يُحِبُّ الثَّنَاءَ زَنْدُهُ نَاقِبُ
يَزِيدُ ابْنُ جَنَّةٍ إِكْرَامَهُ وَقَدْ يَسْحُ الضَّرْبَةَ^(٢) الْحَالِبُ
فَيَنْقُذُنِي مِنْ أَظْفِيرِهِ وَإِلَّا فَلَئِي غَدًا ذَاهِبُ
قَدْ قُلْتُ يَوْمًا عَلَى كُرْبِيَةِ وَفِي الشَّرْبِ فِي يَثْرِبٍ غَالِبُ
أَلَا لَيْتَ غَسَانَ فِي مَلِكهَا كَلْنَمٍ ، وَقَدْ يَخْطِي الشَّارِبُ
وَمَا فِي ابْنِ جَنَّةٍ مِنْ سُبَّةٍ وَقَدْ حَفَّ حَمَلًا بِهَا الْعَارِبُ
كَأَنِّي قَرِيبٌ مِنَ الْأَبْمَدِينَ وَفِي الْحَلْقِ مِثِّي شَجِي نَاشِبُ

فَقَالَ يَزِيدُ : عَلَى الرَّجُلِ ، فَاتَى بِهِ ، قَالَ : مَا خَطْبُكَ ! أَنْتَ تَقُولُ هَذَا
الشَّعْرُ ! قَالَ : بَلْ قَالَه رَجُلٌ مِنْ جُلَدَامِ جَفَاهُ ابْنُ جَنَّةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ عِنْدَ النِّمَانِ
مَنْزَلَةٌ ، فَشَرِبَ ، فَقَالَ لَهُ عَلَى شَرَابِهِ شَيْئًا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ ابْنُ جَنَّةٍ ، فَخَسِبَ ، وَهُوَ
مُخْرَجُهُ غَدًا قَتْلَهُ . فَقَالَ يَزِيدُ : أَنَا أَعْيَيْتُكَ ، قَالَ لَهُ : وَمَنْ أَنْتَ حَتَّى أَعْرِفَكَ ؟

(١) حف : طائر . (٢) الضربة : الضرع .

قال : أنا يزيدُ بن عبد اللدان ؛ قال : أنت لما وأييك ا قال : أجل ؛ قد كفتيك
أمره ، فلا يسمعتك أحدٌ تنسُدُ هذا الشمر .

وغدا يزيد على ابن جفنة ليودعه ، قال له : حيّاك الله يا ابن الديان ، حاجتك !
قال : تالحن قضاة بالشام ، وتؤثر من أذاك مَنْ وفود منجج ، وتهبُ الجذامى
الذى لا شفيح له إلا كرمك . قال : قد فلتُ ، أما أنى حبسته لأهبه لسيد ناحيتك
وكننت ذلك السيد ، ووهبه له ، فاحتمله يزيدُ معه .

٧١ - إغاة*

جاور^(١) رجلاً من هوازين في بني مرة بن عوف ، وكان قد أصاب دماً في قومها . ثم إن قيس بن عاصم المنقري^(٢) أغار على بني مرة ، فأصاب واحداً منها في عِدَّة أسارى كانوا عندهم ، فَقَدَى كلَّ قومٍ أسيرَه من قيس بن عاصم ، وتركوا الهوازي ، فاستغاث أخوه بوجوه بن مرة : سنان بن أبي حارثة والحارث ابن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة والحسين بن الحجام ، فلم ينيثوه .

فركب إلى موسم عُكَاظ ، فأبى منازل مَذْحِجَ لَيْلَا ، ونادى :
 دعوتُ سناناً وابنَ عوفٍ وحارثاً وعاليتُ دَعْوَى الْحُصَيْنِ وهاشم
 أعيذهم في كلِّ يومٍ وليلةٍ بركِ أسيرٍ عند قيس بن عاصم
 حلِقْهم الأذى ، وجارُ بيوتهم ومن كانَ عما سرهم غيرَ نائم
 فصموا ، وأحدثُ الزمان كثيرة وكفى بنى السَّلات^(٣) من مُتَصَامِمٍ !
 فباليث شمري من لإطلاق غلعةٍ ومن ذا الذي يَحْطَى به في المواسم !
 فسمع صوتاً من الوادي ينادي بهذه الأبيات :
 ألا أيُّها الذي لم يُجَبْ عليك بجيِّ يملئ الكرب

* مذهب الأغانى : ٥ - ٦٠ .

(١) جاوره مجاوره وجواراً : صار جاره . (٢) منقر : بطن من تميم ، وقيس بن عاصم : كان سيد تميم ، ولما قُتِلَ على النبي صلى الله عليه وسلم بسط له رداه وقال : هذا سيد الوبر ، ولا تولى قال فيه الشاعر :

وما كان قيس ملكك هلك واحد ولكنه بنبان قوم نهديما

(٣) بنو السلات : هم بنو رجل واحد من أمهات شتى .

عليك بذنا الحى من مذحج فإنهم للرضى والنصب
فنادى يزيد بن عبد المطلب ، وقبى ، وعزرو بن معد يكرب
يفكوا أخاك بأموالهم وأقلل بمنالهم فى العرب !
أولئك الرعوس فلا تعدهم ومن يحمل الرأس مثل الذنب !

فاتبع الصوت فلم ير أحدا ! فلما على للكشوح قيس بن عبد بنوثة لكرادى
فأخبره ، فقال له : والله إن قيس بن عاصم ما قارضته معروفا قط ، ولا هو لى
بجار ، ولكن اشتري أخاك منه وعلى الثمن ، ولا يمنعتك غلاؤه .

ثم أتى عمرو بن معد يكرب فقال له عمرو : هل بدأت بأحد قبلى ؟ فقال :
نعم ، بقيس بن عبد بنوثة ، قال : عليك بمن بدأت به ، فتركه وأتى يزيد
ابن عبد المطلب فأخبره بقبضته ، فقال له يزيد : مرحبا بك وأهلا ، أبعث إلى قيس
ابن عاصم ، فإن هو وهب لى أخاك شكرته وإلا أغرت عليه حتى يتقضى بأخيك ،
فإن نلتها وإلا دفعت إليك كل أسير من بنى تميم بنجران ، فاشتريت به أخاك .

قال : هذا الرضا . فأرسل يزيد إلى قيس بن عاصم بهذه الأبيات :

يا قيس أرسل أسيرا من بنى جشم^(١) إلى بكل الذى تأتى به جازى
لأنامنى الدهر أن تصحى بنفسه فاختز نفسك لإحدى وإعزازى
فافسلك أخا متفر عنه ، وقل حسنا فيما سئلت وعقبه يا جازى

وبعث بالأبيات رسولا إلى قيس بن عاصم ، فأنشده إياها ، ثم قال له :
يا أباعلى : إن يزيد بن عبد المطلب يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إن المعروف
قروض ، ومع اليوم غد ، فأطلق لى هذا الجشمى ، قد استعان بأشراف بنى مرة ،

(١) جشم : بطن من هوازن .

وبعمر بن عبدكرب، وبمكشوح الرّادى، فلم يُصِبْ عندهم حاجته، فاستجار به،
ولو أرسلت إلى في جميع أسارى مضر لقضيتُ حاجتك .

قال قيس بن عاصم لَمَنْ حَضَرَهُ من بنى تميم : هذا رسولُ يزيدَ بن عبد اللّٰه
سيد مذحج وابن سيلها، ومن لا يزال له فيكم يد، وهذه فرصة لكم فأترونها؟
قالوا : نرى أن نضليه عليه ونحكم فيه شططا، فإنه لن يتخذله أبداً ولو أتى ثمنه على
ماله . قال قيس : بلما رأيتم ! أما تخافون سيجال الحروب، ودول الأيام، ومجازاة
التروض !

فلما أبوا عليه قال : يعمونيهِ . فأغلوهُ عليه، فتركه في أيديهم - وكان أسيراً
في يد رجل من بنى سعد^(١) - وبعث إلى يزيد فأعلمه بما جرى، وأن
الأسير لو كان في يده أو يد منقر لأخذه وبعث به ؛ ولكنه في يد رجل من
بنى سعد .

فأرسل يزيد إلى السّدى : أن سرّ إلى بأسيرك ولك فيه حكك، فأنى
السدى يزيد، فقال له : احتكم، فقال : مائة ناقة ورعاؤها، فقال له يزيد :
إنك لقصير الهمة، قريب النّفى، جاهل بأخطار بنى الحارث ! أما والله لقد
غبنْتُكَ يا أخا بنى سعد ! ولقد كنتُ أخاف أن يأتى ثمنه على جل أموالنا ؛
ولكنكم يا بنى تميم قوم قصارُ الهم . وأعطاء ما احتكم ؛ فجاوره الأسير وأخوه
حتى ماتا بنجران .

(١) سعد : بطن من تميم .

٧٢ - ارحموا عزيزاً ذل*

وَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى طَيِّئٍ فَرِيقًا مِنْ جَنْدِهِ ، يُقَدِّمُهُمْ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَام ، فَزَرَعَ عَدِيٌّ^(١) بَنَ حَاتِمَ الطَّائِي - وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاءَ لِرَسُولِ اللَّهِ - إِلَى الشَّامِ ، فَصَبَّحَ عَلَى الْقَوْمِ ، وَاسْتَأْذَنَ خِيْلَهُمْ وَنَعْمَهُمْ وَرَجُلَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ .

فَلَمَّا عَرَضَ عَلَيْهِ الْأَمْرَى نَهَضَتْ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ سَعْنَانَةُ بِنْتُ حَاتِمٍ ؛ فَقَالَتْ : يَا مُحَمَّدُ ؛ هَلَكَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الْوَاوَدُ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُخَلِّيَ عَنِّي ، وَلَا تُشْمِتَ بِي أَحْيَاءَ الْعَرَبِ ! فَإِنْ أَبَى كَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ ، يَفْكُ الْمَالِي^(٢) ، وَيَقْتُلُ الْجَانِي ، وَيَحْفَظُ الْجَارَ ، وَيَحْمِي الذَّمَّارَ ، وَيُفَرِّجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ ، وَيَطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَيَفْتِي السَّلَامَ ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ^(٣) ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ ، وَمَا أَنَا أَحَدٌ فِي حَاجَةٍ فَرَدَهُ خَائِبًا ؛ أَنَا بِنْتُ حَاتِمِ الطَّائِي !

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا جَارِيَةُ ؛ هَذِهِ صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا ، لَوْ كَانَ أَبُوكَ مُبْلَغًا لَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ ، خَلُّوا عَنْهَا ؛ فَإِنْ أَبَاهَا كَانَ يَحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ .
ثم قال : « ارحموا عزيزاً ذلَّ ، وغنيا افتقر ، وعالمًا ضاعَ بين جهال » .
وامتنَّ عليها بقومها فأطلقهم تَكْرِيماً لَهَا !

* الْأَفْغَانِي : ١٦ - ٩٣ ، إِنْشَاءُ الْمَبْنِيِّ : ٢ - ٢٨٥ ، غُرَرُ الْمَخَالِصِ : ١٧ .

(١) عَدِيٌّ بَنَ حَاتِمَ : صحابي من الأجواد العقلاء كان رئيس قومه في الجاهلية والإسلام ، وكان إسلامه سنة ٩ هـ ، وشهد فتح العراق ، والجل ، وصفين ، والتهروان مع علي .

(٢) الْمَالِي : الْأَسِير . (٣) الْكَلَّ : الْعَائِلُ وَالْيَتِيم .

فاستأذنته في الدعاء له ؛ فأذن لها ، وقال لأصحابه : اسمعوا وعوا . قالت :
أصاب الله ببركته موافقه ، ولا جمل لك إلى لثيم حاجة ، ولا سلب نعمة عن كريم
قوم إلا جملك سببا في ردها عليه .

فلما أطلقها رجعت إلى أخيها عدى وهو بدومة الجندل . قالت له : يا أخي ؛
إيت هذا الرجل قبل أن تعلقك حباته ، فإنني قد رأيت هديا ورأيا سيفلُبُ
أهل الغلبة ؛ ورأيتُ خصالا تعجبنى : رأيتُه يحبُّ الفقير ؛ ويفكُّ الأسير ؛
ويرحمُ الصغير ، ويعرفُ قدرَ الكبير ؛ وما رأيتُ أجودَ ولا أكرمَ منه ؛
فإن يكن نبيا فلا سابق فضله ، وإن يكن مليكا فلن تزال في عزٍّ ملكه .
فقدم عدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وأسلمت سفانة !

٧٣ - زعيم المجمع وعمر بن الخطاب*

لما أتى بالهزمُ زمان أسيراً إلى عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، قيل له :
يا أمير المؤمنين ؛ هذا زعيمُ العَجَم ، وصاحبُ رُسمٍ^(١) ؛ فقال له عمر رضى الله عنه :
أعرضُ عليك الإسلامَ نُصْحاً لك فى عاجلك وأجلك . فقال : إنما أعتقدُ
ما أنا عليه ، ولا أَرْضُ بِفى الإسلامِ رهبةً . فدعا عمرُ بالسيف ؛ فلما همَّ بقتله ،
قال : يا أمير المؤمنين ، شربةٌ من ماء هى أفضلُ من قتلِ على الظُّمأ ؛ فأمر له
بشربة من ماء ، فلما أَخَذَهَا الهَرْمُزَان قال : يا أمير المؤمنين ، أنا آمِنٌ حتى أَشربَها؟
قال : نعم ؛ فرى بها ، وقال : الوفاء - يا أمير المؤمنين - نورٌ أبلغ ! قال : صدقتُ
لك التوقف عنك ، والنظر فىك ، ارضوا عنه السيف .

فقال : يا أمير المؤمنين ، الآن أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ،
وما جاء به حقٌّ من عنده . فقال عمر : أسلمتَ خيرَ إسلام ، فما أَخْرَكَ ؟ قال :
كَرِهْتُ أَنْ يُقْلَنَ بى أنى إنما أسلمتُ خوفاً من السيفِ ، فقال عُمر : ألا إنَّ
لأهل فارسَ عقولا استعَفَّوا بها ما كانوا فيه من الملُك ، ثم أمرَ بِرَءِهِ وإِكْرَامِهِ !

* نهاية الأرب : ٦ - ٧٧ .

(١) رُسم : كان من أعظم رجال فارس ، وقائد جيوش وقعة القادسية التى انتصر فيها المسلمون
أمام عمر بن الخطاب ، وقتل رُسم فى هذه الوقعة .

٧٤ - أبو سُفْيَانٍ عِنْدَ هِرَقْلَ*

قال أبو سُفْيَانٍ^(١) بن حَرْب :

كُنَّا قَوْمًا تَجَارًا ، وَكَانَتِ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَصَرْتَنَا حَتَّى نَهَكَتْ أُمُورُنَا . فَلَمَّا كَانَتِ الْهَدَنَةُ - هُدْنَةُ الْحُدَيْبِيَّةِ - بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خَرَجْتُ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ ، وَكَانَ وَجْهُ مَنَاجِرِنَا مِنْهُ غَزَاةٌ ، فَقَدِمْنَاهَا حِينَ ظَهَرَ هِرَقْلُ عَلَى مَنْ كَانَ بَارِضَهُ مِنَ الْقُرَاسِ ، فَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا ، وَانْتَزَعَ مِنْهُمْ صَلَيبَهُ الْأَعْظَمَ ، وَكَانُوا قَدْ اسْتَلْبَوْهُ إِيَّاهُ .

فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَبَلَغَهُ أَنَّ صَلَيبَهُ قَدْ اسْتَنْقَذَ مِنْهُمْ ، وَكَانَتْ خِصْمُ مَنْزِلِهِ ، خَرَجَ مِنْهَا يَمْشِي عَلَى قَدَمَيْهِ شُكْرًا لِلَّهِ حِينَ رَدَّ عَلَيْهِ مَارِدًا ، لِيَصِلَ فِي بَيْتِ الْقُدْسِ ، تَبَسُّطَ لَهُ الْبُسْطُ وَتُلْقَى عَلَيْهَا الرِّيَاحِينَ .

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى إِبِلِيَاءَ قَضَى فِيهَا صَلَاتَهُ ، وَكَانَ مَعَهُ بَطَارِقَتُهُ وَأَشْرَافُ الرُّومِ ، أَصْبَحَ ذَاتَ غَدَاةٍ مَهْمُومًا يَقْلُبُ طَرَفَهُ إِلَى السَّمَاءِ . فَقَالَ لَهُ بَطَارِقَتُهُ : وَاللَّهِ لَكَ أَنْتَ أَصْبَحْتَ الْغَدَاةَ مَهْمُومًا .

فَقَالَ : أَجَلُ ! رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ أَنَّ مُلْكَ الْخِتَانِ ظَاهِرٌ . هَآلَا : أَتَيْهَا الْمَلِكُ ، مَا نَعْلَمُ أُمَّةً تَحْتَنُّ إِلَّا الْيَهُودَ ، وَهُمْ فِي سُلْطَانِكَ وَتَحْتَ يَدِكَ ، فَابْتُهِ إِلَى كُلِّ مَنْ

* الْأَغَانِي : ٦ - ٣٤٥

(١) هُوَ صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ ، مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، كَانَ مِنْ رُؤَسَاءِ الْمُتَرَكِّينَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ وَيَوْمَ أُحُدٍ . وَأَسْلَمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ سَنَةَ ٨ هـ . وَتَوَفَّى سَنَةَ ٣١ هـ .

لك عليه سلطان في بلادك قمره فليضرب أعناق من تحت يدك منهم من يهود ، واسترح من هذا الم .

فوالله إنهم لفي ذلك من رأيهم يدبرونه إذ أتاه رسولُ صاحب بُصرى^(١) رجل من العرب يقوده - وكانت للوك تنهاى الأخبار بينهم - فقال : أيها الملك ؛ إن هذا رجل من العرب من أهل الشاء والإبل يحدث عن أمر حدث فاسأله . فلما انتهى به إلى هرقل رسولُ صاحب بُصرى ؛ قال هرقل لمن جاء به : سله عن هذا الحديث الذى كان ببلده ، فسأله ، فقال : خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبي ، وقد أتبعه ناس نصدقوه وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة وتركهم على ذلك .

فلما أخبره الخبر قال : جروده ؛ فإذا هو مخنون . فقال : هذا والله النبي الذى رأيت ، لا ما قولون ؛ أعطوه ثيابه ويطلق ، ثم دعا صاحب شرطته فقال له :

أقلب الشام ظهراً لبطن حتى تأتى رجل من قوم هذا الرجل فإننا ليعززة إذ هجم علينا صاحب شرطته فقال : أنتم من قوم الحجاز ؟ قلنا : نعم ، قال : انطلقوا إلى الملك ، فانطلقوا بنا . فلما انتهينا إليه قال : أنتم من رهط هذا الرجل الذى بالحجاز ؟ قلنا : نعم . قال : فأيكم أمس به رجلاً ؟ قال أبو سفيان : قلت : أنا ، قال : ادن ، ثم أقعدنى بين يديه وأقعد أصحابى خلفى ، وقال لهم : إني سأسأله ، فإني كذب فردوا عليه .

قال : فوالله لقد علمت أن لو كذبت ما ردوا على ، ولكنى كنتُ امرأ سيداً أنبرم من الكذب ، وعرفت أن أيسر ما في ذلك إن أنا كذبتُ أنه يحفظوه على ؛ ثم يحدثوا به عني ، فلم أكذب به .

(١) بلد من أعمال دمشق .

وقال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدعى مايدعى . فجئت
أزهد له شأنه وأصغر له أمره ، وأقول له : أيها الملك ، مايتهمك من شأنه ! إن
أمره دون مايتهمك . فجعل لا يلتفت إلى ذلك مني . ثم قال : أتبتنى فيما أسألك
عنه من شأنه . قلت : سل عما بدا لك .

قال : كيف نسبته فيكم ؟ قلت : محض ، هو أوسطنا^(١) نسباً . قال :
أخبرني ، هل كان أحد من أهل بيته يقول مايقول فهو يتشبه به ؟ قلت : لا .
قال : هل كان له فيكم ملك فليتموه إياه ، فجاء بهذا الحديث ليردوا عليه ملكه ؟
قلت : لا . قال : أخبرني عن أتباعه منكم من هم ؟ قلت : الضعفاء والمساكين
والأحداث من الغلمان والنساء ، فأما ذوو الأسمان من الأشراف من قومه فلم
يتبعه منهم أحد . قال : فأخبرني عن يتيمة يحبها ويكرمه ، أم يقره^(٢) ؟
قلت : قلما يتبعه أحد فيقره . قال : فأخبرني كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قلت :
سجال يدال علينا وندال عليه^(٣) .

قال : فأخبرني هل يفدر ؟ فلم أجد شيئاً أغتمز فيه غيرها ؟ قلت : لا ،
ونحن منه في مدة^(٤) ولا نأمن غدره . قال : فوالله ماالتفت إليهما متى .

ثم كرر الحديث فقال : سألتك عن نسبة فيكم ؟ فرعيت أنه محض من
أوسطكم نسباً فكذلك بأخذ الله النبي لا يأخذ إلا من أوسط قومه نسباً ، وسألتك :
هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل قوله فهو يتشبه به ؟ فرعيت أن لا . وسألتك :
هل كان له ملك فيكم فليتموه إياه فجاء بهذا الحديث يطلب ملكه ؟ فرعيت أن لا .
وسألتك عن أتباعه ، فرعيت أنهم الضعفاء والأحداث والمساكين والنساء ،

(١) أي خيرنا وأفضلنا نسباً . (٢) يفضه . (٣) يدال علينا وندال عليه : أي قلبه مرة
ويتقلبنا أخرى . (٤) في مدة : يعني بها مدة صلح الحديبية .

وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان . وسألتك عمن يتبعه أيحبه ويكرمه أم يتقلبه ويفارقه ؟ فرعمت أنه لا يتبعه أحدٌ فيفارقه ، فكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلب رجل فتخرج منه .

وسألتك عن الحرب بينكم وبينه ، فرعمت أنها سجالٌ تدالون عليه ويدالُ عليكم ، وكذلك حربُ الأنبياء ، ولم تكونُ العاقبةُ . وسألتك : هل يفدر ؟ فرعمت أن لا ؛ فلئن كنتَ صدقتني عنه فَلْيَقْلِبَنَّ على ما تحتَ قدميَّ هاتين ، وَلَوْ دِدْتُ أُنِي عنده فَأَغْلُ قلميهِ ! انطلقْ لسانك .

فصمتُ من عنده وأنا أضربُ بإحدى يديَّ على الأخرى وأقول : يا لمباد الله ! لقد أمر^(١) أمرُ ابن أبي كبشة^(٢) ! أصبحتُ ملوكُ بني الأصفر^(٣) يهابونه في ملوكهم وساطانهم !

(١) أمر : عظم . (٢) أبو كبشة : رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الاوثان، وعبد الشعري المبذر، فسمى المشركون الذي صلى الله عليه وسلم ابن أبي كبشة لخلافه لإيمانه إلى عبادة الله تعالى، تشبيهاً له بأبي كبشة الذي خالفهم إلى عبادة الشعري . (٣) بني الأصفر : لقب ملوك الروم عند العرب .

٧٥ - إسلام أبي ذر*

قال أبو ذر^(١): كنت رجلاً من غفار، فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنه نبي، قلت لأخي: انطلق إلى هذا الرجل وكلمه واثني بخبره؛ فانطلق فلقيه، ثم رجع، قلت: ما عندك؟ قال: والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير، وينهى عن الشر؛ قلت له: لم تشفني من الخير!

فأخذت جراباً وعصاً، ثم أقبلت إلى مكة؛ فجلت لا أعرِفُه، وأكره أن أسأل عنه، وأشرب من ماء زمزم، وأكون في المسجد؛ ففرّ بي عليّ، قال: كأن الرجل غريب؟ قلت: نعم! فانطلق إلى للزلز وانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أخبره.

فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه، وليس أحدٌ يخبرني عنه بشيء؛ ففرّ بي عليّ، قال: أما أنّ الرجل أن يعرف منزله بعد؟ قلت: لا، قال: انطلق معي، ثم قال: ما أمرك؟ وما أقدمك هذه البلدة؟ قلت: إن كنت عليّ أخبرتكَ! قال: فإني أفضل. قلت له: بلغنا أنه خرج هاهنا رجل يزعم أنه نبي، فأرسلتُ أخِي ليُكلمه، فرجع ولم يشفني من الخير، فأردتُ أن ألقاه. فقال: أما إنك قد رُشدت، هذا وجهي إليه فاتبعني، ادخل؛ حيث أدخل؛

* الزبيدي: ٢ - ٥٤.

(١) هو من غفار، وهي قبيلة من كنانة، وإسلام أبو ذر بمكة ولم يشهد بدرأ ولا أحدًا ولا الخندق، لأنه حين إسلام رجع إلى بلاد قومه، حتى مضت هذه المشاهد ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات بالريذة سنة ٣٧ هـ.

فإني إن رأيت أحداً أخافه عليك قتُ إلى الحائط كُذِيَ أٌصلح نَمَلِي ،
وامضِ أنت .

فَضَى ومَضِيَتْ معه حتى دخل ، ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم ،
فقلت له : اغترض على الإسلام ، فرضه ، فأسلمتُ مكاني ، فقال لي : يا أبا ذر ،
اكتبْ هذا الأمر ، وارجعْ إلى بلدك ، فإذا بلغك ظُهُورُنا فأقبل . فقلت : والنبي
بمثلك يالقي لأمرُحَنَّ به بين أظهرهم .

فجاء إلى المسجد ، وقريشُ فيه ، قال : يا معشرَ قريش ؛ إني أشهد أن لا إله
إلا الله وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله . فقالوا : قوموا إلى هذا الصابي^(١) ، فقاموا
فَضَرِبَتْ لأُمُوت ، فأدركني العباس ، فأكبَّ عليّ ، ثم أقبلَ عليهم ، فقال :
ويلكم ! تقتلون رجلاً من غِفَارٍ ومَتَجَرُّكم وممَّرُكم على غِفَارٍ ! فأقلَمُوا عني .

فلَمَّا أن أصبحتُ في الند رجعتُ فقلتُ مثلَ ما قلتُ بالأمس . فقالوا : قوموا
إلى هذا الصابي ، فَصَنَعَ بي مثلَ ما صَنَعَ بالأمس ! وأدركني العباس فأكبَّ عليّ ،
وقالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بالأمس !

(١) صاباً : خرج من دين إلى دين .

٧١ — جُود عثمان بن عفان*

أصاب الناس قَحْطٌ في خِلافة أبي بكر ، فلما اشتدَّ بهم الأمرُ جاءوا إلى أبي بكر وقالوا : يا خليفة رسول الله ؛ إن السماء لم تمطر ، والأرض لم تنبت ، وقد توقع الناسُ الهلاك ؛ فما نصنع ؟ قال لهم : انصرفوا واصبروا ، فإنِّي أرجو الله ألا تُمسوا حتى يُخرج الله عنكم .

فلما كان في آخر النهار وردَ الخبيرُ بأن عيراً لعثمان بن عفان جاءت من الشام . فلما جاءت خرج الناس يتلقونها ، فإذا هي ألفُ بغيرِ مُوسقةٍ بُرٍّ وزيتٍ وزبيبٍ ، فأناخت بباب عثمان^(١) ، فلما جعلها في داره جاء التجار ، فقال لهم : ما تريدون ؟ قالوا : إنك تعلم ما نريدُ ! بئنا من هذا الذي وصل إليك ، فإنك تعلمُ ضرورةَ الناس إليه ! قال : حُباً وكرامة . كم ترهجوئي^(٢) على شرائي ؟ قالوا : الدرهم درهمين . قال أعطيتُ زيادةً على هذا . قالوا : أربعة . قال : أعطيتُ زيادةً على هذا . قالوا : خمسة . قال : أعطيتُ أكثرَ من هذا . قالوا : يا أبا عمرو ، ما بقي في المدينة تجارتٌ غيرنا وما سبقنا إليك أحدٌ ، فمن ذا الذي أعطاك ؟ قال : إن الله أعطاني بكل درهم عشرة ، أعندكم زيادة ؟ قالوا : لا . قال : فإنِّي أشهدُ الله أني جعلتُ ما حملتُ هذه العيرُ صدقةً لله على المساكين وقرءاءةً للمسلمين :

* ضرر الفصائص : ١٥٣ .

(١) عثمان بن عفان : ثالث خلفاء المسلمين ، وكان غنياً لم يدخل بحاله في سبيل الإسلام والمسلمين . وانتهت خلافته بقتله سنة ٣٥ هـ . (٢) أربعه على سلخته : أعطاه وحباً .

٧٧ - لييد والوليد بن عُقْبَة*

كان لييد^(١) بن ربيعة جواداً شريفاً في الجاهلية والإسلام ، وكان قد آتى في الجاهلية أن يُعلم ماهيت الصبا . ثم أدام ذلك في إسلامه ، وكانت له جنتان يندو بهما ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطمسهما ، ونزل لييد البكوفة ، وأميرها الوليد بن عُقْبَة ، فينأمره يخطبُ الناس إذ هبت الصبا ، قال الوليد في خطبته على المنبر : قد علمتُ حال أخيكُم أبي عَقِيل ، وما جعل على نفسه : أن يُعلم ماهيت الصبا ، وهذا يومٌ من أيامه . وقد هبت ريحها ، فأعيتوه ، وأنا أول من قتل .

ثم انصرف الوليد ، فبث إليه بمائة من الجزر ، وبهذه الأبيات :

أرى الجزارَ يشحذُ شفرتيه إذا هبت رياحُ أبي عَقِيل
أشمُ الأنفِ أصيدُ^(٢) عامري طويلُ الذيلِ كالسيفِ الصقيل
وقى ابنُ الجعفرِ بما نواه على العلاتِ^(٣) والمالِ القليل
بنحر السكوم^(٤) إذ سحبتُ إليه ذبول صباً تجاذبُ بالأصيل

فلما وصلت الهدية إلى لييد شكره ، وقال : إني تركتُ الشعر منذ قرأت القرآن ؛ ثم قال لابنته : أجيبيه ، فلمرى لقد عشتُ دهرأ وما أعيأ بجواب شاعر ، فقالت :

إذا هبت رياحُ أبي عَقِيل دعونا عند هبتها الوليدا

* الجمهرة : ٣٩ ، المسحرف : ٢ - ٥٠ ، الأغاني : ١٤ - ١٣ ، بلوغ الأرب : ٣ - ٩٢ .
(١) لييد بن ربيعة العامري : أحد أشراف الشعراء الميادين والفراد القريشيين المعمرين وهو من أصحاب الملقبات ، لا يظهر الإسلام أسلم وحين إسلامه ، ومات سنة ٤١ هـ . (٢) الصيد : واقع رأسه كبراً . (٣) على العلات : على كل حال . (٤) السكوم : القطعة من الإبل .

أَشْمُ الْأَنْفِ أُصِيدَ عَبَسِيًّا^(١) أَعَانَ عَلَى مُرُوءَتِهِ لَبِيدًا
 بِأَمْثَالِ الْهَضَابِ^(٢) كَانَ رَكْبًا عَلَيْهَا مِنْ بَنِي حَامٍ قُفُودًا
 أَبَا وَهَبٍ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا نَحْرُنَا وَأَطْمَنَّا الْوُقُودَا
 فَمَدُّ ، إِنْ الْكَرِيمَ لَهُ مَمَادٌ وَغَلَى بَابِنِ أَرَوَى أَنْ يَمُودَا
 قَالَ لَبِيدٌ : أَحَبَّتْ وَأَحْسَنَتْ ، لَوْلَا أَنْكَ سَأَلْتِ فِي شَعْرِكَ . قَالَتْ : إِنَّهُ أَمِيرٌ
 وَلَيْسَ بِسُوقَةٍ ، وَلَا بَأْسَ بِسُؤَالِهِ ، وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ مَا سَأَلْنَاهُ ! قَالَ : أَجَلٌ ، إِنَّهُ عَلَى
 مَا ذَكَرْتَ ، وَأَنْتِ يَا بَنِيَّةُ فِي هَذَا أَشْعَرُ !

(١) لبية إلى عبد شمس . (٢) الهضاب : جمع هضبة ، وهي ما ارتفع من الأرض ، والحقى :
 أعان بجبال ضخام أمثال الهضاب لضعفاتها ، وقد شبهت أسممتها بقوم تاعدين عليها ، وهم
 بنو حام أي السودان .

٧٨ — الخطيئة والزبرقان بن بدر*

قديم الزُّبرقان على عمر في سنة مُجَدِّبة ، ليؤدى صدقات قومه ، فلقبه الخطيئة بقرقرى^(١) ، ومعه ابنه أوس وسودة وبناؤه وامرأته ، فقال له الزُّبرقان - وقد عرفه ولم يعرفه الخطيئة - أين تريد ؟ قال : العراق ، فقد حطمتنا هذه السنة ، قال : وتصنع ماذا ؟ قال : وددت أن أصادف بها رجلاً يكفيني مئونة عيالي ، وأصفيه مدحى أبداً .

فقال له الزُّبرقان : قد أصبته ، فهل لك فيه يؤسِّعُ لبناً وتمراً ، ويجاورك أحسن جوار وأكرم ؟ فقال له الخطيئة : هذا وأبيك العيش ، وما كنت أرجو هذا كله . قال : قد أصبته . قال : عند من ؟ قال : عندي . قال : ومن أنت ؟ قال : الزُّبرقان بن بدر^(٢) . قال : وأين محلك ؟ قال : اركب . هذه الإبل ، واستقبل مطلع الشمس ، وسل عن القمر حتى تأتى منزلى .

ثم كتب إلى أمه - وكان اسمها أم بشذرة : أن أحسنى إليه ، وأكثرى له من التمر واللبن . وكان الخطيئة دميماً ، لا تأخذه العين ، ومعه عيال كذلك ، فلما رأت أم بشذرة حاله هان عليها وقصرت به^(٣) .

* الأغانى ٢ : ١٨٠ ، نهاية الأوب : ٣ - ٢٩٧ ، ذيل زهر الأدب : ٢٢٧ ، ابن أبي الحديد ٣ : ١٠٣ ، الكامل ١ : ٣٤٨ ، ٣٥٤ .

(١) قرقرى : أرض باليمامة فيها قرى وزروع كثيرة ونخيل . (٢) الزبرقان : البئر ، وسمى به الحصين بن بدر لحسنه ، وكان رسول الله قد استعمل الزبرقان على صدقات قومه وأقره أبو بكر وتوفى أيام مساوية سنة ٤٥ هـ . (٣) قصرت به : لم تكرمه ولم تبلغ ما يرضيه .

ونظر بنيفض^(١) وبنو أنف الناقة إلى ما تصنع به أم شذرة ، فأرسلوا إليه :
 أن اتنا ؛ فأبى عليهم وقال : إن من شأن النساء التصير والنفلة ، ولست بالذى
 أحل على صاحبها ذنبها ؛ فلما ألح عليه بنو أنف الناقة قال لهم : لست بمحمل على
 الرجل ذنب غيره ، فإن تركت وجئيت تموت إليكم ، فأطعموه ووعده
 وعداً عظيماً .

فلما لم يحجم دسوا إلى هندية زوجة الزبرقان : أن الزبرقان إنما يريد أن يتزوج
 ابنته مليكة - وكانت جميلة كاملة - فظهرت من المرأة للحطيثة جفوة ، وهى
 فى ذلك تدأريه - ثم أرادوا النجعة^(٢) ، وقالت له أم شذرة : قد حضرت النجعة ،
 فاركب أنت وأهلك هذا الظهر إلى مكان كذا وكذا ، ثم اردذه إلينا حتى
 نلحقك ، فإنه لا يسعنا جميعاً . فأرسل إليها : بل تدمى أنت فأت أحق بذلك ،
 ففعلت .

وتناقلت عن رده إليه ، وتركته يومين أو ثلاثة ، وألح بنو أنف الناقة عليه ،
 وقالوا له : قد تركت بمضيعة ، فلما ألحوا عليه أجابهم ، فقال : أما الآن فنم ا
 أنا صائر معكم ؛ وتمسل معهم . فضربوا له قبة ، وربطوا بكل طناب من
 أطناها جلة^(٣) هجرية ، وأراحوا^(٤) عليه إبلهم ، وأكثروا له من التمر واللبن ،
 وأعطوه لقاحاً^(٥) وكسوة .

فلما قدم الزبرقان سأل عنه ، فأخبر بقصته ، فركب فرسه ، وأخذ رُمحه ،

(١) كان بنيفض وبنو أنف الناقة ينازعون الزبرقان العرف ، وكانوا أشرف من الزبرقان ؛ إلا
 أنه قد كان استعلاء بنفسي . (٢) النجعة : طلب الكلاء فى موضعه . (٣) الملق : وعاء يخضع
 الخوس موضع فيه التمر ويكثر فيه . (٤) لإراحة الإبل : ردها فى الشئ . (٥) اللقاح : جمع لقوح
 وهى الناقة الملووب .

وسار حتى وقف على نادى البَرْيَمِيِّين ، قال : رُدُّوا عَلَى جَارِي ! قَالُوا : مَا هُوَ
لَكَ بِجَارٍ ، وَقَدْ أَطْرَحْتَهُ وَضَيَعْتَهُ ، فَأَلَمَ^(١) أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْحَيِّينَ حَرْبٌ ؛ فَخَضَرُمُ
أَهْلُ الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِمْ ، وَلَا مُوَا بَنِيضًا ، وَقَالُوا : ارْدُدْ عَلَى الرَّجُلِ جَارَهُ ، قَالَ :
لَسْتُ تُخْرِجُهُ وَقَدْ أُوتِيَتْهُ ، وَهُوَ رَجُلٌ حَرٌّ مَالِكٌ لِأَمْرِهِ ، فَخَيَّرُوهُ ، فَلِنْ اخْتَارَنِى لَمْ
أُخْرِجْهُ ، وَإِنْ اخْتَارَهُ لَمْ أَكْرِهْهُ .

فَخَيَّرُوا الْحَطِيطَةَ ، فَاخْتَارَ بَنِيضًا وَرَهْطَهُ ، فَجَاءَ الزَّبْرَقَانُ وَوَقَفَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ :
يَا أَبَا مَلِيكَةَ ؛ أَفَارَقْتَ جَوَارِيَّ عَنْ سَخَطٍ وَذَمٍّ ؟ قَالَ : لَا ؛ فَانصَرَفَ وَتَرَكَهُ .
وَجَمَلَ الْحَطِيطَةُ بِمَدْحِ الْقَرَيْمِيِّينَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَهْبُجُوا الزَّبْرَقَانَ ، وَهُمْ يَحْضُونَهُ عَلَى
ذَلِكَ وَيُحَرِّضُونَهُ فَيَأْبَى وَيَقُولُ : لَا ذَنْبَ لِلرَّجُلِ عِنْدِي ، حَتَّى أَرْسَلَ الزَّبْرَقَانُ إِلَى
رَجُلٍ مِنَ النَّبِيرِ بْنِ قَاسِطٍ فَهَجَا بَنِيضًا ؛ قَالَ :

أَرَى إِلَى بَجُوفِ الْمَاءِ حَلَّتْ وَأَعْوَزَهَا بِهِ الْمَاءُ الرَّوَاهُ^(٢)
وَقَدْ وَرَدَتْ مِيَاهَ بَنِي قَرْيَنْعٍ فَمَا وَصَلُوا الْقَرَابَةَ مُذْ أَسَاءُوا
نَحْلًا^(٣) يَوْمَ وَرِدِ النَّاسِ ابْنِي وَتَصَدَّرَ وَهَى مُحْنَقَةً^(٤) ظِلْمَاءَ
أَلَمَ أَكْ جَارَ شِمَاسِ بْنِ لَأْيٍ فَأَسْلَسَنِى وَقَدْ نَزَلَ الْبَلَاءُ
فَلَتَ : تَحْوَلِي يَا أُمُّ بَكْرِ إِلَى حَيْثُ لِلْكَارِمِ وَالْعَلَاءِ
وَجَدْنَا يَتَ بِهِذَلَةَ بْنِ عَوْفٍ تَعَالَى مَنَمُكُهُ وَدَحَا الْفِنَاءِ^(٥)
وَمَا أَضْحَى لِشِمَاسِ بْنِ لَأْيٍ قَدِيمٌ فِي الْقَمَالِ^(٦) وَلَا رِيَاءَ^(٧)
سَيَوَى أَنَّ الْحَطِيطَةَ قَالَ قَوْلًا فَبَهِتَا مِنْ مَقَاتِلِهِ جَزَاءَ

(١) أَلَمَ : قَرِبَ . (٢) الرَّوَاهُ : الْكَثِيرُ لِلرَّوَى . (٣) نَحْلًا : تَبَعٌ . (٤) مُحْنَقَةٌ : ضَامِرَةٌ .

(٥) دَحَا الْفِنَاءَ : عَظُمَ وَانْجَحَ . (٦) الْقَمَالُ : اسْمٌ لِلْفَيْلِ الْحَسَنِ مِنَ الْجُرُودِ وَالْكَرَمِ وَنَحْوِهِ .

(٧) الرِّيَاءُ : الطُّوْلُ وَاللُّغَةُ وَالْفَضْلُ .

قَدْ نَاضَلُوكَ فَلَوْا مِنْ كِنَانِهِمْ جِدًّا تَلِيدًا وَنَبَلًا غَيْرَ أَنْكَاسٍ^(١)
 فَاسْتَعَدَّتْ عَلَيْهِ الزَّبْرَقَانُ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، فَرَفَعَهُ عَمْرٌ إِلَى وَاسْتَشْدَهُ فَأَنْشَدَهُ ،
 قَالَ عَمْرٌ : مَا أَسْمَعُ هَجَاءً وَلَكِنِّهَا مَعَانِيَةٌ . قَالَ الزَّبْرَقَانُ : أَوْ تَبْلُغُ مَرُوءَةَ إِلَّا أَنْ
 آكَلَ وَالْبَسَ أَقَالَ عَمْرٌ : عَلَى بَحْسَانٍ ، نَجِيٍّ بِهِ ، فَسَأَلَهُ ، قَالَ : أَرَأَاهُ هَجَاءٌ ؟
 قَالَ : نَعَمْ وَسَلِّحَ عَلَيْهِ الْخَبْسَةَ غَيْرَ ، قَالَ فِي الْحَبْسِ :

أَعُوذُ بِمُحَمَّدٍ إِلَى أَمْرٍ سَقَتْنِي الْأَعْدَى إِلَيْكَ السَّجَالَا^(٢)
 فَإِنَّكَ خَيْرٌ مِنَ الزَّبْرَقَانِ أَشَدُّ نَكَالًا وَأَرْجَى نَوَالًا
 تَحْنُ عَلَى هَذَاكَ اللَّيْلِ فَإِنْ لَكَ مَقَامٌ مَقَالًا
 وَلَا تَأْخُذْنِي بِقَوْلِ الْوُشَاةِ فَإِنَّ لَكَ زَمَانَ رِجَالًا
 فَإِنْ كَانَ مَارَعُوا صَادِقًا فَسَقَتْنِي إِلَيْكَ نَائِي رِجَالًا^(٣)
 حَوَاسِرَ لَا يَشْتَكِيَنَّ الْوَجَا^(٤) يُحْقِضَنَّ آلَا^(٥) وَيَرْضَنَ آلَا
 فَلَمْ يَلْقَ عَمْرٌ إِلَيْهِ ، حَتَّى قَالَ :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرَحٍ^(٦) زُنُوبِ الْحَوَاصِلِ لَا مَالًا وَلَا شَجَرٍ
 أَلْقَيْتَ كَاسِيَهُمْ فِي قَمَرٍ مُظْلِمَةٍ فَاعْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عَمْرُ
 أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ أَلْقَتْ إِلَيْكَ مَقَالِيدَ النَّهْيِ الْبَشْرِ
 لَمْ يُؤْثَرُوكَ بِهَا إِذْ قَدَّمُوكَ لَهَا لَكِنْ لَا تُضْمِرُ كَانَتْ بِكَ الْأَثَرُ^(٧)

(١) أَنْكَاسٌ : جَمْعُ نَكَسٍ ، وَهُوَ أَضْعَفُ السَّهَامِ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنْ الْعَرَبُ كَانُوا إِذَا أَسْرُوا
 أَسِيرًا خَيْرُهُ بَيْنَ الْخُلَيْفَةِ وَجِزِ النَّاصِيَةِ ، وَالْأَسْرِ ، فَإِنْ اخْتَارَ جِزِ النَّاصِيَةِ جِزْوَهَا لَهُ ، وَخَلَوْا
 سَبِيلَهُ ، ثُمَّ جَعَلُوا ذَلِكَ الشَّرَّ فِي كَاتِبِهِمْ ، فَإِذَا اخْتَرُوا أَخْرَجُوهُ وَأَرْوَمُوا مَخَافَتِهِمْ .
 (٢) السَّجَالُ : جَمْعُ سَجَلٍ ، وَهُوَ الدُّبْلُ الْغَلِيظَةُ مَمْلُوءَةٌ . (٣) جَمْعُ رَجُلَةٍ ، أَيْ رَاجِلَةٍ .
 (٤) الْوَجَا : الْهَفَا ، وَقِيلَ شِدَّتَهُ . (٥) الْآلُ : عَمَدُ الْحِمَى . (٦) ذُو مَرَحٍ : وَادٍ بِالْهَجَازِ .
 (٧) الْأَثَرُ : وَاحِدُهَا أَمْرٌ ، وَمَعْنَاهَا الْاسْتِثْنَاءُ وَالْمُسْكِرَةُ .

قد نأصْلوك فسلوا من كُنَّا نهم مجلأ تليداً وتبلاً غير أنكاس^(١)
 فاستمدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب، فرقه عمر إليه واستنشد فأنشده،
 قال عمر: ما أسمع هجاه ولكنها معانية . قال الزبرقان: أو تبلغ مروءة إلا أن
 آكل وألبس ا قال عمر: على بختان، فجيء به، فسأله، قال: أترأه هجاه؟
 قال: نعم وسلح عليه الخبسه عمر، قال في الحبس:

أعوذُ بِمِدْكٍ إني امرؤ سَقَتْنِي الْأَعَادِي إِلَيْكَ السَّجَالَا^(٢)
 فَإِنَّكَ خَيْرٌ مِنَ الزُّبْرَقَانِ أَشَدَّ نَكَالًا وَأَرْجَى نَوَالَا
 نَعْنَى عَلَى هَذَاكَ الْمَلِكِ فَإِنْ لَكَ مَقَامٌ مَقَالَا
 وَلَا تَأْخُذْنِي بِقَوْلِ الْوُشَاةِ فَإِنَّ لَكَ زَمَانِ رِجَالَا
 فَإِنْ كَانَ مَا زَعَمُوا صَادِقًا فَسَقَتْنِي إِلَيْكَ نَسَائِي رِجَالَا^(٣)
 حَوَاسِرَ لَا يَشْتَكِيَنَّ الْوَجَا^(٤) يُخَفِّضَنَّ آلَا^(٥) وَيَرْفَعَنَّ آلَا
 فَلَمْ يَلْتَفِتْ عُمَرُ إِلَيْهِ، حَتَّى قَالَ:

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرَحٍ^(٦) زُغِبَ الْخَوَاصِلُ لَامَاءَ وَلَا شَجَرُ
 أَلْقَيْتُ كَلَامَهُمْ فِي قَمَرٍ مُظْلَمَةٍ فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عَمْرُ
 أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ مَقَالِدَ التَّهْنِ الْبَشَرِ
 لَمْ يُوْثِرْكَ بِهَا إِذْ قَدَّمُوكَ لَهَا لَكِنْ لَا غُسْمَ كَانَتْ بِكَ الْأُمُورُ^(٧)

(١) أنكاس: جمع نكس، وهو أضعف السهام . ومعنى البيت: إن الرب كانوا إذا أسروا
 أسيراً خيروهم بين التخليه وجزئ النامية، والأسر، فإن اختار جزئ النامية جزؤهم اله، وخلصوا
 سبيله، ثم جعلوا ذلك الشعر في كتابهم، فإذا انتصروا أخرجه وأروهم مفاخرهم .

(٢) السجال: جمع سجل، وهو اللؤلؤ الطليمة مملوءة . (٣) جمع وجلة، أي راجلة .

(٤) الوجا: الهفا، وقيل شدته . (٥) الآل: عمد الحية . (٦) ذو مَرَح: واد بالمجاز .

(٧) الأثر: واحدها أثر، ومنها الاستثثار والمكرمة .

فَأَمْنٌ عَلَى صَبِيَةٍ بِالرَّمْلِ مَسْكَنُهُمْ بَيْنَ الْأَبْطَاحِ تَنْشَاهُمُ بِهَا التَّرْوُ (١)
 أَهْلِي فِذَاؤُكَ كَمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مِنْ عَرَضِ دَاوُودَ (٢) نَعَمَى بِهَا الْخَبِيرُ
 فَبَكَى عُمَرُ حِينَ قَالَ : « مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحِ بْنِ مَرْخٍ » . قَالَ عُمَرُ بْنُ
 الْعَاصِ : مَا أَظَلَّتْ الْخَضْرَاءُ ؛ وَلَا أَقَلَّتِ الْفَرَاءُ أَعْدَلَ مِنْ رَجُلٍ يَبْكِي عَلَى تَرْكِهِ
 الْحَطِيطَةِ ! فَقَالَ عُمَرُ : عَلَى الْكَرْمِيِّ ، فَأَتَى بِهِ ؛ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَشِيرُوا عَلَيَّ
 فِي الشَّاعِرِ فَإِنَّهُ يَقُولُ الْهَجَرَ ؛ وَيَنْسِبُ بِالْحَرَمِ ، وَيَمْدَحُ النَّاسَ وَيَذْمُهُمْ بغيرِ مَا فِيهِمْ .
 مَا أَرَأَيْتَ إِلَّا قَاطِعًا لِسَانَهُ ؛ ثُمَّ قَالَ : عَلَى بِالطُّسْتِ ، فَأَتَى بِهَا (٣) . ثُمَّ قَالَ : عَلَى
 بِالْمَخْصَفِ (٤) ، عَلَى بِالسَّكِينِ ، لَا ؛ بَلْ عَلَى بِالْمَوْسَى فَهُوَ أَوْحَى (٥) ! فَضَجَّ الْحَطِيطَةُ
 وَقَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ هَجَوْتُ أَبِي وَأُمِّي وَامْرَأَتِي وَنَفْسِي ، فَتَبَسَّمَ عُمَرُ ،
 ثُمَّ قَالَ : مَا الَّتِي قُلْتَ ؟ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي وَأُمِّي :
 وَلَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي النِّسَاءِ فَسُوَّتَنِي وَأَبَا بَيْنِكَ فِسَادِي فِي الْمَجْلِسِ
 وَقُلْتُ لِأَبِي خَاصَةً :
 فَبَسَّ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى تَمِيمٍ وَبَسَّ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى الْإِمَالِي
 وَقُلْتُ لِأُمِّي خَاصَةً :
 تَنْجِيْ وَاجْلِسِي مَعِي بَعِيدًا أَرَاخَ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالِيْنَا !
 أَغْرَ بِالْأَلَا (٦) إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سِرًّا وَكَانُوا (٧) عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ ؟
 حَيَاتُكَ مَا عَلِمْتُ حَيَاةً سِوَهُ وَمَوْتُكَ قَدْ يَسِرُّ الصَّالِحِينَ

(١) التَّرْوُ : جمع قُرَّة ، وهى البرد . (٢) دَاوُودَ : الفلاة الواسعة . (٣) الطست مؤنث ، وقد تذكر . (٤) المَخْصَف : مخزى الإسكاف . (٥) أَوْحَى : أسر .
 (٦) أَمْسَلُ الْفَرْبَالِ : ما غرِبَ به ، وهو يريد أنها لا تحفظ سراً . (٧) الْكَاتُونُ : التَّعْبِيلُ
 الْوَحْمُ مِنَ الْمَاءِ ، وَقِيلَ : الْكَاتُونُ الَّذِي يَجْلِسُ حَتَّى يَنْصَحِيَ الْأَخْبَارَ وَالْأَحَادِيثَ .

وقلت لامرأتى :

أَطُوفُ مَا اطُوفُ ثُمَّ آوِي إِلَى يَتِّ قَعِدَتُهُ لَكَاع^(١)

وقلت لنفسى :

أَبْتُ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلِّمًا بِسَوْءٍ ، فَا أَدْرِ لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
أَرَى لِي وَجْهًا شَوْءَ اللَّهِ خَلَقَهُ قُبِّحَ مِنْ وَجْهِ وَتَبَّحَ حَامِسُهُ

فقالوا : لا يمودُ يا أمير المؤمنين ، وأشاروا إليه أن قلْ لا أعود ، فقال :
لا أعود يا أمير المؤمنين . فقال له : النجاء ! ثم قال له عمر : يا حطيطنة ، كَأَنِّي بِكَ
مُتَدَفِّئِي مِنْ قُرَيْشٍ ، قَدْ بَسَطَ لَكَ نُزْرَقَةً^(٢) ، وكسر لك أخرى وقال : غَنَّنَا
يا حطيطنة ، فَطَفِقَتْ تَعْنِيهِ بِأَعْرَاضِ النَّاسِ^(٣) !

قال ابنُ أسلم : فَا انْقَضَتِ الدُّنْيَا حَتَّى رَأَيْتُ الْحَطِيطَنَةَ عِنْدَ عَبِيدِ اللَّهِ بِنِ عَمْرٍ قَدْ
بَسَطَ لَهُ نُزْرَقَةً ، وَكَسَرَ لَهُ أُخْرَى وَقَالَ : غَنَّنَا يَا حَطِيطَنَةُ ، فَجَلَّ يَضِيهِ ، فَقُلْتُ لَهُ :
يَا حَطِيطَنَةُ ، أَتَذْكُرُ قَوْلَ عَمْرٍ ؟ فَزَرَعَ وَقَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ ذَلِكَ لِلرَّءِ ، أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ
حَيًّا مَا فُضِّلْتُ !

(١) اللكاع : الأمة اللثيمة . (٢) النفرقة : الوسادة . (٣) يروى أن عمر رضى الله عنه لا أطلق الحطيطنة أراد أن يؤكد عليه الحجة فاشترى منه أعراض المسلمين جيأ بثلاثة آلاف درهم ، فقال الحطيطنة في ذلك :

وَأَخَذْتُ أَطْرَافَ الْكَلَامِ فَلَمْ تَدَعْ شَيْئًا يَضُرُّ وَلَا مَدِيحًا يَنْفَعُ
وَمَتَعْنِي عَرْضُ الْيَتِيمِ فَلَمْ يَخْفَ ذِي وَأَصْبَحَ آتِنًا لَا يَنْزِعُ

٧٩ — قدوم الحطيئة على عُتَيْبَةَ بن النعمان*

بينما سميد بن العاص يُصَيِّئُ الناس بالمدينة ، والناس يخرجون أولاً أولاً ؛
إذ نظرَ علي سباطه إلى رجل قبيح النظر ، رث الهيئة ، جالس مع أصحاب سمره ؛
فذهب الشرطُ يقيمونه ؛ فأبى أن يقوم ، وحانت من سميد التفتاة ؛ فقال : دَعُوا
الرجل ، فتركوه ، وخاضوا في أحاديث العرب وأشعارها ملياً ، فقال لهم الحطيئة^(١) :
والله ما أصبتم جيد الشعر ، ولا شاعر العرب ، فقال له سميد : أتعرف من ذلك شيئاً ؟
قال : نعم ، قال : فمن أشعرُ العرب ؟ قال الذي يقول :

لَا أَعْدُ الْإِفْتَارَ عُدْمًا وَلَكِنْ قَدْ مَنَ رُزْنُهُ الْإِعْدَامُ
وَأُنْشَدَ الْقَصِيدَةَ حَتَّى أَتَى عَلَيْهَا .

فقال له : مَنْ يقولها ؟ قال : أبو ذؤاد الإبادي ، قال : ثم من ؟

قال : الذي يقول :

أَفْلَحَ^(٢) بِمَا شئتَ قَدْ يَدْرُكُ بِالْجَهْلِ وَقَدْ يُخَدِّعُ^(٣) الْأَرَبُ
ثم أنشدنا حتى فرغ منها ؛ قال : ومن يقولها ؟ قال : عبيد بن الأبرص ،
قال : ثم من ؟ قال : لحسبك بي عند رغبة أو رهبة إذا رفضت لإحدى رجل على
الأخرى ، ثم عَوَيْتُ في إثر القوافي عواء الفصيل الصادي ؛ قال : ومن أنت ؟

* الأغانى : ٢ - ١٦٨ .

(١) الحطيئة : هو أبو مليكة جرول بن أوس بن مالك العبسي ، أحد المجانين واللاحين
المهينين ، عاش مدة في الجاهلية وجاء الإسلام فأسلم ، ومات سنة ٥٩ هـ . (٢) أفلح : من
الفلاح وهو البقاء ، أى عشت بما شئت من عقل وحق ، فقد يمزق الأحمق ، ويمرح الماقل .

(٣) رجل يخدع : خدع مرأوا .

قال : الخطيئة ، فرحَّبَ به سَعيد ، ثم قال : أَسَأَتْ بِكُمَا نَنَا نَفْسَكَ مِنْذُ اللَّيْلَةِ ،
ووصلَه وكساه .

ومضى لوجهه إلى عَتِيْبَةَ بْنِ النَّهَّاسِ المِجَلِّي فسأله ، فقال له : ما أنا على عمل
فأعطيك منه ، ولأني مالى فضلٌ عن قوى ، قال له : فلا عليك ! وانصرف .
فقال له بعضُ قومه : لقد عرَّضْنَا ونَفْسَكَ للشَّرِّ ! قال : وكيف ؟ قالوا : هذا
الخطيئة ، وهو هاجبنا أخْبَثَ هِجَاءٍ ، فقال : ردَّوه ، فردَّوه إليه ، فقال له : لِمَ
كَتَمْتَنَا نَفْسَكَ ؟ كَأَنَّكَ تَطْلُبُ العِلَالَ عَلَيْنَا ؟ اجلسْ فَلكَ عندنا ما يسرك ، فجلس ،
فقال له مَنْ أَشْعَرَ النَّاسِ ؟ قال الذي يقول :

وَمَنْ يَجْعَلُ المَرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ ^(١) يَفْرَهُ ^(٢) وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّيْءَ يُشْتَمُ
فقال عَتِيْبَةُ : إن هذا من مَقَدِّمَاتِ أَفَاعِيكَ ، ثم قال لوكيله : اذهب معه إلى
السوق فلا يَطْلُبُ شَيْئاً إِلَّا اشْتَرَيْتَهُ له . فجعل يفرض عليه أَلْزَ وَرَقِيْقَ الثِّيَابِ فلا
يردها ، ويؤمِّي إلى الكَرَايِسِ ^(٣) والأَكْسِيَةِ الفَلاظِ ، فيشتريها له ، حتى قضى
أَرْبَهُ ^(٤) ، ثم مضى .

فلما جلس عَتِيْبَةُ في نادى قومه أَقْبَلَ الخطيئة ، فلما رَأَتْ عَتِيْبَةُ قال : هذا مقامُ
العائِذِ بك يا أبا مُلَيْكَةَ من خيرك وشرك ، قال : قد كنتُ قُلْتُ يَتَيْنِ ، فاسْمَعِيهَا !
ثم أنشأ يقول :

سَلَّتْ فَلَمْ تَبْخَلْ وَلَمْ تُمِطْ طَانِلًا فَيَتَانٍ لَا ذِمَّ عَلَيْكَ وَلَا حَمْدُ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ لَا الْجُودُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ فَمُعْطَى ، وَقَدْ يُعْذِي عَلَى النَّائِلِ الْوُجْدُ ^(١)
ثم رَكَضَ فَرَسَهُ ، فذهب !

(١) يفره : يته ولا ينهه ، والبيت لزهر بن أبي سلمى . (٢) الكرايس : ثياب الفطن .

(٣) الأوب : الحاجة .

(٤) يمدى : يمين ، والنائل : ما تلته من معروف إنسان . والوجد : اليلار والامة .

٩٠ — فقير عند سعيد بن العاص *

قَدِيمٌ سَعِيدٌ^(١) بن العاص الكوفةَ عاملاً عليها ؛ فكانت له موائدُ يَشْأُها
الأشرافُ والقُرَّاء ؛ فكان فيمن يَفْشَى موائدَه رجلٌ من القُرَّاء فقير ؛ فقالت له
امرأته يوماً : وَيَحْك ! إنه ييلُنا عن أميرنا هذا كرمٌ وجود ؛ فاذْكُرْ له بعضَ
ما نحنُ فيه !

فتمسَّى عنده ذاتَ ليلة ، فلما انصرف الناسُ ثبت الرجل ، فقال له سعيد :
إني قد أرى جلوسَكَ ، وما جلستَ إلَّا ولك حاجة ، فاذكرها - رحمك الله !
فتعقد الرجل وتلثم - فقال سعيد لفلانته : تنحَّوا ، ثم قال له - رحمك الله - لم يَبْقَ
إلا أنا وأنت ، فاذْكُرْ حاجتك ، فتعقد أيضاً وتمسَّى ، فنفع سعيد المصباح فأطفأه ،
ثم قال له : رحمك الله - إنك لست ترى وجْهِي ، فاذْكُرْ حاجتك ! قال :
أصلح الله الأمير ، أصابَنا حاجة فأحببتُ ذِكْرَها لك . قال له : إذا أصبحتَ فالق
فلاناً وَكِيلِي !

فلما أصبح لقيَ الوكيلَ ، فقال له : إن الأمير قد أسرى بشيء ؛ فهل جئتَ
بمن يحمل ؟ قال : لا والله ما عندي مَنْ يَحْمِل ! ورجع إلى امرأته ، وجعل يعلِّها
ويلومها . وقال لها : إن وكيْلَه قال : جئتَ بمن يَحْمِل ؟ وما هي إلا قَوْصَرَةٌ^(٢)
من تمر ، أو فقيرٌ من بُرٍّ ، ولو كانت دراهمٌ أو دنانيرٌ أعطانيها بيده ! قالت :

* عين الأدب والسياسة : ١٩٠ .

(١) سعيد بن العاص : أحد أجياد العرب وكرماهم ، كان يأتيه الرجل ياله فلا يكون
عنده ، فيقول : ما عندي ولكن أكتب على به ، فيكتب عليه كتاباً ثم يدفع له بعد ذلك ؛ توفي
سنة ٥٩ هـ .

(٢) القوصرة : وعاء يوضع فيه التمر .

وَيَحْكُ ! ما كان من شيء فتوتنا به . فكثَّ ألامًا ، ثم لقيه الوكيل ، فقال له :
وَيَحْكُ ! أين تكون ؟ أخبرت الأمير أنه ليس عندك من يحمل ؛ فأمرني أن
أوجه معك من يحمل .

فوجه معه بثلاثة من السودان يحمل كل واحد بذرة على عاتقه ، حتى
أوردوها منزله .

فأطلق وكاء^(١) بذرة منها ، ووهب لهم منها دريهمات ، وقال : انصرفوا !
فالوا : إلى أين ؟ ما حمل له مملوك قط هدية ؛ فرجع في ملكه !

(١) الوكاء : الرباط .

٨١ — قصر سعيد بن العاص *

لما حضرت سعيد بن العاص الوفاة وهو في قصره قال له ابنه عمرو : لو نزلت إلى المدينة ا فقال : يا بني ؛ إن قومي لن يصنؤا عليّ بأن يحملوني على رقابهم ساعة من نهار ، وإذا أنا ميتٌ فأذنهم ^(١) ، فإذا واريثني فانطلق إلى معاوية فائتني له ، وانظر في ديني ، واعلم أنه سيرض عليك قضاءه فلا تفعل ، واجبرض عليه قصرى هذا ؛ فإني إنما اتخذته زهرة وليس بمال .

فلما مات آذن الناس به ؛ فخلّوه من قصره حتى دُفِنَ بالبقيع ^(٢) ، ورواحل عمرو بن سعيد مُنَاخَةً ، فمزّاه الناس على قبره وودّعوه ؛ وكان هو أول من نكاه إلى معاوية ، فتوجّس له وترحم عليه ؛ ثم قال : هل ترك ديناً ؟ قال : نعم ؛ ثمانمائة ألف ، قال : هي عليّ ؛ قال : قد ظنّ ذلك ، وأمرني ألا أقبله منك ، وأن أعرض عليك بعض ماله فتبتّاعه ؛ فيكون قضاء دينه منه . قال : فأعرض عليّ . قال : قصره ؟ قال : قد أخذته بدينه . قال : هو لك على أن تحمّلها إلى المدينة وتجعلها بالوافية ^(٣) قال : نعم ؛ فحمّلها له إلى المدينة ، وفرّقها في غرّمائه ، وكان أكثرهما عدات ^(٤) .

فأناه شاب من قریش بصكّ فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيد على نفسه ، وشهادة مولى له عليه ؛ فأرسل إلى المولى فأقرّاه الصكّ ؛ فلما قرأه بكى ، وقال :

* الأغانى : ١ - ٣٢

(١) آذنهم : أعلمهم . (٢) البقيع : مقبرة أهل المدينة . (٣) الدرهم الواقي : درهم وأربعة دوانقي ، والدانقي : سدس الدرهم . (٤) عدات : عطايا وعد بها .

نعم ، هذا خطُّه ! وهذه شهادتي عليه ! فقال له عمرو : من أين يكونُ لهذا الفقي عليه عشرون ألف درهم ، وإنما هو صُعلوك من صُعاليك قريش ؟ قال : أخيرك عنه ، مرَّ سعيد بعد عزِّله ، فاعترض له هذا الفقي ، ومبشًى معه ، حتى صار إلى منزله ، فوقف له سعيد ، فقال : ألك حاجة ؟ قال : لا ، إلا أني رأيتك تمشي وحدك ؛ فأحببتُ أن أن أصل جناحك . فقال لي : ائتني بصحيفة ما ، فأنتهتُ بهذه ، فكتب على نفسه هذا الدِّين ، وقال له : إنك لن تصادفَ عندنا شيئاً ؛ فخذُ هذا فإذا أنا ناشئ . فَأَتَانَا !

فقال عمرو : لا جرم ! والله لا يأخذها إلا بالوافية ، أعطه إياها ، فدفع إليه عشرين ألف درهم !

٨٢ — معاوية وسعيد بن الماص

مرض سعيد بن الماص وهو بالشام ، فزاده معاوية ، ومعه شُرَحْبِيل بن السمط ومسلم بن عقبة للرئ ، ويزيد بن شجرة الزهري ؛ فلما نظر سعيد معاوية وثب عن صدر مجلسه ، إعظاماً له . فقال له معاوية : أقسمتُ عليك أبا عَمان ألا تتحركَ فقد ضُمَّتْ بالمة ، فسقط ، فتبادر معاوية نحوه حتى حنَّ عليه ؛ وأخذ بيده ، فأقعدَه على فراشه ، وقعد معه وجعل يسأله عن علته ومنامه وغذائه ، ويصفُ له ما ينبغي أن يتوقَّاه ، وأطال القعود معه .

فلما خرج التفتَ إلى شُرَحْبِيل بن السمط ؛ ويزيد بن شجرة ، فقال : هل رأيَا خلافاً في مال أبي عَمان ؟ فقالا : ما رأينا شيئاً ننكره ؛ فقال لمسلم بن عقبة : ما تقول ؟ قال رأيتُ أقال : وما ذاك ؟ قال : رأيتُ على حشمه ^(١) ومواليه ثياباً وِسْخَةً ، ورأيتُ مَحَن داره غير مكنوس ، ورأيتُ التجار يخاضعون قَهْرَمانه ^(٢) ؛ قال : صدقتَ أكلَ ذلك قد رأيتَه .

فوجه إليه مع مسلم بثلاثمائة ألف ؛ فسبق رسوله يبشره بها ؛ ويخبره بما كان ؛ فنضب سعيد ، وقال للرسول : إنَّ صاحبك ظنَّ أنه أحسن فأساء ، وتأول فأخطأ ؛ فأما وسخُ ثياب الحشم فمن كثرة حركتهم اتسخت ثيابهم ، وأما كنسُ الدار

* العهد القريب : ١ - ١٥٠

(١) الحشم : خدم الرجل .

(٢) القهرمان : هو كالمُلازم والوكيل المحافظ لما تحت يده ، والقائم بأمر الرجل .

فليست أخلاقنا أخلاق من جعل داره مرآته ، وزينته لبسته^(١) ، ومعروفه عطره ،
ثم لا يبالي بمن مات هزالا من ذى لُحمة^(٢) أو حرمة ، وأما منازعة التجار
قهر ماني فن كثرة حوائجه وييمه وشرائه لم يجد بدا من أن يكون ظلماً أو مظلوماً .
وأما اللال الذي أمر به أمير المؤمنين قد قبلناه ، وأمرنا لصاحبك منه بمائة ألف !
ولشر حبييل بمثلها ، وليزيد بمثلها ! وفي سعة الله وبسط يده أمير المؤمنين
ما عليه موعولنا !

فركب مسلم بن عقبة إلى معاوية فأعلمه بذلك ، فقال : صدق ابن عمي فيما قال ،
وأخطأت فيما انتهيت إليه ، فأجعل نصيبك من اللال لروح بن زنباع عقوبة لك ،
فإنه من جنى جناية عوقب بمثلها ، كما أنه من فعل خيراً كوفي عليه !

(١) البية : حالة من حالات الهمس . (٢) العمة : الترابية .

٨٣- كرم معاوية*

قال معاوية يوماً لعقيل^(١) بن أبي طالب : هل من حاجة فأقضيها لك ؟ قال : نعم ، جارية عُرِضَتْ عَلَى وَآبِي أَحْبَابُهَا أَنْ يَبِيعُوهَا إِلَّا بَارِبِينَ أَلْفًا ! فَأَحَبُّ معاوية أَنْ يَمَازَحَهُ ، فقال : وما تصنعُ بجارية قيمتها أربعمائة ألفًا ، وأنت أحمى ، تجترئُ بجارية قيمتها خمسون درهما ؟

قال : أرجو أن تلدَ لى غلامًا إذا أُغْضِبْتَهُ يَضْرِبُ عُنُقَكَ بالسيف ! فضحك معاوية ، وقال : مَا زَحْنَاكَ يَا أَبَا يَزِيدَ ! وَأَمْرٌ فَاتِنَتْ لَهُ الْجَارِيَةُ ؟ وولدت له مُسْلِمًا .

فلما أنت على مسلم ثمانى عشرة سنة ، وقد مات عقيل أبوه ، قال لمعاوية : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنْ لى أَرْضًا بِمَكَانٍ كَذَا مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَإِنى أُعْطِيتُ بِهَا مِائَةُ أَلْفٍ ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أُبَيْعَ لَكَ إِيَّاهَا ؛ فَادْفَعْ لى ثَمَنَهَا ، فَأَمْرٌ-معاويةُ يَقْبِضُ الْأَرْضَ ، وَدَفْعَ الثَّمَنِ إِلَيْهِ .

فبلغ ذلك الحسينَ بنَ عَلِيٍّ ؛ فَكَتَبَ إِلَى معاوية : أَمَا بَدَأَ فَإِنَّكَ غَرَرْتَ عَلَامًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، فَاتَّقَتْ مِنْهُ أَرْضًا لَا يَمْلِكُهَا ، فَاقْبِضْ مِنَ الْفَلَامِ مَا دَفَعْتَهُ ، وَارْجُدْ إِلَيْنَا أَرْضَنَا .

فبعث معاوية إِلَى مَنْطَرٍ ؛ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، وَأَقْرَأَهُ كِتَابَ الْحُسَيْنِ ، وَقَالَ :

* ابن أبي الحديد : ٣ - ٨٢

(١) هو أخو علي بن أبي طالب ، أسرى يوم بدر ، ففداه البساس بأربعة آلاف درهم . وأسلم عقيل وطلق بمعاوية وترك أخاه عليًا ، ومات بعد ما عمى سنة ٦٠ هـ .

ارْزُدْ عَلَيْنَا مَالَنَا ، وَخُذْ أَرْضَكَ ؛ فَإِنَّكَ بَعَثَ مَا لَا تَمْلِكُ ! قَالِ مُسْلِمٌ : دُونَ ذَلِكَ
أَنْ أَضْرِبَ رَأْسَكَ بِالسِّيفِ ! فَاسْتَلْقَى مَمْلُوءَةً ضَاحِكًا يَضْرِبُ بِرَجْلِهِ ، ثُمَّ قَالَ :
يَا بُنَيَّ ؛ هَذَا وَاللَّهِ كَلَامٌ قَالَهُ لِي أَبُوكَ حِينَ ابْتَعْتَ لَهُ أَمْلِكُ !
ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْحُسَيْنِ : إِنِّي قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْكُمْ الْأَرْضَ ، وَسَوَّغْتُ مُسْلِمًا
مَا أَخَذَ .

قَالَ الْحُسَيْنُ : أَيُّهُمْ يَا آلَ أَبِي سُفْيَانَ إِلَّا كَرَمًا !

٨٤ - معاوية يَمُوق

لما استعمل معاوية زِيادًا على العراق كتب إليه : أما بعد فانظر عبد الله^(١)
ابن هاشم بن عتبة ، فشدَّ بذه إلى عُنقه ، ثم ابشَّ به إلى .
فعله زياد من البصرة مُقَيِّدًا مَغْلُولًا إلى دِمَشق ، فأذْخِلَ على معاوية ،
وعنده عمرو بن العاص ؛ فقال معاوية لعمرو : هل تعرف هذا ؟ قال : لا قال :
هذا الذي يقول أبوه^(٢) يوم صِفِّين :

إلى شَرِيتُ^(٣) النفس لما اغتَلَا - وأكثَرُ اللّوَمَ وما أَقَلَّا
أَعَوُّرُ يَبْنِي أَهْلَهُ^(٤) تَحَلَّا - قد عَالَجَ الحِياةَ حتى مَلَّا
لا مُدَّ أن يَفْلَ^(٥) أو يُفَلَّا - يَتَلَمُّ بِذِي الكُؤُوبِ^(٦) تَلَّا
* لا خَيْرَ عِنْدِي في كَرَمٍ وَلَّى *

قال عمرو ومثلاً :

وقد بَنَيْتُ اللَّرْعَى على دِهْنِ^(٧) التَّزَى وتَبَقَّى حَرَازَاتُ النفوسِ كما هَبَا
دونك يا أمير المؤمنين ! الضَّبُّ^(٨) الضَّبُّ فاشْخَبْ أوداجَه على أسْباجِه^(٩) ،

* السَّحُوق : ٢ - ٥٧ .

- (١) كانت في نفس معاوية من يوم صِفِّين إحسن على هاشم بن عتبة وولده عبد الله بن هاشم .
- (٢) جاء عمار بن ياسر إلى هاشم بن عتبة - وكان هاشم أعور - فقال : يا هاشم ؛ أعوراً وجيئاً ؟
- أركب ، فركب ومضى معه وهو يرمِيز : إلى شَرِيتُ النفس . . .
- (٣) شَرِيتُ النفس : بَشَّتها في سَبِيلِ الله ، لا اعتل : لا رماي عمار بالبين .
- (٤) يَبْنِي أَهْلَهُ : أى عمل أهله ومسيرهم وهم الذين استشهدوا قبله . (٥) يفل : يهزم .
- (٦) تله : صرعه . وذو الكؤوب : الرَّجَع . (٧) الدمن : جمع دمنة وهى مأسود من آثار الدار .
- (٨) الضب : يضرب بخداعه للثل ، فيقال : أخدع من ضب . (٩) الأوداج : عروق في الصق ، وشخبت أوداج القتل دماً : جرى دمها ، والأسباج : جمع سبجة وهى من القيس ببقته .

فلا تردّه إلى العراق ؛ فإنه لا يصير على النفاق ، وهم أهل غدِيرٍ وشقاق ، وإن له
 هوى سَوْدِيهِ ، ورأياً سِيْطَنِيهِ ، وبطانة سَقَوِيهِ ؛ وجزاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا !
 قال عبد الله : ياعمرؤ ! إن أُقْتِلَ فرجُلٌ أَسْلَمَهُ قومُه وأدركه يومُه ؛ أَفَلَا
 كان هذا منك إذ تحيدُ عن القتال ، ونحن ندعوك إلى الزَّالِ ! قال عمرو : أما والله
 لقد وقعت ، ولا أحسبك مُنْفِلَتًا من غُخَالِيهِ أمير المؤمنين !
 قال عبد الله : أما والله يا ابنِ المِصْبِ ؟ إنك لَبِطْرٌ في الرِّخَاءِ ، جَبَّانٌ عندَ اللِّقَاءِ ،
 عَشَوٌّ إذا وَلِيْتَ ، هَيَّابٌ إذا لَقِيتَ ؛ أَفَلَا كان هذا منك إذ غررك أقوام لم
 يُنْفَعُوا صِغَارًا ، ولم يُمَزَّقُوا كِبَارًا ، لم أيدِ شِدَادًا ، وألَسَنَةُ حَدَادٍ ...
 قال عمرو : أما والله لقد رأيتُ أباك يومئذ تخفق أحشاؤه ، وتَبُّقُ^(١)
 أَمْعَاؤُهُ ! ...

قال عبد الله : يا عمرو ؛ إنا قد بَلَوْنَاكَ ومقاتلتك ؛ فوجدنا لسانك كذوبًا
 غادراً ، خلوت بأقوام لا يعرفونك ، وجنَدٍ لا يأمونك ؛ ولو رُمْتَ المنطق في غير
 أهل الشام لَجَحَطَ^(٢) إليه عَقْلُكَ ، ولتاجلج لسانك ، ولا ضَطْرَبَ فخذُكَ اضطراب
 القعود الذي أَثْقَلَهُ حِمْلُهُ !

قال معاوية : إيهنا عنكما ؛ وأمر بإطلاق عَبدِ الله ! قال عمرو لمعاوية :
 أَمَرْتُكَ أَمْرًا حَازِمًا قَمَصَيْتَنِي وكان من التوفيق قتلُ ابنِ هاشم
 أليس أبوه ، يا معاوية ، الذي أعانَ عليًّا يومَ حَزِّ النَّلَاصِ^(٣)
 فلم يَلْتَنِي حتى جَرَّتْ من دماننا بصَفَيْنَ أمثالِ البجورِ الخَضَارِ^(٤)

(١) تبُّق : تخرج ، بق التبت يوقاً : طلع .

(٢) جحطت العين : إذا برزت مقلتها ، والمراد اضطرب عقلك وشرد ، ولم يلس لك قياد
 التفكير . (٣) النلصة : رأس الخلقوم ، والجمع غلام . (٤) الحضر : البحر العظيم ،
 وبقيت الياء في « بتي » الضرورة .

وهذا ابنه ، والرء يشبه سنحه
فقال عبد الله يحبه :

معاوي لما للرء عمراً أبت له
يرى لك قتلى بآبن هند ، وإنما
على أنهم لا يقتلون أسيرهم
وقد كان منا يوم صفين نكرة^(٢)
قضى ما اقضى منها وليس الذى مضى
فإن تمف عفى تمف عن ذى قرابة
فقال معاوية :

أرى العفو عن عليا قريش وسيلة
ولست أرى قتل العداة ابن هاشم
بل العفو عنه بعد ما بان جرؤه
فكان أبوه يوم صعين بجرة
إلى الله فى اليوم المصيب القطار^(١)
يأدرأك ثأرى فى لؤي وعامر
وزلت به إحدى الجدود العواتر
علينا فأردنه رماح ساهر^(٣)

(١) قرع سنة : حرقه ندماء أى سحقه حتى سمع له صريف، وسكن القمل للضرورة. والنخج:
الأصل من كل شيء . (٢) ثمر القوم : هاجوا واجتمعوا فى الحرب .
(٣) وكان عبد الله بن هاشم من أقرباء معاوية .
(٤) يوم قاطر : شديد . (٥) التهاجر : المهاك .

٨٥ - الوفي *

كان أبو بلال^(١) مرداس بن حُدَيْر تَمَطُّمُه الخوارج ، وكان مجتهداً كثيراً الصواب في لفظه ، فلقبه غِيلَان بن خَرَشَةَ الصَّبِي ؛ قال : يا أبا بلال ، إني سمعتُ الأمير^(٢) البارحة يذكر البَلْجَاء^(٣) ، وأحسبها سَتُوْخَذ ، ففضي إليها مرداس ، قال لها : إن الله قد وَسَّعَ على المؤمنين في التَّقِيَّةِ^(٤) فاستترى ، فإن هذا السِّرِفَ على نفسه الجبار العتيد قد ذَكَّرَكِ اِذَا قَالَتْ : إن يأخذني فهو أشقَى بي ؛ فأما أنا فما أحبُّ أن يُعْتَبَ^(٥) إنسانٌ بسببي .

فوجه إليها عبيد الله بن زياد ، فأثى بها ، فقطع يديها ورجليها ؛ ورى بها في السوق ، فرى مرداس ، والناسُ مجتمعون ، قال : ما هذا ؟ فقالوا : البَلْجَاءُ ! فمرج عليها ، فنظر ، ثم عضَّ على لحيته ، وقال لنفسه : لَهْزِهْ أَطِيبُ نَفْسًا مِنْكَ يامرداس .

ثم إن عبيد الله تتبع الخوارج فحبسهم ، وحبس مرداساً ، فرأى صاحبُ السجن شدةَ اجتهاده ، وحلاوةَ مَنْطِقِهِ ، فقال له : إني أرى لك مذهباً حسناً ، وإني لأحبُّ أن أوليك معروفاً ! أفرايت إن تركتكَ تنصرفُ ليلاً إلى بيتك

* رغبة الآمل : ٧ - ١٨٧ ، السكامل ٢ - ١٥٤ .

(١) من عطاء الإيضاح وأحد الخطباء الأبطال ، سجنه عبيد الله في الكوفة ، ونجا من السجن وجم من قاتل عبيد الله فنشبت له في يوم جمعة وتوادم القريظان إلى ما بعد الصلاة فأحاط بهم جيش عبيد الله وهم في صلاتهم فقتلهم عن آخرهم ، وحلوا رأس مرداس إلى ابن زياد سنة ٦١ هـ .
(٢) هو عبيد الله بن زياد أمير البصرة ولاء معاوية عليها سنة ٥٥ هـ ، وكان شديداً على الخوارج .
(٣) البَلْجَاء : هي امرأة من بني حرام وكانت من مجتهدات الخوارج . (٤) التقية : حفظ النفس بما يستطاع من المكروه . (٥) عتبه : ألزمه ما يصعب عليه أداؤه .

أَتَدْلِجُ^(١) إِلَى ؟ قال : نعم ! فكان يفعل ذلك به ، وَلَجَّ عبيدُ الله في حَبْسِ
الخوارج وقتلهم ، فَكَلَّمُ في بعض الخوارج ، فَلَجَّ وأبى ، وقال : أَقْسَعُ النفاقُ
قبل أن يَنْجُمَ^(٢) ، لَكَلَامُ هؤلاء أَسْرَعُ إلى القلوب من النار إلى البراع^(٣) .

فلما كان ذات يوم قَتَلَ رجلٌ من الخوارج رجلاً من الشرط ، فقال ابنُ زياد :
ما أدرى ما أ صنعُ بهؤلاء ! كلما أَمَرْتُ رجلاً بِقَتْلِ رجلٍ منهم فَتَكُوا بِقَاتِلِهِ ،
لَأَقْتُلَنَّ مَنْ في حَبْسِي منهم .

فأخرج السَّجَّانُ مِرْدَاساً إلى منزله كما كان يفعل ، وأتى مِرْدَاساً الخبير ،
فلما كان السَّحَرُ سَهْياً للخروج ، قال له أهله : اتَّقِ الله في نفسك ، فإنك إن رجعتَ
قُتِلْتَ . قال : إني ما كنتُ لِأَلْقَى اللهَ غادراً . فرجع إلى السَّجَّان ، فقال له :
أَمَا عَلِمْتَ ما عَزَمَ عليه صاحبُك ؟ قال : عَلِمْتُ . قال : أَعَلَيْتَ وَرَجَعْتَ !
قال : نعم ولم يكن جزاؤك مع إحسانك أن تُعاقَبَ بسببي .

وأصبح عُبَيْدُ الله بِقَتْلِ الخوارج ، ثم دعا بمرداس ، فلما حضر وثب السَّجَّانُ ؛
فَقَبِلَ قَدَمَهُ ؛ ثم قال : هَبْ لِي هذا ، وقصَّ عليه قصته ، فوَهَبَهُ له .

(١) ادلج : سار آخر الليل ، وأدلج : سار من أول الليل . (٢) ينجم : يظهر . (٣) البراع :

جمع براعة ، وهي القصة .

٨٦ - أَسْفَى مِنَ الْبَحْرِ إِذَا زَخَرَ*

حبس معاوية عن الحسين^(١) بن عليّ صلاته ، حتى ضاقت عليه حاله ، فقيل له : لو وَجَّهْتَ إلى ابنِ عمك عبيد الله بن العباس ، فإنه قدِمَ بنحو من ألف ألف درهم !

قال الحسين : وأين تقع ألف ألف من عبيد الله ، فوالله لهُوَ أجودُ من الرّيح إذا عَصَبَ ، وأسفى من البحر إذا زَخَرَ ؛ ثم وَجَّهَ إليه مع رسوله بكتاب ، ذكرَ فيه حبس معاوية صلاته عنه وضيّقَ حاله ؛ وأنه يحتاجُ إلى مائة ألف درهم . فلما قرأ عبيد الله كتابه - وكان من أرقّ الناس قلباً ؛ وألينهم عطفاً^(٢) -

انهلمت عيناه ، ثم قال : ويحك يا معاوية مما اجتَرَحْتَ بِذَاكَ من الإثم حين أصبحتَ آيِنَ لِلهاد ، رفيعَ العماد ؛ والحسينُ يشكو ضيقَ الحال ، وكثرةَ العيال ! ثم قال لَقَهْرمانه^(٣) : احمل إلى الحسين نصفَ ما أملكُ من فضةٍ وذهب وثوب ودابةٍ ! وأخيرَه أنى شاطرته مالى ، فإن أقتَمَ ذلك وإلا فارّجِعْ واحملْ إليه الشَّطْرَ^(٤) الآخر . فقال له القمى : فهذه اللُّوْنُ التى عليك من أين تقومُ بها ؟ قال : إذا بَلَدْنَا ذلك دَلَلْتُكَ على أمرٍ تُقيمُ به حالَكَ .

فلما أتى الرسولُ برسالته إلى الحسين ، قال : لِمَ نَاحِلَ ! حَمَلْتُ والله على ابنِ عمى ، وما حسبتُهُ يتَّسَعُ لنا بهذا كله ، فأخذ الشَّطْرَ من ماله ؛ وهو أولُ مَنْ فُعل ذلك فى الإسلام .

* خزائن الأدب : ٣ - ٢٥٧ .

(١) هو الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، ولد بالمدينة ، ولما فى بيت النبوة ، وقتل بكر بلاه سنة ٦١ هـ . (٢) أصل اللطف : الجانب . (٣) القهرمان : كالمنازن والوكيل المانظ لما تحت يده ، والقائم بأمر الرجل بلدة الفرس . (٤) الشطر : النصف .

٨٧ - يَجُودُ عَلَى مِقْدَارِ نَفْسِهِ*

خرج عُبَيْدُ اللَّهِ^(١) بن العباس مرةً من المدينة يريدُ معاويةَ في الشام ، فأصابته سُمْلَةٌ ؛ فنظر إلى نُؤَيْرِ^(٢) عن يمينه ، فقال لفلانة : مِلْ بنا إليها .

فلما أتياها إذا شيخ ذوهيئة رثَّةٌ قال له : أنخ ؛ أنزل ، حُيِّتَ ! ودخل إلى منزله ، قال لا مرأته : هيئِي شاتِك أَقْضِي بها ذِمَامَ^(٣) هذا الرجل ، فقد تَوَسَّمتُ فيه الخيل ؛ فإن يكن من مُضَرَّ فهو من بنى عبد اللطاب ، وإن يكن من الهين فهو من بنى آكلِ الرار^(٤) . قالت له : قد عرفتَ حالَ صَبِيَّتِي ، وإن معيشتهم منها ؛ وأخافُ الموتَ عليهم إن قدوها ؛ فقال : موتهم أحبُّ إلىَّ من اللومِ^(٥) ، ثم قبض على الشاة ؛ فأخذ الشفرة ، وأنشد :

قَرِيبَتِي^(٦) لَا تُوقِظِي بَيْنِي إِنْ يُوقِظُوا يَنْحَبُوا عَلَيَّ
وَيَنْزِعُوا الشَّفْرَةَ مِنْ يَدَيَّ أَتَيْضُ هَذَا أَنْ يُرَى لَدَيَّ

ثم ذبحها وكشط جلدها ، وقطعها أرباعاً ، وقذفها في القدر حتى إذا استوت قَرَدَ^(٧) في جَفَنَةٍ ؛ فشاها ثم غداها .

وأراد عُبَيْدُ اللَّهِ الرحيلَ ، قال لفلانة : ائزِمِ للشيخ ما معك من نفقة ؛ فقال : ذَمِّجْ لَكَ الشاةَ فسكافِته بثمان عشرة أمثالها ؛ وهو لا يعرفك ! فقال : وَيَحْك !

* خزانة الأدب : ٣ - ٩٣ •

- (١) عُبَيْدُ اللَّهِ بن العباس : كان مشهوراً بالجود ، ممدوداً من الأجواد ، وهو أول من فطر جرياته في رمضان ، وأول من وضع موائمه في الطرق ، توفي سنة ٨٧ هـ . (٢) نؤيرة تصغير نار . (٣) الذمام : الحرمة . (٤) آكل الرار : جد امرئ القيس . وبنو آكل الرار : هم ملوك اليمن . (٥) اللوم : البغل . (٦) الغريبة : ذات القرابة . (٧) يقال : ثرد الخبز ، أي فنه .

إن هذا لم يكن يملك من الدنيا غير هذه الشاة ، فجاء لنا بها ، وإن كان لا يبرئنا
فأنا أعرفُ نسي ، ارم بها إليه ، فرماها إليه ، فكانت خمسمائة دينار !
ثم ارتحل عبيد الله ، فأتى معاوية ، فعرض حاجته ، ثم أقبل راجعاً إلى المدينة ،
حتى إذا قرب من ذلك الشيخ قال للامام : ويل بنا ننظره في أى حالة هو ،
فأتينا إليه ، فإذا برجل سري عنه دُخان عال ، ورملة كثير ، وإبل وغم ؛
فرح بذلك ، وقال له الشيخ : انزل بالرحب والسمة ، فقال له عبيد الله :
أترفضي ؟ قال : لا والله ، فمن أنت ؟ قال : أنا نزيلك ليلة كذا وكذا ، فقام
إليه فقبل رأسه ويديه ورجليه ، وقال : قد قلت أحياناً ؛ أسمعها مني ؟ قال :
هات ، فأشد :

توسمت^(١) لما رأيت مهابةً عليه وقلت : للرد من آل هاشم
والآفين آل الكرار فلهنم ملوك عظام من كرام أعظم
فقدت إلى عزيزيقة أعز لأذبحها فقل امرئ غير ناديم
فوضعت عنها غناى ولم تكن نسأوى^(٢) عزى غير خمس دراهم
قلت لأهل في الغلاء^(٣) وصيبي : أحقأ أرى أم تلك أحلام نائم
فضحك عبيد الله ، وقال : أعطيتنا أكثر مما أخذت منا ، يا غلام ، أعطهم مثلها !
وبلغت قملته معاوية فقال : لله در عبيد الله ؛ من أى بيضة خرج اوفى أى
عشيرة درج .

(١) توسمت : تفرسته . (٢) نسأوى : بوضع الضمة على الياء للضرورة . (٣) الغلاء : القضاء

٨٨ — من حيل الكرماء *

أهدى معاوية إلى عبيد الله بن العباس حللاً كثيرة ، ومِسْكَاً وآيَةً
من ذهب وفضة ، ووجهها إليه مع حاجيه ؛ فلما وضعتها بين يديه نظر إلى الحاجب
— وهو يطيل النظر فيها — فقال : هل في نفسك منها شيء ؟ قال : نعم - والله
إن في نفسي منها ما كان في نفسي يعقوب من يوسف .

فضحك عبيد الله وقال : فشأنك بها ؛ فعلمك . قال : جعلتُ فداك !
أنا أخاف أن يبلغ ذلك معاوية ؛ فيغضبَ لذلك . قال : فاختمها بخاتمك ، وادفعها
إلى الخازن ، وهو يحملها إليك ليلاً . فقال الحاجب : والله إن هذه الحيلة في الكرماء
أكثر من السكرم ؛ ولَوَدِدْتُ أني لا أموت حتى أراك مكانه - يعني معاوية .

فظنَّ عبيدُ الله أنها مكيدةٌ منه ، فقال : دَعِ هذا الكلام ؛ إنا من قوم
نفي بما عَدَدْنَا ، ولا نقضُ ما أَكَدْنَا .

٨٩ — يَدُّ عِنْدَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ *

أَتَى رَجُلٌ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ^(١) - وَهُوَ بِفَنَاءِ دَارِهِ قَال : يَا بْنَ الْعَبَّاسِ ؛
إِن لِي عِنْدَكَ يَدًا وَقَدْ احْتَجْتُ إِلَيْهَا ؛ فَصَدَّ فِيهِ بَصَرَهُ وَصَوْبَهُ ، فَلَمْ يَبْرَفْهُ .
ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَا يَدُكَ عِنْدَنَا ؟ قَالَ : رَأْيُكَ وَأَقْفَا بَزْمُزِمٍ وَغِلَامُكَ يَمْتَحُ^(٢) لَكَ
مِنْ مَائِهَا ، وَالشَّمْسُ قَدْ صَهَرَتْكَ ، فَظَلَّلْتُكَ بِطَارَفِ كَسَائِي حَتَّى شَرِبْتَ .
قَالَ : إِنِّي لَأَذْكُرُ ذَلِكَ ، وَإِنَّهُ يَتَرَدَّدُ فِي خَاطِرِي وَفِكْرِي ، ثُمَّ قَالَ لَتَيْتِهِ :
مَا عِنْدَكَ ؟ قَالَ : مَائَتَا دِينَارٍ وَعَشْرَةُ آلَافِ دَرَاهِمٍ . قَالَ : اذْهَبْهَا إِلَيْهِ ، وَمَا أَرَاهَا
تَفِي بِحَقِّ يَدِهِ عِنْدَنَا !
قَالَ لَهُ الرَّجُلُ : وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِإِسْمَاعِيلَ وَلَدٌ غَيْرُكَ لَسَكَانَ فِيهِ مَا كَفَاهُ ،
فَكَيْفَ وَقَدْ وَلَدَ سَيِّدَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ شَفَعَ بِكَ
وَبِأَيِّكَ .

* خَزَانَةُ الْأَدَبِ : ٣ - ٢٥٦ .

(١) فِي عُبَيْدِ اللَّهِ يَقُولُ شَاعِرُ الْمَدِينَةِ :

وَفِي السَّنَةِ الشَّهَاءَ أَطْعَمْتَ حَامِضًا وَحَلَوًا وَلَحْمًا تَامَكًا وَمِزْعَا
وَأَنْتَ رِيحَ الْيَتَامَى وَعَصَمَةَ إِذَا الْخَلْجُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ تَطَلَّمَا
أَبُوكَ أَبُو الْفَضْلِ الْقِيَّ كَانَ رَحْمَةً وَغِيثًا - وَتَوَوَّأَ لِلْخَلْقِ أَجْمَا
التَّامَكُ : تَمَّتِ السَّمَاءُ : اكْتَمَزَ . الْمِزْعُ : مِزْعُ الْقَحْمِ : قَرْفُهُ . الْخَلْجُ : الْجَيْبُ .
(٢) مَتَّحَ لِلَّهِ : نَزَعَهُ .

٩٠ - لو بدأتِ بي *

خرج الحسنُ والحسينُ وعبدُ الله بن جعفر حُجَّاجًا ، فقاتهم أَثْقَالُهُمْ^(١)؛
لجأوا وعطشوا؛ فَرَوُا بِمَجْزُوفٍ خِيَاءَ لَهَا ؛ فقال أحدهم : هل مِنْ شَرَّابٍ ؟
قالت : نعم . فَأَنَاقُوا إِلَيْهَا ، وليس لها إِلَّا شَوِيَّةٌ^(٢) . فقالت : احلبوها فاشربوا
لبنها ، ففعلوا .

فقالوا : هل مِنْ طَعَامٍ ؟ قالت : لا ، إِلَّا هَذِهِ الشَّاةُ فَلْيَذْبَحْهَا أَحَدُكُمْ حَتَّى
أَهْمِيَّ لَكُمْ مَا تَأْكُلُونَ .

فقام إِلَيْهَا أَحَدُهُمْ فَذَبَحَهَا وَكَشَطَهَا^(٣) ، ثُمَّ هَيَّأَتْ لَهُمْ طَعَامًا فَأَكَلُوا ، وَأَقَامُوا
حَتَّى أَبْرَدُوا^(٤) .

فلما ارتحلوا قالوا : نحنُ قَرَّ مِنْ قَرِيشٍ زَيْدٌ هَذَا الْوَجْهَ ، فَإِذَا رَجَعْنَا سَالِمِينَ ،
فَأَلْسَى بَنَا فُؤَادًا صَانِعُونَ إِلَيْكَ خَيْرًا ، وَارْتَحَلُوا .

وَأَقْبَلَ زَوْجُهَا ، فَأَخْبَرَتْهُ بِخَبْرِ الْقَوْمِ وَالشَّاةِ ، فَغَضِبَ وَقَالَ : وَيْحَكَ ! تَذْبَحِينَ
شَاتِي لِقَوْمٍ لَا أَعْرِفُهُمْ ؛ ثُمَّ تَوَلَّيْنِ : قَرَّ مِنْ قَرِيشٍ !

ثُمَّ بَعْدَ مَدَّةٍ أَلْجَأَتْهُمَا الْحَاجَةُ إِلَى دُخُولِ الدِّينَةِ فَدَخَلَاهَا ، وَجَمَلًا يَلْتَقِطَانِ
الْبَقَرَ وَيُعِيشَانِ بِشَمَنِ ، فَفَرَّتِ الْمَجْزُوفُ بِيَعُضِ سِكَكِ الدِّينَةِ ، فَإِذَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ
وَاقِفٌ بِيَابِ دَارِهِ ، ضَرَفَ الْمَجْزُوفَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا غِلَامَهُ ، فَدَعَا بِهَا ، فَقَالَ لَهَا :

* ثمرات الأوراق الحموى : ٢٤ .

(١) جمع قتل : وهو الخناج . (٢) شاة صغيرة . (٣) يريد : سلخها . (٤) أبردوا :
دخلوا في آخر النهار .

يا أمة^(١) الله ، أتعرفيني ؟ قالت : لا ، قال : أنا ضيفك بالأمس يوم كذا وكذا !
قالت : بأبي أنت وأمي !

ثم اشترى لها من شياه الصدقة ألف شاة ، وأمر لها بألف درهم ، وبث بها
مع غلامه إلى الحسين ، فأمر لها بمثل ذلك ، وبث بها مع غلامه إلى عبد الله بن
جعفر ، فقال لها : بكم وصلك الحسن والحسين ؟ قالت : بألفي درهم ، وألفي شاة .
فقال لها : لو بدأت بي لأتبعكما في العطاء ، أعطوها عطيتهما .
فرجعت المجوز إلى زوجها بأربعة آلاف درهم ، وأربعة آلاف شاة .

(١) أصل الأمة : الملوكة .

٩١ — اختبار الأجواد*

تَمَارَى ثَلَاثَةٌ فِي أَجْوَادِ الْإِسْلَامِ ، قَالَ رَجُلٌ : أَسْخَى النَّاسِ فِي عَصْرِ نَاهِذَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . وَقَالَ آخَرُ : أَسْخَى النَّاسِ عَرَابَةُ^(١) الْأَوْسَى .
وَقَالَ ثَالِثٌ : بَلْ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ^(٢) . وَأَكْثَرُوا الْجِدَالَ فِي ذَلِكَ ، وَعَلَا
ضَجِيجُهُمْ وَهُمْ يَفْنَاءُ الْكُعْبَةِ .

قَالَ لَهُمُ رَجُلٌ : قَدْ أَكْثَرْتُمُ الْجِدَالَ فِي ذَلِكَ ، فَمَا عَلَيْكُمْ أَنْ يَمُضِيَ كُلُّ
وَاحِدٍ مِنْكُمْ إِلَى صَاحِبِهِ يَسْأَلُهُ ، حَتَّى نَنْظُرَ مَا يُعْطِيهِ ، وَنَحْكُمَ عَلَى الْعِيَانِ ؟
فَقَامَ صَاحِبُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَيْهِ ، فَصَادَفَهُ قَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي غَرْزٍ^(٣) نَاقَتِهِ يَرِيدُ
صَيِّمَةً لَهُ ، قَالَ : يَا بْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ! قَالَ : قُلْ مَا تَشَاءُ . قَالَ : أَنَا ابْنُ سَبِيلٍ
وَمِنْطَقٌ بِهِ ، فَأَخْرَجَ رِجْلَهُ مِنْ غَرْزِ النَّاقَةِ ، وَقَالَ لَهُ : ضَعْ رِجْلَكَ ، وَاسْتَوِ عَلَى
الرَّاحِلَةِ ؛ وَخُذْ مَا فِي الْحَقِيْبَةِ ، وَاحْتَفِظْ بِالسَّيْفِ ، فَإِنَّهُ مِنْ سَيُوفِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .
فَجَاءَ بِالنَّاقَةِ ، وَالْحَقِيْبَةِ فِيهَا مِطَافٌ^(٤) خَزٌّ ، وَأَرْبَعَةُ آلَافِ دِينَارٍ ، وَأَعْظَمُهَا
وَأَجْلُهَا السَّيْفُ .

وَمَضَى صَاحِبُ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ عِبَادَةً ، فَصَادَفَهُ نَائِمًا ، فَحَالَتِ الْجُبَارِيَّةُ :

* غَرَزَ الْمَصَالِسُ : ١٥٥ ، غَرَزَتْ أَوْرُقُ الْحَمُورِ : ١ - ١٠٢ .

(١) عَرَابَةُ الْأَوْسَى : مِنْ سَادَاتِ الْمَدِينَةِ الْأَوْرَاقِ الشَّهَوْرِينَ أَدْرَكَ حَيَاةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَأَسْلَمَ مُشْرِئًا ، وَتَوَلَّى بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ٦٠ هـ . (٢) كَانَ مِنْ دُعَاةِ الْعَرَبِ وَذَوِي الرَّأْيِ الصَّائِبِ ،
وَكَانَ شَرِيفَ قَوْمِهِ غَيْرِ مِدَافٍ ، وَطَافَ إِلَى أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ ، وَمَاتَ سَنَةَ ٥٨ هـ .

(٣) الْغَرْزُ : رِكَابُ الرَّحْلِ .

(٤) الطَّرْفُ مِنَ الثِّيَابِ : مَا جِئِلُ فِي طَرَفِهِ عُلْبَانٌ .

هو نائم ، فما حاجتك إليه ؟ قال : ابن سبيل ومنقطع به ، قالت : حاجتك أهون من إبقاؤه ! هذا كيس فيه سبعمائة دينار ، والله أعلم أن ما في دار قيس غيره ، خذه ؛ وامض إلى ممّاطين^(١) الإبل ، إلى أموال^(٢) لنا بعلامتنا فخذ راحلة من رواحله ، وما يصلحها ، وعبداً ، وامض لشأنك .
ولما انقبه قيس من رقده أخبرت به بما صنعت فأعتقها .

ومضى صاحب عرابة الأوسى إليه ؛ فالتفاه قد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يمشى على عبيدين ، وقد كُفَّ بصره ، فقال : يا عرابة ، ابن سبيل ومنقطع به ، نفلى العبدَيْن ، وصفق بيمناه على يسراه ، وقال : أواه ! أواه ! ما تركت الحقوق لعرابة مالا ، ولكن خذهما - يعني العبدَيْن - قال : ما كنت بالذي أقصُ جناحيك . قال : إن لم تأخذهما فهما حران ، فإن شئت تأخذ ، وإن شئت تَمَتِّقُ ، وأقبل يلتصقُ الحائط ، راجعاً إلى منزله .

فأخذها صاحبه ، وجاء بهما إلى رفاقه ؛ فقالوا : إن هؤلاء الثلاثة أجودُ عصرهم ، إلا أن عرابة^(٣) أكثرهم جوداً لأنه أعطى جهده .

(١) للممّاطين : جمع ممّطن ، مبرك وهو الإبل . (٢) أموال : تريد الإبل ، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل ، لأنها كانت أكثر أموالهم . (٣) وقى عرابة الأوسى يقول السباح :
رأيت عرابة الأوسى يمسو إلى الحيرات منقطع الثرىن
إنما مارابة رقت لهجد تلقاها عرابة باليمين

٩٢ — إن هذا لأشخى منى *

خرج عبدُ الله^(١) بنُ جعفر إلى ضَيْعَةٍ له فنزل على نخيل قومٍ ؛ فيها غلامٌ أسودُ يقومُ عليها ، فأتي بثلاثة أقراص^(٢) ، فدخل كلبٌ فدنا منه ، فرمى إليه بقرصٍ فأكله ، ثم رمى إليه بالثاني والثالث فأكلهما ، وعبدُ الله ينظر إليه ، فقال : يا غلام ، كم قوتك كل يوم ؟ قال : ما رأيت ، قال : فلم آتت الكلب ؟ قال : لأن أرضنا ليست بأرضِ كلاب ، وإخاله قد جاء من مسافة بعيدة جائعاً ، فكبرهتُ رده .

قال : فما كنت صانعاً اليوم ؟ قال : أطوى^(٣) يوى هذا ، قال عبدُ الله ابن جعفر : والله إن هذا لأشخى منى فاشترى النخل والعبد ، وأعتقه ووهب ذلك له .

* المتطرف : ٢ - ٣٦ .

(١) انظر صفحة ٣٠ (٢) الفرس كالغيف ، ويقال : فرسة أيضا . (٣) أطوى : لا أكمل شيئاً .

٩٣ - إِنَّا نُنْزِلُ الضَّيْفَ وَلَا نَرْحَلُهُ*

خرج داودُ بن سَلَمٍ إلى حربِ بن خالدٍ ، فلما قَدِمَ عليه قامَ غِلْمَانُهُ إلى مَتَاعِهِ ، فَأَدْخَلُوهُ وَحَطُّوا عَنْ رَاحِلَتِهِ ، فلما دخلَ أَنشده :

وَلَا دُفِعْتُ لِأَبْوَابِهِمْ وَلَا قِيتُ حَرْبًا لَقِيتُ النَّجَاحَا
وَجَدْنَاهُ يَحْمَدُهُ الْمُتَّقُونَ^(١) وَيَأْتِي عَلَى الْمُسْرِ إِلَّا سَمَاحَا
وَيُنْشَوْنَ حَتَّى تَرَى كَلْبَهُمْ يَهَابُ الْهَرِيرَ^(٢) وَيَنْسَى النَّبَاحَا

فَأَمَرَ لَهُ بِجَوَائِزٍ كَثِيرَةٍ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ فِي الْإِنْصِرَافِ ، فَأَذِنَ لَهُ ، وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ .

فلما خرج من عنده ، وغِلْمَانُهُ جُلُوسٌ ، لَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَمْ يُعِنِّهُ ، فَظَنَّ أَنَّ حَرْبًا سَاحَطَ عَلَيْهِ ، فَجَعَّ إِلَيْهِ وَقَالَ : أَوَاجِدُ^(٣) أَنْتَ عَلَى ؟ قَالَ : لَا ، وَلَمْ ذَلِكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ الْغِلْمَانِ ، قَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَسَلِّمُهُمْ .
فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فَسَلِّمَ ، قَالُوا : إِنَّا نُنْزِلُ الضَّيْفَ وَلَا نَرْحَلُهُ .

فلما قَدِمَ لِلدِّينَةِ سَمِعَ النَّاصِرِيَّ بِحَدِيثِهِ ، فَأَنَاهُ ، هَال : إِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَسْمَعَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْكَ ، لَخَدَّثَنِي ، هَال : وَاللَّهِ إِنْ قِيلَ الْغِلْمَانُ أَحْسَنُ مِنْ شِعْرِكَ .

* الأما : ١ - ٢٤٢ ، وَنَرْحَلُهُ : نَحْمَلُهُ عَلَى الرَّحْلِ .

(١) الْمُتَّقُونَ : كُلُّ طَالِبٍ فَضْلٍ أَوْ رِزْقٍ . (٢) الْهَرِيرُ : صَوْتُ الْكَلْبِ دُونَ النَّبَاحِ .

(٣) أَوَاجِدُ ؟ : أَغْضِبُ ؟ .

٩٤ — الأخطل محبوس في كنيسة*

قال إسحاق بن عبد الله : قدمت الشام وأنا شابٌ مع أبي ، فكنيت أطوفُ
في كنائسها ومساجدها ، فدخلتُ كنيسة دمشق ، وإذا الأخطل^(١) فيها
محبوسٌ ، فجئتُ أنظرُ إليه . فآل عني فأخبرَ بنسي ؛ قال : يا فتى ؛ إنك لرجلٌ
شريف ، وإني أسألك حاجةً . قلت : حاجتك مقضية . قال : إن القسَ حبسني
ها هنا فتكلمه ليخلى عني .

فأتيتُ القسَ فانتسبتُ له ، فرحبَ وعظم ، ثم قلت : إن لي إليك حاجةً .
قال : وما حاجتك ؟ قلت : الأخطلُ نحَلٌّ عنه . قال : أعيدُك بالله من هذا أمثلك
لا يتكلم فيه ؛ فاسقٌ يشتمُ أعراضَ الناسِ ويهجومُ ! فلم أزل أطلبُ إليه حتى
مضى معي متكئاً على عصاه ، فوقف عليه ورفضَ عصاه ، وقال : يا عدو الله ! أتعوذُ
تشتمُ الناسَ وتهجومُ وتقذِفُ المحصنات ! وهو يقول : لست بمائد ولا أفعل ،
ويستخذي له .

قلت له : يا أبا مالك ، الناسُ يهابونك ، والخليفةُ يُكرمُك ، وقدرُك
في الناسِ قدرُك ، وأنت تخضعُ لهذا وتستخذي له ! فجعلَ يقولُ لي : إنه الدين !
إنه الدين !

* الأغانى : ٨ - ٢٠٩ .

(١) هو أبو مالك غياث الأخطل بن غوث التنجلي النصراني شاعر الأمويين ، نشأ في قومه تنبل
بأرض الجزيرة ينتصر لهم على مضر غامة ، وقيس خاصة ، ولما كان متصلاً بالملقاء وبحروب قومه
مع قيس صار يجيد مدح الملوك ووصف الممالك وكذلك اتخر لمعاقرته إياها ، وكان أخطر الشعراء
لدى الأمويين ، اتخذه شاعرهم ، ومات سنة ٨٥ هـ .

٩٥ — عمارة الفقيه وعبد الملك بن مروان*

قالُ عمارة الفقيه :

كنتُ أجالسُ عبدَ الملك بن مروان^(١) كثيراً في ظلِّ الكعبة ، فبينما أنا معه إذ قال لي : يا عمارة ، إن نَعمَ قليلاً فسَترى الأعناقُ إلى مائِلةً ، والآمالُ نحوى ساميةً ، وإذا كان ذلك فلا عليكَ أنْ تجعلني لرجائكَ باباً ولأَمَلِكَ ذريةً^(٢) ، فوالله إن فعلتُ لأملأنَّ يديكَ غبطةً ، ولأَكسوَنكَ نعمةً سابغةً .

ثم إن عبدَ الملك سار إلى دمشق ، وصارت إليه الخلافة ، فخرجتُ إليه زائراً ، واستأذنتُ فأذن لي ، ودخلتُ فسلمتُ عليه ، فلما اقتضى سلامي ، قال : مرحباً بأخي ؛ ونادى أحدَ غلمانه ، فقال : بؤته^(٣) داراً ، وأحسنِ مهاده ، ونزّهه ، وآثره على خاصتي .

فقبل ، وأقمتُ عنده عشرين ليلةً أحضرَ غداؤه وعشاءه ؛ فلما أردتُ الانصرافَ والأوبةَ إلى أهلي أمر لي بعشرين ألفَ دينار ومائتي ألفَ درهم ، ومائة ناقةٍ برقيتها وكسوتهم ، وقال لي : أتُراني يا عمارة ملأتُ يديكَ غبطةً ؟

قلتُ : يا سيحطان الله ، يا أمير المؤمنين ؛ وإنك لذاكرٌ لذلك ؟ قال : نعم ! والله لا خيرَ فicin بنسى ما وُعدَ به ويذكر ما وُعد^(٤) . كم لهذا الأمرِ بعمارَة ؟

* غرر الحقائق : ١٥٨ .

(١) من أعظم الحفّاء ودهاتهم ، نشأ في المدينة واستعمله معاوية عليها ، وانتقلت إليه الخلافة سنة ٦٥ هـ ، وتوفى بدمشق سنة ٨٦ . (٢) سيبا . (٣) يؤته : أنزله . (٤) الوعد في الخير والإيصاد في الشر .

قلت : والله لكانه بالأمس ، وله دهرٌ يا أمير المؤمنين ! قال : فوالله ما كان ذلك
عن خير سمعناه ، ولا حديث كتبناه ، ولا أثر رويناه ؛ غير أنى عقلتُ فى الحداثة
أشياء رجوتُ أن يرفعَ اللهُ بها درجتي ، وينشر بها ذكرى .
قلت : وما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال : كنت لا أشارى ، ولا أمارى ^(١) ،
ولا أهتك سترَ ستره الله دُونى ، ولا أرتكب محرماً حظره الله على ، ولا
حسدتُ ، ولا بنيت ؛ وكنتُ من قومي واسطة القلادة ، وكنتُ أكرمُ جليسى
وإن كان ذمياً ، وأرفعُ قدرَ الأديب ، وأكرمُ ذا الثقة ، وأدارى السفیه ،
وأرحمُ الضعيف ، فبذلك رفعَ الله قدرى . يا عمارة ، خذ أهبّة السفر ، وامض
راشداً .

(١) المنارة : للالاحة ، أو لا يشارده من الشعر ، فقلت لإحدى الرايين ياء ، للملحاة : الخاصصة
فى الشئ ليس فيه منقمة . أو لا يعارى : أى لا يدفع ذا الحق عن حقه .

٩٦ - بين الحجاج الثقفي ويزيد بن المهلب*

أخذ الحجاج^(١) يزيد بن المهلب ، وعدّبه ، واستأصل موجوده وسجنه ، فوصل يزيد بحسن تطلقه ، ودخل فيما جعله الله نجاة من تَلَفه ، وأرغب السجان ، واسأله إليه ، وهرب هو والسجان ؛ وقصد الشام إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان - وكان الخليفة في ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك .

فلما وصل يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن إليه ، وأقامه عنده ، فكتب الحجاج إلى الوليد يُلِمُّه أن يزيد هرب من السجن ، وهو عند سليمان بن عبد الملك أخى أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين ؛ وأمير المؤمنين أشمل رأياً .

فكتب الوليد إلى أخيه سليمان بذلك ، فكتب سليمان إلى أخيه : يا أمير المؤمنين ؛ إني إنما أجرت يزيد بن المهلب لأنه هو وأبوه وإخوته من صنائعنا قديماً وحديثاً ، ولم أجِرْ عدُوَّ لأُمير المؤمنين ؛ وقد كان الحجاج قصده وعدّبه ، وأغرّمه^(٢) أربعة آلاف ألف درهم ظلماً ، ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم ، وقد سار هذا الرجل إلى مستجير فأجرتة ، وأنا أغرم عنه ثلاثة آلاف ألف الدرهم ؛ فإن رأى أمير المؤمنين ألا يخرّني في ضيق فعل ، فإنه أهل الفضل والكرم .

* المقد الفريد : للملك السعيد ١٠٢ ، تاريخ الطبري : ٨ - ٧٣ ، ثمرات الأوراق : ٢٠٨ ، وفيات الأعيان : ٢ - ٢٧٠ .

(١) الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي ولد سنة ٤١ هـ ونشأ بالطائف . واتصل بعبد الملك ابن مروان ولم يزل يرقى إلى أن ولي العراق والشرق ، وطار ذكره . وعظم سطوته . وهلك بواسط سنة ٩٥ هـ . (٢) أغرمه : غرّمه .

فكتب إليه الوليدُ : « لا والله ، لا أؤمنه حتى تيفتَ به إليّ في وثاق ^(١) » .
فكتب إليه سليمان : ولئن أنا بعتُ به إليك لأجبنَّ معه ، فأثدك الله ألا
تفضعني ولا تخفِرني . فكتب إليه الوليد : والله لئن جئتني لا أؤمنه .

فقال يزيدُ : ابعتني إليه ؛ فوالله ما أحبُّ أن أوقع بينك وبينه عدواةً وحرماً ،
ابتِ إليه بي ، وأرسل معي ابنك ، واكتب إليه بالطفِ ما قدرت عليه .

فأحضر سليمانُ ولده أيوبَ هَيدَ ، ودعا يزيدَ هَيدَ ، ثم شدَّ قيدَ هذا إلى
قيدِ هذا بسلسلة ، وغامها بَعْلَيْنِ ^(٢) ، وحلما إلى الوليد ، وكتب إليه : « أما
بعد يا أمير المؤمنين ، فإني قد وجهتُ إليك يزيدَ وابنَ أخيك أيوبَ بنَ سليمان ،
ولقد هممتُ أن أكونُ ثالثهما ، فإن هممتَ يا أمير المؤمنين بقتلِ يزيد ، فبالله
عليك ابدأ بأَيُوبَ من قبله ، ثم اجعل يزيدَ ثانياً ، واجعلي إذا شئتَ ثالثاً ،
والسلام » .

فلما دخلَ يزيدُ بنُ المهلبِ وأيوبُ بنَ سليمانِ عليه في سلسلة واحدة أطرَقَ
استحياءً ، وقال : لقد أسأتنا إلى سليمانَ إذ بلغنا به هذا للبلغ . . .

فأراد يزيدُ أن يتكلمَ ويحتجَّ عن نفسه ، فقال له الوليد : ما نحتاجُ إلى كلامٍ ؛
فقد قبلنا عُذْرَكَ ، وعلما ظلمَ الحجاج ، ثم أحضرَ حَدَادًا ، وأزالَ عنهما الحديدَ ،
وأحسنَ إليهما ، ووصلَ أيوبَ ابنَ أخيه بثلاثين ألفَ درهم ، ووصلَ يزيدَ بنَ
المهلبِ بمشرين ألفَ درهم ، وردَّهما إلى سليمان ، وكتبَ كتاباً إلى الحجاجِ يقولُ
له : لا سبيلَ لك على يزيدَ بنِ المهلبِ ، فإياك أن تعاودَني فيه بعد اليوم .

فصار يزيدُ إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان في أعلى المراتب ، وأفضل المنازل .

(١) الوثاق : ما يشد به . (٢) البعل : جامعة توضع في التقي أو في اليد .

٩٧ - زُفر بن الحارث يُجير خالد بن عتاب*

استعمل الحجاجُ خالدَ بن عتابَ على الرِّمى ، وكانت أمه أمّ ولد ، فكتب إليه الحجاج بسبّ أمّه ويقول : أنت الذى هربتَ عن أهلك حتى قُتل - وقد كان حلف ألا يسبّ أحدُ أمّه إلا أجابه كائناً من كان .

فكتب إليه خالد : كتبتَ إلى تشتمُ أمى ، وتزعمُ أنى فررتُ عن أبى حتى قُتل ، ولعمري لقد فررتُ عنه ، ولكن بعد أن قُتل ، وحين لم أجد لى مقاتلاً . ولكن أخبرنى عنك بالثيم حين فررتَ أنت وأبوك يوم الحرّة^(١) على حمير فقال^(٢) ، أيكما كان أمامَ صاحبه .

قرأ الحجاج الكتاب وقال : صدق !

أنا الذى فررتُ يوم الحرّة ثم ثبيتُ كَرّةً بفرّة
والشيخُ لا يفرُّ إلا مرة

ثم طلبه فقرأ إلى الشام ، وسلم بيتَ المال ، ولم يأخذ منه شيئاً .

وكتب الحجاج إلى عبد الملك بما كان منه . وقدم خالد الشام ، فسأل عن خاصر عبد الملك فقيل له : رَوْحُ بن زِنْبَاع : فاتاه حين طلعت الشمس ، فقال : إني جئتُك مستجيراً . قال : إني أجزّئك إلا أن تكونَ خالداً . قال : فإني

* الأغانى : ١٦ - ٤٠ .

(١) كانت وقعة الحرّة أيام يزيد . وموضع بظاهر المدينة ، وقعت في ذى الحجة من سنة ٨٦٢ .

(٢) الثقال : البطلىء من الإبل .

خالد^١ . فضئير ، وقال : أنشدك الله إلا خرجت عني ، فإنني لا آمنُ عبدَ الملك !
فقال : أنظرنى^(١) حتى تقربَ الشمس . فجعلَ رَوحُ راعيها حتى خرج خالد !
فأتى زُفر بن الحارث الكلّابي ، فقال : إني جئتُك مستجيراً . قال :
قد أجرتك . قال : أنا خالد بن عتاب . قال : وإن كنتَ خالداً .
فلما أصبح دعا ابنين له ؛ فهادى بينهما - وقد أسنَّ - فدخل على عبد الملك
وقد أذن للناس ؛ فلما رآه دعا له بكرمى ، فجعلَ عند فراشه . فجلس ، ثم قال :
يا أمير المؤمنين ؛ إني قد أجرتُ عليك رجلاً فأجره . قال : قد أجرتهُ إلا أن يكون
خالداً . قال : فهو خالد . قال : لا ولا كرامة !
فقال زفر لا بُدَّني^١ : أنهضاني . فلما ولى قال : يا عبد الملك ، أما والله لو كنتَ
تعلم أن يدي تُطلىق سَحْلَ القناة لأجرت من أجرتُ ا فضحك ، وقال : قد أجرناه .
وأرسل إلى خالد بالثي درهم .

٩٨ - احْتَكِمُوا وَأَكْثِرُوا*

استعمل الوليد^(١) بن عبد الملك عُمَانَ بْنَ حَيَّانَ الرَّمِّيَّ عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَأَمَرَهُ بِالنِّظَافَةِ عَلَى أَهْلِ الظَّنَّةِ^(٢) ، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخَذَهُ بِأَلْفِ دَرَاهِمَ ، فَاجْتَمَعَتِ الْقَبَائِلُ فِي ذَلِكَ ، فَتَحَمَّلُوا شَطْرَهَا^(٣) ، وَضَاقُوا ذَرْعًا بِالشَّطْرِ الثَّانِي ، وَوَافَقَ ذَلِكَ اسْتِعْمَالُ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ عَلَى الْعِرَاقِ ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ : عَلَيْكُمْ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، فَمَا لَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ .

فَتَحَمَّلَ إِلَى يَزِيدَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، وَالْقَعْقَاعُ بْنُ حَبِيبٍ ، وَالْهَذِيلُ بْنُ زُفَرٍ فِي الْحَارِثِ ، وَسَارَ مَعَهُمْ عُمَانُ ؛ فَاسْتَأْذَنَ لَهُمْ يَحْيَى حَاجِبُهُ ؛ فَخَرَجَ يَزِيدُ إِلَى الرُّوَاقِ^(٤) قَرِيبَ وَرَحْبٍ ، ثُمَّ دَعَا بِالْعَدَاءِ ، فَأَتَوْا بِطَعَامٍ مَا أَنْكَرُوا مِنْهُ أَكْثَرَ مِمَّا عَرَفُوا . فَلَمَّا تَفَدَّوْا تَكَلَّمَ عُمَانُ بْنُ حَيَّانَ - وَكَانَ كَسِبًا مُقَوِّمًا - فَقَالَ : زَادَكُمُ اللَّهُ فِي تَوْفِيقِكُمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؛ إِنَّ الْوَلِيدَ وَجَّهَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ عَامِلًا عَلَيْهَا ، وَأَمَرَنِي بِالنِّظَافَةِ عَلَى أَهْلِ الظَّنَّةِ ، وَإِنِّي سُلَيْمَانُ أَغْرَمَنِي^(٥) غُرْمًا - وَاللَّهِ - مَا يَسَعُهُ مَالِي ، وَلَا تَحْمِلُهُ طَائِفَتِي ؛ فَأَتَيْنَاكَ لِتَحْمَلَ مِنْ هَذَا الْمَالِ مَا خَفَّ عَلَيْكَ ، وَمَا بَقِيَ - وَاللَّهِ - فَقِيلَ عَلَى .

ثُمَّ تَكَلَّمَ كُلُّ مَنْهُمْ بِمَا حَصَرَهُ ؛ فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ : مَرْحَبًا بِكُمْ وَأَهْلًا ، إِنَّ خَيْرَ الْمَالِ مَا قُضِيَ فِيهِ الْحَقُوقُ ، وَوُجِّهَتْ بِهِ الْمَغَارِمُ ؛ وَإِنَّمَا لِي مِنَ الْمَالِ

* القصد التزديد: ٩ - ١٥٤ .

(١) الوليد بن عبد الملك : من ملوك الدولة الأموية ولي الخلافة سنة ٨٨٦ هـ ، وكانت وفاته بدمر مروان سنة ٩٦ هـ . (٢) الظمة . (٣) الشطر : النصف . (٤) الرواق : سقف . (٥) أغرمني : غرمني .

مَا فَضَّلَ عَنْ إِخْوَانِي ، وَإِيمُ اللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنْ أَحَدًا أَثْلًا بِمُحَاجَّتِكُمْ مَتَى لَهَدَيْتُكُمْ
إِلَيْهِ ! فَاحْتَكِمُوا وَأَكْثَرُوا !

فَقَالَ عُمَانُ بْنُ حَيَّانَ : النِّصْفُ - أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . قَالَ : نَعَمْ وَكَرَامَةً !
اغْدُوا عَلَى مَالِكٍ فَخُذُوهُ ؛ فَشَكَرُوا لَهُ ، وَقَامُوا فَنَجَرُوا .

فَلَمَّا صَارُوا عَلَى بَابِ السَّرَادِقِ ، قَالَ عَمْرُ بْنُ هُبَيْرَةَ : قَبِّحَ اللَّهُ رَأْيَكُمْ ، وَاللَّهِ
مَا يُبَالِي يَزِيدُ ؛ أَنْصَفَهَا تَحْمَلُ أُمَّ كُلِّهَا ؛ فَمَنْ لَكُمْ بِالنِّصْفِ الْبَاقِي ؟

قَالَ الْقَوْمُ : هَذَا وَاللَّهِ الرَّأْيُ ! وَسَمِعَ يَزِيدُ مُنَاجَاتِهِمْ ؛ فَقَالَ لِحَاجِبِهِ : انْظُرْ
يَا حَبِيبِي ، إِنْ كَانَ يَبْقَى عَلَى الْقَوْمِ شَيْءٌ فَلْيَرْجِعُوا .

فَرَجَعُوا إِلَيْهِ ، وَقَالُوا : أَقْلَنَّا ! قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ! قَالُوا : فَلِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْمِلَهَا
كُلَّهَا ؛ فَأَنْتَ أَهْلُهَا ، وَإِنْ أَيْتَ فَالَهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ ! قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ .

وَعَدَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَنَا فِي عُمَانَ بْنِ
حَيَّانَ وَأَصْحَابِهِ . قَالَ : أَمْسَكَ فِي الْمَالِ ؟ قَالَ ؛ نَعَمْ . قَالَ سُلَيْمَانُ : وَاللَّهِ لَا أَخُذَنَّهُ

مِنْهُمْ ! قَالَ يَزِيدُ : إِنِّي قَدْ حَمَلْتُهُ ! قَالَ : فَادُّهُ ! قَالَ يَزِيدُ : وَاللَّهِ مَا حَمَلْتُهُ إِلَّا لَأَوْدُبِهِ .
ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنْ هَذِهِ الْحِمَالَةُ ^(١) وَإِنْ عَظُمَ خَطْبُهَا ، فَحَمَدُهَا

وَاللَّهِ أَعْظَمُ مِنْهَا ، ثُمَّ غَدَا يَزِيدُ بِالْمَالِ عَلَى الْخِزَانِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِمْ .

فَدَخَلُوا عَلَى سُلَيْمَانَ فَأَخْبَرُوهُ بِقَبْضِ الْمَالِ ؛ فَقَالَ : وَقَتٌ يَمِينُ سُلَيْمَانَ ؛ انْجَلُوا
إِلَى أَبِي خَالِدٍ مَالَهُ .

(١) الحِمَالَةُ : الثَّرَمُ يَحْمِلُ عَنْ الْقَوْمِ .

٩٩ — أنت أخو الندى وحليفه*

قال بعض مشيخة قريش :

أَذِنَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَوْمًا لِلنَّاسِ ، فَدْخَلُوا عَلَيْهِ ، وَأَذِنَ لِلشُّعْرَاءِ ؛ فَكَانَ
أَوَّلَ مَنْ بَدَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَوْفٌ^(١) الْقَوَافِي الْقَرَارِيُّ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْإِنشَادِ ، فَقَالَ :
مَا بَقِيَتْ لِي بَعْدَ مَا قُلْتَ لِأَخِي بَنِي زُهْرَةَ ؟ قَالَ : وَمَا قُلْتَ لَهُ مَعَ مَا قُلْتَ
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : أَلَسْتُ الَّذِي تَقُولُ :

يَا طَلْحُ أَنْتَ أَخُو النَّدَى وَحَلِيفُهُ إِنَّ النَّدَى مِنْ بَعْدِ طَلْحَةٍ مَا تَا
إِنَّ النَّعَالَ^(٢) إِلَيْكَ أَطْلَقَ رَحْلَهُ فَبَعِثْتُ رِيتًا مِنَ النَّعَازِلِ بَاتَا
أَلَسْتُ الَّذِي تَقُولُ :

إِذَا مَا جَاءَ يَوْمُكَ يَا بَنَ عَوْفٍ فَلَا مَطَرَتْ عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ
تَسَاقَى النَّاسُ بِسَدِّكَ يَا بَنَ عَوْفٍ ذَرِيعُ^(٣) الْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ
أَلَمْ تَمُتْ عَلَيْنَا السَّاعَةُ يَوْمَ قَامَتْ عَلَيْهِ ؟ لَا وَاللَّهِ لَا أَسْمَعُ مِنْكَ شَيْئًا ، وَلَا
أَنْفُكُ بِنَافِثَةٍ أَبَدًا - أَخْرَجُوهُ عَنِّي .

فلما أخرج قال له القرشيون والشَّاميون : وما الذي أعطاك طلحة^(٤) حين
استخرج هذا منك ؟ قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ أُعْطَانِي غَيْرُهُ أَكْثَرَ مِنْ عَطِيَّتِهِ ، وَلَكِنْ

* الأغانى : ٢٧ - ١٠٨

(١) هو عوف بن معاوية بن قيس عيلان ، كان شاعراً مقلاً من شعراء الدولة الأموية وبهت
كان أحد البيوتات المقدمة الفاخرة في العرب . (٢) النعال : القمل الحسن ، أو الكريم .

(٣) موت ذريع : سريع .

(٤) هو طلحة بن عبد الله بن عوف من بني زهرة أحد الأجيال القديمة ، كانت عادته إذا أصاب
مألاً أن يفتح بابه ليشاء أصحابه وبناس فيطعم ويجير حتى ينفد ما عنده فينلق الباب فلا يتصدده
أحد ، توفي سنة ٩٧ هـ .

لا والله ما أعطاني أحد قط أخل في قلبي ، ولا أتقى شكراً ، ولا أجدر ألا أنساها من عطيته ، قالوا : وما أعطاك ؟ قال :

قَدِمْتُ المدينة ومعى بُضِيعةٌ ^(١) لي ، لا تبلغ عشرة دنانير ، أريد أن أبتاع قَمُوداً من قِمْدَانِ الصَّدَقة . فإذ برجل في صحنِ السوق على طِنْفِسَةٍ قد طُرِحَتْ له ، وإذا الناسُ حوله ، وإذا بين يديه إِبِلٌ ؛ فظننتُ أنه عاملُ السوق ، فسلمت عليه فأنبتني ^(٢) وجهه ؛ قلتُ : رَحِمَكَ اللهُ ! هل أنتَ مُعِينٌ على قَمُودٍ من هذه القِمْدَانِ تَبْتَاعه لي ؟ قال : نعم ! أو مَعَكَ ثَمَنُهُ ؟ قلتُ : نعم !

فأهوى بيده إلى فأعطيته بُضِيْعَتِي ؛ فرفع طِنْفِسَتَهُ وألقاها عنهما ، ومكث طويلاً ، ثم قَتَّ إليه قلتُ : رَحِمَكَ اللهُ ! انظُرْ في حاجتي . قال : ما منمنى منك إلا التسيان ، أَمَعَكَ حَبْلٌ ؟ قلتُ : نعم . قال : أفرجوا ، فأفرجوا عنه حتى استقبل الإبل التي بين يديه ، فقال : اقرن هذه وهذه وهذه ، فما برحتُ حتى أمر لي بثلاثين بَكْرَةً ، أدنى بكرة منها خيرٌ من بضاعتي ! ثم رفع طِنْفِسَتَهُ قال : وشأنك ببضاعتك فاستعن بها على من ترجعُ عليه .

قلتُ : رَحِمَكَ اللهُ ! أتدرى ما تقول ؟ فأبقي أحدَ عنده إلا نَهَرَنِي وشقني ! ثم بحث معي نهرًا فأغارَ دُودُها ^(٣) حتى أظاعوها من رأس الثنية ، فوالله لا أنساه مادمتُ حيًّا أبداً .

(١) البضاعة : القطعة من اللال الذي ينجرف فيه ، والبضيمة تصغيرها .

(٢) أنبتني : عرفني حق المعرفة .

(٣) أظردت الإبل : أي أمرت بطردها ، وطرده الأبل : ضمها من نواحيها .

(١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤٠ - ٥٤١ - ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٣ - ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١ - ٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٦ - ٦٠٧ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢ - ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦ - ٦١٧ - ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٢ - ٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٢٧ - ٦٢٨ - ٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦ - ٦٣٧ - ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٤٢ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦ - ٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١ - ٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧ - ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١ - ١٠٠٢ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤ - ١٠٠٥ - ١٠٠٦ - ١٠٠٧ - ١٠٠٨ - ١٠٠٩ - ١٠١٠ - ١٠١١ - ١٠١٢ - ١٠١٣ - ١٠١٤ - ١٠١٥ - ١٠١٦ - ١٠١٧ - ١٠١٨ - ١٠١٩ - ١٠٢٠ - ١٠٢١ - ١٠٢٢ - ١٠٢٣ - ١٠٢٤ - ١٠٢٥ - ١٠٢٦ - ١٠٢٧ - ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١ - ١٠٣٢ - ١٠٣٣ - ١٠٣٤ - ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧ - ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩ - ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢ - ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٥٧ - ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٢ - ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣ - ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ - ١٠٧٨ - ١٠٧٩ - ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢ - ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥ - ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١ - ١٠٩٢ - ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧ - ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣ - ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧ - ١١٠٨ - ١١٠٩ - ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١ - ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧ - ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢ - ١١٣٣ - ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧ - ١١٣٨ - ١١٣٩ - ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢ - ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥ - ١١٤٦ - ١١٤٧ - ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١ - ١١٥٢ - ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧ - ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢ - ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١١٦٨ - ١١٦٩ - ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥ - ١١٧٦ - ١١٧٧ - ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١ - ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧ - ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢ - ١١٩٣ - ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧ - ١١٩٨ - ١١٩٩ - ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ - ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥ - ١٢٠٦ - ١٢٠٧ - ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١ - ١٢١٢ - ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧ - ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢ - ١٢٢٣ - ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ - ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢ - ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧ - ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢ - ١٢٥٣ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١ - ١٢٧٢ - ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧ - ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢ - ١٢٨٣ - ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧ - ١٢٨٨ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥ - ١٢٩٦ - ١٢٩٧ - ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧ - ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢ - ١٣١٣ - ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧ - ١٣١٨ - ١٣١٩ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧ - ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣٠ - ١٣٣١ - ١٣٣٢ - ١٣٣٣ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ - ١٣٣٦ - ١٣٣٧ - ١٣٣٨ - ١٣٣٩ - ١٣٤٠ - ١٣٤١ - ١٣٤٢ - ١٣٤٣ - ١٣٤٤ - ١٣٤٥ - ١٣٤٦ - ١٣٤٧ - ١٣٤٨ - ١٣٤٩ - ١٣٥٠ - ١٣٥١ - ١٣٥٢ - ١٣٥٣ - ١٣٥٤ - ١٣٥٥ - ١٣٥٦ - ١٣٥٧ - ١٣٥٨ - ١٣٥٩ - ١٣٦٠ - ١٣٦١ - ١٣٦٢ - ١٣٦٣ - ١٣٦٤ - ١٣٦٥ - ١٣٦٦ - ١٣٦٧ - ١٣٦٨ - ١٣٦٩ - ١٣٧٠ - ١٣٧١ - ١٣٧٢ - ١٣٧٣ - ١٣٧٤ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦ - ١٣٧٧ - ١٣٧٨ - ١٣٧٩ - ١٣٨٠ -

١٠٠ — ما كذبَ مذشدُّ عليه إزارُهُ*

خرج عمر^(١) بن عبد العزيز مع سليمان يريدُ الصَّائفةَ ، فالتقى غلمانهُ
وغلمانُ سليمان على الماء فاقْتَتَلُوا ، فضربَ غلمانُ عمر غلمانَ سليمان ؛ فشكَّوْا ذلك
إلى سليمان ، فأرسل إلى عمر فقال له : ضربَ غلمانك غلمانى . قال : ما علمتُ .
فقال له سليمان : كذبتُ ، قال : ما كذبتُ مذشدتُ على إزارى ، وعلمتُ أن
الكذبَ يضرُّ أهله ؛ وإن فى الأرض عن مجلك هذا لَسَمَةٌ .

فتجهَّزَ يريدُ مصر ، فبلغ ذلك سليمان ، فشقَّ عليه ؛ فدخلتُ فيما بينهما مَعْمَةً لَهُمَا ،
فقال لهما سليمان : قولى له : يدخل على ولا يمانئى ، فدخل عليه عمر ، فاعتذر إليه
سليمان ، وقال له : يا أبا حفص ؛ ما اغْتَمَمْتُ بأمر ، ولا أكرهى مِمَّ إلا خطرتُ
فيه على بالى ، فأقام .

* سيرة عمر بن عبد العزيز : ٢٢ .

(١) عمر بن عبد العزيز : الخليفة الصالح ، ولد بالمدينة ، ونشأ بها وولى إمارتها فوليد ، وولى
الحلابة سنة ٩٩ هـ ، وأخبره فى عدله وحسن سياسته كثيرة ، توفى سنة ١٠١ هـ .

١٠١ — أعطيكِ مالى إن شئتِ*

لما ولى عمرُ بن عبد العزيزَ أُمَّتَهُ لهُ إِلَى فَاطِمَةَ امْرَأَتِهِ ؛ فَقَالَتْ : إِنِّى أُرِيدُ
كَلَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَتْ لَهَا : اجلسى حَتَّى يَفْرُغَ ؛ فَجَلَسَتْ ، فَإِذَا بِنُفْلَامٍ قَدْ أَتَى
فَأَخَذَ سِرَاجًا . فَقَالَتْ لَهَا فَاطِمَةُ : إِنْ كُنْتُ تَرِيدِينَ فَالَانَ ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ فِي حَوَاجِجِ
الْعَامَةِ كَتَبَ عَلَى الشَّمْعِ ، وَإِذَا صَارَ فِي حَاجَةٍ نَفْسَهُ دَعَا بِسِرَاجِهِ .

فَقَامَتْ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ ، فَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ أَقْرَاصٌ وَشَىءٌ مِنْ مِلْحٍ وَزَيْتٍ وَهُوَ
يَتَمَشَّى ، فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَتَيْتُ لِحَاجَةٍ لِي ، ثُمَّ رَأَيْتُ أَنْ أَبْدَأُ بِكَ قَبْلَ
حَاجَتِي ؛ قَالَ : وَمَا ذَلِكَ يَا عَمَّةُ ؟ قَالَتْ : لَوِ اخَذْتُ لَكَ طَعَامًا أَلَيْنَ مِنْ هَذَا ؟ قَالَ :
لَيْسَ عِنْدِي يَا عَمَّةُ ، وَلَوْ كَانَ عِنْدِي لَقَعْتُ ؛ قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَ عَمَّكَ
عَبْدُ الْمَلِكِ يُجْرِي عَلَى كَذَا وَكَذَا ، ثُمَّ كَانَ أَخُوكَ الْوَلِيدُ فَرَادَنِي ؛ ثُمَّ كَانَ أَخُوكَ
سُلَيْمَانَ فَرَادَنِي ، ثُمَّ وَلَيْتَ أَنْتَ تَهْطِطُهُ عَنِّي .

قَالَ : يَا عَمَّةُ ؛ إِنْ عَجَبِي عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَأَخِي الْوَلِيدُ ، وَأَخِي سُلَيْمَانُ كَانُوا يَعْطُونَكَ
مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِلَّالِ لِي فَأَعْطِيكَ ، وَلَكِنِّى أَعْطِيكَ مَالِي إِنْ شِئْتُ
قَالَتْ : وَمَا ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : عَطَائِي مَائَتًا دِينَارًا ؛ فَهَلْ لَكَ فِيهِ ؟ قَالَتْ :
وَمَا يَبْلُغُ مِنِّى عَطَاؤُكَ ؟ قَالَ : فَلَسْتُ أُمْلِكُ غَيْرَهُ يَا عَمَّةُ ؛ فَانْصَرَفَتْ عَنْهُ .

١٠٢ - الشمعة والراج*

وفد على عمر بن عبد العزيز برید^(١) من بعض الآفاق ، فأتته إلى باب عمر ليلاً ؛ فقرع الباب ، فخرج إليه الدواب ، فقال : أَعْلِمُ أمير المؤمنين أن بالباب رسولاً من فلان عامله ؛ فدخل فأعلم عمر - وقد كان أراد أن ينام - فقام ، وقال : ائذن له .

فدخل الرسول فدعا عمر بشمعة غليظة فأتجبت ناراً ، وأجلس الرسول ، وجلس عمر ، فسأله عن حال أهل البلد ومن بها من المسلمين وأهل العهد ، وكيف سيرة العامل ، وكيف الأسعار ، وكيف أبناء المهاجرين والأنصار ، وأبناء السبيل والفقراء ، وهل أعطى كل ذي حق حقه ، وهل له شاك ، وهل ظلم أحداً ! فأنشأه بجميع ما علم من أمر تلك المملكة ، يسأله فيحكي^(٢) السؤال ، حتى إذا فرغ عمر من مسأله قال له : يا أمير المؤمنين ، كيف حالك في نفسك وبدنك ؟ وكيف عيالك وجميع أهل بيتك ومن نعتي بشأنه ؟ فنفع عمر الشمعة فأطفاها بشفته ، وقال : يا غلام ، على سراج ، فأني بفتيلة لا تكاد تضيء ، فقال : سل عما أحببت ، فسأله عن حاله ، فأخبره عن حال ولده وأهل بيته .

فحبب البريد للشمعة وإطفائه إيها ، وقال : يا أمير المؤمنين ، رأيتك فملت أمراً ما رأيتك فملت مثله ؛ قال : وما هو ؟ قال : إطفائك الشمعة عند مسألتني إياك

* سيرة عمر بن عبد العزيز : ١٦١ .
(١) رسول - (٢) أحق سؤاله : رده .

عن حالك وشأنك . قال : يا عبد الله ، إن الشمعة التي رأيتني أطفأتها من مال الله ومال المسلمين ، وكنت أسألك عن حوائجهم وأمرهم ، فكانت تلك الشمعة تقدر بين يدي فيما يصلحهم ، وهي لم . فلما صرت لشأني وأمر عيالي ونفسي أطفأت نار المسلمين .

١٠٣ — حديث عمر بن عبد العزيز مع ابنه عبد الملك حين احتضر *

كان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز من أحب الناس إلى أبيه، فرض فاشتد مرضه ، فأخبر أبوه بذلك ، فأتاه فوقف عليه ، وقال : يا بني كيف تجدك ؟ قال : أجديني صالحاً . وكتبته ما به كراهة أن يقمه . قال : يا بني ، اصدقني عن نفسك ، فإن أحب الأمور إلىّ فيك لموضع القضاء . قال : أجديني يا أبت أموت ، فوّلني عمر إلى قبلك ، فبينما هو في صلاته إذ مات عبد الملك ، فأتاه مزاحم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، توفّي عبد الملك ، نغفر مغشياً عليه .

فلما دُفِن عبد الملك قال مزاحم - وكان قد عهد إليه إذا رأى منه أمرين مختلفين أن يخبره بذلك : يا أمير المؤمنين ، رأيت منك عجباً ، أتيت عبد الملك فسألته عن حاله فكتمك ما به قلت له : يا بني ، اصدقني عن نفسك ، فإن أحب الأمور إلىّ فيك لموضع القضاء ؛ فأخبرك أنه يموت . فلما مات خربت مغشياً عليك . قال : قد كان ذلك يا مزاحم ، قد علمت أن ملك الموت قد دخل إلى منزلي ؛ فأخذ بضمة مني ، فراغني ذلك فأصابني ما قد رأيت .

١٠٤ — عَقَّة جَرِير^(١) وَفُجُور الْفَرَزْدَق *

قَدِمَ الْفَرَزْدَقُ^(٢) عَلَى عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِزِ ، وَهُوَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَالْبَهْمَا مِنْ قَبْلِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَنْزَلَهُ عَمْرٌ مَنْزِلًا قَرِيبًا مِنْهُ وَأَكْرَمَهُ ، وَأَحْسَنَ ضَيْفَاتِهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ بَلَغَهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَاحِبُ فُجُورٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَمْرٌ بِالطَّافِ مَعَ جَارِيَةٍ لَهُ ، وَقَالَ : اغْسِلِي رَأْسَهُ وَالطَّنِيبَ جُهِدَكَ^(٣) . — وَأَرَادَ اخْتِبَارَهُ بِذَلِكَ لِيَعْلَمَ حَالَهُ .

فَاتَّعَتْ الْجَارِيَةُ ، وَفَلَّتْ مَا أَمَرَهَا بِهِ مَوْلَاهَا ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : أَمَا تَرِيدُ أَنْ تَغْسِلَ رَأْسِي ؟ قَالَ : بَلَى ، فَقَرَّبَتْ^(٤) إِلَيْهِ النَّسْلَ^(٥) ، ثُمَّ ذَهَبَتْ لِتَغْسِلَ رَأْسَهُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا ، وَذَلِكَ بَعَيْنِ عَمْرٍ ، وَهُوَ يَتَطَلَّعُ عَلَيْهِ مِنْ خَوْخَةٍ^(٦) لَهُ .

وَلَمَّا خَرَجَتِ الْجَارِيَةُ إِلَى عَمْرِ بَعَثَ إِلَيْهِ : أَنْ أَخْرِجْ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَلَئِنْ أَخَذْتُكَ فِيهَا — مَا دَامَ لِي سُلْطَانٌ — لِأَعْقِبَنَّكَ ، وَفَاقَهُ عَنِ الْمَدِينَةِ .

فَلَمَّا خَرَجَ وَصَارَ عَلَى رَاكِبَتِهِ قَالَ : قَاتِلَ اللَّهِ ابْنَ الْمُرَاغَةِ^(٧) كَأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَيَّ حَيْثُ يَقُولُ :

وَكُنْتُ إِذَا نَزَلْتُ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتُ بِخَزْيَةٍ^(٨) وَتَرَكْتُ عَارًا

* قَائِلُ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقُ : ١ — ٣٩٧ ، طَبْعُ لَيْدَن .

(١) جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةِ الْهَظَلِيُّ : أَحَدُ غُلُوِّ السُّعْرَاءِ الْإِسْلَامِيِّينَ ، وَدُعَا بِالْبَادِيَةِ ، وَنَشَأَ بِالْبَادِيَةِ وَفِيهَا قَالَ الشُّعْرَ وَنَبِغَ فِيهِ ، وَلَا عَظَمَ أَمْرُهُ اتِّصَالُ بِالْحَاجِاجِ وَمَدْحُهُ ، ثُمَّ اتَّصَلَ بِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَوَعَدَ مِنْ مَدْحِ بْنِ أُمِيَّةٍ . مَاتَ سَنَةَ ١١٠ هـ . (٢) الْفَرَزْدَقُ هُوَ أَبُو فَرَّاسٍ هَمَامُ بْنُ غَالِبٍ ، نَشَأَ بِالْبَصْرَةِ وَأَخَذَهُ أَبُوهُ بِرَوَايَةِ الشُّعْرِ وَنَظْمِهِ فَرَوَاهُ وَنَبِغَ فِيهِ ، وَتَشَرَّفَ بِوَلَايَةِ الْبَصْرَةِ وَمَدْحِهِمْ وَهَجَائِمِهِمْ ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى خَلْفَاءِ بَنِي أُمِيَّةٍ بِالشَّامِ وَمَدْحِهِمْ وَنَالَ جَوَائِزَهُمْ . مَاتَ سَنَةَ ١١٠ هـ .

(٣) الْجُهِدُ : الطَّاقَةُ . (٤) النَّسْلُ : مَا يَفْضُلُ بِهِ الرَّأْسُ . (٥) الْخَوْخَةُ : كُوزَةٌ فِي الْجِدَارِ تُوَدَّى إِلَيْهَا السُّعْرَاءُ . (٦) ابْنُ الْمُرَاغَةِ : هُوَ جَرِيرٌ . (٧) الْخَزْيَةُ : الْبَلِيَّةُ .

ثم قدم جرير على عمر فأنزله في منزل الفرزدق ، وبث إليه تلك الجارية
بعتها ، وأمرها أن تفعل بجرير ما فعلت بالفرزدق ؛ فألطفته ، وفعلت به مثل
ما فعلت بالفرزدق ، وقالت له : قُمْ أَيُّهَا الشَّيْخُ ، فَاغْسِلْ رَأْسَكَ قَامَ ، وقال لها :
تَنَحَّيْ عَنِّي ، قالت له الجارية : سبحان الله ! إنما بعتني سيدي لأُخْدَمَكَ ، فقال :
لا حاجة لي في خِدْمَتِكَ ، ثم أخرجها من الحِجْرَةِ ، وأغلق الباب عليه وأنزله ،
ففسل رأسه ، وعمر ينظرُ إليه من حين بَثَّ بالجارية إلى أن خرجت من عنده .
فلما راح ^(١) أهلُ المدينة من منازلهم إلى عمر حدثهم بِفِعْلِ الفرزدق وجرير ،
وما كان من أمرهما ، ثم قال : عجبتُ لقومٍ يَفْضَلُونَ الفرزدقَ على جرير مع عَفَّةِ
جرير وُجُوعِ الفرزدق ، وَقَلَّةِ وَرَعِهِ وَخَوْفِهِ اللهَ عزَّ وجلَّ .

١٠٥ — خالد القسري وزباد بن عبيد الله*

قال زياد بن عبيد الله : أتيت الشام ، فبينما أنا يوماً على باب هشام بن عبد الملك إذ خرج عليّ رجلٌ من عنده ، فقال لي : من أنت يا فتى ؟ قلتُ : يمان ، قال : فمن أنت ؟ قلتُ : زياد بن عبيد الله بن عبد اللّذان ، قال : فتبسّم وقال : قم إلى ناحية المسكر ، فقل لأصحابي : ترحّلوا ؛ فإن أمير المؤمنين قد رضى عني ، وأمرني بالمسير .

قلتُ : من أنت يرحمك الله ؟ قال : خالد^(١) بن عبد الله القسريّ ، ثم قال : ومزّهم يافتي أن يعطوك منديلَ ثيابي وبرذونِي الأصفر . قال : فلما جُرْتُ قليلاً ناداني ، قال : يافتي ؛ وإن سمعتَ بي قد وليتُ العراق يوماً ، فالحق بي .

قال : فذهبتُ إليهم ، فقلتُ لهم : إن الأمير قد أرسلني إليكم بأن أمير المؤمنين قد رضى عنه ، وأمره بالمسير ؛ فجعل هذا يحتَضِنُنِي ، وهذا يَقْبِلُ رَأْسِي ؛ فلما رأيتُ ذلك منهم قلتُ : وقد أمرني أن تعطوني منديلَ ثيابي وبرذونَه الأصفر . قالوا : إياي والله وكرامة ؛ فأعطوني منديلَ ثيابي وبرذونَه الأصفر ؛ فأمسى بالمسكر أحدٌ أجود ثياباً ولا مركباً مني .

فلم ألبث إلا يسيراً حتى قيل : قد ولي خالدُ العراقَ ؛ فركبني من ذلك همٌ ؛ فقال لي عَرِيفٌ^(٢) لنا : مالي أراك مهموماً ؟ قلتُ : قد ولى خالد كذا وكذا ، وقد أصبتُ هاهنا رزيقاً عِشْتُ به ، وأخشى أن أذهبَ فيتنبّر عليّ ، فيفوتني هذا وذاك ،

* الطبري : ٨ - ١٨١ .

(١) كان خالد القسريّ أمير العراق من قبل هشام بن عبد الملك الأموي وولى قبل ذلك مكة ، وكان ممدوداً من خطباء العرب المشهورين بالنصاحة والبلاغة ، جواداً كبير السطاء ، وتوفي سنة ١٢٠ هـ مقتولاً ودُفِنَ بالحيرة .

(٢) العريف : رئيس القوم .

فلست أدري كيف أصنع؟ قال لي: هل لك في خَصَلَة؟ قلت: وما هي؟ قال: توكئي بأرزاكك وتخرج؛ فإن أصبت ما تحب في أرزاكك؛ وإلا رجعت فدفعتها إليك، قلت: نعم، وخرجت.

فلما قدمت الكوفة لبست من صالح ثيابي؛ وأذن للناس فركبهم حتى أخذوا مجالسهم، ثم دخلت، فمعت بالباب، فسلمت ودعوت وأتيت، فرفع رأسه فقال: أحسنت، بالرحب والسعة، فارجعت إلى منزلي حتى أصبت ستمائة دينار بين نقد وعرض.

ثم كنت أختلف إليه؛ فقال لي يوماً: هل نكتب يا زياد؟ قلت: أقرأ ولا أكتب، أصالح الله الأمير؛ فضرب يده على جبينه، وقال: إن الله وإنما إليه راجعون اسقط منك تسعة أعشار ما كنت أريدك منك، وبقي لك واحدة فيها غنى الدهر. قلت: أيها الأمير، هل في تلك الواحدة ثمن غلام؟ قال: وماذا حينئذ؟ قلت: تشتري غلاماً كاتباً تبعث به إليّ فيعلمني. قال: هيئات اكبرت عن ذلك؛ قلت: كلا؛ فاشتري غلاماً كاتباً حاسباً بستين ديناراً، فبعث به إليّ فأكثبت على الكتاب، وجعلت لا آتيه إلا ليلاً، فما مضت إلا خمس عشرة ليلة حتى كتبت ما شئت وقرأت ما شئت!

قال: فإني عنده ليلة إذ قال: ما أدري هل أنجحت من ذلك شيئاً؟ قلت: نعم، أكتب ما شئت وأقرأ ما شئت؛ قال: إني أراك غفرت منه بشي يسير فأعجبك قلت: كلا.

قال: اقرأ هذا الطومار^(١)، قرأت ما بين طرفيه فإذا هو من عمله على الرّبي، قال: اخرج قد وليتك عمله!

(١) الطومار: الصحيفة.

١٠٦ — الفقير خصم لجوج *

ركب خالد^(١) في يومٍ شديدٍ البردِ كثيرَ النَّسيمِ ، فتمرَّضَ له رجلٌ في الطريقِ ؛ فقال له : نأشدُّنكَ اللهُ لِلاضربَ عُنُقِي ا فقال له : أ كُفِّرْ بِمَدِّ إِيمَانٍ ؟ قال : لا ؛ قال : أَفَتَرْغَبُ عَنْ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ ؟ قال : لا ؛ قال : أَتَقْتُلُ نَفْسًا ؟ قال : لا . قال : فما سببُ ذلك ؟ قال : لي خصمٌ لجُوجٍ قد عُلِقَ بِي ، وَلِزِمَنِي وَقَهَرَنِي . قال : مَنْ هو ؟ قال : الفُتْرُ ا قال : فكَمْ يَكْفِيكَ لِدَفْعِهِ ؟ قال : أربعةُ آلافِ درهمٍ ، قال : إني مُبِدِّدٌ بأربعةِ آلافِ درهمٍ .

ثم قال خالد : يا غلام ، اذْفَعْ له أربعةَ آلافِ درهمٍ ، والتَفَتَ وقال : هل رَيْحٌ أَحَدٌ مِنَ التَّجَارِ كَرَيْحِي الْيَوْمَ ؟ قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أُعْطِيَ هَذَا الرَّجُلَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ درهمٍ ، فلما طَلَبَ أربعةَ آلافِ درهمٍ وَفَّرَ عَلَى سِتَّةٍ وَعَشْرِينَ أَلْفَ درهمٍ .

فلما سَمِعَ الرَّجُلُ ذَلِكَ مِنْهُ قال : حَاشَاكَ وَأَعْيذكِ بِاللهِ أَنْ تَرْجِعَ عَلَى مُوْثِقِكَ . فقال : يا غلام ؛ أَعْطِيهِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، ثم قال للرجل : أَقْبِضْ لِلْمَالِ ؛ وَاذْهَبْ آمِنًا إِلَى خَصْمِكَ ، وَمَتَى رَجِعَ يُعَارِضُكَ فَاسْتَنْجِدْ بِنَا عَلَيْهِ .

* المختار من نوادر الأخبار — مخطوط .

(١) هو خالد بن عبد الله القسري .

١٠٧ - يشتكى الفقر

أتى رجلٌ إلى عليّ بن سليمان ، فقال له : بالذي أُسبِغَ عليك هذه النعم
من غير شفيح كان لك إليه تفضُّلاً منه عليك - إِلَّا أَنْصَفْتَنِي مِنْ خَصْمِي ،
وأخذت الحقّ منه ، فإنه ظَلُمْتُ غَشُومٌ ، لا يَسْتَحْيِي من كبير ، ولا يَلْتَفِتُ إلى صغير .
فقال له : أَعْلِمْنِي مَنْ هو ؟ فإن ينصفك ، وإلا أخذتُ الذي فيه عيناه ، مَنْ هو ؟
فقال : الفقر ، فأطَرَقَ إلى الأرض مَلِكِيًّا ، يَنْكُتُ^(١) الأرض بإصبعه ،
ثم رفع رأسه ، فأمر له بشرة آلاف دينار ، فأخذها ومضى ، فلما سار خارجاً
قال : رُدُّوه .

فلما مَكَلَ بين يديه قال : ياذا الرجل ، سألتك بالله - متى أناك خصمك
مَقْصُفًا - إِلَّا أَنْتَ إِلَيْنَا مَقْطَلَمًا .

* عين الأدب والياسة : ١٨٦ .

(١) النكس : أن تضرب الأرض بخصب فيؤثر فيها .

١٠٨ — حَدَّثَنِي عَنْ أَغْرَبِ مَا مَرَّ بِكَ*

لَمَّا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ اخْتَفَى جَمِيعُ رِجَالِ بَنِي أُمَيَّةٍ - وَكَانَ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ - فَشَفَعَ لَهُ عِنْدَ السَّفَّاحِ^(١) بَعْضُ خَوَاتِمِهِ . فَأَعْطَاهُ الْأَمَانَ ، ثُمَّ أَحَلَّهُ مَجْلِسَهُ ، وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ .

وَقَالَ لَهُ السَّفَّاحُ ذَاتَ يَوْمٍ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، حَدَّثَنِي عَنْ أَغْرَبِ مَا مَرَّ بِكَ أَيَّامَ اخْتِفَالِكَ .

فَقَالَ : كُنْتُ مَخْتَفِيًّا فِي الْحَيْرَةِ بِمَنْزِلِ مُشْرِفٍ عَلَى الصَّحْرَاءِ ، فَبَيْنَمَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ ذَلِكَ الْبَيْتِ أَبْصَرْتُ أَعْلَامًا سَوْدَاءَ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الْكُوفَةِ تَرْيِدُ الْحَيْرَةَ ، فَأَوْجَسْتُ مِنْهَا خِيفَةً إِذْ حَبَّبَتْهَا تَقْصِدُنِي .

فَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنَ الدَّارِ مُتَنَكِّرًا ، حَتَّى أَتَيْتُ الْكُوفَةَ ، وَأَنَا لَا أَعْرِفُ مَنْ أَخْتَفَى عِنْدَهُ ، فَبَقِيتُ مَتَحِيرًا فِي أَمْرِي ، فَفَنظَرْتُ وَإِذَا أَنَا بِبَابٍ كَبِيرٍ فَدَخَلْتُهُ ، فَرَأَيْتُ فِي الرَّحْبَةِ^(٢) رَجُلًا وَسِيمًا^(٣) لَطِيفَ الْهَيْئَةِ ، نَظِيفَ الْبِزَةِ^(٤) ، فَقَالَ لِي : مَنْ أَنْتَ ؟ وَمَا حَاجَتُكَ ؟ قُلْتُ : رَجُلٌ خَافْتُ عَلَى دَمِهِ ، جَاءَ يَسْتَعِيرُ بِكَ .

فَادْخَلَنِي مَنْزِلَهُ ، وَوَارَانِي فِي جُحْرَةٍ تَلَى حِجْرَةَ حُرْمِهِ^(٥) . فَأَقْبْتُ عَنْدهُ ، وَلِي كُلُّ مَا أَحَبُّ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَرِيبَاسٍ ، وَهُوَ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مِنْ حَالِي ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْفَجْرِ ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا قَبِيلَ الظُّهْرِ .

* بحر الآداب : ٣ - ٥٢ .

(١) اسمه عبد الله بن محمد ، أول خلفاء الدولة العباسية ، بولع له بالخلافة جهراً في الكوفة سنة ١٣٢ هـ ، وتوفي بالأندلس سنة ١٣٦ هـ . (٢) الرحبة : الساحة . (٣) وسيم : حسن الوجه . (٤) البزة : الثياب . (٥) حرمة : نسائه .

قَتَلْتُ لَهُ يَوْمًا : أَرَأَيْكَ تُدَمِّنُ^(١) الرُّكُوبَ ، فَقِيمَ ذَلِكَ ؟ قَالَ لِي : إِنْ إِبْرَاهِيمَ
ابْنَ سَلْيَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَتَلَ ابْنِي ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ مُخْتَفٍ فِي الْخَبِيرَةِ ، فَأَنَا أَطْلُبُهُ
لِمِ الْأُجْدَةِ وَأُذَرِّكَ مِنْهُ ثَأْرِي . فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - عَظُمَ خَوْفِي ،
وَضَاقَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِي ، وَقُلْتُ : إِنِّي سَقْتُ نَفْسِي إِلَى حَتْفِي .

ثُمَّ سَأَلْتُ الرَّجُلَ عَنْ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ ، فَأَخْبَرَنِي عَنْ ذَلِكَ ؛ فَدَلَّتْ أَنَّ كَلَامَهُ
حَقٌّ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا ؛ إِنَّهُ قَدْ وَجَّبَ عَلَى حَقِّكَ ، وَجَزَاءَ لِمَعْرُوفِكَ لِي أَرِيدُ أَنْ
أَدُلَّكَ عَلَى ضَّالَّتِكَ .

فَقَالَ : وَأَيْنَ هُوَ ؟ قُلْتُ : أَنَا بُنَيْتُكَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَلْيَانَ ، فَخُذْ بِثَأْرِكَ .
فَنَبَسَ ، وَقَالَ : هَلْ أَضْجَرُكَ^(٢) الْإِخْتِفَاءُ وَالْبُعْدُ عَنْ دَارِكَ وَأَهْلِكَ فَأَحْبَبْتَ كَلْمَوْتَ ؟
قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ ، وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكَ الْحَقَّ ، وَإِنِّي قَتَلْتُ أَبَاكَ فِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ أَجْلِ
كَذَا وَكَذَا .

فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ كَلَامِي هَذَا ، وَعَلِمَ صِدْقِي تَفَسَّرَ لَوْنُهُ وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ؛ ثُمَّ
فَكَّرَ طَوِيلًا ، وَالتَفَتَ إِلَيَّ . وَقَالَ : أَمَّا أَنْتَ فَسَوْفَ تَلْقَى أَبِي عِنْدَ حَاكِمٍ عَادِلٍ
فَيَأْخُذُ بِثَأْرِهِ مِنْكَ ، وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَخْضَرُ ذِمَّتِي^(٣) ، وَلَكِنِّي أُرْغَبُ أَنْ تَبْعِدَ عَنِّي
فَإِنِّي لَسْتُ أَمْنُ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِي . ثُمَّ إِنَّهُ قَدَّمَ لِي أَلْفَ دِينَارٍ ، فَأَيَّتُ أَخْذَهَا ،
وَانصَرَفْتُ عَنْهُ .

فَهَذِهِ الْحَادِثَةُ الْأُغْرَبُ مَا رَأَيْتُ ، وَهَذَا الرَّجُلُ هُوَ أَكْرَمُ مَنْ رَأَيْتُهُ ، وَسَمِعْتُ
عَنْهُ بَعْدَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :

— . . . —

(١) تُدَمِّنُ : تَدْمِجُ . (٢) أَضْجَرُكَ : أَتَمَبِّكُ . (٣) لَا أَخْضَرُ ذِمَّتِي : لَا أَهْضِي عَهْدِي مَعَكَ وَلَا
أُغَرِّبُكَ بَعْدَ أَنْ أَمْتَنْتُكَ .

١٠٩ — المنصور وأهله*

قال أحمد بن إسماعيل :

كان أبي ومشايعُ أهلي يجلسون مع أبي جعفر للنصور^(١)، وكان أحدنا إذا جلسوا دون ذلك ، وكان يتفقدُ من أمورنا ما كان يتفقدُه من أمور ولده ، حتى يستقري^(٢) أحدنا ، ويسأله ما بلغ من القرآن ، وكُنَّا نَصِلُ الفِداءَ^(٣) والعِشَى^(٤) فنجالسُ في مجلسه ، حتى يخرج إلينا .

ولمَّا صِرْنَا في مجلسه ذاتَ يومٍ كما دُتْنَا ، فجلسنا نتظرُ خروجهُ ، وأفاض أبي وعمومتي في استبطائه واستنثاره عليهم ، فأطنبُوا في ذلك ، وكان الموكلُ بالباب - سليم الأسود - يرفع الستر إذا جاء ، فحانت من سليم غفلةٌ ، وجاء أبو جعفر وهو يتسمعُ عليهم ، ففهم ما هم فيه ، ووثب سليم ليرفع الستر ، فأمسك بيده ومنعه من رفعه حتى استوعبَ سهمه جميعَ ما كانوا فيه .

فلما اهتفى كلامهم أمرَ برفعِ الستر ودخل ، فقاموا له كَنَحْوِ ما كانوا يفعلون ؛ فقال : ما هذا ؟ إنما ينبغي أن تفعلوا هذا بحضرةِ العامة ، لتشدُّوا بذلك سلطانكم ، فأما مجالسُ الخلوةِ فنحنُ فيها إخوة .

ثم أمرهم بالجلوس ، وأقبلَ عليهم ، وقال : يا عموتي ، ويا إخوتي ، قد سمعتُ ما كنتم فيه ، وقولكم : استأثر علينا ، ولمعري لقد كان ذلك ، وما استشاري عليكم إلا لكم ، وإشفاقاً من ذهاب سلطانكم ، وزوال أموالكم ، وإنما أبكي

* غرر الحقائق : ١٦٧ .

(١) انظر صفحة ١١٦ . (٢) استقري : تفح . (٣) الفداء : ما بين صلاة الفجر إلى طلوع

الشمس . (٤) العشي من صلاة المغرب إلى العتمة .

لكم رَقَّةٌ عليكم ، فكأننى بالرجل منك ومن أبنائك ، أو من أبناء أبنائك بين يَدَيِ الرجلِ من وَلَدِي أو وَلَدِ وَلَدِي ، ينسب له فلا يعرفه بل لعله يبلغ على بن عبد الله بن العباس ، فذهبوا ليتكلموا ، فقال : أقسمت عليكم لـ سكتكم ، أفيضوا بنا فى غير هذا الحديث .

قال أحمد : وضرب الدهر ضرباً به^(١) ، ومات للنصور ، وَوَلِيَّ الهدي ومات ، وَوَلِيَّ الهادى ثم مات ، وولى الرشيد ، وخرج إلى الرقة وناالتنا ، جَفْوَةٌ ، ولزمنى دَيْنُ فخرجتُ إليه ، فكان أول ما لقيتُ موكباً عظيماً ، قلت : ما هذا ؟ قيل لى : هذان وَلَيَّا العهد : الأيمن والأُمون .

فترجأتُ وسلَّمْتُ عليهما ، فقالا : مَنْ أَنْتَ ؟ قلت : أحد بن إسماعيل بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وبكيتُ ، فأنتهى الخبرُ من ساعته إلى الرشيد ، فلم أصلُ إلى منزلى حتى لَقِيتُ رسولهُ يدعونى .

فلما دخلتُ عليه ، قال لى : مَّ بَكَيْتَ ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، كان من القصة كَيْتٌ وكيت ، وسُئِلْتُ إليه خبرُ النصور ، فبكيتُ إذ كنتُ للبتلى بذلك دون من حَصَرَه ، فقال لى : ها ابناً أخيك ، وهى عَوْرَةٌ فاستُرْها ، ولن تُسألَ عن نَسَبِكَ بعد اليوم ، ما أقدمك ؟ قلت : دينٌ لزمنى . قال : وكم هو ؟ قلت : عشرون ألفَ دينار . قال : يا غلامُ ، احملها إليه الساعة ، واجعل معها خمسة آلاف دينار لحفظه الحديث عن النصور . هل من حاجة لك غير ذلك ؟ قلت : أودُّعُ أمير المؤمنين ، وانصرفت .

(١) ضرب الدهر ضرباً به : مر ، وذهب به .

١١٠ — هذا بُنية أمير المؤمنين *

أهدر أمير المؤمنين المنصور دَمَ رجلٍ، كان يسعى بفسادِ دولته مع الخوارج، من أهل الكوفة. وجعلَ لِن دَلٍّ عليه، أو جاء به مائة ألف درهم. ثم إنَّ الرجلَ ظهرَ في بُنداد، فبينما هو يمشى مُتَخَفِكاً في بعض نواحيها، إذ بَصُرَ به رجلٌ من أهل الكوفة، فصرَّه؛ فأخذ بمجامع ثيابه، وقال: هذا بُنيةُ أمير المؤمنين. فبينما الرجلُ على هذه الحال إذ سمع وقعَ حوافر الخيل، فالتفت فإذا معن ابن زائدة^(١)، فاستنفاث به؛ وقال: أجزني أبارك الله! فالتفت معنٌ إلى الرجل المتعلِّق به، وقال له: ماشأنك وهذا؟ قال: إنه بُنيةُ أمير المؤمنين الذي أهدَرَ دمه وجعلَ لِن دَلٍّ عليه مائة ألف درهم. قال: دَعُهُ. وقال لغلامه: انزل من دابَّتكَ، واحمل الرجلَ عليها.

فصاح الرجلُ المتعلِّقُ به وصرخ واستجار بالناس، وقال: أَيْمَحَالُ يَبْنِي وَيَبْنِي بُنيةُ أمير المؤمنين؟ فقال له معن: اذهب قتلَ لأمير المؤمنين، وأخبره أنه عندي.

فانطلق الرجلُ إلى المنصور وأخبره، فأمر المنصور بإحضار معن في الساعة؛ فلما وصل أمرُ المنصور إلى معن دعا جميعَ أهل بيته ومواليه وأولاده وأقاربه وحاشيته، وجميعَ مَنْ يلوذُ به؛ وقال لهم: أقسم عليكم ألاَّ يصلَ إلى هذا الرجل مكروه أبداً؛ وفيكم عين تطرف.

* ذيل تحرات الأوراق للحموي: ١٦٧، غرر الحاصلات: ١٧.

(١) كان معن بن زائدة جواداً شجاعاً، جزيل السَّاء، كثير المعروف ممدحا مقصوداً، وكان في أيام بني أمية منتقلاً في الولايات ومنقطلاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفراري، فلما كانت أيام المنصور اتصل به بعد أحداث، وصرار من خواصه، وتوفى سنة ١٥٨ هـ.

ثم إنه سار إلى النصور ؛ فدخل وسلم عليه ؛ فلم يرد عليه النصور السلام ، ثم قال له : يا مَن ؛ أتتجراً على ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ! قال النصور : ونم أيضاً وقد اشتد غضبه . قال مَن : يا أمير المؤمنين ؛ كم من مرة تقدم في دولكم بلائى ، وحسنُ غنائى ^(١) ! وكم من مرة خاطرتُ بدى ! أفأراجمونى أهلاً لأن يوهبلى رجلٌ واحد استجارَ بى بين الناس ، يوهه أفى عبدٌ من عبيد أمير المؤمنين ، وكذلك أنا ، فمر بما شئت ، وهانذا بين يديك !

فأطرق النصور ساعة ، ثم رفع رأسه ، وقد سكَنَ ما به من الغضب ، وقال له : قد أجرتُ ناه لك يا مَن . فقال له مَن : إن رأى أمير المؤمنين أن يجمع بين الأجرين ، فأمر له بصلة أحياء وأغناه .

قال النصور : قد أمرتُ ناه بخمسين ألف درهم . قال مَن : يا أمير المؤمنين ؛ إن صلاتِ الخلفاء على قَدَرِ جنائياتِ الرعية ، وإن ذنبَ الرجل عظيم ، فأجزِلُ له صِلته . قال : قد أمرنا له بمائة ألف درهم . قال له مَن : عَجِّلها يا أمير المؤمنين ، فإن خيرَ البرِّ عاجله ، فأمر بتعجيلها ؛ فحملها وانصرف ؛ وأتى منزله ؛ وقال : للرجل : يارجلُ ؛ خذْ صِلَتَكَ والحقْ بأهلك ؛ وإياك ومخالفة الخلفاء في أمورهم بعد هذه .

(١) الفناء : التبع .

١١١ — معن بن زائدة والأسود*

قال معن بن زائدة : لما هربت^(١) من المنصور خرجتُ من باب حرب ،
بعد أن أقتُ في الشمس أياماً ، وخَفَّتُ لحيي وعارضِي ، وَلَبِثْتُ جُبَّةً صَوْفِيَّةً
غليظةً ، وركبتُ جملًا ، وخرجتُ عليه لأَمْضِي إلى البادية ، فَتَبِعَنِي أسود متقلدًا
سيفًا ، حتَّى إِذَا غِيبْتُ عن الحرس ، قبض على خَطَامِ^(٢) الجمل فَأَنَاخَهُ ، وَقَبَضَ عَلَيَّ ،
فَقَالَ : مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : أَنْتَ بُنْيَةُ أمير المؤمنين ، قَتَلْتَهُ : وَمَنْ أَنَا حتَّى
يَطْلُبَنِي أمير المؤمنين ؟ قَالَ : معن بن زائدة . قَتَلْتَ : يَا هَذَا ، اتَّقِ اللَّهَ ، وَأَيْنَ أَنَا
من مَعْنٍ ؟ قَالَ : دَعْ هَذَا عَنْكَ ، فَأَنَا وَاللَّهِ أَعْرَفُ بِكَ . قَتَلْتَ لَهُ : فَإِنْ كَانَتْ
النِّصَّةُ كَمَا تَقُولُ ، فِهَذَا جَوْهَرٌ حَلَّتْهُ مَيِّ بِأَصَافٍ مَا بِذَلِكَ المنصور لمن جَاءَهُ بِى ،
فَغَنَمَهُ وَلَا تَسِفِكَ دَمِي .

قَالَ : هَاتِهِ ، فَأَخْرَجْتُهُ إِلَيْهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ سَاعَةً ؛ وَقَالَ : صَدَقْتَ فِي قِيَمَتِهِ ،
وَلَسْتُ قَابِلَهُ حتَّى أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ ، فَإِنْ صَدَقْتَنِي أَطْلَقْتُكَ ؛ قَتَلْتَ : قُلْ ، قَالَ :
إِنَّ النَّاسَ وَصَفُوكَ بِالْجُودِ ، فَأَخْبِرْنِي : هَلْ وَهَبْتَ قَطًّا مَالَكَ كَلِّهِ ؟ قَتَلْتُ : لَا ، قَالَ :
فَنَصَفَهُ ؟ قَتَلْتُ : لَا ، قَالَ : قَتَلْتَهُ ؟ قَتَلْتُ : لَا ، حتَّى بَلَغَ العِشْرَ ، فَاسْتَحْيَيْتُ ، وَقَتَلْتُ :

* نهاية الأرب : ٣ - ١١ ، عصر المأمون ٢ - ١٩٧ .

(١) كان سبب غضب المنصور أن منا كان متعلقاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة في عهد بني أمية ،
فلما كان عهد المنصور وجرى القتال بين المنصور ويزيد انضم من إلى يزيد وأبلى بلاءً حسناً حتَّى
قتل يزيد ، فهرب من وطلبه المنصور ثم عفا عنه بعد ذلك .

(٢) خطام الجمل : كل جبل يلقى في حلق البعير ثم يقد على أُنْفِهِ .

أُظِنَ أَنِّي قَدْ فَلَسْتُ هَذَا ، قَالَ : مَا ذَاكَ بِعَظِيمٍ ، أَنَا وَاللَّهُ رَاجِلٌ^(١) وَرِزْقِي مِنْ أَبِي جَنْفَرٍ عَشْرُونَ دِرْهَمًا ، وَهَذَا الْجَوْهَرُ قِيَمَتُهُ أَلْفُ دِينَارٍ ، وَقَدْ وَهَبْتُهُ لَكَ ، وَوَهَبْتُكَ لِنَفْسِكَ ، وَلِجُودِكَ الْمَأْتُورِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلِتَعْلَمَ أَنَّ فِي الدُّنْيَا مَنْ هُوَ أَجُودُ مِنْكَ ، فَلَا تَمْجِيبُكَ نَفْسُكَ ، وَلِتُحَقَّرَ بِمَدِّ هَذَا كُلِّ شَيْءٍ فَعَلُهُ ؛ وَلَا تَتَوَقَّفَ عَنْ مَكْرُمَةٍ ، ثُمَّ رَمَى بِالْجَوْهَرِ إِلَى ، وَخَلَى خَطَامَ الْجَلَلِ وَانصَرَفَ .

قَالَتْ : يَا هَذَا ، قَدْ فَضَحْتَنِي ، وَلَسَفَكَ دَمِي أَهْوَنُ عَلَيَّ مِمَّا فَعَلْتَ ، فَخَذْتُ مَا دَفَعْتَهُ إِلَيْكَ ، فَأَتَيْتُهُ فِي غَنَى ، فَضَحَكَ ، ثُمَّ قَالَ : أَرَدْتُ أَنْ تَكْذِبَنِي فِي مَقَامِي هَذَا ، فَوَاللَّهِ لَا آخِذُهُ ، وَلَا آتُخِذُ لِمَعْرُوفٍ ثَمَنًا أَبَدًا ، وَمَضَى .

فَوَاللَّهِ لَقَدْ طَلَبْتُهُ بِمَدِّ أَنْ أَمِنْتُ ، وَبَذَلْتُ لِمَنْ يَحِبُّ بِهِ مَا شَاءَ ، فَأَعْرِفْتُ لَهُ خَبْرًا ، وَكَأَنَّ الْأَرْضَ ابْتَلَسَتْهُ .

(١) الرّاجل : غير الثّابت .

١١٢ — عقيد المجد والجود*

كان لعن بن زائدة شاعرٌ يغشى مجلسه في كل يوم ، فاقطع عنه أياماً ، فلما دخل عليه قال : ما أبطأك ؟ قال : ولدت مولوداً ! قال : فما سميتَه ؟ قال : سميتُ معنًا بمعن ، ثم قلت له : هذا سميَّ عقيد المجد والجود^(١) قال : يا غلام ؛ أعطه ألف دينار ، وقل بيتاً آخر ؛ فقال :
سما بجودك جودُ الناس كلهمُ فصار جودك محرابَ الأجاويد^(٢)
قال : يا غلام ؛ أعطه ألف دينار ، وقل بيتاً آخر ، فقال :
أنت الجوادُ ومنك الجودُ أوله فإن قُدتَ فإِ جودٌ بموجودٍ
قال : يا غلام ، أعطه ألف دينار ، وقل بيتاً آخر ، فقال :
من نور وجهك تضيئُ الأرض مُشرقةً ومن بنائك يجري الماء في المودِ
قال : يا غلام أعطه ألف دينار ، وقل بيتاً آخر ، فقال الغلام : لا تقل شيئاً
بعد ذلك ، والله لم يبق في بيت المال إلا ما أخذت ، ثم انصرف .

* المختار من نوادر الأخبار — مخطوط .

(١) هو سى فلان : إذا وابق اسمه اسم فلان ، وعقيد المجد : مفايده ، أى ملازمه .

(٢) الأجاويد جمع جواد .

١١٣ — مثلك يصطنع *

طلب للنصورُ منَ بن زائدةَ زماناً، وما زال مستترا حتى كان يومَ الهاشمية^(١) فلما وثب القومُ على النصور، وكادوا يقتلونه، وثب من وهو مُتَكَلِّمٌ، فانتفض سيفه وقاتل، فأبلى بلاءً حسناً، وذبح^(٢) القومَ عنه حتى نجوا.

ثم جاء والنصور راكبٌ بفلةٍ، وجلّسها بيد الربيع، فقال له: تنح فإني أحقُّ باللباس منك في هذا الوقت وأعظمُ فيه غناء، فقال له للنصور: صدق، فادفنه إليه! فأخذه ولم يزل حتى انكشفت تلك الحال.

فقال له النصور: من أنت؟ فله أبوك! قال: أنا طليبتك يا أمير المؤمنين؛ ممن بن زائدة! قال: قد أمنتك الله على نفسك ومالك، ومثلك يصطنع. ثم أخذه معه، وخلع عليه وجباه وزينته، ثم دعا به يوماً فقال له: إني قد أملتُك لأمرٍ فكيف تكونُ فيه؟ قال: كما يحبُّ أمير المؤمنين. قال: وليتأك المين فأبسط السيفَ فيهم حتى يَنقُضَ حلفَ ربيعة والمين، وأبلغ من ذلك ما يحبُّ أمير المؤمنين.

* المذهب: ٩ - ٨٨.

(١) الهاشمية: مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة سنة ١٣٤ هـ. وفيها حبس النصور عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ومن كان معه من أهل بيته.
(٢) ذبح عنه: منع ودفع.

١١٤ — نعمة عدوك قِلَادَةٌ فِي عُنُقِ*

أرسل المنصورُ إلى شيخٍ من أهل الشام - وكان من بطانة^(١) هشام بن عبد الملك بن مروان - فسأله عن تدير هشام في حروبه مع الخوارج ، فوصف الشيخُ له ما دبر ، فقال : **فضل - رحمه الله - كذا ، وصنع - رحمه الله - كذا** ! فقال للمنصور : **فمُ عليك لنعمةُ الله ! تطلأ بساطي وترحم على عدوي ! فقام الرجلُ ، وقال - وهو مولدٌ : إن نعمةَ عدوك قِلَادَةٌ فِي عُنُقِي لَا يَنْزِعُهَا إِلَّا غَاسِلٌ .**

فقال له المنصور : **ارجع يا شيخ ؟ فرجع ، فقال : أشهدُ أنك حرٌّ شريف ، ارجع إلى حديثك . فساد الشيخُ إلى حديثه ، حتى إذا فرغ دعا له بمال ، فأخذه ، وقال : والله يا أمير المؤمنين ، مالى إليه حاجة ، ولقد مات عني من كنتُ في ذكره ، فإحوجني إلى الوقوفِ على بابِ أحدٍ بعده ، ولولا جلالةُ أمير المؤمنين وإيثاري طاعته ما لبستُ نعمةَ أحدٍ بعده .**

فقال للمنصور : **إذا شئتَ ، لله أنت ! فلو لم تكن لقومك غيرك لكنتُ أبقيتُ لم محمدًا مُخَلِّدًا وعِزًّا باقياً .**

* المحاسن والساوى : ١١٩ ، (طبع ليزج) .

(١) بطانة الرجل : خاصته .

١١٥ — جود عبد الواحد بن سليمان*

قال عبد الله بن إبراهيم الجُمحى : قلت لابن^(١) هَرَمَةَ : أتمدحُ عبدَ الواحد
ابن سليمان بشعرٍ ما مدَحْتَ به غيره فتقول فيه هذا البيت :
وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة^(٢) الجناح
ثم تقول فيه :

أعبدَ الواحدَ لليمونِ إني أغصُّ حِذَارَ سُخْطِكَ بالقرّاح^(٣)
فبأى شيء استوجبَ ذلك منك ؟ قال : إني أخبرك بالقصة لتعزى :

أصابتني أزمَةٌ بالمدينة ، فاستنهضتُ بنتُ عمى للخروج ؛ قلت لها : وبحك !
إنه ليس عدى ما يَقلُّنى . قالت : أنا أنهضك بما أمكننى ، وكانت عندي نَبْ^(٤)
لى ، فهضتُ عليها نهج^(٥) التوام ، ونوذى العمار ، وليس من منزل أنزله إلا قال
الناس : ابن هَرَمَةَ ! حتى دَفِعتُ إلى دِمَشق .

فأويتُ إلى مسجد عبد الواحد في جوف الليل ، فجلستُ فيه أنظره إلى أن
يزع الفجر ، فإذا الباب ينفلق عن رجلٍ كأنه البدر ، فدنا فأذن ، ثم صلى ركعتين ؛
وتأمله فإذا هو عبد الواحد ، فقامتُ فدنوتُ منه وسلمتُ عليه ؛ قال لى :
أبو إسحاق ! أهلاً ومرحباً ؛ قلتُ : لبيك ، بأبى أنت وأمى ! وحيّاك الله بالسلام

* الأغانى : ٦ - ١٠٧ .

(٢) اسمه إبراهيم بن طي : شاعر قال عنه الأصمى : إنه أحد من ختم به الشعر وكان مدسناً
للشرب مفرماً به ، وهو من سكان المدينة ، توفي سنة ١٠٥ هـ . (٢) القوامد : أربع أو عشر
ريشأت في مقدم الجناح ، الواحدة قادمة . (٣) القرّاح : الماء لا يخالطه شيء . (٤) الناب :
الناقة المسنة . (٥) نهج التوام : توقظهم ، وهو من الأضداد .

وقربك من رضوانه ؛ فقال : أما آن لك أن تزورنا ؟ فقد طال العهد ، واشتدَّ الشوق ، فما وراءك ؟ قلت : لا تسألني - بأني أنت وأمي - فإن الدهر قد أخنى عليّ ؛ فما وجدتُ مُستغاثًا غيرك ؛ فقال : لا ترع^(١) ، هذَّوَرَدَتْ عليّ ما تحبُّ إن شاء الله . فوالله إني لأخاطبُه ، فإذا بثلاثة فتية قد خرجوا كأنهم الأشطان^(٢) ، فسلموا عليه فاستدنى الأكبرَ منهم فهمسَ إليه بشيء دوني ودون أخويه ؛ فضى إلى البيت ثم رجع ، فجلس إليه فكلمه بشيء دوني ثم ولى ، فلم يلبث أن رجع ومعه عَبْدٌ ضابط^(٣) ، يحمل عبثًا من الثياب حتى ضرب^(٤) به بين يدي ، ثم همس إليه ثانية فعاد ، وإذا به قد رجع ومعه مثلُ ذلك ، فضرب به بين يدي .

فقال لي عبد الواحد : اذنُ يا أبا إسحاق ؛ فإني أعلم أنك لم تصر إلينا حتى تفارق صدعك ؛ فخذ هذا وارجع إلى عيالك ، فوالله ما سلطنا لك هذا إلا من أشدناق عيالنَا ، ودفع إلَيَّ ألف دينار ، وقال لي : قم فارحل فأغيث من وراءك .

فصمت إلى الباب ، فلما نظرتُ إلى ناقتي ضيقتُ ؛ فقال لي : تعال ، ما أرى هذه مُبْلَنَتَكَ - يا غلام ؛ قدّم له جملًا . فوالله لقد كنتُ بالجلل أشدَّ ضروراً مني بكلِّ ما نلتُه ؛ فهل تلوّمني أن أغصَ حِذارَ سُخْطِ هذا بالقراح ! والله ما أنشدته ليبتذ بيتًا واحدًا .

(١) لا ترع : لا تخف ولا تزعج (٢) الأشطان : جمع هملن ، وهو الجبل الطويل .

(٣) ضابط : قوى شديد (٤) دى به .

١١٦ — أبو حنيفة يرمى الجوار *

كان لأبي حنيفة^(١) جَارٌ بالكوفة يُنْفَى في غُرْفَتِهِ ، وبِاسْمِ أبو حنيفة غِنَاءَهُ
فِيهِجَبُهُ ، وكان كثيراً ما يَنْفَى :
أَضَاعُونِي وَأَيٌّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمَ كَرِهْتِ سِدَادِ^(٢) تَغْرِ
فَلَقِيهِ السَّسْ^(٣) لَيْلَةً فَأَخَذُوهُ وَحُجِسَ .

فَقَدَّ أَبُو حنيفة صَوْتَهُ تلكَ اللَّيْلَةَ ، فَسَأَلَ عَنْهُ مِنْ غَدٍ فَأُخْبِرَ ؛ فَدَعَا بِسَوَادِهِ
وَطَوَّلَتْهُ^(٤) فَلَبِسَهَا ، وَرَكِبَ إِلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى ، قَالَ لَهُ : إِنْ لِي جَارٌ أَخَذَهُ
عَسْكَ الْبَارِحَةِ فَحُجِسَ ، وَمَا عَلِمْتُ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا . قَالَ عِيسَى : سَلُّوْا إِلَى أَبِي حنيفة
كُلَّ مَنْ أَخَذَهُ السَّسْ الْبَارِحَةَ ؛ فَأُطْلِقُوا جَمِيعًا ؛ فَلَمَّا خَرَجَ التَّقَى دَعَا بِهِ أَبُو حنيفة
وَقَالَ لَهُ سِرًّا : أَلَسْتَ كُنْتَ تَغْنَى يَافِقِي كُلَّ لَيْلَةٍ :

• أَضَاعُونِي وَأَيٌّ فَتَى أَضَاعُوا •

فَهَلْ أَضْمَنْتُكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، وَلَكِنْ أَحْسَنْتَ وَتَكْرَمْتَ ؛ أَحْسَنَ اللَّهُ
جِزَاءَكَ . قَالَ : قُدِّدْتُ إِلَى مَا كُنْتُ تَغْنِيهِ ، فَلَمَّا كُنْتُ آتِسُ بِهِ ، وَلَمْ أَرَهُ بِأَسَا ،
قَالَ : أَفْضَلُ !

(*) الأغانى : ١ - ٤١٤ .

(١) هو النعمان بن ثابت من موالى نبي الله بن ثعلبة ، دعاه ابن هبيرة للقضاء فأبى ومات ينفدا
سنة ١٥٠ هـ . (٢) سداد التفر : سده بالثيل والرجال . (٣) السس : جمع سس وهو الذى
يطوف بالليل يحرس الناس ويكشف أهل الرية . (٤) الطويلة : الفلانة المألفة المدعمة بيدان ؛
وكان السواد شعرا لى البباس .

١١٧ — يُرَى الله الصدقات *

قال سوار : انصرفت يوماً من دار المهدي^(١) ، فلما دخلت منزلي دموعُ الطعام فلم تقبله نفسي ، فأمرتُ به فرفع ، ودخلتُ وقتَ القائلة فلم يأخذني نوم ، فتنهضتُ وأمرتُ ببنّلة لي فأسرجتُ وأحضرتُ ، فركبتها .

فلما خرجتُ استقبلني وكيل لي ، ومعه مال ، قلت : ما هذا ؟ قال : ألقا درهم جبيتهما من مُستغلك الجديد . قلت : أمسكها معك واتبعني .

فدخلتُ رأس البغلة حتى عبرت الجسر ، ثم سرتُ حتى انتهيت إلى الصحراء ، ثم رجعتُ إلى باب الأنبار ، فأنهيتُ إلى باب دار لطيف ، عليه شجرة ، وعلى الباب خادم ، فوقفت وقد عطشتُ ؛ فقلت للخادم : عندك ملاء تَسْقِينِيهِ ؟ قال : نعم ، وقام ، فأخرج قلة نظيفة طيبة الرائحة ، عليها منديل ، فناولني فشربتُ ، وحضر وقتُ المصير فدخلتُ مسجداً ، فصلّيتُ فيه .

فلما قضيتُ صلاتي إذا أنا بأعشى الطريق ، قلت : ما تريد يا هذا ؟ قال : إياك أريد ؛ قلت : وما حاجتك ، فجاء حتى قعد إلى وقال : شممت منك رائحة طيبة ، فظننتُ أنك من أهل النعم ، فأردتُ أن ألقى إليك شيئاً . قلت : قل . قال : ترى باب هذا القصر ؟ قلت : نعم ، قال : هذا قصرُ كان لأبي فباعه ، وخرج إلى خراسان وخرجتُ معه ، فزالت عنه النعم التي كنا فيها ، وعميتُ ،

* المقد الفريد للملك الحميد : ١٢٣ .

(١) هو محمد بن عبد الله ، تولى بعد وفاة أبيه سنة ١٥٨ هـ ، وكان محمود البيرة محباً إلى الرعية جواداً ، توفى سنة ١٦٩ هـ .

قدمت هذه المدينة ؟ فأنيتُ صاحبَ هذه الفار لأسأله شيئاً يصلي به وأتوصل به إلى سوار ؛ فإنه كان صديقاً لأبي . قلت : ومن أبوك ؟ قال : فلان ابن فلان .

قال : فإذا هو كان أصدق الناس لي ، قلت له : يا هذا ؛ فإن الله تعالى قد أتاك بسوار ؛ ومنه النوم ، والطعام والقرار حتى جاء به فأقصده بين يديك . ثم دعوت الوكيل ، فأخذت الفرام منه ، فدفعتها إليه ؛ وقلت له : إذا كان غداً فصر إلى منزلي ؛ ثم مضيتُ قلت : ما أحدثُ أمير المؤمنين للهدى بشيء أعزف من هذا .

فأنيتُ فاستأذنتُ عليه فأذن لي ، فلما دخلتُ عليه حدثته ، فأعجبته ، ثم أمرني بالني دينار ، وقال : ادفعها إلى الأعشى . فنهضتُ ، هال : اجلس ، أعليك دين ؟ قلت : نعم ، قال : كم دينك ؟ قلت : خمسون ألف درهم ! فأمسك ، وجعل يحادثني ساعة ، وقال : امض إلى منزلك . وإذا بخادم معه خمسون ألفاً ، وقال : يقول لك أمير المؤمنين : اقض بها دينك ؛ فقبضتُ ذلك منه .

فلما كان من الغد أبطأ على الأعشى ، وأتاني رسول للهدى يدعوني ، فجيئته ، فقال : فكرتُ البارحة في أمرك ، فقلت : يقضى دينه ، ثم يحتاج إلى القرض أيضاً ، فأمرت لك بخمسين ألف درهم أخرى . فقبضتها ، ثم انصرفت .

فجاءني الأعشى ، فدفعني إليه الألفين ، وقلت له : قدرزق الله تعالى بكرمه . بإسداء اللروف إليك . بأضعاف ذلك ، ثم أعطيته شيئاً آخر من مالي ، وجهرته وانصرف .

١١٨ — المِرْق دَسَامِس*

قال عثمان بن سليمان :

خرجتُ في نَفَرٍ من هُدَيْلٍ من أهل البصرة ، تريد باديةً في أمرٍ طَرَقَهُمْ ، وكان مسيرُنا ثلاثًا ، فنزلنا في الليلة الأولى على حَيٍّ من بني مازن ، فقصدنا بيتًا رَحْبًا فإذا ببابه رجلٌ وامرأةٌ ، وهما صاحبا البيت ، فسلمنا فردَّت المرأةُ السلام ، وحيَّت ، وأظهرتِ بَشْرًا وبشاشةً ، وأعرض الرجل وأظهر تَبَرُّمًا وتضجُّرًا .

فقلتُ لئلا المرأةُ : انزلوا بالرحب والسَّعة ، فقال الرجل : ما عندنا موضعٌ لنزولكم ، فقلتُ للمرأة : سبحان الله ! تقولُ هذا لِضَيْفَانٍ^(١) قد حلُّوا بنا ، ووجب حقُّهم علينا ؟ انزلوا بآرك الله فيكم ؛ فظهر منا اقْباضٌ ونفور لما سمعنا من بَعلِها ، فقلتُ : لا يُحْسِنُكُمْ^(٢) ما سمعتمُ منه ، فإن له فيما أبداه من ذلك عذراً .

وأمرتُ أتباعها فأحْدقوا بنا وأنزلونا ، وانطلق بَعلُها كالْحَا^(٣) وجهه كالمنضب ؛ فكثير منه تعجُّبنا ، إذ لا نعرفُ ذلك من أخلاق العرب !

وبنَّنا ليلتنا خير مبيت ، ما تركتُ المرأةُ كرامةً إلا أكرمتنا بها .

وأصبحنا فأخذنا الطريق حتى أمسينا في حَيٍّ آخر ، فقصدنا بيتًا ضخمًا ، فإذا ببابه رجلٌ وامرأةٌ ؛ وهما صاحبا البيت ، فسلمنا فردَّ الرجلُ السلام ، وحيَّا وأظهر بشاشةً وبَشْرًا . وأعرضتُ للمرأة ، وأظهرتِ تَبَرُّمًا بنا وكرامةً لمكاننا .

(*) نلتقي من أخبار الأصمعي : ٢٨

(١) حم ضيف . (٢) أحسنه : أخجله وأغضبه . (٣) كالخ : عابس .

قَالَ لَنَا الرَّجُلُ : انْزِلُوا بِالرُّحْبِ وَالسَّعَةِ . قَالَتِ الرَّأَةُ : وَكَيْفَ تُنْزِلُهُمْ
وَمَا عِنْدَنَا مَا يُصْلِحُهُمْ ؟ قَالَ الرَّجُلُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! تَقُولِينَ هَذَا لَضَيْفَانٍ قَدْ حَلُّوا بَنَانًا ؛
وَوَجِبَ حَقُّهُمْ عَلَيْنَا ! انْزِلُوا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ ، فَإِنَّ عِنْدَنَا الْقَى يُصْلِحُكُمْ !
فَظَهَرَ مِنَّا انْقِبَاضٌ شَدِيدٌ لَمَّا سَمِعْنَا مِنْ زَوْجَتِهِ ، قَالَ : لَا يُحْشِمَنَّكُمْ مَا تَسْمَعُنَّ
مِنْ هَذِهِ الرَّأَةِ ؛ فَإِنَّ لَهَا فِيهَا أَبَدٌ تَمْنَى ذَلِكَ عِذْرًا . وَأَمَرَ أَتْبَاعَهُ فَأَحْدَقُوا بَنَانًا وَأَنْزَلُونَا ،
وَدَخَلَتِ الرَّأَةُ الْبَيْتَ مُغْضَبَةً ، فَأَطْلَنَّا لِلنَّجَاحَةِ فِيمَا يَبْنِيَانَا ، فَجَبُّ مِنَ الْأَوَّلِ وَزَوْجَتِهِ ،
وَمِنْ هَذَا زَوْجَتِهِ وَقَوْلُ : مَا فِي جَمِيعِ الْعَرَبِ كَذَلِكَ الْبَيْتِ ، وَلَا كَذَلِكَ الْبَيْتِ !
وَلَوْ لَمْ تُفِدْ فِي وَجْهِهَا هَذَا إِلَّا مَا شَاهَدْنَا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ لَكَانَ ذَلِكَ فَائِدَةً تَوْثَرُ
وَتُذَكَّرُ . وَصَاحِبُ الْبَيْتِ يَتَأَمَّلُنَا وَيُصْنِي إِلَيْنَا .

ثُمَّ أُفِيلَ عَلَيْنَا ، قَالَ : مِنْ أَيْنَ خَرَجْتُمْ ؟ قُلْنَا : مِنَ الْبَصْرَةِ . قَالَ : وَمَتَى
فَارَقْتُمُوهَا ؟ قُلْنَا : غَدَاةَ أَمْسٍ . قَالَ : فِيمَنْ بَيْتِ الْبَارِحَةِ ؟ قُلْنَا : بَيْتِ فُلَانٍ . قَالَ :
وَفِي مَنْزِلِ مَنْ ؟ قُلْنَا : فِي مَنْزِلِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ فُلَانٌ . قَالَ : فَإِنَّ رَأْيَكُمْ تَتَعَدَّدُونَ
بَيْنَكُمْ حَدِيثًا تَكْثُرُونَ مِنْهُ التَّعَجُّبُ ، فَمَا ذَاكَ ؟

قُلْنَا : إِذَنْ وَاللَّهِ نَحْبِرُكَ ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْأَمْرِ كَذَا وَكَانَ كَذَا ، قَالَ :
قَدْ ظَنَنْتُ ذَاكَ ، أَفَلَا أَخْبَرْتُمْ بِمَا هُوَ أَعْجَبُ مِمَّا تَعْجَبُونَ مِنْهُ ؟ قُلْنَا : بَلَى ! قَالَ :
اعْلَمُوا - حَيَّاكُمْ اللَّهُ - أَنَّ تِلْكَ الرَّأَةَ الَّتِي بَيْتُ بَيْتِهَا أُخْتِي لِأَبِي وَأُمِّي ، وَأَنَّ ذَلِكَ
الرَّجُلَ أَخُو زَوْجَتِي هَذِهِ لِأَيِّهَا وَأُمُّهَا ، وَالَّذِي رَأَيْتُمْ مِنْ جَمَاعَتِنَا خُلُقٌ جَبِلْنَا عَلَيْهِ ،
لَا نَكَلِّفُ فِيهِ !

قُلْنَا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَكَ عَلَى اخْلَاقِ الْكِرَامَاءِ مِنَ الرِّجَالِ .

١١٩ — إِنَّ بَعْدَ الْعَصْرِ يَسْرًا*

قال إسحاق بن إبراهيم اللوصلي :

لما دخل الرشيد^(١) البصرة حاجاً كنتُ معه ، فقال لي جعفر^(٢) بن يحيى يوماً : يا أبا محمد ، وصفتُ لي جاريةً مغنّيةً حسناء تُبَاع ، وذكروا أن مولاهما ممتنع عن عرضها إلا في داره ، وقد عزمْتُ أن أركب متخفياً فأراها ، أقتساعدني؟ قلت : السمع والطاعة .

فلما كان في نصف النهار حضر النخاس^(٣) فأعلم بحضوره ، فخرج جعفر بهامة وطيّلسان ونمل عربية ، وأمرني فلبستُ مثله ، وركبنا حمارين قد أُسرجا لنا بسروج التجار ، وركب النخاس معنا ، وتخللنا الطريق ، حتى أتينا داراً ذات باب يدلُّ على نعمة قديمة .

فقرع النخاسُ الباب ، وإذا شابلاً حسنُ الوجه عليه آثارُ ضَرْبٍ بادر ، وعليه قبض ، ففتح وقال : انزلوا بإسادة . فدخلنا ، وإذا بهليلز^(٤) ، ودار قوراء^(٥) خربة ، فأخرج لنا الرجلُ قطعةً من حصير كبير خلّق ، قرشها لنا ، فجلسنا عليها ، وقال له النخاس : أحضر لنا الجارية ؟ فقد حضر للشترى .

(*) الفرج بعد الشدة : ٧ - ١٧٣ .

(١) انظر صفحة ١١٠ (٢) كان جعفر من علو القدر ، وقاد الأمر وبهد المنة وعظم المحل وجلال المنزلة عند هارون الرشيد بحال انفراد بها ، وكان سمح الأخلاق طلق الوجه ظاهر البشر ، جواداً سخياً معطاءً ، فصيحاً لنا بلغة ، قتله الرشيد في خير مشهور سنة ١٨٧ هـ . (٣) النخاس : يباع الرقيق والدواب . (٤) الدهليز : ما بين الباب والدار . (٥) القوراء : الوسمة .

فدخل البيت ، وإذا بجارية قد خرجت في القميص الغليظ الذي كان على القتي
بمينه ؛ وهي فيه مع خشوته كأنها في الحلي والحلل لحسن وجهها ، وفي يدها عود ،
فأمرها جعفر بالفناء ، فحسته ، وضربت ضرباً حسناً ، واندفقت تفتى غناء جيلاً .
ثم غلبها البكاء حتى منعها الفناء ؛ وسمعا من البيت نجيب القتي ؛ وقامت الجارية
تعتز في قميصها حتى دخلت البيت ، فارفعت لها ضجة بالبكاء والشهيق ؛
ثم خفتا حتى ظننا أنهما قد ماتا ؛ وهمننا بالانصراف ، فإذا بالقتي قد خرج .
وعليه ذلك القميص بيمينه ؛ فقال : أيها القوم ، اعذروني فيما أفعله وأقوله .
فقال له جعفر : قل ؛ فقال : أشهد الله وأشهدكم أن هذه الجارية حرة لوجه الله تعالى ،
وأسألكم أن تزوجوني بها .

فتعجب جعفر أسفاً على الجارية ، ثم خاطبها ، فقال : أترغبين أن أزوجهك
من مولاك ؟ قالت : نعم فزوجها به .

وأقبل جعفر على القتي فقال : يا هذا ، ما حاكك على ما فعلت ؟ فقال : أنا فلان
ابن فلان ، وكان أبي من وجوه هذا البلد ومياسيره ، وهذا يعرف ذلك وأشار
إلى النخاس - وأنه أسلفني إلى المكتب^(١) . وكانت لأمي صبية وسنها قريب
من سني - وهي جاريتي هذه - وكانت معي في المكتب تتعلم ما أعلم ، وتنصرف
معي ، فكبرت ؛ ثم علمت الفناء ؛ فكنت أتلقه منها .

ثم خطبني وجوه أهل البصرة لبتائهم ؛ فخيرني أبي ، فأظهرت له الرهدة في
الزواج ، ونشأت متوفراً على الأدب ، متقلباً في نعمة أبي ، غير متعرض لما يتعرض
له الأحداث ، ورغبة أهل البلد تزدادني ، وعندما أن عفتي لصالح . وما كانت

(١) المكتب : موضع التعليم .

إلا لأتسى بالجارية ؛ وأن رَغْبتي لا تَتَمَدُّها . وبلغت الجارية في الفناء ما قد سمعتموه ، فزمت أُمي على بَيْعها ، وهي لا تَعْلَمُ ما في نفسِ منها ، فأحسَّتْ بالموت ، واضطرتت إلى أن صَدَقْتُ أُمي بما في نفسى ، فحدَّثْتُ أُمي ؛ فأجمع رأيهما على أن وهباً الجارية لى ، وجَهَزَها كما يَجْهزُ أهلُ البيوتاتِ^(١) بناتهن ، وجَلَّيتُ علىَّ وعُمل لى العرس الحسن . فَنَعِمْتُ معها دَهْرًا ، ثم مات أُمي فلم أحسن أن أُرَبِّ^(٢) نعتي ، فأَسَأْتُ تَدْيِيرَها ، وأسَرَعْتُ في الأكل والشرب وغيرهما من اللذات ، إلى أن تَلَقْتُ النعمة ، وأَفْضَتُ الحلال إلى ما تَرَوْنَ ، فأنا على هذا منذ سنين !

فما كان هذا الوقت بَلَغنى دخول الخليفة ووزيره وأكثَرُ أهلِ مملكتي بالبصرة ، قَتَلَتْها : يا أختي ، إن شباك بَيْلى ، وعَمَرَك في الدنيا يَنْقُضى ، ووالله ما في نفسى رَغْبَةٌ في بَيْعك ؛ فإني أَعْلَمُ أني نالْتُ مَتى فارقتك ، ولكنى أَوَثِرْتُ لِنَفْسِي مع وصولك إلى نعمة ورفاهية ، فدعيتنى أَعْرِضُكَ ، فلملَّهُ بِشَرِّكَ بِمَضْ هَوْلًا اللَّيَاسِرِ^(٣) ، فَهَكُونى مَعَهُ في رَغْدٍ من المَيْشِ ، فَإِنْ مَتَّ بَعْدَكَ فَتلكَ أَمْنِيَّتِي ؛ ويكون كلُّ واحدٍ مِنَّا مُتَخَلِّصًا من الشَّقاء ، وإن حَكَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ علىَّ بالبقاء صَبَرْتُ لِفَضْلِ اللهِ ، واضطربت في مَعَاشِي بِشَمْنِكَ .

فبَكَت من ذلك وقلَّتْ ثم قالت : أَفْضَلُ ، فخرَجْتُ إلى هذا النخلِ وأُطْلَعْتُ على أُمري ، وقد كان يَسْمَعُ غِناءَها في أيامِ نَمَتِي ، وعرف حالها وحالى ، وأَعْلَمْتُه أَني لا أَعْرِضُها أَبَدًا إِلَّا عِنْدِي ، فَإِنَّها وَالله ما تَلَقَّتْ عَتَبَةَ هذه الدارِ قط ،

(١) البيوتات : جمع بيوت ، وهو جمع بيت . (٢) أزيد ما وأملعها .

(٣) لياسير : جمع موسر وهو النقي .

وأردت بذلك أن يراها للشترى وحده ، ولا تتمنّ بسوق ولا دخول إلى بيوت الناس ؛ وإنه لم يكن لها ما تلبسه إلا قميص هذا ، وهو مُشترى بيننا ، ألبسه إذا خرجت لابتياح القوت ، وتتشجى بإزارها ، فإذا جئت إلى البيت ألبسها إياه وانتحيتُ أنا بالإزار .

فلما جئنا خرجت فننّت ، لحقني من البكاء والقلق أمرٌ عظيم ، ودخلت إلى وقالت لي : يا هذا ، ما أعجب أمرك ! أنت ملّيتني وآثرت فراق ، وتبكي هذا البكاء على . قلت : يا هذه ، والله لِفراقُ نفسي أسهلُّ عليّ من فراقك ، وإنما أردتُ أن تتخلصي من هذا الشقاء . فقالت : والله يا مولاي ، لو تملكْتُ منك ما تملكته مني ما بعتك أبداً ، وأموتُ جوعاً ، فيكونُ للوت هو الذي يفرّق بيننا .

قلت : لا عليك ! أتريدن أن تعلمي صديق قولي ؟ قالت : نعم ، قلت : هل لك أن أخرج الساعة إلى المشتري ، فأعتقك بين يديه وأتزوجك ، ثم أصيرُ ملكاً على ما نحن عليه إلى أن يأتي الله بفرَجٍ أو موت وراحة ؟ قالت : إن كنت صادقاً فافضل هذا ، فما أريدُ غيرك . فخرجتُ إليكم ، وكان مني ما علمتُ ، فاعذروني .

قال إسحاق : فقال جعفر : أنت معذور ونهض ، فنهضتُ معه والنخاس ، فلما قدّمت الحجير لنزكٍ دنوتُ منه فقالت : يا سبحان الله ، مثلك في جودك ترى هذه الفاقة ، ولا تنتهرُ الفرصة فيها ! والله لقد تقطع قلبي على القتي . قال : ويحك ! وقابلي والله ، ولكن غيظي من فوبِ الجارية منفي من التكرّم عليه . قلت : فأين الرغبة في الثواب ؟ فقال : صدقت والله !

ثم التفت إلى النخاس فقال له : كم كان الخادم سلم إليك عند ركوبنا لثمنها ؟ قال :
ثلاثة آلاف دينار ، قال : فأين هي ؟ قال : مع غلامي ، فقال لي والنخاس : خذها
وادفعها إلى الفتى ، وقولا له : يكتسى ويركب ويحيى لأحسن إليه وأستخدمه .
فرجعت إلى الفتى وأنا أبكي ، قلت له : قد عجل الله : رجل لك بالفرج ؛
إن الذي خرج من عنده هو الأمير جعفر بن يحيى البرمكي ، وقد أمر لك بهذا ،
وهو يقول لك : كذا وكذا ... فصعق حتى قلت : قد تلف ، ثم أفاق فأقبل يدعو
ويشكرني : فركبت فلتحت بجعفر ، فأخبرته ، فحمد الله عز وجل على ما وقعه له ،
وعاد إلى داره وأنا معه .

فلما كان العشاء جئنا إلى الرشيد ، فأخذ يسأل جعفرًا عن حاله في يومه ، وهو
يخبره بالأمور السلطانية ، ثم قص عليه حديث الفتى والجارية ، فقال له الرشيد :
فما علمت ؟ فأخبره ، فاستصاب^(١) رأيه ، وقال : وقع له برزق ساطع في رسم أرباب
النعم ، في كل شهر كذا وكذا ، واعمل بعد ذلك ما شئت .

فلما كان من الغد جاءني الفتى راكبًا بثياب حسنة ، وهيئة جميلة ، فإذا هو أحلى
الناس كلامًا ، وأتمهم أدبًا ؛ فحملته معي إلى جعفر ، وأوصاته إلى مجلسه ، فأمر بتسهيل
وصوله إليه وخلطه بمحاشيته ، ووقع له عن الخليفة بما كان رسمه له ، وعن نفسه بشيء
آخر .

وشاع حديثه بالبصرة وفي أهل العسكر ، فلم يبق فيهما متظرف إلا أهدى إليه
شيئًا جليلًا ، فما خرجنا من البصرة إلا وهو ربُّ نعمة صالحة .

(١) استصابه : استصوبه .

١٢٠ — لا أسأل سواك ولو سفتُ التراب*

ركب محمد بن إبراهيم الإمام دَبْنٌ ، فركب إلى الفضل^(١) بن يحيى ، ومعه حَقَّة^(٢) فيها جوهر ؛ فقال له : قصرت بنا غلاتنا ، وأغفل أمرنا خليفتنا ، وتزايدت مئونتنا ، ولزمتنا دَبْنٌ احتجنا لأدائه إلى ألف درهم ؛ فكرهتُ بذلَّ وجهي للتجار وإذالة^(٣) عِرْضِي بينهم ، ولك من يتليك منهم ، ومعى رهن ثقة بذلك ، فإن رأيت أن تأمر بعضهم بقبضه ، وتخل للال إلينا .

فدعا الفضلُ بالحَقَّةِ ، فرأى ما فيها ، وختمها بخاتم محمد بن إبراهيم ، ثم قال له : تُجِجُ الحاجة أن تقيم عندنا اليوم . فقال له : إن في المقام على مشقة ؛ فقال : ما يشقُّ عليك من ذلك ؟ إن رأيت أن تلبس شيئاً من ثيابنا دعوتُ به ، وإلا أمرت بإحضار ثياب من منزلك . فأقام ، ونهض الفضل ، ودعا بوجكيله ، وأمره أن يحمل المال ويسلّه إلى خادم محمد بن إبراهيم ، ويسلّه الحَقَّةَ بما فيها من الجواهر بخاتمة ، ويأخذ خطّه بذلك . فقبل الوكيل ؛ وأقام محمد عنده إلى المغرب ، وليس عنده شيء من الخبز .

ثم انصرف إلى منزله ، فرأى المال ، وأحضر له الخادم الحَقَّةَ ؛ فذا على الفضل ليشكره ؛ فوجده قد سبقه بالركوب إلى دار الرشيد ؛ فوقف منتظراً ، فقيل له : قد خرج من الباب الآخر قاصداً منزله . فانصرف عنه .

* الوزراء والكتاب : ١٩٦ .

(١) هو الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك ، وكان من أكثر البرامكة كرمًا وجوداً ، وله في ذلك الأخبار السائرة ، ولله الرشيد الوزارة قبل أخيه جعفر ، ثم قلها منه إلى جعفر ، ولله بعل في خراسان . ومات بعد نكبة البرامكة في السجن سنة ١٩٢ هـ . (٢) الحقة : وعاء من خشب . (٣) ذال الشيء : هان .

ولما وصل إلى منزله وجد أن الفضل قد وجه إليه ألف ألف درهم آخر ،
فغدا عليه وشكره وأطال ؛ فأعلمه أنه بات ليلة وقد طالت عليه غما بما شكاه ،
إلى أن تلقى الرشيد ، فأعلمه حاله ؛ فأمره بالتقدير له ، ولم يزل يُماكِسه^(١) إلى أن قرر
الأمر له على ألف ألف درهم ، وأنه ذكر أنه لم يصلك بمثلها قط ، ولا زادك
على عشرين ألف درهم ؛ فشكرته وسأله أن يكتب بها صكاً^(٢) بخطه ، ويصلني
الرسول .

قال له محمد : صدق أمير المؤمنين ، إنه لم يصلني قط بأكثر من عشرين
ألفاً ، وهذا إنما تنهياً بك ولك وعلى يدك ، وما أقدر على شيء أقضى به
حقك ، ولا على شكر أجازي به معروفك ، غير أنه « على وعلى » ؛ وحلف أيماناً
موكدة - إن وقتت على باب أحد سواك ، ولا سألته حاجة أبداً ، ولو سفت
التراب !

فكان لا يركب إلى غير الفضل إلى أن حدث من أمر البرامكة ما حدث ،
فكان لا يركب إلى غير دار الخليفة ، ويمود إلى منزله ، فموت بعد تنقي
أيامهم في ترك إنيان الفضل بن الربيع ، قال : والله لو عرت ألف عام ، ثم
مَصَصْتُ الثَّماذ^(٣) ، ما وقتت بباب أحد بعد الفضل بن يحيى ، ولا سألته حاجة
حتى ألقى الله عز وجل !
ولم يزل على ذلك حتى مات .

— — —

(١) تماك في البيع : تناسا . (٢) الصك : الكتاب . (٣) الثماذ : الماء الغليل .

١٢١ — تِية كرم

قيل للفضل بن يحيى البرمكي : ما أحسنَ كرمك لولا تِيةُ فيك ، فقال :
تعلتُ الكرمَ والتَّيَّةَ من عُمارَةِ بنِ حمزة ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : كان
أبى عاملاً على بعضِ كُور^(١) بلادِ فارس ، فأنكسرتُ عليه جُمْلَةُ مستكثرة ،
فَحِيلَ إلى بُنداد ، وطولَبَ بالمال ؛ فدفعَ جميعَ ما يملكه ، وبقيت عليه ثلاثة آلاف
ألف درهم لا يعرفُ لها وجهاً ، والطلبُ عليه حثيث ، فبقيَ حائراً في أمره .

وكانت بينه وبين عُمارَةِ بنِ حمزة متافرةً ومواحشة ؛ لكنه علم أنه ما يقدر
على مساعدته إلا هو ، قال لي يوماً وأنا صبيّ : امضُ إلى عُمارَةِ وسَلِّمَ عليه عني ،
وعرفه الضرورة التي قد صرنا إليها ، واطلب منه هذا المبلغ على سبيل القرض ،
إلى أن يسهلَ الله تعالى باليسر . فقلت له : أنت تعلم ما بينكما ، فكيف أمضي
إلى عدوك بهذه الرسالة وأنا أعلم أنه لو قدرَ على إنلافك لأتلفك ؟ قال : لا بدَّ
أن تمضيَ إليه ، لعلَّ الله يسخره ويوقع في قلبه الرحمة .

قال الفضل : فلم تمكُنْ مُعاوَدته ، وخرجتُ وأنا أقدمُ رجلاً وأؤخرُ أخرى ،
حتى أتيتُ داره ، واستأذنتُ في الدخول عليه ؛ فأذن لي ، فلما دخلتُ وجدته في
صدْرِ إيوانه^(٢) ، متسكناً على مفارشٍ وثيرة ، وقد غلغ شعر رأسه ولحيته بالمشك ،
وَوَجَّهه إلى الجناط . وكان من شدة تيبه لا يقعدُ إلا كذلك . فوقفت أسفل

(*) وفيات الأعيان : ٢ - ٤٩٠ .

(١) الكورة : المدينة ، جميعاً كور .

(٢) الإيوان : الصفة .

الإيوان ، وسلمت عليه ، فلم يردّ السلام ، فسلمت عليه عن أبي ، وقصصت عليه القصة ، فسكت ساعة ثم قال : حتى ننظر .

فخرجت من عنده نادماً على ثقل خطيإ إليه ، وموقناً بالحرمان ، عاتباً على أبي أن كلّفني إذلال نفسي بما لا فائدة فيه ، وعزمت على ألا أعود إليه غيظاً منه .

فنبئت عنه ساعة ، ثم جئته وقد سكن ما عندي . فلما وصلت إلى الباب وجدت يئالاً محمّلة ؛ قلت : ما هذه ؟ قيل : إن عمارة قد سِير للمال ؛ فدخلت على أبي ، ولم أخبره بشيء مما جرى لي معه كي لا أكدر إحسانه عليه .

فكثنا قليلاً ، وعاد أبي إلى الولاية ، وحصلت له أموال كثيرة ؛ فدفع إلى ذلك المبلغ ، وقال : احمله إليه . فجئت به ؛ ودخلت عليه فوجدته على الهيئة الأولى ؛ فسلمت عليه فلم يردّ ، فسلمت عليه عن أبي وشكرت إحسانه ، وعرفته بوصول المال ؛ فقال لي بمجرد^(١) : ويحك ، أفسطاراً^(٢) كنت لأبيك ؟ أخرج عني ، لا بارك الله فيك ؛ وهو لك . فخرجت ورددت المال إلى أبي ، وعجبنا من حاله .

(١) المجرد : النضب . (٢) الفطار : الصيرى .

١٢٢ — لكل جديد لذة*

قال مُخَارِق :

غدوتُ يوماً على إبراهيم بن ميمون الموصلي ، وكان يومَ دَجْنٍ ^(١) طَيِّب ،
فأصبتُ بين يديه قُدُوراً تُنَزِّغُ ^(٢) ، وأباريقَ تَزْهَرُ ^(٣) وهو كالمهموم ، فسألته
عن حاله ؛ فقال : لى ضَيْعَةٌ ، وإلى جانبها ضَيْعَةٌ يبلغُ ثمنُها مائتي ألفِ درهم ، وإن
دخلتها يدُ غيْرِي أَفْسَدْتُ على ضَيْعَتِي ؛ وما أقولُ إنَّ ثمنها ليس يسكنني ، ولكن
لستُ أُمِيعُ بِإِخْرَاجِ كُلِّ مَالِي يَدِي .

قال : فأمسكتُ عنه واستتممتُ يومِي عنده ، وغدوتُ على يحيى بن خالد ،
فلقيته ، فسألني عن خَبْرِي في أَمْسٍ ، فخبرته الخبر فأضحكه .

فانصرفتُ إلى إبراهيم لأعْرِفَهُ الخبر ، فوجدتُ المال قد سبق إليه ، فقلت له :
اشترِ الآنَ الضَيْعَةَ ؛ فقال : لكل جديد لذة ، وهذا مالٌ جديد ، ولست أحبُّ
إِخْرَاجَهُ .

قال : فحدثُ جعفرًا بالخبر كله فأضحكه ، وبثتُ بالمال إليه . فصرْتُ إليه ،
فقلت له : اشترِ الضَيْعَةَ الآنَ فقال : العَجَلَةُ من عملِ الشيطان ، دعني أَسْتَمْتِعَ
بهذا المالَ مدَّةً .

وصرتُ إلى الفضل بن يحيى ، فحدثته ، فابتاع الضَيْعَةَ ، ووزنَ ثمنها ، ووجهَ إليه
بمثلِ الثمن ، ووجهَ إليه بالصَّكِّ .

(*) الوزراء والكتاب : ٢١٤ .

(١) الدجن : إلباس النيم الأرض ، وإسطار السماء ، والمطار الكثير . (٢) تفرغ : تصوت
القدر إذا غلت . (٣) زهر السراج والقمر والوجه : تلالاً .

١٢٢ — جُودُ الْإِبْرَاهِمَ*

قال مُخَارِق :

أَذِنَ لَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ أَنْ نُقِيمَ فِي مَنَازِلِنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَأَعْلَنَا أَنَّهُ مُسْتَقْبَلٌ فِيهَا ؛ فَضَى الْجُلَسَاءُ أَجْمَعُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، وَأَصْبَحَتِ السَّمَاءُ مُتَنِيْمَةً نَطِشُ^(١) طُشًا خَفِيفًا ، قُلْتُ : وَاللَّهِ لِأَذْهَبَنَّ إِلَى أَسْتَاذِي إِبْرَاهِيمَ^(٢) فَأَعْرِفَ خَبْرَهُ ثُمَّ أَعُودُ .

فَأَمَرْتُ مَنْ عِنْدِي أَنْ يَسُودُوا يَجْلِسًا لَنَا إِلَى وَقْتِ رَجُوعِي ؛ فَجِئْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْمُؤَصَّلِيِّ^(٣) ، فَإِذَا الْبَابُ مَفْتُوحٌ ، وَالذَّهْلِيلُ قَدْ كُنِسَ ، وَالْبُؤَابُ قَاعِدٌ ؛ قُلْتُ : مَا خَبْرُ أَسْتَاذِي ؟ قَالَ : ادْخُلْ ، فَدَخَلْتُ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي رِوَاقٍ لَهُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ قُدُورٌ تَفْرِغُ^(٤) ، وَأَبَارِيقُ تَزْهَرُ ، وَالسَّتَّارَةُ مَنْصُوبَةٌ وَالْجَوَارِي خَلْفُهَا .

فَدَخَلْتُ أَرْتَمُ بَعْضَ الْأَصْوَاتِ ، وَقُلْتُ لَهُ : مَا بَالُ السَّتَّارَةِ ، لَسْتُ أَسْمَعُ مِنْ وَرَائِهَا صَوْتًا ؟ قَالَ : اقْعُدْ ، وَنَحْنُكَ ! إِنِّي أَصْبَحْتُ عَلَى الَّذِي ظَنَنْتَ ، فَأَتَانِي خَبْرُ ضَيْعَةٍ تَجَاوَرَتْ ، قَدْ وَدَّ اللَّهُ طَلِبَتَهَا زَمَانًا وَتَمَنَّتْهَا فَلَمْ أُمْلِكْهَا ، وَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا صَاحِبُهَا مِائَةُ أَلْفِ دَرَاهِمٍ . قُلْتُ : وَمَا يَمْنُوكُ مِنْهَا ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ أَضْعَافَ هَذَا الْمَالِ وَأَكْثَرَ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، وَلَكِنْ لَسْتُ أَطِيبُ نَفْسًا أَنْ أُخْرِجَ هَذَا الْمَالُ ؛ قُلْتُ : فَمَنْ يُعْطِيكَ السَّاعَةَ مِائَةَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ ؟ وَاللَّهِ مَا أَطْمَعُ فِي ذَلِكَ مِنَ الرَّشِيدِ ، فَكَيْفَ يَمُنْ دُونَهُ ! قَالَ : اجْلِسْ ، خُذْ هَذَا الصَّوْتِ ، وَتَقَرَّ بِقَضِيبٍ مَعَهُ عَلَى الدَّوَاةِ وَأَلْقِ عَلَى :

(*) الْأَغَانِي : ٥ — ١٧٨ .

(١) النَطِشُ : الْمَطَرُ الضَّعِيفُ ، وَهُوَ فَرْقُ الرِّذَاذِ . (٢) إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمُؤَصَّلِيِّ .

(٣) تَفْرِغُ : تَصَوِّتُ لِلنَّحْلِ .

نام الخلقون من هم ومن سقم وبث من كثرة الأحران لم يتم
يا طالب الجود والمروء مجتهداً أعيد ليحي حليف الجود والكرم
قال مخارق : فأخذته فأحكته ؛ ثم قال لي : امض الساعة إلى باب الوزير يحي
ابن خالد ، فإنك تجد الناس عليه ، وتجد الباب قد فُتح ، ولم يجلس بعد ، فاستأذن
عليه قبل أن يصل إليه أحد ، فإنه سينكر عليك بحيثك ويقول : من أين أقبلت
في هذا الوقت ؟ فخذته بقصدك إياي ، وما ألقيت إليك من خبر الضيعة ، وأعلمه
أنى صنعت لك هذا الصوت وأعجبنى ، ولم أر أحداً يستحقه إلا فلانة ، جاريته ،
وأنى ألقيته عليك حتى أحكمته لطرحة عليها ؛ فسيدعوبها ، ويأمر بالسّارة أن تنصب ،
ويؤوض لها كرسي ، ويقول لك : اطرحه عليها بحضرتي ؛ فافعل ، وأتني بالخبر
بعد ذلك .

ففعل كل شيء قاله لي إبراهيم ؛ وأخضر الجارية فألقيته عليها ، ثم قال لي :
تقيم عندنا يا أبا المهنأ أو تنصرف ؟ فقلت : أنصرف أطل الله بقاءك ، فقد علمت
ما أذن لنا فيه ، قال : يا غلام ؛ اجعل مع أبى المهنأ عشرة آلاف درهم ، واجعل إلى
أبى إسحاق مائة ألف درهم فمن هذه الضيعة ؛ فحملت العشرة الآلاف إلى ، وأتيت
منزلي ، فقلت : أسرّ يوى هذا ، وأسّر من عندي ؛ ومضى الرسول إليه
بالمال .

فدخلت منزلي ، ونثرت على من عندي من الجوارى دراهم من تلك البذرة ،
وتوسدتها وأكلت وشربت وطربت وسررت يوى كله .
فلما أصبحت قلت : والله لآتين أستاذي ولأعرفن خبره ، فأتيت فوجدت
الباب كهيئته بالأمس ، ودخلت فوجدته على مثل ما كان عليه ، فترنمت وطربت ،
فلم يلق ذلك بما يجب ، فقلت له : ما الخير ؟ ألم يأتك الليل ؟ قال : بلى ،

فأكان خبرك أنت بالأمس ؟ فأخبرته بما وهب لي ، وقلت : ما ينتظر من خلف الستارة ؟ فقال : ارفع السجف^(١) ، فرفته فإذا عشر يدٍ ، قلت : وأى شيء بقي عليك في أمر الضيعة ؟ قال : ويحك ! ما هو والله إلا أن دخلت منزلي حتى شحيت عليها ، فصارت مثل ما حوت قديماً ؛ قلت : سبحان الله العظيم ! فتصنع ماذا ؟ قال : قم حتى ألقى عليك صوتاً صنعتُهُ ، يفوق ذلك الصوت . فقامت وجلست بين يديه ، فألقى عليّ :

وَيَفْرَحُ بِالْمُلُودِ مِنْ آلِ بَرَمَكٍ بُقَاةُ النَّدَى وَالسَّيْفِ وَالرَّمْعُ ذُو النَّصْلِ
وَتَنْبِطُ الْأَمَالُ فِيهِ لِفَضْلِهِ وَلَا سِيَّاءَ إِنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ الْفَضْلِ
قال مخارق : فلما ألقى عليّ الصوت سمعت ما لم أسمع مثله قط ، وصغر عندى الأول فأحكمتُهُ ؛ ثم قال : انهض الساعة إلى الفضل بن يحيى ، فإنك تجدُهُ لم يأذن لأحد بعد ؛ فاستأذِنُ عليه ، وحذثته بمحدثنا أمس ، وما كان من أبيه إلينا وإليك ، وأعلمه أني قد صنعتُ هذا الصوتَ وكان عندى أرفع من الصوت الذى صنعتُهُ بالأمس ، وأنى أليتُهُ عليك حتى أحكمتَهُ ، ووجهت بك قاصدا لتلقِيَه على فلانة جاريته .

فصيرتُ إلى باب الفضل ، فوجدتُ الأمر على ما ذكر ، فاستأذنتُ فوصلتُ ، وسألني : ما الخبر ؟ فأخبرته بخبري في اليوم للاضى ، وما وصل إليّ وإليه من المال ؛ فقال : أخزى الله إبراهيمَ فأبجّله على نفسه ! ثم دعا خادماً ، فقال : اضرب الستارة فضرِبها ، فقال لي : ألقه . فلما غنيتُهُ لم أتمه حتى أقبل بجُرٍّ مطرَقه^(٢) ، ثم قد على وسادة دون الستارة ؛ وقال : أحسن والله أستاذك ، وأحسنت أنت يا مخارق .

(١) السجف : الستار .

(٢) المطرف : الثوب فيه علان .

فلم أخرج حتى أخذته الجارية وأحكمته ؛ فسرُّ بذلك سروراً شديداً ، وقال : أقيم
عندي اليوم ، قلتُ : ياسيدي ، إنما بقيَ لنا يومٌ واحد ، ولولا أني أُحِبُّ سرورك
لم أخرج من منزلي . قال : يا غلامُ ، احمل مع أبي للهنأ عشرين ألف درهم ، واحمل
إلى إبراهيم مائتي ألف درهم .

فانصرفتُ إلى منزلي بالمال ، فقصعتُ بذرةً ، ففترت منها على الجوارى
وشربتُ وسُررتُ أنا ومنْ عندي يومنا .

فلما أصبحتُ بكرتُ إلى إبراهيم أتعرِّف خبره وأعرِّفه خبري ، فوجده على
الحال التي كان عليها أولاً وآخراً ، فدخلتُ أنزَّمُ وأصْفُقُ ، فقال لي : اذنُ ؛
قلتُ : ما بقيَ ؟ قال : اجلس وارفع سجف هذا الباب ، فإذا عشرون بذرةً مع
تلك العشر ؛ قلتُ : ما تنتظر الآن ؟ قال : ويحك ! ما هو والله إلا أن حصلتُ
حتى جرت مجرى ما تقدَّم . قلتُ : والله ما أعلن أحدًا نال في هذه الرتبة ما نلتُه ،
فلمْ تبخلْ على نفسك بشيء . تمنيتُ دهرًا ، وقد ملكك الله أضماقه .

ثم قال : اجلس فخذ هذا الصوت ، وألقِ على صوتنا أناسي والله صوتي
الأولَّين :

أف كلَّ يومٍ أنتَ صَبٌّ ولبيلةٌ إلى أمِّ بكرٍ لا تفيقُ فقَصِيرُ

أحِبُّ على المِجْرانِ أَكْنافَ يَتها فيالكَ من يَتٍ يُحِبُّ ويُهَجَرُ

إلى جعفرٍ سارتُ بنا كلُّ جَسْرَةٍ طواها سُراها نَحْوُهُ والهِجَرُ^(١)

إلى واسعٍ لِلْجُنَّتينِ فَناءُهُ تروح عطشاياه عليهم وتَبْكُرُ

قال غفارق : ثم قال لي إبراهيم : هل سمعتَ مثلَ هذا ؟ قلتُ : ما سمعتُ

(١) الجسرة : الناقة الطليعة . السرى : السير بالليل ، والتهجر : السير في الهاجرة ، أي في نصف النهار

عند اشتداد الحر .

فَصَ مَثَلُهُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَرُدُّهُ عَلَىَّ حَتَّى أَخَذْتُهُ ؛ ثُمَّ قَالَ لِي : امْضِ إِلَى جَعْفَرٍ ، فَافْضِلْ بِهِ كَمَا قُلْتَ بِأَخِيهِ وَأَيِّهِ .

قَالَ : فَضَيْتُ قَعْلَتُ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَخَبَّرْتُهُ مَا كَانَ مِنْهَا ؛ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِ الصَّوْتُ ، فَفَرَّ بِهِ ؛ وَدَعَا خَادِمًا ، فَأَمَرَهُ بِضَرْبِ السَّتَارَةِ وَأَحْضَرَ الْجَارِيَةَ ؛ وَقَعْدَ عَلَى كَرْمِي ، ثُمَّ قَالَ : هَاتِ يَا مَخَارِقُ . فَأَنْدَفَضْتُ فَأَلْقَيْتُ الصَّوْتُ عَالِيَهَا حَتَّى أَخَذْتُهُ ؛ فَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا مَخَارِقُ ، وَأَحْسَنَ أُسْتَأْذُكَ ، فَهَلْ لَكَ فِي الْقَامِ عِنْدَنَا الْيَوْمَ ؟ قُلْتُ : يَا سَيِّدِي ، هَذَا آخِرُ أَيْلَانَا ، وَإِنَّمَا جِئْتُ لِمَوْعِدِ الصَّوْتِ مِنْ حَتَّى أَلْقَيْتُهُ عَلَى الْجَارِيَةِ ، فَقَالَ يَا غُلَامُ : احْمِلْ مَعَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ وَإِلَى الْوَصْلَى ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ .

فَصَرْتُ إِلَى مَنْزِلِي بِالْمَالِ ، فَأَقْتُ وَمِنْ مَعِيَ مَسْرُورِينَ نَشْرَبُ بَقِيَّةَ يَوْمِنَا وَنَطْرَبُ ، ثُمَّ بَكَرْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَتَلَقَانِي قَائِمًا ، وَقَالَ لِي : أَحْسَنْتَ يَا مَخَارِقُ ، قُلْتَ : مَا الْخَيْرُ ؟ قَالَ : اجْلِسْ بِنَفْسَتِي ، فَقَالَ لِمَنْ خَلْفَ السَّتَارَةِ : خُذُوا فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ ؛ ثُمَّ رَفَعَ السَّجْفَ فَإِذَا لِلْمَالِ ، قُلْتُ : مَا خَيْرُ الضَّيْعَةِ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ تَحْتَ مِسْوَرَةٍ^(١) ، وَهُوَ مَتَكِّيٌّ عَلَيْهَا ، فَقَالَ : هَذَا صَكُّ الضَّيْعَةِ ، سُئِلَ عَنْ صَاحِبِهَا فَوُجِدَ بِنَفْسَادٍ ، فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ ، وَكُتِبَ إِلَيَّ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لَا تَخْشَوُ نَفْسًا بِشَرَاءِ الضَّيْعَةِ مِنْ مَالٍ يَحْصِلُ لَكَ ؛ وَلَوْ حِيزَتْ لَكَ الدُّنْيَا كُلُّهَا ، وَقَدْ ابْتِغَيْتَهَا لَكَ مِنْ مَالِي ، وَوَجَّهْتُ لَكَ بِصَكِّهَا ؛ وَهَذَا لِلْمَالِ كَمَا تَرَى .

ثُمَّ بَسَكِي ، وَقَالَ لِي : يَا مَخَارِقُ ؛ إِذَا عَاشَرْتَ ضَاحِرَةً مِثْلَ هَؤُلَاءِ ، وَإِذَا غَنَيْتَ فَتَنَ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ ، هَذِهِ سِتْمِائَةُ أَلْفٍ وَضَيْعَةُ بِمِائَةِ أَلْفٍ ، وَسِتُونَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ لَكَ حَصَلْنَا ذَلِكَ أَجْمَعُ ، وَأَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسِي لَمْ أَبْرَحْ مِنْهُ ، فَتَيَّ يَدْرُكَ مِثْلَ هَؤُلَاءِ !

(١) للسورة : الواسعة من الجلد .

١٢٤ — حسن القفو *

قال محدث :

مدح شاعرٌ أبا حاتم كاتبَ الديوان فلم يَصِلْهُ بشيء ؛ فأنشأ شعراً يقول فيه :

لَتُنْصِفَنِي يَا أبا حَاتِمٍ أَوْ لِأَصِيرَنَّ إِلَى حَاكِمٍ

فاحتفظها صاحبُ الخبر ، ورفضها إلى الرشيد ؛ فقال : صدق ، لولا أني نائمٌ ما كانت أموري تَجْرِي على هذه السبيل ١ وأمر بإخراج الجرائد من الدار إليه ، فأول ما وَجَدَ على منصور بن زيادة عشرة آلاف ألف درهم .

فحدث صالح صاحبُ الصلّى ، قال : دعاني الرشيد ، وهو على كرسيّ ، قل : اذهب الساعةً نخذ منصور بن زياد بالخروج من عشرة آلاف ألف درهم ، فإن لم يُوَدِّها إلى المغرب فاضرب عنقه ورجلي برأسه ؛ وأنا نقي^(١) من المهدي لأن أنت دافعت عنه لأضربن عنقك ، قلت : يا سيدي ، فإن أعطاني بعضها ، ووقت لي في بعضها وقتاً ؟ قال : لا .

فخرجت فأعلمته بالخبر ، فأسقط في يده ؛ وقال : ما أراد إلا قتلي ، لأنه يعلم أن مقدار مالي لا يبلغ ما به طالبني ؛ ولكن تاذن لي أن أدخل بيتي فأودع أهلي ، فأذنت له فدخل ودخلت معه ، وبقيت واقفاً ، فبحث إلى أمهات أولاده وبناته ونسائه أن اخرجن إلى كما كنن تخرجن عند موتي ، فإن هذا آخر أبيي ؛ ولا ستر لكنّ بعدى .

* المحاسن والمساوي : ٥٣ ؛ (طبع ليزج) .

(١) فلان نقي : دعي ، قد نقي .

فَخَرَجْنَ إِلَيْهِ مَشَقَّاتِ الْجُيُوبِ ، مَحْمَشَاتِ الْوُجُوهِ ، بَصْرَاخَ شَدِيدٍ ؛ فَبَكَى إِلَيْهِنَّ ، وَبَكَتْنَ إِلَيْهِ ، وَبَكَتْ مَعَهُنَّ ، ثُمَّ دَعَهُنَّ وَخَرَجَ ، وَهُنَّ فِي أَرْهَوَاضَاتِ التَّرَابِ عَلَى رَهْوَسِهِنَّ .

ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا مَقَاتِلَ ؛ لَوْ أَذِنْتَ لِي فِي الْمَصِيرِ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ ، فَكُنْتُ أَوْصِيهِ بِوَلَدِي وَأَهْلِي أَقَلْتُ : امْضِ .

وَصَرْنَا إِلَيْهِ ، وَقَدْ نَزَلَ فِي سَاعَتِهِ ، وَهُوَ عَلَى كُرْسَى يَفْسِلُ يَدَيْهِ ، فَلَمَّا تَوَسَّعْنَا الدَّارَ جَعَلَ مَنْصُورٌ يَبْكِي وَيَمْشِي إِلَيْهِ حَتَّى دَنَا مِنْهُ ، وَهُوَ يَسْأَلُهُ عَنِ الْحَالِ ، فَيَمْنَعُهُ الْبَسْكَاءَ مِنْ إِيْخْبَارِهِ ؛ فَخَصَصْتُ عَلَيْهِ قَصْعَتَهُ ، قَالَ : ارْجِعْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسَلِّهِ أَنْ يَهْبِيَهُ لِي ، قُلْتُ : مَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلَ ، وَلَا يَرَانِي إِلَّا وَاللَّهِ مَعِيَ أَوْ رَأْسَ لِلْمَنْصُورِ ، كَمَا أَمَرَنِي .

فَقَالَ لَخْلَامُ لَهُ : ائْتِ فُلَانَةً فَسَلِّهَا : كَمْ لَنَا عِنْدَهَا مِزْزُ الْمَالِ ؟ فَأَنْصَرَفَ وَرَجَعَ فَذَكَرَ أَنَّ عِنْدَهَا خَمْسَةَ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، قَالَ لِي : احْمِلْهَا . رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَسَالَتِي فِي بَاقِيهَا . فَأَعْلَفْتُهُ أَنْ لَا سَبِيلَ لِي إِلَى سَحْلِ بَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ ، فَأَطْرَقَ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ قَالَ يَا غَلَامَ : ائْتِ دَنَانِيرَ قَتْلِ لَهَا : تَبِعْتُ إِلَى بِالْجَوْهَرِ الَّذِي وَهَبَهُ لَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَبِمَتَّتِهِ إِلَيْهِ بِحَقَّةٍ ^(١) ، قَالَ : هَذَا جَوْهَرٌ ابْتِغَاءً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَائَتِي أَلْفِ دِينَارٍ ، وَهُوَ عَارِفٌ بِهِ ، وَقَدْ جَسَلْتُهُ لَهُ بِمَائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ . فَأَحْلَهُ إِلَيْهِ وَالرَّسَالَةَ ، فَأَيَّتُ .

فَوَجَّهَ إِلَى الْفَضْلِ ابْنِهِ : إِنَّكَ كُنْتَ أَعْلَفْتَ أَنَّكَ عَلَى ابْتِيَاعِ ضَيْعَةِ نَفْسِي ، وَقَدْ أَصْبَحْتُهَا ، وَلَا يَوْجَدُ مِثْلُهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ ، ابْتِيَاغُهَا فَرَصَةً ، فَأَحْلِ إِلَى مَالِهَا ، فَضَادَ الرِّسُولِ وَمَعَهُ أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ !

(١) وَهَاءٌ مِنَ الْمُحْتَبِ أَوْ نَاجٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مَا يَصْلَحُ أَنْ يَنْتَحِ مِنْهُ .

ووجه إلى جعفر ابنه أن يوجه إليه بألف ألف درهم ، فأنفذ إليه صكا إلى
الجهيز^(١) بها .

فقبضت المال ، ووافيت الرشيد قبل المغرب ، وهو على حالته ينتظر رجوعي
إليه ، فأخبرته الخبر ، فلما انتهت إلى خبر الحقة ، قال : صدق ، وقد ظننت أنه
لا ينجلي غيرهم ، أحل هذا المال أجمع إلى أبي علي ، واردده عليه ، وأعلمه أني قد
قبلت ذلك عن منصور ، ورددته عليه ، ففعلت ذلك .

ولقيني بعد ذلك بمجي منصوراً من الدار ، ومنصورٌ معه يُسأِرُهُ ويضاحكه ،
والناس خلفه ، قلت : والله لأنصحن هذا الشيخ الكريم ، فدخلت معه ، ودخل
المنصور ودعا ببنائه ؛ فلما نهض المنصور قلت : يا أبا علي ؛ إني والله مارجعتُ إلا
لنصحتك ، وقد رأيت مكان هذا الرجل منك ؛ وكنا حين حملت المال أنهضته معي ،
فوالله ما قطع نصف الصحن من الدار حتى تمثل بهذا البيت :

فما بقياً على تركماني ولكن خفتما صرد^(٢) الثبال

فعارض أكرم فعلك بالأم خصلتي فيه ؛ فدعاني الامتصاص من ذلك إلى
إخبارك ، فإني من تعلم في مودتك وطاعتك .

فأكب على الأرض ساعة ، ثم رفع رأسه ، فقال : اعنره ؛ فقد كان عقله
عزب^(٣) عنه في ذلك الوقت .

قال : فكان عذره له أحسن من إحيائه إياه .

(١) الجهيز : القناد الحبير . (٢) صرد الرفع صرداً : قذف حده ، أي خفتما أن تصيب نبال .

(٣) عزب : همد .

١٢٥ — واعظ الرشيد*

قال الفضل بن الربيع :

حجَّ هارون الرشيد أمير المؤمنين ، فأتاني فخرجتُ مسرعاً ، قلت : يا أمير المؤمنين ؛ لو أرسلتَ إليَّ لأتيتُكَ ! فقال : ويحك ! قد حَكَ في نفسي شيء ، فانظر لي رجلاً ! قلت : ها هنا سفيان بن عيينة^(١) ، قال : امضِ بنا إليه ، فأتيناه ففرعتُ الباب ، قال : مَنْ ذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ! فخرج مسرعاً ، قال : يا أمير المؤمنين ، لو أرسلتَ إليَّ لأتيتُكَ ، فقال له : خذْ لما جئتُكَ له رَحِمَكَ اللهُ . فحادثته ساعة ، ثم قال له : عليك دينٌ ؟ فقال : نعم ، قال : يا عباسي ، اقضِ دينه .

فلما خرجنا قال لي : ما أَعْنَى صاحبُكَ عنى شيئاً . انظر لي رجلاً أسأله ، قلت : ها هنا عبد الرزاق^(٢) بن همام ! قال : امضِ بنا إليه ، فأتيناه ففرعتُ الباب فقال : مَنْ هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ، فخرج مسرعاً ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ لو أرسلتَ إليَّ لأتيتُكَ ، فقال : خذْ لما جئتُكَ له ؛ فحادثته ساعة ، ثم قال له : عليك دينٌ ؟ قال : نعم ! قال : يا عباسي ، اقضِ دينه .

فلما خرجنا قال : ما أَعْنَى صاحبُكَ عنى شيئاً ، انظر لي رجلاً أسأله ، قلت : ها هنا الفضل بن عياض^(٣) ، قال : امضِ بنا إليه ، فأتيناه ؛ فإذا هو قائم يصلي ،

(*) المختارات للقطامة العربية طبع أوروبا .

(١) سفيان بن عيينة : حافظ ثقة ، واسع العلم كبير القدر ، قال الثاقبي عنه : لو لا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، توفي سنة ١٩٨ هـ .

(٢) عبد الرزاق بن همام : من حفاظ الحديث الثقات ، توفي سنة ٣١١ هـ .

(٣) الفضيل بن عياض : من أكابر العبادة الصالحاء ، كان ثقة في الحديث وتوفى سنة ١٨٧ هـ .

ويُتلو آيةً من القرآن يردُّها ، قال : افرع الباب فصرعُ الباب ، قال : من هذا؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ، قال : مالى ولأُمير المؤمنين ! قلت : سبحان الله ! أما عليك طاعته ؟ فنزل وفتح الباب ، ثم ارتقى إلى الفرفة ، فأطلق السراج ، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت ، فدخلنا ، فجللنا نجول عليه بأيدينا ، فسبقت كفُّ هارون قبلى إليه .

قال : يا ما من كفٍّ ، ما أَلَيْبها ! إن نَجَّتْ غداً من عذاب الله عز وجل . قلت فى نفسى : ليكملنَّه الليلة بكلامٍ من قلبٍ نَقَمَ ، فقال له : خُذْ ما جِئناكَ له - رحِمَك اللهُ ! فقال له : إن عمر بن عبد العزيز لما وَلِيَ الخلافة دعا سالم بن عبد الله وعُمَد بن كعب المُرَظَى ورجاء بن حَيَّوَة ، فقال لهم : إني قد ابتليتُ بهذا البلاء ، فأشيروا علىَّ - فَعَدَّ الخلافة بلاء . وعدتْها أنت وأصحابك نعمةً .

قال له سالم بن عبد الله : إن أردتَ النجاةَ من عذاب الله فصُمِّ الدنيا . وليكن إِفطارُكَ منها لَوْت . وقال محمد بن كعب : إن أردتَ النجاةَ من عذاب الله فليكن كبير المؤمنين عندك أبا ، وأوسطُهم عندك أخاً ، وأصغرُهم عندك ولداً ؛ فوَقِّرْ أباك ، وأكْرِمْ أخاك ، وتمنَّ على ولدك .

وقال له رجاء بن حَيَّوَة : إن أردتَ النجاةَ غداً من عذاب الله عز وجل فأجِبْ للسَّليمان ما تحبُّ لنفسك واكْرَهُ لِمَ ماتَكَره لنفسك ، ثم مَتَّ إذا شئتَ . وإني أقول لك : إني أخافُ عليك أشدَّ الخوف يوم تَزِلُّ الأقدام ، فهل مَعَكَ - رحِمَك اللهُ - مثْلُ هؤلاء ، أو من يَشِيرُ عليك بمثل هذا ؟ فبكى هارون بكاءً شديداً ، حتى غَشِيَ عليه . قلت له : ارفُقْ بأُمير المؤمنين رحِمَك اللهُ .

قال : يا أمير المؤمنين ، بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكى إليه ، فكتب إليه عمر : يا أخى ؛ اذكرك طولَ سهرِ أهلِ النارِ فى النارِ مع خلود الأبد ، وإياك أن يُنصرفَ بك من عند الله فيكون آخر العهد بك ، وانقطاع الرجاء منك .

قال : طُماقرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز ؛ فقال له : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبى بكتابك ؛ لا أعودُ إلى ولاية حتى ألقى الله عز وجل . فبكى هارون بكاء شديداً ثم قال له : زدنى - رحمك الله !

قال له : يا أمير المؤمنين ؛ إن العباس عمّ النبي جاء إليه ، فقال له : يا رسول الله ؛ أثمرى على إمارة . فقال له النبي : إن الإمارة حسرةٌ وتدامة يوم القيامة ؛ فإن استطعت ألا تكون أميراً فافضل . فبكى هارون بكاء شديداً ، ثم قال : زدنى - رحمك الله !

قال : يا حسنَ الوجه ، أنت الذى يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة ؛ فإن أردت أن تبقى هذا الوجه من النار ، فإياك أن تُصْبِحَ وتُسميَ وفى قلبك غشٌّ على أحدٍ من رعيّتك ، فإن النبي قال : من أصبح لم غاشاً لم يرح^(١) رائحة الجنة . فبكى هارون ، وقال له : عليك دين ؟ قال : دينٌ لربى لم يحاسبني عليه ؟ فالويل لى إن سألنى ؛ والويل لى إن لم ألهم حُجَّتى ، قال : إنما أعنى من دين العباد ؛ قال : إن ربى عز وجل لم يأمرنى بهذا ، إنما أمرنى أن أصدق وعده وأطيع أمره ، فقال : وما خلقت الجِنَّه إلا ليعبدون ، ما أريدُ منهم من رزقٍ وما أريد أن يُطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة للتين .

(١) يهرج رائحة الجنة : أى لم يسم ربيها .

قال له : هذه ألف دينار ، خذها فانفقها على عيالك ، وقوّ بها على عبادة ربك . فقال : سبحان الله أنا أدلك على ضرب من النجاة ، وأنت تسكتني بمثل هذا ! سلك الله ووقتك ، ثم صمت فلم يكلمنا .

فخرجنا من عنده ، فلما صرنا على الباب ، قال هارون : يا عباسي ؛ إذا دلتني على رجل فدلني على مثل هذا ! هنا سيد المسلمين .

فدخلت عليه امرأة من نائه ، فقالت : يا هذا ؛ قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال ، فلو قبلت هذا المال ففترجنا به ، قال لها : مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بئر يأكلون من مائها ، فلما كبر نحره فأكوا له .

فلما سمع هارون هذا الكلام قال : ندخل فمسي أن يتبل للمال ، فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب النقرة ، فجاء هارون فجلس إلى جنبه ، فجعل يكلمه فلا يجيبه .

قال الفضل : فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء ؛ فقالت : يا هذا ، قد آذيت الشيخ منذ الليلة ؛ فانصرف رحك الله ! فانصرفا .

١٣٦ — أموى عند الرشيد*

رُفِعَ إلى هارون الرشيد أن رجلاً بدمشق من بقايا بني أمية عظيمُ المال ، كبير
الجاه ، مطاع في البلد ، له جماعة وأولاد وعماليك يركبون الخيل ، ويحملون السلاح ،
ويغزون الروم ، وأنه مُنَحَّ جواد ، وأنه لا يُؤْمَنُ منــــه ، فَعُظُمَ ذلك على
الرشيد .

فقال لخادمه منارة : اخرج الساعة وابدأ بالرجل قتيده وجثني به ، واجعله
في سَحْلٍ تَعْمَدُ أنت في سِقْمِهِ وهو في الآخر ، وَتَقَعَّدْ دَارَهُ ، واحفظ ما يقوله الرجل
حرفاً بحرف .

قال منارة : فَأَتَيْتُ بَيْتَ الرجل ، ودخلتُ بغير إذنه ؛ فلما رأى القومُ ذلك
سألوا بعضَ مَنْ مَعِيَ عَنِ ، فلما صرْتُ في صَحْنِ الدارِ نَزَلْتُ ، ودخلتُ مُجَلِّساً
رَأَيْتُ فِيهِ قوماً جُلُوساً ، فَظَلَنْتُ أَنَّ الرجلَ فِيهِمْ ، فقاموا وَرَحَّبُوا بِي ، قَالَتْ :
أَفِيكُمْ فُلَانٌ ؟ قَالُوا : نَحْنُ أَوْلَادُهُ وَهُوَ فِي الْحَمَامِ ، قَالَتْ : اسْتَعِجِلُوهُ . ففَضَى بَعْضُهُمْ
يَسْمَعُ لَهُ ، وَأَنَا أَتَقَعَّدُ الدارَ والأحوالَ والحاشية ؛ فَوَجَلَتْهَا مَا جَتْ مَوْجاً كَبِيراً .
فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى خَرَجَ الرجلُ بَعْدَ أَنْ طَالَ مَكْنَتُهُ ، وَاسْتَرَبْتُ بِهِ ، وَاشْتَدَّ خَوْفِي
وَقَلَقِي مِنْ أَنَّ يَتَوَارَى ، إِلَى أَنَّ رَأَيْتُ شَخْصاً بَزَى الْحَمَامَ يَمْشِي فِي صَحْنِ الدارِ ،
وَحَوَالِيهِ جَمَاعَةٌ كَهُولٌ وَأَحْدَاثٌ وَصَبِيَانٌ ، وَهُمْ أَوْلَادُهُ وَغُلَامَانَهُ ، فَلَمْتُ أَنَّهُ الرجلُ .
فَجَاءَ وَسَلَّمَ وَسَأَلَنِي عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاسْتَقَامَةَ أَمْرِ حَضْرَتِهِ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا وَجِبَ

وما قضى كلامه حتى جاءوا بأطباق فاكهة ، فقال : هَدِّمِ يامنارة وكلِّ معنا .
هتت مالى إلى ذلك من سبيل ، فلم يلاودنى وأكل هو ومنَّ معه ، ثم
جاءوا بمائدة حسنة ، فقال : يامنارة ؛ ساعدنا على الأكل ، فامتعتُ عنه ،
فما عاودنى .

فلما فرغ من أكله قام إلى الصلاة فصلَّى وأكثَرَ من الدعاء والابتهال ، ثم
قال لى : ما أقدمك يامنارة ؟ فأخرجتُ كتابَ أمير المؤمنين ، فدفعتهُ إليه ففضَّه
وقرأه ، ثم أمر أولاده بالانصراف ، وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين ، ولست أقيم
بعد نظرى فيه ساعة واحدة ، هاتِ قيودك يامنارة ، فدعوتُ بها وقيدته وحملته .
وسرتُ بالرجل ، وليس معه أحدٌ ، حتى صرنا بظاهر دمشق ، فابتدأ يمدننى
بانبساط حتى انتهينا إلى ستنٍ حسنٍ فى الفُرطة ، فقال لى : أترى هذا ؟ قلتُ :
نعم ، قال : إنه لى ، وفيه من غرائب الأشجار كيت وكيت ، ثم انتهى
إلى آخر ، فقال مثبَّ ذلك ، ثم انتهى إلى مزارعٍ حسانٍ وقرى ، فقال
مثل ذلك .

فاشتدَّ غيظى منه وقلتُ : أليسَ تعلمُ أن أمير المؤمنين أحمه أمرُك حتى أرسل
إليك من اتزعتك من بين أهلك ومالك وولدك ، وأخرجك فريداً متبداً لاندري
إلى ما يصيرُ إليه أمرُك ؟ ولا كيف يكون ، وأنت فارغ القلب من هذا حتى
تصفَ شيايعك وبساتينك بعد أن جئتُك ؟

فقال لى مجيباً : إنا لله وإنا إليه راجعون ! أخطأتُ فِراستى فيك . لقد ظننتُ
أنَّك رجلٌ كامل العقل ، وأنت ما حلتَ من الخلفاء هذا الحُلَّ إلا لما عرفوك
بذلك ، فإذا بكلامك يشبه كلام العوام ، والله المستعان .

أمَّا قولُك فى أمير المؤمنين وإزعاج وإخراجه إياى إلى بابهِ على صورتي هذه ،

فإني على ثقة من الله عز وجل الذي بيده ناصية أمير المؤمنين، ولا يملك أمير المؤمنين لنفسه ضماً ولا ضرراً إلا بإذن الله عز وجل ؛ ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه . وبعد ، إذا عرف أمير المؤمنين أمرى ، وعرف سلامتى ، وصلاح ناحيتى سرّحتى مكرّماً ؛ فإن الحساد والأعداء رَمَوْنى عنده بما ليس فىّ وتَوَلَّوْا عَلَى الْأَقْوَابِلِ ، فلا يستحلّ دى ؛ وسيردتى مكرّماً ، ويقيمى بيلاذه معظماً مبعجلاً ؛ وإن كان قد سبق فى علم الله عز وجل أنه يبدلُ إلىّ منه بادرةُ سوء وقد حضر أجلى ، وكان سنك دى على يده ، فإني أحسن الظنّ بالله الذى خلّق ورزق ، وأحيا وأمات ، وإن الصبر والرضا والتسليم إلى من يملك الدنيا والآخرة . وقد كنتُ أحسب أنك تعرفُ هذا فإذا عرفتُ مبلغَ قهركَ فإني لا أكلّمك بكلمة واحدة حتى يفرّق بيننا أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى .

قال منارة : ثم أعرض عنى فما سمعتُ منه لفظةً غير التسييح أو طلب ماء أو حاجة حتى شارفتنا الكوفة .

ودخلتُ على الرشيد وقبّلتُ الأرض بين يديه ، ووقفتُ ، فقال : هات ما عندك يا منارة ، فسوّتُ الحديث من أوله إلى آخره ، فلما جئتُ على آخره قال : صدّق الله ما هذا الرجل إلا محسودُ النعمة مكذوبُ عليه ، ولمرى لقد أزعجناه وأذيناها وروّعنا أهلَه ، فبادرْ بنزع قيوده واتقِ به ؛ ففعلتُ وأدخلته على الرشيد .

فما هو إلا أن رآه حتى رأيتُ ماء الحياه يَمُوجُ فى وجْهِ الرشيد ، فدنا الأُمويّ وسلم بالخلافة ووقف ؛ فردّ عليه الرشيد ردّاً جميلاً ، وأمره بالجلوس فجلس ، فأقبل عليه الرشيدُ وسأله عن حاله ، ثم قال له : بلغنا عنك فضلُ هيئة وأُمورُ أحبينا معها أن نراك ، ونسمع كلامك ونُحسِنَ إليك ؛ فاذا ذكر حاجتك ؛ فأجاب الأُمويّ

جواباً جليلاً ، وشكر ودعا . ثم قال : يا أمير المؤمنين ؛ أن تردني إلى بلدي وأهلي وولدي ، قال : نعم ذلك ، ولكن سنل ما تحتاج إليه في مصالح جاهك . ومعاشك ، فإنّ مثلك لا يخلو أن يحتاج شيئاً من هذا ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ عمالك مُنصفون ، وقد استغنيتُ بخدمهم عن مآلتي ، فأمرى مستقيمة ، وكذلك أهل بلدي بالعدل الشامل في ظلّ أمير المؤمنين .

قال الرشيد : انصرف محفوظاً إلى بلدك ، واكتب إلينا بأمر إن عرض لك ؛ فودّعه الأموي وانصرف .

قال منارة : فلما ولى خارجاً قال الرشيد : يا منارة ؛ احمله من وقتك ومير به راجعاً كما جئت به ، حتى إذا وصلت إلى مجلسه الذي أخذته منه فدّعه وانصرف .

١٢٧ - يُوَاسَى بِمَعْضَمِهِمْ بِمَعْضَا*

قال الواقدي^(١) :

كان لى صديقان : أحدهما هاشمى ، وكُنَّا كنفس واحدة ؛ فالتقى ضيقة شديدة ، وحضر العيد ، فقالت امرأتى : أَمَا نحن فى أنفسنا فنصبرُ على البؤس والشدة ، وأما صِيبَانُنَا هؤلاء فقد قَطَّمُوا قَلْبِي رَحْمَةً لِّمْ ؛ لأنهم يرون صِيبَانَ الجيران وقد تَزَيَّنُوا فى عيدهم ، وأصلحُوا ثِيَابَهُمْ ، وهم على هذه الحال من الثياب الرثة . فلو احتَلَّتْ بشئ تصرفه فى كُسُوتهم .

فكُتِبَتْ إلى صديقِ الهاشمى أسأله التَّوَسُّعَةَ على ، فوجَّهَ إلى كَيْسٍ غُتُومًا ، ذكر أن فيه ألف درهم ، فاستقرَّ قَرَارَى حتى كتب إلى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوتُ إلى صاحبي ، فوجَّهَتْ إليه الكيسَ بحاله ، وخرجتُ إلى المسجد ، فأقَّتْ فيه ليلي مُسْتَحْيِيًا من امرأتى .

فلما دخلتُ عليها استَحَسَنْتُ ما كان منى ، ولم تَمْتَنِّفْ عليه .

فبينما أنا كذلك إذ وافى صديقِ الهاشمى ومعه الكيسُ كهَيْثِهِ ، فقال لى : اصْدُقْنِي عَمَّا فُتِلَتْهُ فيما وجَّهَتْ إليك؟ فصرَّفتُهُ الخبرَ على وجهه ، فقال : إنك وجَّهْتَ إليَّ وما أملك على الأرض إلا ما بعثتُ به إليك ، وكُتِبَتْ إلى صديقنا أسأله للواساة فوجَّهَ إلى بكيسى ! فحواسينَا الألفُ أَثَلَاثًا .

ثم نُجِىَ الخبرُ إلى اللَّامُونِ فدعائى ، فشرحتُ له الخبرَ ، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار ؛ لكلِّ واحد ألفا دينار ، وللرَّأَةِ ألف دينار .

* السموذى : ٢ - ٣٣٦ .

(١) الواقدي : هو محمد بن عمر بن واقد من أقدم المؤرخين فى الإسلام ومن أشهرهم ، ولد بباندة وانتقل إلى العراق فولاه المأمون القضاء بالرافقة ، ثم ولى قضاء بغداد ، ومن كتبه « المنازى النبوية » توفي سنة ٢٠٧ هـ .

١٢٨ - وَفِي الْبَرَامِكَةِ*

قال عمرو بن مَسْعُود :

رُفِعَتْ قِصَّةٌ إِلَى الْأَمُونِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَمُتُ فِيهَا بِحُرْمَةٍ ،
ويزعم أنه من أهل النعمة والقدر ، وأنه مَوْلَى لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ، وأنه كان ذا ضِيَعَةٍ
واسعة ونعمة جليلة ، وأنَّ ضِيَاعَهُ قَبِضَتْ فَيَا قُبِضَ لِلْبَرَامِكَةِ ، وزالت نعمه بحلول
النُّقْمَةِ عَلَيْهِمْ .

فدفعها للأمون إلى ابن خالد^(١) ، وأمره أن يَضُمَّ الرجلَ إلى نفسه ، وأن
يُجْرَى عليه ، ويُحْسَنَ إِلَيْهِ . ففعل به ذلك وصلت حاله ، وصار نديماً لابن أبي
خالد ، لا يفارقه .

فتأخر عنه ذات يوم لمولود ولد له ، فبعث إليه ، فأحجب عنه ، فغضب
عليه ابنُ أبي خالد ، وأمر بحبسه وتقييده ، وإلباسه جُبَّةَ صُوفٍ ، فكثَّ كذلك
أياماً . فأناله للأمون عنه ، قصص عليه قصته ، وعظم جرمه ، وشككا ما يراه عليه
من التَّيْبِ وَالصَّفِّ^(٢) والافتخار بالبرامكة ؛ وَالشُّمُوءُ بآبَائِهِمْ .

فأمره بإحضاره ؛ فَأَحْضَرَ فِي صُوفِهِ ؛ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الْأَمُونُ بِالتَّوْبِخِ مُصَفَّراً

* الحسن والساوى : ٣٢٢ ، طبعة ليرج .

(١) هو أحمد بن أبي خالد ، استوزره الأمون بعد وفاة الفضل بن سهل وقال له : إني كنت
عزمت ألا أستوزر أحداً بعد ذي الرياستن ، وقد رأيت أن أستوزرك . فقال . يا أمير المؤمنين ،
اجعل بيني وبين النابة منزلة يتأملها صديق فيرجوها لي ، ولا يقول عدوى قد بلغ النابة وليس إلا
الانحطاط . فاستحسن الأمون كلامه واستوزره . وظل أثيراً عنده حتى مات سنة ٢١١ هـ وصلى
عليه للأمون .

(٢) الصلف : تمدح المرء بما ليس فيه .

لَقَدْرَهُ ، مُسْتَقْبِلَ رَأْيِهِ ، وَعَظَمَ فِي عَيْنِهِ إِحْسَانَ ابْنِ أَبِي خَالِدٍ إِلَيْهِ ، مَعَ طَمَعِنَ عَلَى الْبِرَامِكَةِ ، وَوَضَعَ مِنْهُمْ ، فَأَطْلَقَ فِي ذَلِكَ .

قَالَ مُحَمَّدٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَقَدْ صَغُرَتْ مِنَ الْبِرَامِكَةِ غَيْرُ مَصْفَرٍّ ؛ وَذَمَّتْ مِنْهُمْ غَيْرُ مَذْمُومٍ ، وَلَقَدْ كَانُوا شِفَاءً أَسْقَامَ دَهْرِهِمْ ، وَغِيَاثَ أَجَادِبِ^(١) عَصْرِهِمْ ، وَكَانُوا مَفْرَعًا لِلْمُهَوِّفِينَ ، وَمُلْجَأًا لِلْمُظْلُومِينَ ، وَإِنْ أَذِنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثْتُهُ بِبَعْضِ أَخْبَارِهِمْ لَيْسَتْ دِلًّا بِذَلِكَ عَلَى صِدْقِ قَوْلِي فِيهِمْ ؛ وَيَقِفَ عَلَى جَمِيلِ أَخْلَاقِهِمْ ، وَعَمُودِ مَذَاهِبِهِمْ فِي عَصْرِهِمْ ، وَالْأَفْصَالَ الشَّرِيفَةَ وَالْأَيَادِيَ النَّفِيسَةَ !

قَالَ : هَاتِ ، قَالَ : لَيْسَ بِإِنْصَافٍ ، مَحْدَثٌ مَقِيدٌ فِي جَبَةِ صُوفٍ ! فَأَمَرَ فَاتَّخَذَ قَبْضَهُ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَلَمْ أَجِئْتُكَ بِحَوْلٍ يَفْنَى وَبَيْنَ الْحَدِيثِ ؛ فَأَمَرَ فَضَلَّعَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : هَاتِ حَدِيثَكَ .

قَالَ : نَمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَ وَلَائِي وَاقْطَعِي إِلَى الْفَضْلِ ، فَقَالَ لِي الْفَضْلُ يَوْمًا بِمَحْضَرٍ مِنْ أَبِيهِ وَأَخِيهِ جَمْفَرٍ : وَيَحْكُ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَحْبُّ أَنْ تَدْعُوَنِي دَعْوَةً كَمَا يَدْعُو الصَّدِيقُ صَدِيقَهُ ، وَالْخَلِيلُ خَلِيلَهُ .

فَقُلْتُ : جَعَلْتُ فُذَاكَ ! شَأْنِي أَصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَمَالِي يَجْزُهُ عَنْهُ ، وَبَاعِي يَقْصُرُ عَنْ ذَلِكَ ، وَدَارِي تَصْبِيقُ عَنْهُ ، وَمُتَّقِي^(٢) لَا تَقُومُ لَهُ ! قَالَ : دَعُ عَنْكَ ذَلِكَ ، فَلَا بَدْءَ مِنْهُ . فَأَعَذْتُ عَلَيْهِ الْإِسْتِغْفَاءَ ، فَرَأَيْتُهُ جَادًّا فِي ذَلِكَ مَقْبِلًا عَلَيْهِ ، وَسَأَلَهُ أَبُوهُ وَأَخُوهُ الْإِعْفَاءَ ، وَأَعْلَاهُ قُصُورَ يَدِي عَنْ بُلُوغِ مَا يَجِبُ لَهُ وَيُشَبِّهُ مِثْلَهُ ، فَقَالَ لَهَا : لَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْهُ دُونَ أَنْ يَدْعُوَنِي وَإِيَّاكَ لَا رَابِعَ مَعَنَا .

فَاتَّقَبَلَ عَلَيَّ عَجْجِي ، وَقَالَ : قَدْ أَبَى أَنْ يُعْفِيَكَ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرُنَا فَاتَّقَبَدْنَا عَلَى أَنْثِ بَيْتِكَ فَلَا حِشْمَةَ^(٣) مَعَنَا . وَأَطْعِمْنَا مِنْ طَعَامِ أَهْلِكَ فَتَضَعُ بِهِ رَاضُونَ ؛ وَعَلَيْهِ شَاكِرُونَ .

(١) الْأَجَادِبُ : الْأَرَاغِي الَّتِي لَا نَبَاتَ بِهَا . (٢) اللَّئِنُ : الْقُرَّةُ . (٣) الْحِشْمَةُ : الْإِسْتِغْفَاءُ .

قلتُ : جعلتُ فداك ! إن كنتَ قد عرضتَ على ذلك ، وأيتَ إلهتكِ
وفضيعتي فأرجو أن تؤجلني حتى أتأهب . قال : استأجل^(١) لنفسك . قلتُ :
سنة ، قال : ويحك ، أهنا أمانٌ من اللوث إلى سنة .

قال يحيى : أفرطتَ في الأجل ؛ ولكني أحكمُ بينكما بما أرجو ألا يردُّه
أبو العباس ، وأقبله أنت أيضاً . قلتُ : أحكمُ وقل الله للصواب ، وتنضّل على
بالسُّح في اللدة . قال : قد حكمتُ بشهرين .

فخرجتُ من عندهم ، وبدأتُ بِرَمٍّ^(٢) داري ؛ وإصلاح آلتى ، وشراء
ما أتجملُ به من فرش وأثاث وغير ذلك ، وهو في ذلك لا يزالُ يذكرُّني ؛ وبدتُ
الأيامَ علىّ ، حتى إذا كانت الجمعة التي تجبُ فيها الدعوة قال لي : يا محمد ؟ قد قُربَ
الوقتُ ، ولا أحسب أنه قد بقي عليك إلا الطعام ؟ قلتُ : أجل يا سيدي !

فأمرتُ باتخاذ الطعام على غاية ما انبسطتْ به يدي ومقدرتي ؛ وجاءني
رسوله عشية اليوم الذي صبيحته الدعوة ؛ قال لي : إلى أين بلغت ؟ وهل تأذنُ
بالركوب ؟ قلتُ : نعم ، بكركُ . فبكرَ هو ويحيى وجعفر ، ومعهم أولادهم
وفتيانهم .

فلما دخلوا أقبلَ على الفضلُ ، وقال : يا محمد ؛ إن أول ما أبدأ به النظرُ إلى
نميتك كلها صغيرها وكبيرها ، قم بنا إلى الدار حتى أدور فيها ، وأقف عليها !
فتمتُ معه ، وطاف في المجلس ، ثم خرج إلى الخزان ، وصار إلى الإصطبلات ،
ونظر إلى صغير نعمتي وكبيرها ، ثم عدل إلى المطبخ ، فأمر بكشف القدور كلها ،
وأبصر قدراً منها ، فأقبل على أبيه ، وقال : هذه قدرك التي تُعجبك ، ولست أبرح

(١) استأجله : طلب منه أن يضرب له في ذلك أجلاً . (٢) رمياً : إصلاحها .

دون أن تأكلَ منها ؛ فدعا برغيف فغمسه في القدر ، وناول أباه ؛ ثم فعل ذلك بأخيه ، ودعا بخللٍ ، وخرج إلى الدار ، ووقف في صحنها مُسرَّحاً طرفه في فنائها وبنائها وستوفها وأزويقها . ثم أقبل على وقال : مَنْ جيرانك ؟ قلت : جُعِلْتُ فداك ! عن يميني فلان ابن فلان ، وعن شمالي فلان ابن فلان ، وفي ظهر داري رجلٌ كبير ، لا يفتر في بنائه ولا يُقَصِّر . فقال لي : أو تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : ما كان ينبغي لك في قدرِكَ ومحلِّكَ من هذه الدولة أن يجترى أحدٌ أن يشتري شيئاً في جوارك إلا بأمرِكَ ، وأن ترضى لنفسك إلا بحمارٍ تعرفه .

قلتُ : لم يمتنع من ذلك إلا ما كنتُ فيه من الشغل بهذه الدعوة المباركة . فقال لي : فأين الحائط الذي يتصلُ بداره ؟ فأومأتُ إليه ، قال : على يمينه فأبني به ، قال : أنتعج هاهنا باباً . فأقبلَ عليه أبوه ، وقال : نشدتك الله يا بني ألا تهجمَ على قومٍ لا تعرفهم ! وأقبلَ عليه أخوه بمثلِ ذلك ، فأبني إلا أن يفتح الباب .

فلما رأيته قد ردَّ أباه وأخاه أمسكتُ عن مسألتي ، ففتح الباب ودخل ، وأدخلني معه ؛ فدخلتُ داراً حار بصري فيها من حُسْنها ، واتهبنا إلى رواق فيه مائةُ مملوك في زيٍّ واحد ، عليهم الأقبية^(١) من الديباج ؛ وإذا شيخ قد خرج قَبْلَ يده ، فقال له : مرُّ بنا ننظر في مرافق هذه الدار ؛ فادخلنا مجلساً إلا رأينا به قد فُرش بما لا يُحيط به الوصف .

ثم قال للشيخ : مرُّ بنا إلى مكانِ الدواب ، فدخلنا إصطبلًا فيه أربع مائة من البغال وغيرها ، فوجدتُ ذلك الإصطبل أحسنَ بناءً من داري .

(١) جمع قباء .

ثم خرج نحو دور النساء ، والشيخ بين يديه ، فلما انتهى إلى الباب وقف الشيخ ، ودخل الفضل ، وأنا معه ، حتى دخلتُ بعضَ تلك الدور ، فإذا فيها مائة وصيفة^(١) ، قد أقبلن في حُلِيَّهنَّ وحُلَهنَّ ، فوقَّضَ بين يديه ، قال : يا محمد ، هذه الدار أجلُّ أم دارك ؟ قلت : يا سيدي ، وما أنا ؟ وما دارى ؟ هذه تصلحُ للأمير لآغيره ، قال : يا محمد ، هذه الدار بما فيها من الدوابِّ والرقيقِ والفرش والأواني لك ، ولك عندي زيادة .

قلت في نفسي : يَهَبُ لك مِلْكٌ غيره . فعَلِمَ ما في نفسي ، قال : يا محمد ؛ إني لما سألتُك هذه الدعوة قدَّمتُ إلى القَهْرمانِ بشراء هذا البراح^(٢) ، وأن يجعل الفراغ منه ومن بنائه ، وحوَّلَ إلى الدار ما قرى ، فبارك الله لك فيها . وانصرف بي إلى أبيه وأخيه ، وحدثهما بما جرى ، فرأيت أخاه جعفرًا قد مَعِضَ^(٣) من ذلك ، وتغير وجهه تغيراً عَرَفْتُهُ ، ثم أقبل على أبيه يشكو الفضل ، ويقول : يتفرَّدُ بمثل هذه المكِرمَةِ من دوني ، فلو شاركني فيها لكانت بداً أشكرها منه .

قال : يا أخي ؛ بَقِيَ لك منها قُطْبُهَا^(٤) . قال : وما هو ؟ قال : إن مولانا هذا لا يَبْهِيْأُ له ضَبْطُ هذه الدار بما فيها إلا يَدْخُلُ جليل ، فأعْطِه ذلك .

قال : فَرَجَّتْ عَنِّي يا أخ ، فرَجَّ الله عنك ! فدعا من وقته بصيكاك^(٥) لحبس فُرِيَّاتٍ ، واحتمل عني خَرَّاجَهَا . فخرجوا عني ، وأنا أيسر أهل زمانى .

فهل نلومنى يا أمير المؤمنين على ذِكْرِهِم ، والإشادة بفضلهم ! قال للآمُون : ذهب القومُ والله بالمكارم ! ثم أمر لحمد بمائة ألف درهم ، وتقدَّم إلى ابن أبي خالد بردَ مَرَّتَيْتِهِ ، وتَصْيِيرِهِ في جِلَّةِ خواصِّه .

(١) الوصفة : المدام . (٢) البراح : اللحم من الأرض لاربع بها ولاشجر .
(٣) معض من الأمر - كفرح : غضب . (٤) قطب الشيء : ملاكته ومداره . (٥) حج مك .

١٢٩ — أفضل الأصحاب *

كان محمد بن حميد^(١) الطوسي على غلته يوماً مع جلسائه ، وإذا بصيحة عظيمة على باب داره ، فرفع رأسه ، وقال لبعض غلته : ما هذه الصيحة ؟ من كان على الباب فليدخل .

فخرج الغلام ، ثم عاد إليه ، وقال : إن فلاناً أخذ وقد أوثق بالحديد ، والنيران ينتظرون أمرك فيه ؛ فرفع يده عن الطعام ؛ فقال رجل من جلسائه : الحمد لله الذي أمكنك من عدوك ، فسيب له أن تسقي الأرض من دمه ؛ وأشار كل من جلسائه عليه بقتله على صفة اختارها ، وهو ساكت .

ثم قال : يا غلام ؛ فك عنه وثاقه ، ويدخل إلينا مكرماً .

فأدخل عليه رجل لا دم فيه ؛ فلما رآه هش إليه ، ورفض مجلسه ، وأمر بتجديد الطعام . وبسطه بالكلام ، ولقمه^(٢) حتى انتهى الطعام ، ثم أمر له بكسوة حسنة وصلة ، وأمر برده إلى أهله مكرماً ، ولم يعاقبه على جرم ولا جناية .

ثم التفت إلى جلسائه ، وقال لهم : إن أفضل الأصحاب من حضر صاحب على المكلام ، ونهاه عن ارتكاب المآثم ؛ وحسن لصاحبه أن يجازى الإحسان بضمفه ، والإساءة بصفحة ؛ إنا إذا جازينا من أساء إلينا بمثل ما أساء فأين موقع الشكر على النعمة فيما أتبع من الظفر . إنه ينبغي لمن حضر مجالس اللوك أن

* نهاية الأرب : ٦ - ٦٣ ، غرر الحقائق : ٢٣٩ .

(١) محمد بن حميد الطوسي : وال من قواد جيش للأمنون العباسي ، استعمله على الموصل ، وكان شجاعاً ممدوحاً . جواداً وقيل سنة ٢١٢ هـ . (٢) لقمه ، يريد أطعمه .

بِمَسِكَ إِلَّا عَنْ قَوْلِ سَدِيدٍ وَأَمْرِ رَشِيدٍ ؛ فَإِنْ ذَلِكَ أَدْوَمُ لِلنِّعْمَةِ ، وَاجْمَعِ لِلْإِثْمَةِ .
 إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ
 لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَدْ فَازَ فَوْزًا
 عَظِيمًا » (١) .

١٣٠ - مَا وَلَّتِ الْعَرَبُ أَكْرَمَ مِنْكَ *

قال الأعمى (٢) :

قصدتُ في بعض الأيام رجلاً كنتُ أغشاهُ لكرمه ؛ فوجدتُ على بابه بواباً ؛
 فنسيتُ من الدخولِ إليه ؛ ثم قال : والله يا أعمى ما أوقفني على بابه لأمنع منك
 إلا لرفقةٍ حاله ، وقصور يده ؛ فكتبتُ رُقعةً فيها :

إذا كان الكريمُ له حِجَابٌ فافضِلْ الكريمَ على الشِّيمِ (٣) !
 ثم قلتُ له : أوَصِلْ رُقعتي إليه ؛ ففعل وعاد بالرقعة ، وقد وقعَ على ظهرها :
 إذا كان الكريمُ قليلَ مالٍ نَحْجَبْ بالحِجَابِ على الكريمِ
 ومع الرقعةِ صُرَّةٌ فيها خمسمائة دينار .

قلتُ : والله لا تُخَيِّنَ (٤) للآمُونِ بهذا الخبر ؛ فلما رآني قال : من أين يا أعمى ؟
 قلتُ : من عند رجلٍ من أكرم الأحياء حاشا أمير المؤمنين .

(١) سورة الأحزاب - آية : ٧٠ ، ٧١ .

* ثمرات الأوراق للعمود : ١ - ٢٣٢ .

(٢) هو أبو سعيد الملك بن قريب ، نفاً بالبصرة ، وأخذ العربية ونحوها من الفراءة عن
 أئمتها ، وقد اشتهر بالثقة في الرواية والنضج من اللغة وقد اشتهر ، توفي سنة ٢١٦ هـ .

(٣) الشِّيم هنا : البخل . (٤) الخفة : الطرفة .

قال : وَمَنْ هُوَ ؟ فدفعتُ إليه الورقةَ والصِّرةَ ، وأعدتُ عليه الخبر .
فلما رأى الصِّرةَ قال : هذا من بيتِ مالي ، ولا بد لي من الرجل . قلتُ :
والله يا أمير المؤمنين إني أَسْتَحْيِي أَنْ تُرَوِّعَ^(١) بِرُسُلِكَ ، فقال لبعضِ خاصته :
امضْ مع الأعمى ؛ فإذا أَرَاكَ الرجلَ ، قُلْ له : أَجِبْ أمير المؤمنين من غيرِ إزعاج .
فلما حضر الرجلُ بين يدي للأُمون قال له : أَنْتَ الَّذِي وَقَعْتَ لَنَا بِالْأُمْسِ ؛
وَشَكَّوْتَ رِقَّةَ الْحَالِ ، وَأَنْ الزَّمانَ قَدْ أَنَاخَ عَلَيْكَ بِكَكْلِكِهِ^(٢) فدفعتُنا إليك
هذه الصِّرةَ لتُصْلِحَ بِهَا حَالَكَ ، فصدقك الأعمى بيتَ واحدٍ ؛ فدفعتها إليه .

قال : نعم يا أمير المؤمنين ؟ والله ما كذبتُ فيما شكَّوتُ لأُمير المؤمنين
من رِقَّةِ الْحَالِ ؛ لكنِّي اسْتَحْيَيْتُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ أُعِيدَ قاصِدِي إِلَّا كما أَعَادَنِي
أُمير المؤمنين .

فقال له للأُمون : اللَّهُ أَنْتَ ، فإِذَا وَلَدْتَ الْعَرَبُ أَكْرَمَ مِنْكَ .

(١) روعه . أفرعه . (٢) الككل : الصدر ، والعق : أنك في ضيق وهدوء .

١٣١ — الأصمى يطلب القرى *

قال الأصمى :

سرتُ في تطوافي في العرب بمبلى طيٍّ ؛ فدفتُ إلى قومٍ منهم يحتلبون
اللبن ، ثم يصيرون : الضيفَ الضيفَ ! فإن جاء من يضيفهم ، وإلا أراقوه ،
فلا بدّوقون منه شيئاً دون الضيف إلا أن يجهدّهم الجوع .

ثم دفتُ إلى رجل من ولد حاتم بن عبد الله ، فسألته القرى ، فقال : القرى
والله كثير ، ولكن لا سبيلَ إليه ، قلت : ما أحسب عندك شيئاً ؛ فأمرَ بالجبان
فأخرجتُ مُكرّمةً بالتريد ، عليها وَذَرُ^(١) اللحم ، وإذا هو جاذٌّ في المنع ؛
قلت : والله ما أشبهتُ أباك حيث يقول :

وأبرزَ قِدرى بالفناء ، قليلاً يُرى غيرَ مضمونٍ به وكثيرها
قال : إلا أشبههُ في هذا ؛ فقد أشبهتهُ في قوله :

أماوىَ إما مانع قُـمـبـيـنٍ وإما عطاء لا يُـنـهـيـه^(٢) الزجرُ
فأنا والله مانعٌ مبين . فرحلتُ عنه .

ودفتُ إلى امرأةٍ من ولد ابن هرمة فسألتها القرى ، قالت : إني والله
مرُملةٌ مُسْتَفْتة^(٣) ، ما عندي شيء ، قلت : أما عندك جَزُور ؟ قالت : والله
ولا لاشاة ولا دُجاجة ولا بَيْضَة ! قلت : أما ابنُ هرمة أبوك ؟ قالت : بى

* ذيل الأمل : ١٠٩ .

(١) نخرة من اللحم : القلعة الصغيرة لأعظم فيها .

(٢) ينهيه : يكتفه .

(٣) أسنتت : أمايتها السنة ، وهى الجديب .

والله ! إني إن صميمهم . قلت : قَاتِلَ اللهَ أَبَاكَ مَا كَانَ أَكْذِبُهُ حَيْثَ يَقُولُ :
لَا أُمْنَعُ الْمَوَدَّ^(١) بِالْفَصَالِ وَلَا أَتْبَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ
إِنِّي إِذَا مَا مَا الْبَغِيضُ لُ آمَنَهَا بَاتَتْ صُنُوزًا مَنَّى عَلَى وَجَلٍ^(٢)
وَوَلَّيْتُ ، فَنَادَتْ : ارْبِعْ أَيُّهَا الرَّاكِبُ ؛ فَفُلَهُ وَاللهُ ذَلِكَ أَقْلَهُ عِنْدَنَا ؛ قَعَلْتُ :
إِلَّا تَكُونِي أَوْ سَمَعْتِنَا قَرَى ، فَهَذَا أَوْ سَمَعْتِنَا جَوَابًا .

١٣٢ — لقد أمكنك الله من الوفاء *

قال صاحبُ شرطة المأمون :
دَخَلْتُ يَوْمًا مَجْلِسَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِيغْدَادَ ؛ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ مُكَبَّلٌ بِالْحَدِيدِ :
فَلَمَّا رَأَى ؛ قَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ ! قُلْتُ : لَيْتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
قَالَ : خُذْ هَذَا إِلَيْكَ ، وَاحْتَفِظْ بِهِ ، وَكَبِّرْ بِهِ إِلَى فِي غَدِ .
فَدَعَوْتُ جَمَاعَةَ فُجَلَاوِهِ وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَتَحَرَّكَ ، قَعَلْتُ فِي نَفْسِي : مَعَ هَذِهِ
الْوَصِيَّةِ الَّتِي أَوْصَانِي بِهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِحْتِفَاطِ بِهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَعِي فِي
يَدَيَّ ، فَأَمَرْتُهُمْ فَتَرَكُوهُ فِي مَجْلِسِي لِي فِي حَارِي .
ثُمَّ أَخَذْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ قَضِيَّتِهِ وَعَنْ حَالِهِ ، وَمَنْ أَيْنَ ؟
فَقَالَ : أَنَا مِنْ دِمَشْقَ ؛ قَعَلْتُ : جَزَى اللهُ دِمَشْقَ وَأَهْلَهَا خَيْرًا ! فَمَنْ أَنْتَ ؟

* المتصرف : ١ - ٢٤٠ ؛ المقدم الفريد للعلامة الحيد ٨١ .

(١) المود : الحديثات التناج . (٢) ضمير البعير : أسلك جريته في فيه ولم يجر .

من أهلها؟ قال : وعمن نأل؟ قلت : أنعرفُ فلاناً؟ قال : ومن أين تعرفُ ذلك الرجل؟ قلتُ : وقعت لى معه قضيةً ، فقال : ما كنتُ بالذى أعرفُك خبره حتى تعرفنى قضيتك معه .

قال : كنتُ مع بعضِ الولاة بدمشق ؛ فبنى أهلها ، وخرجوا علينا حتى إن الوالى تدلّى في زنبيل^(١) من قصر الحجاج ، وهرب هو وأصحابه ، وهربتُ في جملة القوم .

فبينما أنا هارب في بعض الدُرُوب إذا بجماعة يمدُّون خلفي ؛ فازلتُ أعدو أمامهم ، حتى قُتُّهم ؛ فررتُ بهذا الرجل الذى ذكرته لك ، وهو جالسٌ على باب داره ؛ فقلت : أغثنى أغاثك الله ! قال : لا بأسَ عليك ! ادخل الدار ؛ فدخلتُ ، فقالت زوجته : ادخلْ تلك القصورة^(٢) ؛ فدخلتها ، ووقف الرجلُ على باب الدار فاشمرتُ إلا وقد دخل ، والرجالُ معه يقولون : هو واللهِ عندك . قال : دونكم الدَّار ، فقتلوا ؛ فقتلوا حتى لم يبقَ سوى تلك القصورة ، وأمرأتُه فيها ؛ فقالوا : هو هنا ، فصاحتُ بهم المرأة ونهرتهم ؛ فانصرفوا .

وخرج الرجلُ وجلس على باب داره ساعةً ، وأنا قائمٌ أرجف ، ما تحملى رجلاى من شدة الخوف ؛ فقالت للمرأة : اجلس لا بأسَ عليك ، فجلستُ فلم ألبث حتى دخل الرجلُ فقال : لا تخفْ ، قد صرف الله عنك شرهم ، وصيرتُ إلى الأمن والدعة .

قلت له : جزاك الله خيراً ! ثم مازال يماثرُنى أحسن معاشرة وأجملها ، وأفرَد لى مكاناً فى داره ، ولم يفتُر عن تقفُّد أحوالى .

(١) الزنبيل : القفة . (٢) القصورة : الدار الواسعة المحيطة أو هى أسنر من الدار ، ولا ياتر إلا صاحبها .

فأقمتُ عنده أربعة أشهر في أرْعَدِ عيش وأهنه إلى أن سكنتُ النتنه
وهدأتُ وزال أثرهما ؛ قلتُ : أناذنُ لى في الخروج حتى أُنَقِّدَ حال غلمانى ؛
فلما أفضُ منهم على خبر ، فأخذ على اللوائيق بالرجوع إليه .

نخرجتُ فطلبتُ غلمانى ، فلم أرَ لهم أثراً ؛ فرجعتُ إليه وأعلتُهُ الخير . وهو
مع هذا كله لا يعرفنى ولا يسألنى ، ولا يعرف اسمى ، ولا يحاطبُنِى إلا بالكُنْيَةِ .
ثم قال : عَلَّامٌ نَعَزَمُ ؟ قلتُ : عَزَمْتُ على التوجه إلى بندان ؛ فقال : القافلةُ
بدا ثلاثة أيام ؛ وهأنذا قد أعلتُكَ .

قلتُ له : إنك تنصَلتُ على هذه اللذة ، ولك على عهدٍ ألا أنسى لك هذا
الفضل ولأُكَفِّتُكَ ما استطعت .

ثم دعا غلاماً له أسود ، وقال له : أَسْرِجِ الفرس ، ثم جهز آلةَ السفر ؛
قلتُ فى نفسى : ما أظنُّ إلا أنه يريدُ أن يخرج إلى ضَيْمَةٍ أو ناحية من النواحي ؛
فأقاموا يومهم ذلك فى كدٍ وتعب .

ولما حان يومُ خروج القافلة جاءنى السَّحَرُ^(١) ، وقال لى : قم ، فإن القافلةَ
تخرج الساعة وأكره أن تنفردَ عنها ، قلتُ فى نفسى : كيف أصنع ، وليس
معى ما أتزوّد به ، ولما أكَتَرَى به مركوباً^(٢) ! ثم قلتُ ، فإذا هو وامرأتهُ
يحملان أَضْعَرَ اللابس ، وخفَّين جديدين ، وآلة السفر . ثم جاءنى بسيفٍ ومنطقة
فشدَّهما فى وسعى ، ثم قدَّم بَنَلاً خُمل عليه صندوقين وفوقهما قَرش ، وقدَّم إلى
فرساً ، وقال : اركب ، وهذا الغلام الأسود يخدمك ، ويسوسُ مركوبك .

وأقبلَ هو وامرأتهُ يستدبران لى من التصغير فى أمرى ، وركب معى يشيعنِى ،
وانصرفتُ إلى بندان وأنا أتوقِّعُ خبره لأفنى بسهدى له فى مجازاته ومكافاته ،

(١) البحر : قيل الصبح . (٢) المركوب : ما يركب .

واشتغلْتُ مع أمير المؤمنين ، فلم أترغ أن أُرسلَ إليه من يكشفُ خبره ، فلهاذا أسألُ عنه .

فما سمع الرجلُ الحديثَ قال : لقد أمكنَكَ اللهُ من الوفاء له ، ومكافأته على فعله وبجاراته على صنيعه بلا كلفة عليك ، ولا مثونةٍ تَلْزُمُكَ .

قلت : وكيف ذلك ؟ قال : أنا ذلك الرجل ، وإنما الضُّرُّ الذي أنا فيه غيرُ عليك حالي ، وما كنتَ تعرفُهُ مِنِّي .

فما تمالكتُ أن قُتُّ وقُبِلْتُ رأسه ، ثم قلتُ له : فما الذي أصارَكَ^(١) إلى ما أرى ؟ فقال : هاجتْ بدمشقُ فتنةٌ مثلُ الفتنةِ التي كانت في أيامك ؛ فقسِبتُ إلى وبعثُ أميرُ المؤمنين بِمُيُوش ، فأصلَحُوا البلدَ ، وأخذتُ أنا وضربتُ إلى أن أشرفتُ على الموت ! وقُيِّدْتُ وُبعِثَ بي إلى أميرِ المؤمنين ، وأمرى عنده عظيمٌ ، وخطبى لدهِ جسيمٌ ، وهو قاتلى لائِحالة .

وقد أخرجتُ من عند أهلِ بلا وصيةٍ ، وقد تبعني من غلمانى من ينصرفُ إلى أهلِ بخارى ، وهو نازلٌ عند فلان ، فإن رأيتُ أن تجعلَ من مكافأتك لى أن ترسلَ من يُخفِضُهُ حتى أوصيه بما أريد ؛ فإن أنتَ قلتَ ذلك قد جاوزتَ حدَّ المكافأة ، وقتَ لى بوفاء عهدك . قلتُ : يصنعُ اللهُ خيراً .

ثم أحضَرَ العباسُ حداً فى الليلِ فكُ قيوده ، وأزال ما كان فيه من الأنكال^(٢) ، وأدخله حَمَام داره ، وألبسه من الثياب ما احتاجُ إليه ، ثم سَيرَ من أحضَرَ إليه غلامه .

فلما رآه جعلَ يمسكى ويوصيه ؛ فاستدعى العباسُ نائبه ، وقال : قلى بالأفراس والهدايا ، ثم أمره أن يشيخه إلى حدِّ الأنبار .

(١) أصارَكَ : صيرَ . (٢) الأنكال : جمع نكل : القيد الشديد .

قال له : إن ذنبي عند أمير المؤمنين عظيم ، وخطيبي جسيم ، وإن أنت احتججت بأنني هربتُ بث في طلب كل من على بابه ، فأرد وأقتل .

قال العباس : انج بنفسك ودعني أدبر أمري . قال : والله لا أبرحُ بنداد حتى أعلم ما يكون من خبرك ، فإن احتججت إلى حضوري حضرت .

قال العباس : إن كان الأمرُ على ما تقول ، فلتكن في موضع كذا ، فإن أنا سلّمتُ في غداة غدٍ أعلمتُكَ ، وإن أنا قُلتُ فقد وقّيتُكَ بنفسي كما وقّيتني .

ثم تفرّغ العباس لنفسه ، وتحنط وجهه له كفناً .

قال العباس : فلم أفرغ من صلاة الصبح إلا ورسُلُ المأمون في طلبى ، وهم يقولون : هاتِ الرجل معك وقم .

فتوجّهتُ إلى دار أمير المؤمنين ؛ فإذا هو جالسٌ ينتظر . فقال : أين الرجل ؟ فسكتُ ! فقال : ويحك ! أين الرجل ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ؛ اسمع مني . قال : لله على عهدٍ لئن ذكرتُ أنه حرب لأضربنَّ عنقك ، قلتُ : لا والله يا أمير المؤمنين ما هرب ، ولكن اسمع حديثي وحديثه ، ثم شأنك وما تريد أن تفعله في أمري ! قال : قل .

قلت : يا أمير المؤمنين ؛ كان من حديثي نعمه كيت وكيت ، وقصصتُ عليه القصة جميعها ، وعرفته أني أريدُ أن أفي له ، وأكافئه على فعله معي ، وقلت : أنا وسيدى ومولائى أمير المؤمنين بين أمرين : إما أن يصفح عني ؛ فأكون قد وفيتُ وكافأتُ وإما أن يقتلني فأقيه نفسي ، وقد تحنطت ، وها هو ذا كفى يا أمير المؤمنين .

فما سمع المأمون الحديث قال : ويلاك ، لا جزاك الله عن نفسك خيراً ؛ إنه فضل

بك ما فعل من غير معرفة ، وتكافئه بعد المعرفة بهذا ؟ هلا عرفتني خبره ، فكنا
نكافئه عنك ، ولا شغرت في وفائك له .

قلت : يا أمير المؤمنين ، إنه هاهنا وقد حلف ألا يبرح حتى يعرف سلامتي ،
فإن احتجت إلى حضوره حضر .

قال للأموه : وهذه منة أعظم من الأولى ، اذهب إليه الآن ، فطيب نفسه
وسكن روعه ، واثقني به حتى أتوني مكافأته .

فأتيت إليه وقلت له : ليزل خوفك ، إن أمير المؤمنين قال كذا وكذا .

قال : الحمد لله الذي لا يخذل على السراء والضراء سواه ؛ ثم قام وركب ، فلما
مثل بين يدي أمير المؤمنين أقبل عليه ، وأدناه من مجلسه وحدته ، حتى حضر الفداء
فأكل معه ، وخلع عليه ، وعرض عليه أعمال دمشق ، فاستعفى ، فأمر له بصليّة
وكتب إلى عامله بدمشق بالوصية به .

١٣٣ - إبراهيم بن المهدي والمأمون *

قال الواقدي :

كان إبراهيم ^(١) بن المهدي قد ادعى الخلافة لنفسه بالرعي ، وأقام مالكا لها سنةً واحد عشر شهراً واثني عشر يوماً ، وله أخبار كثيرة أحسنها عندي ما حكاه لي ، قال : لما دخل المأمون الرعي في طلبي ، وجعل لمن أتاه بي مائة ألف درهم ، خفتُ على نفسي وتحوّرتُ في أمري ، ففرجتُ من داري وقت الظهر ، وكان يوماً صافياً ، ومما أدرى أين أتوجّه ، فوقفتُ في شارعٍ غير نافيذ ، وقلت : « إنا لله وإنا إليه راجعون » ! إن عدتُ على أثرى يُرتاب في أمري .

ثم رأيتُ في صدر الشارع عبداً أسود قائماً على باب دار ، فتقدمتُ إليه وقلت : هل عندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار ؟ فقال : نعم ، وفتح الباب ، فدخلتُ إلى بيت نظيف فيسه بسط ووسائد جلود إلا أنها نظيفة ، ثم أغلق الباب علي ومضى ؛ فوهبته قد سمع الجمالة ^(٢) في ، وأنه خرج ليدلّ علي ، فبقيت على مثل النار .

وبينا أنا كذلك إذ أقبلَ معه حمال عليه كل ما يحتاجُ إليه من خبز ولحم ، وقدرٌ جديدة ، وجرة نظيفة ، وكيزان جدد . فخطّ عن الحمال ، ثم التفت إلي وقال :

• مجاني الأدب : ٢ - ٢٣٦ .

(١) إبراهيم بن المهدي بن المنصور العبّاسي ، أخو هارون الرشيد ، كان وافر الفضل غزير الأدب ، سخي السكف ولم ير في أولاد الخلفاء قبله أنصح منه لئانا ، ولا أحسن منه شعراً ، مع يد طولي في الفناء ، والضرب بالملامى وحسن للتأدبة ، بوجع بالخلافة سنة ٢٠١ هـ وتوفى بسر من رأى سنة ٢٢٤ هـ . (٢) الجمالة : الأجر يعطى على عمل خاص .

جعلني الله فداك ! أنا رجل حجاج ، وأنا أعلم أنك تتقدّرني ^(١) ، لما أتولاه من معيشتي ، فشأنك بما لم تقع عليه يد .

وكان بي حاجة إلى الطعام ؛ فطبختُ لنفسي قدرًا ما أذكرُ أني أكلتُ مثلها . ولما قضيتُ أَرَبِي ^(٢) من الطعام قال : هل لك في الشراب فإنه يُسلي ألمٌ ؟ قلت : ما أكرهُ ذلك - رغبةً مني في مؤانسته - فأني بقطرميز ^(٣) جديد لم تمسه يد ، وجاءني شراب وقال : رويّ لنفك . فروقتُ شرابًا في غاية الجودة ، وأحضرتُ قَدَحًا جليدًا وفاكهة وأبقالا مختلفة في طسوت نغار جُدَد .

ثم قال بعد ذلك : أتأذن لي - جعلتُ فداك - أن أقعدَ ناحيةً وآتي بشرابي فأشربه سرورًا بك ؟ قلت له : افضل . ثم شربتُ وشرب ، ثم دخل إلى خزانة له ، فأخرج عودًا مصفحًا ، ثم قال لي : ياسيدي ! ليس من قدرى أن أسألك الفناء ، ولكن قد وجبتُ على مروهـنك حرمتي ، فإن رأيتَ أن تُشرفَ عبدًا لك فلك علو الرأي ، قلت : من أين لك أني أحسن الفناء ؟ فقال : ياسبحان الله ! مولانا أشهر من ذلك ، أنت إبراهيم بن المهدي خليفةنا بالأمس ، الذي جعل للأموهـنُ لَمَن دَلَّ عليه مائة ألف درهم .

فلما قال ذلك عظم في عيني وثبتتُ مروهـنه عندي ، فتناولتُ العود وأصلحته وغنيتُ - وقد مرَّ بخاطري فراقُ أهلي وولدي :

وعسى الذي أهدي ليوسفَ أهله وأعزه في السَّجن وهو أسيرُ
أن يستجيبَ لنا فيجمعَ شملنا واللهُ ربَّ العالمينَ قدِيرُ
فاستولَى عليه الطَّربُ للفرط ، وطاب عيشه كثيرًا ، ومن شدة سروره وطربه

(١) تستغفرني . (٢) حاجتي . (٣) القطرميز : فلة كبيرة من الزجاج .

قال ياسيدي ؛ أأتأذُنُ لى أن أغنى ما سَنَحَ بخاطرى ، وإن كنتُ من غيرِ أهْل
هذه الصناعة ؟ قلت : هذا زيادةٌ فى أدبِكَ ومروءَتِكَ ، فأخذ العودَ وغنى :

شكُونَا إلى أحبابنا طولَ ليلنا قالوا لنا : ما أقصرَ الليلَ عندنا !
وذلكَ لأنَ النومَ يَفْشَى عُيُونَهُمْ سريماً ولا يَفْشَى لنا النومُ أَعِينَا
إذا مادنا الليلُ للضرِّ بذى الهوى جَزَعْنَا وهم يستبشرون إذا دَنَا
فلو أنهم كانوا يُبلاقون مثلَ مَا نُلَاقِ لكانوا فى المضاجعِ مثلنا
فواللهُ لنا أحسَّتْ بالبيتِ قد سارِى ، وذهب غنى ما كان من المَلْع ، وسألتُ
أن يُغْنى مرةً ثانيةً فغنى :

عُزُّنَا أَنَا قَلِيلٌ عَديدُنَا قلتُ لها . إنَّ الكرامَ قَلِيلٌ
وما ضَرَّنا أَنَا قَلِيلٌ وجارُنَا عَزِيزٌ وجارُ الأكثرينَ ذَلِيلٌ
وإنا لَنُومُ لا نرى القَتْلَ سُبَّةً إذا مارأتهُ عامرٌ وسُلُوبٌ
يَقْرَبُ حُبُّ المَوْتِ آجالنَا لنا وتكرهُه آجالهم فَتَطُولُ
فدخانى من الطربِ مالا مزيَدَ عليه ، ثم عالجنى النومُ فلم استيقظ إلا
بده المغرب .

فعاودنى فِكْرى فى نفاةِ هذا الحِجَامِ وحسن أدبه وطرْفه ، فقامت وغسلت
وجعًى وأيقظتُهُ ، وأخذتْ خريطةً ^(١) كانت صُحْبَتى ، فيها دنانيرُ لها قيمة ،
فرميت بها إليه ، وقلتُ له : أستودعك الله ، فإننى ماضٍ من عندك ، وأسألك أن تنفق
ما فى هذه الخريطةِ فى بعضِ مُهمَّاتِكَ ، ولكِ عندى للزَيْدِ إن أمنتُ من خوفى .
فأعادها على منكرٍ ، وقال : ياسيدي ، إن الصَّعَالِيكَ مِنَّا لا قَدْرَ لهم عندكم ،
أأخذ على ما وَهَبَنيهِ الزَّمانُ من قُربِكَ وحلولِكَ عندى ثَمًّا ؟ واللهُ ليشِ راجعتنى

(١) الخريطة : وعاء من جلد وغيره .

في ذلك لأتلقن نفسي ، فأعدت الخريطة إلى كُعي وقد أتهلنى حملها .

ولما هممتُ بالخروج قال لي : ياسيدي ؛ إن هذا المكان أخفى لك من غيره ،
وليس في مثوتك على قتل ، فأقم عندي إلى أن يُفرِّج الله عنك . فرجعت وسألته
أن يتفق من تلك الخريطة فلم يفعل . فأقت عنده أياماً على تلك الحالة في ألدّ عيش ،
ثم تدممت^(١) من الإهامة عنده ، واحتشمت من التثقل عليه ، فتركته - وقد مضى
يُجدد إنا حالاً - وقتُ فتزيتُ نرى^(٢) النساء وخرجتُ ، فلما صرتُ في الطريق
داخلي من الخوف أمرٌ شديد ، وجئت لأعبر الجسر ، فإذا أنا بموضعٍ مرشوشٍ بماء ،
فأبصرني جندي من كان يُخدّتي ، فزفني وقال : حاجة للآمون .

ثم تعلق بي فدفعته هو وفرسه ، فرميتُهما في ذلك الزلق ، فصار عبثاً ، وتبادر
الناس إليه ، فاجتهدتُ في المشي حتى قطعتُ الجسر ، ودخلتُ شارعاً فوجدتُ باب
دار ، وامرأة واقفة في دهليز ، قلت : ياسيدة النساء ؛ احقني دمي ، فأني رجل
خائف . قالت : على الرحب والسعة ، وأطلعتني إلى غرفة مفروشة ، وقدمت لي
طعاماً ، وقالت : ليهذا روعك ، فاعلم بك مخلوق . وإذا الباب يدقّ دقاً عنيماً ،
فخرجتُ وفُتحت الباب ، وإذا بصاحبي الذي دفعته على الجسر ، وهو مشدوخ الرأس ،
ودمه على ثيابه وليس معه فرس ، قالت : يا هذا ، مادهاك ؟ قال : ظفرتُ بالمعنى^(٣)
وانفلت عني . ثم أخبرها بما وقع له مني فأخرجتُ خيراً ، فوَعَصَبَتْ بها ، وفرشت له
فنام عيلاً ، ثم طلعتُ إلى وقالت : أغلنك صاحب القصة ، قلت : نعم .

قالت : لا بأس عليك اثم جددت لي الكرامة ، وأقت عندها ثلاثاً ، ثم
قالت لي : إنني خائفة عليك من هذا الرجل ، وأخشى أن ينم بك ، فأتج بنفسك .

(١) تدمم : خشي الازم والدم . (٢) نرى : الهيئة . (٣) يغص بالمعنى إبراهيم بن المهدي
لصهرته بالنساء ؛ وكان يبر بذلك .

فأتتها للهلة إلى الليل قَعَلَتْ، فلما دخل الليل لبست زِيَّ النساء، وخرجت من عندها، فأتيتُ إلى بيت مولايَ كانتُ لنا، فلما رأته بكّت وتوجّعتْ وحدتُ الله على سلامتي، وخرجتُ كأنها تريد السوق للاهتمام بالضيافة، فظننتُ خيراً، فما شعرتُ إلا بأحد رجال المأمون في خيله ورجله، والمولاة معه حتى سلمتني إليه، فرأيتُ الموتَ عياناً، وحملتُ بالزَّيِّ الذي أنا فيه إلى المأمون.

جلس مجلساً عاماً، وأدخلني إليه، فلما مثلتُ بين يديه سلمت عليه بالخلقة، فقال: لا سلم الله عليك، ولا حيّاك ولا رعاك! قتلته: على رسلك يا أمير المؤمنين! إن ولي التَّأرُّحكم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، وقد جعل الله فوق كلِّ عفو، كما جعل ذنبي فوق كلِّ ذنب؛ فإن تأخذَ ببصتك، وإن نَفُ فبفضلك، ثم أنشدت:

ذنبي إليك عظيمٌ وأنت أعظم منه
نفذ بحمك أو لا فاصفح بحمك عنه
إن لم أكن في فضلى من الكرام فكنتُ

فرفع إلى رأسه فبدرته وقلت:

أتيتُ ذنباً عظيماً وأنت للعفو أهلُ
فإن عفوتَ فمنّي وإن جزيتَ فضلُ

فرق المأمون واستزوّجتُ روائح الرحمة من شمائله، ثم أقبل على ابنه العباس، وأخيه أبي إسحاق، وجميع من حضر من خاصته؛ فقال: ما روي في أمره؟ فكلُّ أشار بقتلى، إلا أنهم اختلفوا في القِتلة كيف تكون؟ ثم قال المأمون لأحمد بن أبي خالد: ما تقول يا أحمد؟ قال: يا أمير المؤمنين؛ إن قتله وجدنا مثلك من قتل مثله،

وإن عفوت عنه لم نجد مثلك من عفا عن مثله . فنكس اللأمون رأسه وجعل
يَنكُتُ في الأرض ، وأنشد ممتثلاً :

قويِّمُ قتلوا أميَ أخى فإذا رميتُ يُصيبني سَهبي .
فكشفت المِقمعة عن رأسي ، وكبرتُ نكيرة عظيمة ، وقلت : عفا - والله -
عني أمير المؤمنين ! فقال للأمون : لا بأس عليك يا عم ! قلت : ذنبى يا أمير المؤمنين
أعظم من أن أقوّه معه بمنذر ، وعفوك أعظم من أن أنطقَ معه بشكر ، ولكننى
أقول :

إن الذى خلق للكارمِ حازها فى ضلبي آدم للإمام السابع
مُثلت قلوب الناس منك مهابةً وتظلّ تكلوهم قلبى خاشع
ما إن عصبتك والغواة تمدنى أسبابها إلا ينسى طائع
فغفرت عمن لم يكن عن مثله عفوّ ولم يشفع إليك بشافع
ورحمت أطفالا كأفراخ القطا وجنين والدية بلبي جازع
فقال للأمون : لا تُزَيِّبْ عليك اليوم ، قد عفوتُ عنك ، ورددتُ عليك
ممالك وضياعك . فقلت :

رددت مالى ولم تبخل علىّ به وقبل ردّك مالى قد حققت دى
فلو بذلت دى - أبنى رضاك به - وللآل ، حتى أسأل النمل من قديمي
ما كان ذاك سوى عارية رجعت إليك ، لو لم نعرها كنت لم تُلمر
فإن جعدتُك ما أوبيت من كرم إلى إلى اللؤم أولى منك بالكُرم

فقال للأمون : إن من الكلام لدُراً ، وهذا منه ، وخلع علىّ وقال : يا عم ؛
إن أبا إسحاق والعباس أشارا بقتلك ؛ قلت : إنهما نصحاك يا أمير المؤمنين !

ولكن أتيت بما أنت أهله ، ودفعت ما خفت بما رجوت . فقال المؤمن :
أمت حقدى بحياة عذرك ، وقد عفوتُ عنك ولم أجرك مَرارة امتنان الشافعين .
ثم سجد طويلا ، ورفع رأسه وقال : يا عم ! أتدري لم سجدت ؟ قلت : شُكراً لله
الذى أظفرك بملو دولتك . فقال : ما أردتُ هذا ، ولكن شُكراً لله الذى ألهمنى
العفو عنك ، فغدثنى الآن حديثك . فشرحت له ما كان من أمرى ، فأمر بإحضار
امرأة الجندى وأدخلها إلى القصر ، وقال : هذه امرأة عاقلة تصالح للمهمات ،
وأحضر الخبثام فقال له : لقد ظهر من مروءتك ما يوجب المبالغة فى إكرامك .
ثم خلع عليه ، وأجرى له ألف دينار فى كل عام ، ولم يزل فى تلك النعمة
إلى أن مات .

١٣٤ - من جُود أبي دَلْف*

لما مرض أبو دَلْف^(١) بالعلّة التي مات بها أقام شهراً ملازماً الوِسَادَة ، فأتاه يوماً ، فقال لخادمه بِشْر : كم لي على هذه الحال ؟ قال : شهر . فلما سمع ذلك من بِشْر بكى كثيراً ، وقال : أيمرُ على من عمرى هذه اللدة لا أبرُّ فيها أحداً من الناس ! يا بِشْر ! أخرج إلى الباب فإن قلبي يشهدُ أن بالباب قوماً لهم إلينا حوائج ! فلا تمنع أحداً من الدخول إلينا .

فخرج بِشْر ، فإذا عشرة من أولاد أبي طالب ، فأمرهم بالدخول ، فدخلوا ؛ فابتدر رجلٌ منهم ، وقال : أصلحك الله ! نحن قوم من بنى أبي طالب من أهل بيت رسول الله ، وقد أحاطت بنا المصائب ، وأجحت بنا النوائب ، فإن رأيت أن تجبر كسرتنا ، وتنفى فقرنا ، فضجّل .

فقال لخادمه : خذُ يدي ، فأجلسني على ذاك الفراش ، فقل ، ثم قال : ليأخذ كل واحدٍ منكم ورقةً ، وليكتب فيها بخطه : إنه قبض منى مائة ألف درهم . فتعيرُوا عند قوله ، فلما كتبوا الرقاع وضموها بين يديه ، فقال لخادمه : اثنى بالمال ، فأحضره ، فأعطى كل واحدٍ منهم مائة ألف درهم .

فلما تسلموا المسال قال رجلٌ منهم : بالآباء نديك ، وبالأهيات نبيك ! والله ما لنا مال ولا عتار ، وخطوطنا عندك ماذا تصنعُ بها ! فبكى ، وقال لهم : أنظنون أنبأ وثائقُ عليكم ؟ لا والله ، لا والله ! ثم قال لخادمه : يا بِشْر ، إذا أنا مت فاجعل الرقاع في أكفاني التي بها محمدٌ صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ؛ ثم قال له : أعط كلّا منهم ألف درهم لنفقة طريقه . انصرفوا بارك الله فيكم !

* المختار من نوادر الأخبار - مخطوط .

(١) هو القاسم بن عيسى ، أحد قواد المؤمنين ، ثم انضم من بعده ، كان كريماً سرياً جواداً ممدحاً مقدماً ذا واقع مشهورة وصنائع مأثورة كما كانت له صنعة في البناء ، توفي سنة ٢٢٥ .

١٣٥ — عبد الله بن طاهر^(١) والحصني*

قال محمد^(٢) بن الفضل الخراساني :

لما قال عبد الله بن طاهر قصيدته التي يفخر فيها ببلّادته وأهله ويفخر
بقتلهم الخلويع^(٣) ، عارضه محمد بن يزيد الأموي الحصني ، فأفرط في السب ،
وتجاوز الحد في قبّح الرد .

فلما وليّ عبد الله مصر ورّد إليه تدبير أمر الشام علم الحصني^(٤) أنه لا يُفْلِت
منه إن هرب ، ولا ينجو من يده حيث حلّ ، فثبّت في موضعه ، وترك أمواله
ودوابّه ، وكلّ ما كان يملكه في موضعه ، وفتح باب حصنه وجلس عليه ،
ونحن نتوقّع من عبد الله بن طاهر أن يوقع به .

فلما شارفنا بلده ، وكنا على أن نصبحه ، دعاني عبد الله في الليل ، فقال لي :
يَبْتَ عِنْدِي اللَّيْلَةَ ، وليكن فرسك معداً عندك . فقلت .

فلما كان السّحر أمر غلمانته وأصحابه ألا يرحلوا حتى تطلع الشمس ؛ وركب
وركبّت معه أنا وخمسة من خواصّ غلمانته .

فسار حتى صبح الحصنيّ ؛ فرأى بابه مفتوحاً ، ورآه جالساً ، قصصده .
وسلمّ عليه ونزل عنده ؛ وقال له : ما أَجَلَسَكَ هاهنا وحملك على أن تفتح بابك ،
ولم تتحصّن من هذا الجيش المقبل ، ولم تنتفع عن عبد الله بن طاهر مع ما في نفسه عليك

* الأغانى : ١١ - ١٢ .

(١) عبد الله بن طاهر : من أشهر الولاة في العصر العباسي ، ولاء أنامون خراسان ، وكان
سيداً نبيلاً عالٍ المهمة شهيداً ، وتوفي سنة ٢٣٠ هـ . (٢) محمد بن الفضل الخراساني كان من
وجوه قواد طاهر وابنه عبد الله وكان أدبياً عاقلاً فاضلاً . (٣) الخلويع : الأيمن .

(٤) كان من ولد مسلمة بن النكاح .

وما يأنه عنك ؟ قال : إنَّ ما قلتَ لم يذهب عني ، ولكني تأملتُ أمرى ، وعلتُ
أنى أخطأتُ خطيئةً حَلَّتْني عليها نَزَقُ الشبابِ وغِرَّةُ الحداثة ، وأنى إن هربتُ منه
لم أفتنه ؛ فباعدتُ البنات والحرم ، واستسلمتُ بنفسى وكلِّ ما أملك ؛ وإنى أتق
بأنَّ الرجلَ إذا قتانى ، وأخذ مالى شقى غيظه ، ولم يتجاوز ذلك إلى الحرم ، ولا
يوجب جرئى أكثر مما بذلته .

قال : فوالله ما إنَّناه عبد الله إلا بدموعه تجرى على خفيه . ثم قال له :
أتعرفنى ؟ قال : لا والله ، قال : أنا عبدُ الله بن طاهر ، وقد آمن الله تعالى رَوْعَتَكَ
وحسنَ دمك ؛ وصانَ حرمك ، وحرسَ نَمَتَكَ ، وعفا عن ذنبك ، وما تمجَّلتُ
إليك وحدى إلا لتأمنَ هجومَ الجيش ، ولئلا يُخالطَ عفوئى عنك رَوْعَةٌ^(١) تلحقك ،
فبىكى الحصنى وقام قَبْلَ رأسه وضمه عبد الله وأذناه ؛ ثم قال له : أما الآن فلا بد
من عتاب : يا أخى - جعلنى الله فداك - قلتُ شعراً فى قومى أغر بهم لم أظن فيه
على حسيك ، ولا ادَّعيتُ فضلاً عليك ، وفخرتُ بقتل رجل - وإن كان من قومك -
فهم القوم الذين ثأركَ عندهم ، فكان يَسْمُكُ السكوت .

فقال : أيها الأمير ، قد عفوتَ فأجعل العفو الذى لا يخالطه تَرْيبٌ^(٢) ؛
ولا يكدرُ صفوه تَأْيِيبٌ . قال : قد فعلت ، فهم بنا ندخل إلى منزلك حتى نوجبَ
عليك حقَّ بالضيافة . فقام مسروراً .

فدخلنا . فأنى بطعام كان قد أعدّه ، فأكلنا وجلسنا نشربُ فى مستشفٍ له .
وأقبلَ الجيش ؛ فأمرنى عبد الله أن أتلقاهم فأرحلهم ولا ينزل أحدٌ منهم
إلا فى المنزل ، وهو على ثلاثة فراسخ ، ثم دعا بدواة ، فكتب له بتسويفه خراجة
ثلاث سنين ، وقال له : إن نشطت لنا فالحق بنا ، وإلا فأقم بمكانك . قال : فإنا
أتمجَّز وألحقُ بالأمر . فقبل فالحق بنا بمصر ؛ ولم يزل مع عبد الله لا يفارقه حتى
رحل إلى العراق فودَّعه ، وأقام ببغده .

(١) الروعة : الفزعة . (٢) التريب : الاستقصاء فى اليوم .

١٣٦ - حُسْنُ الْمَكَافَاةِ*

حكى الحسن^(١) بن سهل ، قال :

كنت يوماً عند يحيى بن خالد البرمكي ، وقد خلا في مجلسه لإحكام أمره من أمور الرشيد ، فبينما نحن جلوس إذ دخل عليه جماعة من أصحاب الحوائج ، فضاها لهم ؛ ثم توجهوا لثأنهم ، فكان آخرهم قياماً أحد بن أبي خالد ، فنظر يحيى إليه ، والتفت إلى الفضل ابنه ؛ وقال : يا بني ؛ إن لأبيك مع أبي هذا الفتى حديثاً ، فإذا فرغت من شغلي هذا فذكرني أحدك به .

فدا فرغ من شغله وحليم^(٢) قال له ابنه الفضل : أعزك الله يا أبي ؛ أمرتني أن أذكرك حديث أبي خالد ، قال : نعم ، يا بني :

لما قدم أبوك من العراق أيام المهدي كان فقيراً لا يملك شيئاً ، فاشتد بي الأمر ، إلى أن قال لي من في منزلي : إنا كتمنا حالنا ؛ وزاد ضررنا ، ولنا اليوم ثلاثة أيام ما عندنا شيء ، ففتأت به ، فبكيت يا بني لذلك بكاء شديداً ، وبقيت ولها ن حيران مطرِفاً مفكراً .

ثم تذكرت صديلاً كان عندي ، فقلت له : ما حال المندبل ؟ فقالوا : هو باقٍ عندنا . تنبأ : اذ قموه لي ، فأخذته ودفعته إلى بعض أصحابي ، وقلت له : إنه بما تيسر ، فباعه بسبعة عشر درهماً ، فدفعته إلى أهلي ، وقلت : أشقوها إلى أن يرزق الله غيرها !

* المتطرف : ١ - ٢٣٩ .

(١) الحسن بن سهل : هو وزير الأمون بعد أخيه الفضل ، كان على الهمة ، كثير الصفاء لشراء وغيرهم ، توفي سنة ٢٣٦ هـ . (٢) طعم : أكل .

ثم بَكَرْتُ من القَدْرِ إلى باب أبي خالد، وهو يومئذ وزيرُ المهديّ، فإذا الناسُ وقوفٌ على داره ينتظرون خروجه؛ فخرج عليهم راكباً، فلما رآني سَلَّمَ عليّ، وقال: كيف جالك؟ قلت: بأبأ خالداً؛ ما حالُ رجلٍ يبيعُ من منزله بالأمسَ منديلاً بسبعة عشر درهماً! فنظر إليّ نظراً شديداً؛ وما أجابني.

فرجعتُ إلى أهلي كسير القلب، وأخبرتُهم بما اتَّفَقَ لي مع أبي خالد، فقالوا: بئس والله ما فعلت، توجهت إلى رجلٍ كان يرتجيك لأمرٍ جليل؛ فكشفت له سرّك وأطلعتَه على مكنون أمرك، فأزريت^(١) عنده بنفسك، وصغرت عنده منزلتك، بعد أن كنتَ عنده جليلاً، فما يراك بعد اليوم إلا بهذه العين، قلت: قد قضى الأمرُ بما لا يمكن استِدرَاجُه.

فلما كان من القَدْرِ بَكَرْتُ إلى باب الخليفة، فلما بلغت البابَ استقبلي رجلٌ، فقال لي: قد دُكرت الساعةُ بباب أمير المؤمنين؛ فلم ألتفتَ لقوله، فاستقباني آخر، فقال لي كِبالةِ الأول، ثم استقبلي حاجبُ أبي خالد، فقال لي: أين تكون؟ قد أمرني أبو خالد بإجلاسك إلى أن يخرج من عند أمير المؤمنين.

فجلستُ حتى خرج. فلما رآني دعاني، وأمر لي بلبانة، فركبتُ، وسرتُ معه إلى منزله، فلما نزل قال: عليّ فلان وفلان الخنَاطَين^(٢). فأخضرا، فقال لهما: أَلَمْ تشتريامني غلاتِ السواد^(٣) بثمانيسَة عشر ألف ألف درهم؟ قالَا: بلى، قال: أَلَمْ اشتِرتَ عليكما شركةَ رجلٍ معكما؟ قالَا: بلى، قال: هذا هو الرجل الذي اشتِرتَ شِرْكته لكما، ثم قال لي: قمْ مَعها.

فلما خرجنا، قالَا لي: ادْخُل معنا بعضَ الساجد حتى نكلّمك في أمرٍ يكونُ

(١) أُرزى به: خُره وهون من هأه. (٢) الخنَاط: بائع الخنطة، وهي البر.

(٣) السواد: ما حوالى الكوفة من القرى.

لك فيه الرجح المنيء؛ فدخلنا مسجداً ، فقال لي : إنك تحتاج في هذا الأمر إلى وكلاء وأمناء وأعوان ومؤن ، لا تقدر منها على شيء ، فهل لك أن تبيعنا شركتك بمال نجعله لك ، فتنتفع به ، ويسقط عنك التعب والنصب ؟ قلت لهما : وم تبذلان لي ؟ قالوا : مائة ألف درهم . قلت : لأفعل .

فما زال يزيداني ، وأنا لا أرضى إلى أن قال لي : ثلثمائة ألف درهم ، ولا زيادة عندنا على هذا . فقلت : حتى أشاور أبا خالد . قالوا : ذلك لك .

فرجعت إليه وأخبرته ، فدعا بهما ، وقال لهما : هل وافقتما على ما ذكر ؟ قالوا : نعم ، قال : اذهبا ، فاقصداه لئال الساعة ، ثم قال لي : أصلح أمرك ، وهبياً ، فقد قلدتك العمل .

فأصلحت شأني ، وقلدني ما وعدني به ؛ فما زلت في زيادة ، حتى صار أمرى إلى ما صار .

ثم قال لولده الفضل : يا بني ؛ فما تقول في ابن من فعل أبائك هذا الفعل ؟ وما جزاؤه ؟ قال : حق لعمري وجب عليك له . فقال : والله يا ولدي ما أجده له مكافأة ؛ غير أني أعزل نفسي وأوليه .

١٣٧ — رَجَوْتُكَ دُونَ النَّاسِ *

قال أبو العِيْناء ^(١) :

حصلت لى ضيقة ^(٢) شديدة ، فكتمتها عن أصدقائى ، فدخلت يوماً على يحيى ^(٣) بن أكرم ؛ فقال : إن أمير المؤمنين المأمون جالس للظالم ؛ فهل لك فى الحضور ؟ قلت : نعم ! فضيقتُ معه إلى دار أمير المؤمنين ؛ فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسنى ، ثم قال : يا أبا العِيْناء ؛ ما الذى جاء بك فى هذه الساعة ؟ فأنشدته :

لقد رجوتك دون الناس كلهم وللرجاء حقوق كلهم تجب
إن لم تكن لى أسباب أعيش بها فى الملاءك أخلاقى هى السبب

قال : بإسلامه ؛ انظر أى شىء فى بيت مالنا دون مال المسلمين ؟ فقال : بقية من مال ، قال : فادفع إليه مائة ألف درهم ، وإبعث له بمثلها فى كل شهر !

فلما كان بعد أحد عشر شهراً مات المأمون ؛ فبكى عليه أبو العِيْناء حتى تفرخت أجنانه ؛ فدخل عليه بعض أهله ، فقال : يا أجه ، بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء ؟ فأنشأ أبو العِيْناء يقول :

شيثان لو بكت السماء عليهما عيناى حتى يؤذنا بذهاب
لم يلبثا العشار ^(٤) من حقهما فقد الشباب وفرقة الأحباب

* نمرات الأوراق للحموى : ٢ - ٢٤٥ .

(١) هو محمد بن القاسم ، أديب فصيح من طرقة العالم ومن أسرع الناس جواباً ، نشأ وتوفى بالبصرة سنة ٢٨٣ هـ . (٢) للضيقة : الفقر وسوء الحال . (٣) يحيى بن أكرم : فاض رفيع القدر ، على الشهرة ، من نبلاء الفقهاء ، يتصل نسبه بأكرم بن سيني حكيم العرب ، ولاء المأمون قضاء البصرة . ثم ولاء قضاء بغداد ، ثم أضاف إليه تدبير مملكته ؛ فكان وزراء الدولة لا يقدمون ولا يؤخرون فى شىء إلا بعد عرضه عليه ، ثم عزله للتصم فزعم بيته ، وردده التوكل إلى عمله . توفى بالريلة سنة ٢٤٢ هـ . (٤) معشار الشىء : عشرين .

١٣٨ — المأمون يعفو عن الحسين بن الضحاك *

قال محمد بن أبي الأزهر :

كنتُ بين يدي للمأمون واقفاً ، فأدْخَلَ عليه ابنُ البواب الحاجبُ رقةً فيها
أبيات ، وقال : إن رأى أميرُ المؤمنين أن ياذنَ لي في إنشادِها ! فظنَّها له فقال :
هاهنا ، فأنشده :

أجرني فإني قد ظننتُ إلى الوعدِ متى تُنجز الوعدَ للوَكْدِ بالعهدِ
أُعِيدُكَ من خُلفِ اللوكِ وقد بدَا تَقَطَّعُ أنفاسي عليك من الوجْدِ
أبيخلُ فردُ الحسنِ عني بنائلُ قليسٍ ، وقد أفرَدته بهوى فردِ
إلي أن بلغ إلى قوله :

رأى الله عبدَ الله خيرَ عباده فلكه ، والله أعلمُ بالعبدِ
ألا إنما المأمونُ للناسِ عصمةٌ مميزةٌ بين الضلالةِ والرشدِ
فقال المأمون : أحسنتَ يا عبدَ الله . فقال : يا أميرُ المؤمنين ؛ بل أحسنَ قائلاً ،
قال : ومن هو ! قال : عبدك الحسين بن الضحاك ^(١) ! فغضب ، ثم قال : لاحقاً
الله من ذكرتَ ولا بَيَّاه ولا قرَّبه ، ولا أنبمَ به عينا ، أليس هو القاتل :

أعيني جوداً وابكياً لي محمداً ولا تدخراً دمعاً عليه وأسعداً
فلا تَمِتِ الأشياءُ بسدِ محمد ولا زالَ شملُ الملكِ فيه مُبدداً
ولا فرحَ للمأمونُ بالملكِ بصدِّه ولا زالَ في الدنيا طريداً مشرَّحاً

* الأغانى : ٧ - ١٦٥ . الفرج بعد الشدة : ١ - ٦٢ .

(١) هو مولى باهية ، ولد بالبصرة ونشأ فيها وتادم الخلفاء من بني العباس وكان خليعاً فاسداً ،
ولكنه كان حسن التصرف في النظم ، ولعمره قبول ورواق . مات سنة ٢٥١ هـ .

هذا بذلك ، ولا بُدَّ له عندنا ، قال له ابنُ البَوَّاب : فأين فضلُ أمير المؤمنين
وسنةُ حله ، وعادته في العفو !

فأمره بإحضاره ، فلما حضر سَلَّمَ فردَّ عليه ردًّا جافاً ؛ ثم أقبل عليه ، قال :
أخبرني عنك ؛ هل عرفتَ يومَ قُتِلَ أخى محمد - رحمه الله - هاشمياً فُكِلَتْ أو
هُتِكَت ، قال : لا ، قال : فامعنى قولك :

وَسِرْبُ ظَبَاءٍ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ هَتَفَنَ بِدَعْوَى خَيْرٍ حَتَّى وَصَّيَتْ
أُرْدُؤُا يَدَايَ مَنِي إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ عَلَى كَبِدِ حَرَمِي وَقَابِ مُفَتَّتِ
فَلَا بَاتَ لَيْلُ الشَّامَتَيْنِ يَنْبُطِلُ وَلَا بَلَكَتْ آمَالُهُمْ مَا نَصَّتِ
فقال : يا أمير المؤمنين ، لوعةٌ غلبتني ، وروعةٌ فاجأتني ، ونمةٌ قدسها بعد أن
عمرتني ، وإحسانٌ شكرته فأنطقني ، وسيدٌ قدسته فأقلقني . فإن عاقبتَ فيحسبك ،
وإن عفوتَ فبفضلك .

فلمعت عيناً للآمون ، وقال : قد عفوتُ عنك ، وأمرتُ بردَ أرزاقك ،
وإعطائك ما فات منها ، وجملتُ عقوبةَ ذنبك امتناعي من استخدامك .

۱۳۹ - وفاء کافور *

قال أبو الفتح المنطقي : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ كَافُورِ الْإِخْشِيدِيٍّ ^(١) وَهُوَ يَوْمُئِذٍ صَاحِبُ مِصْرَ وَالشَّامِ ، وَلَهُ مِنَ الْبَسْطَةِ وَفَازِ الْأَمْرِ وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ وَالْقَدْرِ وَشَهْرَةِ الدِّكْرِ مَا يَتَجَاوَزُ الْوُصْفَ وَالْحُصْرَ ، فَحَضَرَتِ الْمَائِدَةُ وَالطَّعَامُ ، فَلَمَّا أَكَلْنَا نَامَ وَانصَرَفْنَا .

فلما انتبه من نومه طلب جماعة منا ، وقال : امضوا إلى عَقْبَةِ التجَّارين ،
واسألوا عن شيخ منجم أعور كان يقصدُ هناك ، فإن كان حيًّا فأحضروه ، وإن كان
قد توفَّى فاسألوا عن أولاده واكشفوا أمره .

فضيلاً هناك ، وسألنا عنه ، فوجدناه قد مات وترك بنتين : إحداهما متزوجة والأخرى عاتق^(٢) ، فعدنا إلى كافور وأخبرناه بذلك . فسّر في الحال من اشترى لكل واحدٍ منهما داراً ، وأعطى كل واحدٍ منهما ثياباً وكسوةً وزهباً كثيراً ، وزوج العاتق وأجرى على كل واحدٍ منهما رزقاً ؛ وأشهر أنهما من المتعلقين به ، لعابة أمورهما .

فلما فعل ذلك وبالع في ضحك، وقال : أنتمون سبب هذا ؟ قلنا : لا نعم ، فقال : اعلوا أني مررت بوجهه في ذلك المنجم ، وأنا في ملك ابن عباس الكاتب بماله رمة ، فوقفت عليه فظفر إلى واستجلسني ، وقال : أنت تصير إلى رجل جليل

❖ العقد الفريد للملك السعيد : ٨٥ .

(١) كافور الإخيدى ، كان عبداً اشترته الإخيد ملك مصر سنة ٣١٢ هـ فحبب إليه وأعتقه وما زالت محبته تصعد به حتى ملك مصر سنة ٣٥٥ ، وتوفي بالفاخرة سنة ٣٥٧ هـ .

(٢) العائق : الجارية التي لم تزوج -

القدر ، وتبلغُ معه مبلغاً كبيراً ، وتنالُ خيراً كثيراً ، وطلبُ مَنى شيئاً فأعطيتهُ
درهمين كانا مئى ، ولم يكن مئى غيرُهما ، فرمى بهما ، وقال : أبشرك بهذه البشارة
ونسطينى درهمين اثم قال : وأزيدُك ، أنت والله تملكُ هذا البلد وأكثرُ منه ،
فأذكرُنى إذا ما صرتَ إلى ما وعدتُك به ولا تنسى . فبذلتُ له ذلك ، وقالت :
نم ، قال : عاهدنى أنك تبقى لى ، ولا يشغلك الملكُ عن افتقادى ؛ فعاهدتهُ ولم
ياخذ الدرهمين .

ثم إنى شغلتُ عنه بما تجددُ لى من الأمور والأحوال ، وصرتُ إلى هذه
المسألة ، ونسيتُ ذلك ؛ فلما أكلنا اليوم ونمتُ رأيتُهُ فى المنام قد دخل حلى وقال :
أين الوفاءُ بمهدك وتمام وعدك ؟ لا تنذرُ فيُغدرَ بك . فاستيقظتُ وفعلتُ
مارأيتُ .

ثم اشتهر إحسانهُ إلى بنى النجم لوفائه لوالدهما ، فضاعفَ الدُّعاءُ له
والثناءُ عليه .

١٤٠ — دَرَسُ يُلْقَى عَلَى حَامِد *

قال المنصور بن أبي عامر يوماً لأبي يوسف الرمادى : كيف ترى حالك
مى ؟ قال : فوقَ قَدْرِي ودونَ قَدْرِكَ . فأطرق المنصورُ كالنضبان ، فأنسلَّ
الرمادى ، وخرج وقد ندم على ما بَدَّرَ منه ، وجعل يقول : أخطأتُ ، لا والله
ما يفلح مع اللوك من ياملهم بالحق ! ما كان ضرنى لو قلتُ له : إني بلغت السماء ،
وتمنعت بالجزاء ! وأنشد :

مَتَى يَأْتِ هَذَا الْمَوْتُ لَا يُبْلَغُ حَاجَةٌ لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا

ولما خرج كان فى المجلس من يحسده على مكانه من المنصور ، فوجد فرصة
فقال : وصل الله لولانا الفקר والسَّمدَ ، إن هذا الصنفَ صِنْفُ زُورٍ وهَذْيَان ،
لا يشكرون نعمة ، ولا يرعون إلَّا ^(١) . ولا ذِمَّة ؛ كلابٌ من غَلَب ، وأصحاب من
أخصب ، وأعداء من أجذب ؛ وحسبك منهم أن الله جلَّ جلاله يقول فيهم :
﴿ وَالشُّرَكَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ
مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ . والابتعادُ منهم أولى من الاقتراب ؛ وقد قيل فيهم : ما ظنك
بقوم الصدق يُسْتَحْسَنُ إلَّا منهم !

فرجع للمنصور رأسه . وكان مُحَامِي أهلِ الأدب والشعر . وقد اسودَّ وجهه ،
وظهر فيه الفضبُ للفرط ؛ ثم قال : ما بال أقوام يُشيرون فى شيء لم يُستشاروا فيه ؛
ويسئون الأدب بالحكم فيما لا يدرون : أُرْغِفْنِي أَمْ يُسْخِطُ ! وأنت - أيها

* فتح الطيب : ٢ - ٢٢٦ .

(١) الإل : العهد .

الذئبت للشر دون أن يبعث - قد علمنا غرضك في أهل الأدب والشعر عامة ،
وحسدك لهم ، لأن الناس كما قال القائل :

من رأى الناس له فضلاً عليهم حذوه

وعرفنا غرضك في هذا الرجل خاصة ، ولنا - إن شاء الله - نبلغ أحداً
غرضه في أحد ؛ وإنك ضربت في حديد بارد ، وأخطأت وجه الصواب ؛
فردت بذلك احتقاراً وصغاراً ، وإني ما أطرقت من كلام الرمادى إنكاراً عليه ؛
بل رأيتُ كلاماً يحلُّ عن الأقدار الجلييلة ، وتنجبتُ من تهديده له بسرعة ؛
والله لو حكمتُه في بيوت الأموال لرأيتُ أنها لا ترجع ما تكلم به قدر ذرة ،
وإياكم أن يهود أحد منكم إلى الكلام في شخص قبل أن يؤخذ منه فيه ؛
ولا تحكموا علينا في أوليانا ولو أبصرتم منا التغير عليهم ؛ فإنا لا نتغير عليهم
بنفسا لهم ؛ وانحرافاً عنهم ، بل تأدياً وإنكاراً ؛ فإنا من نريد إيماده لم نُظهِر له
التغير ، بل نفيذه مرة واحدة ؛ والتغير إنما يكون لمن يُراد استبقاؤه .

ولو كنتُ ماثلاً السمع لكل أحد منكم في صاحبه لتفرقتم أيدي سباً ،
وجوبتُ أنا مجانبية الأجرب ، وإني قد أطلتكم على ما في ضميري ، فلا تمدلوا
عن مَرْضاتِي .

ثم أمر أن يُرد الرمادى ، وقال له : أعِدْ على كلامك ، فارتاع . قال :
الأمرُ على خلاف ما قدرت ، الثوابُ أولى بكلامك من العقاب ، فسكن تأنيسه ^(١) ،
وأعاد ما تكلم به ، فقال للنصور : بلتنا أن النعمان بن النذر حشا فم النابضة بالذر
لكلام استملحه منه ، وقد أمرنا لك بما لا يقصُر عن ذلك وبما هو أنوه
وأحسن عاقدة .

(١) التأنيس ؛ خلاف الإيماش .

وكتب له بحال وخلع وموضع يعيش منه ؛ ثم ردّ رأسه إلى التسكّم في شأن الرماذى - وقد كاد ينوصُ في الأرض لشدة ماحلّ به مما رأى وسمع - وقال : والعجبُ من قوم يقولون : الابتعادُ من الشعراء أولى من الاقتراب ، نعم ، ذلك لمن ليس له مفاخر يُريد تخليدَها ، ولا أياذٍ يرغبُ في نشرها ، فأين الذين قيل فيهم :

على مُكثريهم رزقٌ من يعترهمُ وعند المقلين الساحةُ والبذل^(١)
وَأين الذى قيل فيه :

إنا الدنيا أبو دُلْفٍ بين مبداه^(٢) ومُختصره
فإذا ولّى أبو دُلْفٍ ولّت الدنيا على أثره^(٣)
أما كان في الجاهلية والإسلام أكرمُ ممن قيل فيه هذا القول ؟ بلى ، ولكنَّ
صُحبةَ الشعراء والإحسانَ إليهم أحيّتْ ظُبرَ ذكْرهم ، وخصّتهم بمفاخر عصرهم ،
وغيرهم لم تخلد اللدائخُ ما ترهم ، فدترَ ذكْرهم ، ودرّس نخرهم .

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى في مدح الـ هـرم بن سنان . (٢) اللبى : كل منتجع .
(٣) البيتان لـملى بن جبلة في مدح أبي دلف .

١٤١ - عفة الشريف الرضى*

حكى أبو حامد بن محمد الإسفرايينى الفقيه الشافعى ، قال :

كنت يوماً عند نحر الملك أبى غالب بن خلف وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة ، فدخل عليه الرضى أبو الحسن^(١) فأعظمه وأجله ، ورفع من منزلته ، وخلق ما كان بيده من القصص والزجاج ، وأقبل عليه بمجده إلى أن انصرف . ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو القاسم ، فلم يُعظمه ذلك العظيم ، ولا أكرمه ذلك الإكرام ، وتشاغل عنه برقاع يقرؤها وتوقيعات يُوقع بها ، فجلس قليلاً ، وسأله أمراً فقصاه ، ثم انصرف .

قال أبو حامد : فتقدمت إليه وقتلته : أضحك الله الوزير ، هذا المرتضى هو الفقيه للتكلم صاحبُ الفنون ، وهو الأمثل^(٢) الأفضل منهما ، وإنما أبو الحسن شاعرٌ . فقال لى : إذا انصرف الناس ، وخلا المجلس أجبتك عن هذه المسألة . قال : وكنت مجمماً على الانصراف ، فجاءنى أمر لم يكن فى الحُسبان ، فدعت الضرورةً لملازمة المجلس إلى أن تقوض الناس واحداً فواحداً .

فلما لم يبقَ إلا غلمانهُ وحُجَّابُه دعا بالطعام ، فلما أكلنا وغسل يده وانصرف عنه أكثرُ غلمانهِ ، ولم يبقَ عنده غيرى ، قال لخادم له :

* ابن أبى الحديد : ١٣-١ .

(١) هو أبو الحسن محمد بن الطاهر ، كان أبوه تقيب الطالبيين ، وصارت إليه الثغابة وأبوه حى ، أجمع النقاد على أنه أشعر قريش ، وكان عالماً بعلوم القرآن واللغة والنحو ، وله فيها المؤلفات النافعة . توفى سنة ٤٠٦ هـ . (٢) فلان أمثل بنى فلان : أى أدلّهم الخير .

هات الكتابين اللذين دفعتهما إليك منذ أيام ، وأمرتكَ أن تجعلهما في السَّط (١) ، الثلاثي . فأخضرها فقال : هذا كتاب الرضى ، أتصل بي أنه قد ولد له ولد ، فأفندتُ إليه ألف دينار ، وقلت : هذه للقابلة .— قد جرت المادة أن يحمل الأصدقاء إلى أخلائهم ، وذوى مودتهم مثل هذا في مثل هذه الحال .— فردّها ، وكتب إلى هذا الكتاب ، فأقرأه .

قال : قرأته ، وهو اعتنار عن الردّ ، وفي جملة : إنا .— أهل بيت .— لا يطلع على أحوالنا قابلة غريبة ، وإنما مجازتنا يتولّى هذا الأمر من نساتنا ، ولسن بمن يأخذن أجره ، ولا يقبلن صلة .

قال : فهذا ، هذا .— وأما المرتضى فلنا كنا قد وزعنا وقسطنا (٢) على الأملاك نسيطاً نصرته في حفر قوّة للنهر المعروف بنهر عيسى ، فأصاب ملكاً للشرى المرتضى عشرون درهماً ، وقد كتب إلى منذ أيام في هذا المعنى هذا الكتاب فأقرأه ؟ قرأته ، وهو أكثر من مائة سطر يتضمن من الخشوع والخشوع والاستقالة والطلب والسؤال في إسقاط هذه الدرام عن أملاكه المشار إليها ما يطول شرحه .

قال فعزّ لك : فأيها ترى أولى بالتعظيم والتبجيل ؟ هذا العالم المتكلم الفقيه الأوحّد ، ونفسه هذه النفس ، أم ذلك الذي لم يُشهر إلا بالشعر خاصة ؛ ونفسه تلك النفس ؟ قلت : وفق الله الوزير ، فما زال موقفاً ، وما وضع الأمر إلا موضعه ، ولا أحله إلا في محله .

(١) السط : الجواني ، أو كائنة . (٢) قسط الشيء : فرقه .

١٤٢ - أمين*

قال أحد التجار :

قصدتُ الحجَّ في بعض الأعوام ، وكانت تجارتي عظيمةً ، وأموالي كثيرة ،
وكانت في وسطى هَمَيان^(١) ، فيه دنانير وجواهر قيمة ، وكان الهَمَيان من
ديباج أسود .

فلما كنت ببعض الطريق نزلت لأقضيَ بعض شأني ، فأحملُ الهَمَيان من
وسطى ، وسقط ولم أهرُك ، فإلَّه ! لم ألبسُ أن سرتُ عن الموضع فراسخ ، ولكن ذلك
لم يكن يؤثِّر في قلبي لما كنت أحتويه من غنى ، واستخلفتُ ذلك اللال عند الله
إذ كنت في طريقى إليه تعالى .

ولما قضيتُ حاجتي^(٢) وعدتُ ، تنابعتِ الحنُّ علىَّ حتى لم أملك شيئاً .
فهرَّبت على وجهي من بلدى . ولما كان بعد سنين من هجرى أفضيتُ إلى مكان
وزوجى معي ، وما أملك في تلك الليلة إلَّا دافقاً^(٣) ونصفاً ، وكانت الليلة مطيرة ،
فأويت في بعض القرى إلى خان خراب ، فجاء زوجى الخاض فتحيَّرتُ ، ثم ولدتُ
فقلت : يا هذا ؛ الساعة تخرج روحى ، فأخذنى شيئاً أتقوى به ، فخرجتُ أخبط
في الظلمة والمطر حتى جئتُ إلى بدال^(٤) فوقفت عليه ، فكلَّمتُ بعد جهد ؛
فشرحتُ له حالى ، فرحنى وأعطانى بتلك القطع حلبةً وزيتاً وأغلاهما ،

* الفرج بعد الشدة : ٢ - ١٤ .

(١) الهَمَيان : المنطقة . (٢) المحبة (بالكسر) المرة الواحدة ، وهى من الفواض .

(٣) اندانق : سدس الدرهم . (٤) البدال : بيع الأئمة .

وأعارني إني جئتُ ذلك فيه ، وجئتُ أريدُ الموضع ، فلما مشيتُ بعيداً وقربتُ من الخان زلقتُ رجلي ، وانكسر الإنياء وذهب جميع ما فيه ؛ فوردَ على قلبي أمرٌ عظيمٌ ما وردَ عليّ مثله قط ، فأقبلتُ أبكي وأصيح ؛ وإذا برجلٍ قد أخرج رأسه من شبّاك في داره ، وقال : ويلك ! مالك تبكي ! ما تدعنا أن ننام .

فشرحتُ له القصة ، فقال : يا هذا ؛ البكاء كله بسبب داني ونصف .

قال : فداخلي من النعم أعظم من النعم الأول ، قلتُ : يا هذا ؛ والله ما عندي شيءٌ لما ذهب مني ، ولكن بكائي رحمةٌ لزوجي ولنفسى ؛ فإن امرأتى تموت الآن جوعاً ، والله لقد حججتُ في سنةٍ كذا وكذا وأنا أملك من المال شيئاً كثيراً ، فذهب مني هيمان فيه دنائير وجواهر تساوي ثلاثة آلاف دينار ، فما فكرتُ فيه ، وأنت ترائي الساعة أبكي بسبب داني ونصف ، فاسأل الله السلامة ؛ ولا تعأيرني فتبلى بمثل بلّواي .

فقال لي : بالله يا رجل ، ما كانت صفةُ هيمانك ، فأقبلتُ أبكي ، وقلت : ما ينفعني ما خاطبتني به أو ما تراه من جهدي^(١) وقيامي في الطرح حتى تستهزئ بي أيضاً . وما ينفعني وينفك من صفةِ هيماني الذي ضاع منذ كذا وكذا .

ومشيتُ ؛ فإذا الرجل قد خرج وهو يصيح بي : خذ يا هذا ، فظننته يتصدق عليّ ، فجئتُ وقلت له : أي شيء تريد ؟ فقال لي : صف هيمانك وقبض عليّ ، فلم أجد للخلاص سبيلاً غير وصفه له ، فوصفته فقال لي : ادخلْ ، فدخلتُ ، فقال : أين امرأتك ؟ قلتُ : في الخان ، فأخذ غلامانه فجاءوا بها ، وأدخلتُ إلى حُرْمه^(٢) ، فأصلحوا شأنها وأطعموها كلّ ما تحتاج إليه وجاءوني بجبّةٍ وقيص

(١) الجهد : الشقة .

(٢) حرم الرجل : أهله .

وعامة وسراويل ، وأدخلت الحمام سحرًا ، وطرح ذلك على ، وأصبحت في عيشة راضية . وقال : أقم عندى أيامًا ، فأقمت عشرة أيام ، كان يعطى في كل يوم عشرة دنانير ، وأنا متعجّر في عظم برّه بعد شدة جفائه !

فلما كان بعد ذلك قال لى : فى أى شىء تنصرف ؟ قلت : كنت ناجرًا ، قال : فلى غلات وأنا أعطيك رأس مال تتجر فيه وتشركنى . قلت : أفضل ، فأخرج لى مائتى دينار فقال : خذها واتجر فيها هاهنا ، قلت : هذا معاش قد أغناى به الله يجب أن ألزمه ، فلزمته .

فلما كان بعد شهر ربحت فبعته وأخذت حقى وأعطيته حقه ، فقال : اجلس ؛ فجلست ، فأخرج لى هيبانى بعينه وقال : أنصرف هذا ؟ فحين رأيته شهقت وأنحيت على ، فأقمت إلا بعد ساعة . ثم قلت له : يا هذا ؛ أملك أنت أم نبى ؟ فقال : أنا أحفظه منذ كذا وكذا سنة ، فلما سمعتك تلك الليلة تقول ما قلته ، وطالبتك باللامة فأعطيتها أردت أن أعطيك للوقت هيبانك ، نفخت أن يشقى عليك ، فأعطيتك تلك الدنانير التى أوهمتك أنها هبة ، وإنما أعطيتكم من هيبانك ؛ نفذ هيبانك واجعلنى فى حل ، فشكرته ودعوت له .

وأخذت الهيبان ورجعت إلى بلدى ، فبعت الجواهر وضممت ثمنه إلى ما مى وانتجرت ، فما مضت إلا سنّيات حتى صرّت صاحب عشرة آلاف دينار وصلحت جالى .

البَابُ الْخَامِسُ

في القصص التي تُمدّد غرائزهم وخصالهم ،
فتكشف ما طبعوا عليه من وفرة العقل ، وحدة الذكاء ،
وصدق الفراسة وقوة النفس ، وما أهلتهم له طبيعة بلادهم ،
وأسلوب حياتهم من شريف السجايا ، وممدوح الخصال .

١٤٣ - غَمَمَ مَنْ نَجَا مِنَ الْمَوْتِ*

كان عامر^(١) بن الظَّرب المدَوَّانِي يدفعُ بالناس في الحجِّ ؛ فرآه ملكٌ من ملوك غسان ، فقال : لا أتركُ هذا المدَوَّانِي أو أذله .

فلما رجع الملكُ إلى منزله أرسل إليه : أُحِبُّ أَنْ تَزُورَنِي فَأُحِبُّوكَ وَأُكْرِمَكَ واتَّخِذْكَ خِيلاً ؛ فأتاه قومه ؛ فقالوا له : تَفِدُّ وَمَكَ قَوْمُكَ إِلَيْهِ ، فيصيبون في جنبك ، ويُوْجِهون^(٢) بِجَاهِكَ !

فخرج وأخرج معه نفرًا من قومه ؛ فلما قدم بلادَ الملكِ أَكْرَمَهُ وَأَكْرَمَ قومه ، ثم انكشفَ له عن رَأْيِ الملكِ ؛ فجمع أصحابه ، وقال : الرَّأْيُ نَأْمٌ ، والهوى يَقْطَانٌ ، ومن أجل ذلك يَنْفِلُ الهوى الرَّأْيَ . عجِلْتُ حينَ مجئهم ، ولن أعودَ بسلها .

فقال قومه : لقد أَكْرَمَنَا الملكُ كما ترى ! وبعد هذا ما هو خَيْرٌ منه !

قال : لا تعجلوا ؛ فإن لكل عامٍ طعامًا ، وربَّ أسكلة تمنعُ أسكلات^(٣) ؛ فكنثوا أيامًا .

* الأمثال : - ٢٧١ .

(١) حكيم خطيب رئيس ، من الجاهليين ، كان العرب لا تبدل بينهم فهدأ ، ولا يحكم حكماً ، وهو أول من قرعت له العصا ، وكان يقال له ذو الحلم . (٢) أوجهه : جعله وجيباً .

(٣) سارت مثلاً .

ثم أرسل إليه الملكُ ، فحدثت عنده ، ثم قال له : قد رأيتُ أن أجعلك الناظر
في أموري ، فقال له : إن لي كنز علم لست أعلم إلا به ؛ تركته في الحَيِّ مدفوناً ،
وإن قومي أضناه بي ، فاكتب لي بمجابهة الطريق ، فيرى قومي طمعاً تطيب به أنفسهم
فأستخرج كنزي ، وأرجع إليك وأفرأ .

فكتبَ له بما سأل ، وجاء إلى أصحابه ، فقال : ارملوا ؛ حتى إذا أدبروا
قالوا : لم يرَ كالיום وافدٌ أقلّ ولا أبعد من نوالٍ منك ، فقال : مهلاً ، فليس على
الرزق قوت ، وغنم من مجامع الموت .
فلما قدم على قومه أقام فلم يعد .

١٤٤ — وَاقَقَ شَنْ طَبَقَةً*

كَانَ شَنْ رَجُلًا مِنْ دُهَاةِ الْعَرَبِ وَعَقْلَانِهِمْ . وَقَالَ يَوْمًا : وَاللَّهِ لَا طُوفَنٌ حَتَّى أَجِدَ امْرَأَةً مِثْلِي أَتَزَوَّجُهَا . فَبَيْنَمَا هُوَ فِي بَعْضِ مَسِيرِهِ إِذْ وَقَفَهُ رَجُلٌ فِي الطَّرِيقِ فَسَأَلَهُ شَنْ : أَيْنَ تَرِيدُ ؟ فَقَالَ : مَوْضِعَ كَذَا - يَرِيدُ الْقَرْيَةَ الَّتِي يَقْصِدُهَا شَنْ - فَوَاقَقَهُ ، حَتَّى إِذَا أَخَذَا فِي مَسِيرِهِمَا قَالَ لَهُ شَنْ : أَتَحْمِلُنِي أَمْ أَحْمِلُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : يَا جَاهِلُ ، أَنَا رَاكِبٌ وَأَنْتَ رَاكِبٌ ، فَكَيْفَ أَحْمِلُكَ أَوْ تَحْمِلُنِي أَفَسَكْتَ عَنْهُ شَنْ .

وَسَارَا حَتَّى إِذَا قَرُبَا مِنَ الْقَرْيَةِ إِذَا بِزَرْعٍ قَدْ اسْتَحْصَدَ^(١) ؛ فَقَالَ شَنْ : أَرَى هَذَا الزَّرْعَ أَكَلِ أَمْ لَا ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : يَا جَاهِلُ ؛ تَرَى نَبْتًا مُسْتَحْصَدًا فَقُول : أَكَلِ أَمْ لَا أَفَسَكْتَ عَنْهُ شَنْ .

حَتَّى إِذَا دَخَلَا الْقَرْيَةَ لَقِيَتْهُمَا جِنَازَةٌ^(٢) ، فَقَالَ شَنْ : أَرَى صَاحِبَ هَذَا النَّمَشِ حَيًّا أَمْ مَيِّتًا ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : مَا رَأَيْتُ أَجْهَلَ مِنْكَ ! تَرَى جِنَازَةً تَسْأَلُ عَنْهَا ، أَمَيَّتَ صَاحِبُهَا أَمْ حَيٌّ ؟

فَسَكَتَ شَنْ وَأَرَادَ مَفَارَقَتَهُ ؛ فَأَبَى الرَّجُلُ أَنْ يَتْرَكَهُ حَتَّى يَصِيرَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ فَضَى مَعَهُ ؛ وَكَانَ لِلرَّجُلِ بِنْتُ يُقَالُ لَهَا طَبَقَةٌ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا أَبُوهَا سَأَلَتْهُ عَنْ صَيفِهِ ، فَأَخْبَرَهَا بِمِرَاقَتِهِ إِيَّاهُ ، وَشَكَا إِلَيْهَا جَهْلَهُ ، وَحَدَّثَهَا بِحَدِيثِهِ .

* يَجْعَمُ الْأَمْثَالُ : ٢ - ٢١١ .

(١) اسْتَحْصَدَ : كَانَ يَحْصَدُ . (٢) الْجِنَازَةُ : اللَّيْتُ عَلَى السَّرِيرِ .

قالت : يا أبت ، ما هذا يجعلل ! أما قوله : أتحملني أم أحلك ، فأراد أتحملني
أم أهدئك حتى تقطع طريقنا ، وأما قوله : أترى هذا الزرع أكمل أم لا ؟ فأراد :
هل باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا ؟ وأما قوله في الجنائز ، فأراد : هل ترك عقيبا يحيا
بهم ذكره أم لا !

فخرج الرجل فجلس إلى شنّ ؛ فغادته ساعة ، ثم قال : أتعجب أن أقسر لك
ما سألتني عنه ؟ قال : نعم . ففسره . فقال شنّ : ما هنا من كلامك ، فأخبرني
من صاحبه ؟ قال : ابنة لي .

فخطبها إليه ، فزوجه إياها ، وحملها إلى أهله . فلما رأوها قالوا : وافق شنّ
طبعة (١) .

(١) فذهب مثلا لكل اثنين متوافقين . هذا ، وقيل في أصل اللؤلؤ : إنها حيان انخفا على أمر
فليل لها ذلك ؛ لأن كل واحد منهما قيل ذلك له لما وافق شكله وتظيره . وقيل : شنّ حي من
عبد القيس ، وطبق : حي من إباد ، وكانت شن لا يقام لها ، فوافقتها طبق فانتصفت منها . وقيل :
شن قبيلة كانت تسكن النار ، فوافقهم طبق من الناس فأبادوهم .

١٤٥- ابن يبرح المبدان حتى يقتل*

صحب رجل كثير المال عبدَيْن في سفر ، فلما توسط الطريق هما بقتله ، فلما صبح ذلك عنده قال : أقسم عليكما - إذا كان لا بد لكما من قتلى - أن تمضيا إلى داري ، ونشدا ابنتي هذا البيت ! قالوا : وما هو ؟ قال : من مبلغ بنتي أن أباهما لله دركا ودرأ أيكما^(١) فقال أحدهما للآخر : ما نرى فيه بأسا .

فلما قتلاه جاءا إلى داره ، وقالوا لابنته الكبرى : إن أباك قد لحقه ما يلحق الناس ، وآلى علينا أن نخبركما بهذا البيت : قالت الكبرى : ما أرى فيه شيئا . تخبراني به ، ولكن اصبرا حتى أستدعي أختي الصغرى .

فاستدعتها فأنشدتها البيت ، فخرجت حاسرة^(٢) ، وقالت : هذان قتلا أبي يا معشر العرب ، ما أنتم فصحاء ، قالوا : وما الدليل عليه ؟ قالت : المصراع الأول يحتاج إلى ثان ، والثاني يحتاج إلى ما يُكمله ، ولا يليق أحدهما بالآخر . قالوا : فما ينبغي أن يكون ؟ قالت : ينبغي أن يكون :

مَنْ خَبَرْتُ بِنْتِي أَنْ أَبَاهَا أُمِّي قَتَلًا بِالْقَلَاءِ يُجَنِّدُ^(٣)
لَهُ دُرُّكَمَا وَدَرُّ أَيِّكَمَا لَنْ يَبْرَحَ الْمَبْدَانُ حَتَّى يُقْتَلَ
فاستخبروهما فوجدوا الأمر على ما ذكرت .

* بلوغ الأرب : ١ - ٣٢ .

(١) قه دره : أي عمله ، ولا در دره : لا زكاه عمله . (٢) حاسرة : أي كاشفة . يقال : حسرت المرأة ذراعا وخارجها ، أي كفتته . (٣) مجندلا : مصروعا على الجملاء ، وهي الأرض . وليس في كتب اللغة جنل ، وإنما بها جدل .

١٤٦ - التَّنْذِيرُ *

كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْعَنْثَرِ أَسِيرًا فِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وَعَرَفَ أَنَّهُمْ عَزَمُوا عَلَى غَزْوِ قَوْمِهِ، فَسَأَلَهُمْ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالُوا: لَا تَرْسُلْ إِلَّا بِمَحْضَرِنَا لثَلَا تَنْذِرَهُمْ؛ وَجِئْ بِمُعِدٍّ أَسْوَدَ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ لَه؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَمَاقِلٌ قَالَ: مَا أَرَاكَ عَاقِلًا.
ثُمَّ مَلَأَ كَيْفِيَّةً مِنَ الرَّمْلِ فَقَالَ: كَيْ هَذَا؟ قَالَ: لَا أَدْرِي. وَإِنَّهُ لَكَثِيرٌ قَالَ: أَيَّمَا كَثِيرٍ؟ النُّجُومُ أَمْ النَّيِّرَانِ؟ قَالَ: كُلُّهُمَا كَثِيرٌ.

فَقَالَ: أَيْلُغُ قَوْمِي التَّحِيَّةَ، وَقُلْ لَهُمْ: لِيَكْرَمُوا فَلَنَا - بَنِي أَسِيرًا كَانَ فِي دِيَارِهِمْ مِنْ بَكْرِ - فَإِنَّ قَوْمَهُ لِيُكْرِمُونَهُ، وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ الْمَرْفُجَ ^(١) قَدْ أَذْبَنِي ^(٢)، وَشَكَّتِ النِّسَاءُ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُرَوِّعُوا نَاقَتِي الْحِجَاءَ؛ فَقَدْ أَطْلَلُوا رُكُوبَهَا، وَأَنْ يَرْكَبُوا جَمَلِي الْأَصْهَبَ ^(٣)، بِآيَةٍ مَا أَكَلْتُ مَعَهُمْ حَيْسًا ^(٤)، وَاسْأَلُوا عَنْ خَبْرِي أَخِي الْحَارِثَ. فَلَمَّا أَذْبَنِي الْمُبِيدُ الرِّسَالَةَ إِلَيْهِمْ قَالُوا: قَدْ جُنَّ الْأَعُورُ! وَاللَّهِ مَا نَعْرِفُ لَهُ نَاقَةً حَمْرَاءَ وَلَا جَمَلًا أَصْهَبًا! ثُمَّ سَرَّحُوا الْمُبِيدَ، وَدَعَوْا الْحَارِثَ فَقَصُّوا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ. فَقَالَ: قَدْ أَنْذَرَكُمْ، أَمَا قَوْلُهُ: قَدْ أَذْبَنِي الْمَرْفُجَ، فَيُرِيدُ أَنْ الرِّجَالَ قَدْ اسْتَلَمُوا وَلَبَسُوا السِّلَاحَ. وَقَوْلُهُ: وَشَكَّتِ النِّسَاءُ؛ أَيُّ اتَّخَذْنَ الشُّكَاةَ لِلسَّفَرِ ^(٥)، وَقَوْلُهُ: النَّاقَةُ الْحَمْرَاءُ، أَيُّ ارْتَحَلُوا عَنِ الدَّهْنَاءِ وَرَكَبُوا الصَّمَانَ، وَهُوَ الْجَمَلُ الْأَصْهَبُ. وَقَوْلُهُ: بِآيَةٍ مَا أَكَلْتُ مَعَهُمْ حَيْسًا، يُرِيدُ أَخْلَاطًا مِنَ النَّاسِ قَدْ غَزَوْكُمْ؛ لِأَنَّ الْحَيْسَ يَجْمَعُ التَّمْرَ وَالسَّمْنَ وَالْأَفِطَ؛ فَامْتَلَوْا مَا قَالُوا، وَعَرَفُوا لَحْنَ كَلَامِهِ.

* نِهَاجَةُ الْأَرْبَابِ: ٣ - ١٥٤، بُلُوغُ الْأَرْبَابِ: ١ - ٣١، الْأَمَالِيُّ: ١ - ٨.

(١) الْمَرْفُجُ: نَيْتٌ. (٢) أَذْبَنِي الْمَرْفُجَ: خَرَجَ مِنْهُ مِثْلُ الدَّبَنِ، وَالذَّبْنُ أَصْفَرُ الْجُرَادِ وَالنَّيْلِ.

(٣) الْأَصْهَبُ: بَيْرٌ لَيْسَ بِشَدِيدِ الْبَيَاضِ. (٤) الْحَيْسُ: تَمْرٌ يَخْلُطُ بِسَمْنٍ وَأَفِطٍ فَيُجْعَلُ شَدِيدًا.

(٥) الشُّكَاةُ: وَعَاءٌ مِنْ أَدَمٍ يَرْدِفُهُ الْمَاءُ وَيُجْعَلُ فِيهِ، جَمْعُ شُكْرَانٍ وَشُكَاةٍ. شَكَّتِ النِّسَاءُ: اتَّخَذْنَ.

الشُّكَاةُ.

١٤٧ - حديث عن امرئ القيس *

قال عبد الملك بن عمير :

قَدِمَ عَلَيْنَا عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْكُوفَةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَشْرَةِ أَنَا أَحَدُهُمْ مِنْ وَجْهِ الْكُوفَةِ ، فَسَمَرُوا عِنْدَهُ ، ثُمَّ قَالَ : لِيَعْدُثْنِي كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ أَحَدُوثَهُ ، وَابْدَأْ أَنْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ ^(١) . قُلْتَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! أَحَدِيثَ الْحَقِّ أَمْ حَدِيثَ الْبَاطِلِ ؟ قَالَ : بَلْ حَدِيثَ الْحَقِّ .

قُلْتُ : إِنْ أَمْرًا الْقَيْسِ ^(٢) آتَى بِأَلْيَةٍ ^(٣) أَلَا يَتَزَوَّجُ امْرَأَةً حَتَّى يَسْأَلَ عَنْ ثَمَانِيَةِ وَأَرْبَعَةِ وَثَمْنَيْنِ ، فَجَلَّ يَخْطُبُ النِّسَاءَ فَإِذَا سَأَلَهُنَّ عَنْ هَذَا قَالْنَ : أَرْبَعَةَ عَشَرَ .

فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ يَحْمِلُ ابْنَةً لَهُ صَغِيرَةً ، كَأَنَّهَا الْبَدْرُ لَيْلَةً تَمَامَةً ، فَأَعْجَبَتْهُ ؛ فَقَالَ لَهَا : يَا جَارِيَتِي ؛ مَا ثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَاثْنَتَانِ ؟ قَالَتْ : أَمَّا ثَمَانِيَةٌ فَأَطْبَاءُ ^(٤) الْكَلْبَةِ وَأَمَّا أَرْبَعَةٌ فَأَخْلَافُ ^(٥) النَّاقَةِ ، وَأَمَّا اثْنَتَانِ فَتُدَيَّا الْمَرْأَةِ .

فَنَفِطَهَا إِلَى أَبِيهَا ، فَزَوَّجَهُ بِهَا ، وَشَرِطَتْ عَلَيْهِ أَنْ تَسْأَلَ لَيْلَةً بَنَاتِهَا عَنْ ثَلَاثِ خِصَالٍ ، فَجَلَّ لَهَا ذَلِكَ ، وَأَنْ يَسْأَلَ إِلَيْهَا ثَمْنَيْنِ الْإِبِلِ وَعَشْرَةَ عُمَدٍ وَعَشْرَ صَنَافٍ وَثَلَاثَةَ أَفْرَاسٍ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ .

* الْأَعْيَانُ : ٩ - ١٠١ ، نَهَايَةُ الْأَرْبَابِ : ٣ - ١٥٥ ، بُلُوغُ الْأَرْبَابِ : ١ : ٢٧ .

(١) كَلْبَةُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ . (٢) امْرُؤُ الْقَيْسِ : هُوَ الْمَلِكُ الضَّلِيلُ أَبُو الْحَارِثِ حَنْدَجُ بْنُ حَجَرٍ الْكِنْدِيُّ ، شَاعِرُ الْبَيْتَانِيَةِ ، وَرَأْسُ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَتَدَخَّلَ إِلَى الثَّنَيْنِ فِي أَبْوَابِ الشَّعْرِ وَخُرُوبِهِ ، وَفَدَّ نَسْأًا بِأَرْضِ نَجْدٍ ، وَوَسَّلَ سَبْلَهُ لِلتَّرْتِينِ مِنْ أَبْنَاءِ الْفُلُوكِ يَلْمُو وَيَلْسِبُ وَيَمَاقِرُ الْحَرَّ وَيُنَازِلُ الْحَنَانَ ، وَأَتَّفَقَ وَقْتُهُ فِي التَّشْيِيبِ بِالنِّسَاءِ وَالْمَرْجُوحِ فِي ذَلِكَ إِلَى حَدِّ الصَّرَاحَةِ فِي الْفُحْشِ ، فَفَتَنَهُ أَبَوَاهُ ، ثُمَّ طَرَدَهُ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٨٠ ق . هـ . (٣) آتَى : أَقْسَمَ . (٤) الْأَطْبَاءُ : حَمَلَاتُ الضَّرْعِ لَتَى خَفَ وَظَلَفَ وَشَاوَرَ وَسَمِعَ . (٥) الْأَخْلَافُ : حَمَلَاتُ ضَرْعِ الثَّالِثَةِ .

ثم إنه بث عبداً له إلى المرأة ، وأهدى إليها نِجياً^(١) من سمن ، ونِجياً من عسل ، وحلّة من عَصَب^(٢) ، فنزل العبدُ ببعض اللباه قنشر الحلّة ولبسها ، فتعلقت بَشْرَةً^(٣) ، فانشقت ؛ وفتح النّحّين ، فطعم أهلُ اللّاء منها فنقصا .

ثم قدّم على حَيِّ المرأة وهم خُلُوف^(٤) ، فألما عن أبيها وأُمها وأخيها ودفع إليها هديّتها . قالت له : أعلمُ مولاك أن أبي ذهب يُقربُ بعيداً ويُبعدُ قريباً وأن أمي ذهبت تشقُّ النفسَ نفسين ، وأن أخى يراعى الشمس ، وأن سماءكم انشقت ، وأن وعاءكم نَصَباً^(٥) .

فقدّم الغلام على مولاة فأخبره . قال : أمّا قولها : إن أبي ذهب يُقربُ بعيداً ويُبعدُ قريباً ، فإن أباهما ذهب يحالف قوماً على قومه . وأمّا قولها : ذهبت أمي تشقُّ النفسَ نفسين ، فإن أمها ذهبت تَحْمِلُ^(٦) امرأةً فُساء . وأمّا قولها : إن أخى يراعى الشمس ، فإن أخاهما في سَرَحٍ^(٧) له يرعاه فهو يَنْظُرُ وَجُوبَ^(٨) الشمس لِيُرَوِّحَ^(٩) به . وأمّا قولها : إن سماءكم انشقت ، فإن البرد الذي بعث به انشق . وأمّا قولها : إن وعاءكم نَصَباً ، فإن النّحّين الذين بعثُ بهما نَقَصاً ، فأصدقنى . قال : يامولاي ؛ إني نزلتُ بماء من مياه العرب ، فسألونى عن نسبي ؛ فأخبرتهم أننى ابنُ عمك ، ونشرتُ الحلّة فانشقت ؛ وفُتحت النّحّيين ، فأطعمتُ منهما أهل اللّاء . قال : أوّلَى لك^(١٠) !

ثم ساق مائةً من الإبل وخرج نحوها ومعه الغلام ؛ فنزلا منزلاً ، فخرج الغلام يسقى الإبل فجُزّزَ ؛ فأعانه امرؤ القيس ؛ فرمى به الغلام فى البئر ؛ وخرج حتى أتى

(١) النّجى : السقاء ، أو ما كان للسمن خاصة . (٢) العصب : نوع من البرود . (٣) البشرة : واحدة العسر وهو من كبار الشجر ، وله صلع حلو . (٤) خلوف : ضيب . (٥) المراد قنصاً . (٦) يقال : قبلت القابضة للمرأة إذا تلقت ولعها عند ولادته . (٧) السرح : الإبل السائمة . (٨) وجوب الشمس : غروبها . (٩) ليرجع . (١٠) أوّلَى لك : كلمة يقصد بها التوعّد والتهديد ، أى العسر أقرب إليك .

أهل المرأة بالابل ، وأخبرهم أنه زوجها ، فقيل لها : قد جاء زوجك . فقالت : والله ما أدري أزوجي هو أم لا ، ولكن انحروا له جزوراً^(١) وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ، فأكل ما أطعموه فقالت : اسقوه لبناً حازراً^(٢) ، فسقوه فشرب فقالت : افرشوا له عند الفرث^(٣) والدّم ، ففرشوا له ، فنام .

فلما أصبحت أرسلت إليه : إني أريد أن أسألك ، فقال : سلى عما شئت ، فسألته فلم يُعجبها جوابه ؛ فقالت : عليكم العبد فشدّوا أيديكم به ففعلوا .

قال : ومروا قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر ؛ فرجع إلى حيّه ، فاستاق مائة من الإبل وأقبل إلى امرأته ، فقيل لها : قد جاء زوجك ، فقالت : والله ما أدري أهو زوجي أم لا ، ولكن انحروا له جزوراً فأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ؛ فلما أتوه بذلك قال : وأين الكبد والسنام واللحاء^(٤) ؟ وأبى أن يأكل . فقالت اسقوه لبناً حازراً ، فأبى أن يشربه وقال : فأين الصريف^(٥) والرثية^(٦) ؟ فقالت : افرشوا له عند الفرث والدّم ، فأبى أن ينام وقال : افرشوا لي فوق التلعة^(٧) الحمراء واضربوا عليها خبائه .

ثم أرسلت إليه : هلم شريطي عليك في المسائل الثلاث ، فأرسل إليها أن سلى عما شئت . فسألته ؛ فأعجبها جوابه ؛ فقالت : هذا زوجي لعمري ، فعليكم به ، واقتلوا العبد ؛ فقتلوه ودخل امرؤ انفيس بالجارية .

فقال ابن هُبَيْرَة : حسبكم ، فلا خيرَ في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ! ولن تأتينا بأعجب منه ؛ فقمنا وانصرفنا ، وأمر لي بمجاعة

(١) الجزور : البعير يقع على الذكر والأنثى . (٢) وهو الماء من . (٣) السرجين .

(٤) لحم في الصلب من الكاهل إلى العجز في البعير . (٥) الصريف : الحليب الحار ساعة يحلب .

(٦) الرثية : اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض فيروب من ساعته . (٧) التلعة : أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها اليل ، ثم يندفع إلى تلعة أسفل منها .

١٤٨ — صحيفه المتلّس *

وفد للمتّلس^(١) هو وابن أخته طرفة بن العبد^(٢) على عمرو بن هند^(٣)، فنزلا منه في خاصته ، وكانا يركبان معه للصيد ، فيركضان طول النهار ، فيتعبان ، وكان يشرب فيفغان على بابه النهار كله لا يصلان إليه ؛ فصجر طرفة فقال فيه :
فليت لنا مكانا الملك عمرو رغو^(٤) حول قبتنا تخور
وكان طرفة عدوا لابن عمه عبد عمرو — وكان كريما على عمرو بن هند — فهجاه طرفة فقال :

ولا خير فيه غير أن له غنى وأن له كسحا إذا قام أهضا^(٥)
تظلل نساء الحى بمكفن حوله يقطن عيب من سرارة ملها^(٦)
فهم عمرو يقتل طرفة ، وخاف من هجاء المتلّس له ؛ لأنهما كانا خليلين ، فقال لهما : لعلكما قد اشتقتما لأهلكا وسركا أن تنصرفا ، فقالا : نعم ، فكتب لهما بصحيفتين وختمهما ، وقال لهما : اذهبا إلى عاملى بالبحرين ، فقد أمرته أن يصاحكما بجوانزا !

* بلوغ الأرب : ٣ — ٣٧٤ ، مجمع الأمثال : ١ — ٣٦٤ .

(١) المتلّس : لقب غلب عليه ، واسمه جرير ، وهو خال طرفة بن العبد ، من شعراء الجاهلية القليين ، وضع ابن سلام في الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية . (٢) طرفة ، هو أبو عمرو ، طرفة بن العبد البكرى ، أحد خول شعراء الجاهلية . مات أبوه وهو صغير . وراه أعمامه ، ومال إلى البطالة وقول الشعر ، ومات ولم تزد سنه على ست وعشرين سنة . (٣) عمرو بن هند : آل إليه الملك بعد قتل أبيه ، وقد ولي إمارة الحيرة من سنة ٥٦٣ — ٥٧٨ م . (٤) الرغو : كل مرضعة . وتخور : تصبح . (٥) الكسح : الحصر ، والأهضم : الدقيق . (٦) العيب : جريئة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها ، وسرارة الروضة : خير نباتها . ولمهم : موضع كثير النخل ، شبه كسحه الأهضم بجريئة نخل من خيار نخل هذا المكان .

فذهباً فرأى في طريقهما بشيخ لم يرُفهما أُمراءُ؛ فقال للتلس : ما رأيت شيئاً كالיום
أحقَّ من هذا ! فقال الشيخ : ما رأيت من حقٍّ ؟ وإنَّ أحمقَ مني مَنْ يحملُ حَتْفَه
بيده ، وهو لا يدري !

فاستَراب^(١) للتلسُ بقوله ، وطلع عليها غلامٌ من أهل الحيرة ، فقال له للتلس :
أقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ، ففَضَّ الصحيفةَ ، وقرأها فإذا فيها :
إذا أناك كَتَابِي مع التلس فاقطعْ يديه ورجليه وادفنه حيًّا .

قال لطرفة : ادفنْ إليه صحيفتك ، فإنَّ فيها مثلَ هذا ! قال : كلا ؛ لم يكن
ليجتريَّ على . فخذف للتلسُ بصحيفته في نهر الحيرة ، وقال :

وَأَلْقَيْتُهَا بِالنُّثَى مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ^(٢) كَذَلِكَ أَهْنُو^(٣) كُلَّ قِطْعٍ مُضَلِّلٍ
رَضِيتُ لَهَا بِالسَّاءِ مَا رَأَيْتُهَا يَمُولُ بِهَا التِّيَّارُ فِي كُلِّ جَدْوَلٍ
نَمَ مَضَى التَّلَسُّ حَتَّى لَحِقَ بِمَلُوكِ بَنِي جَفْنَةَ بِالشَّامِ ؛ وَذَهَبَ طَرَفَةٌ إِلَى عَامِلِ
الْبَحْرَيْنِ ، فَأَعْطَاهُ صَحِيفَتَهُ ، فَصَدَّه مِنْ أَكْحَلِيَّةٍ ؛ فَتَرَفَّ^(٤) حَتَّى مَاتَ !

(١) استراب : شك .

(٢) كافِر : نهر بالجزيرة . (٣) أهْنُو : أجلى وأكالى ، والقطعة : الصك (لأن العرب — مادة
قنا .) (٤) تَرَفَّ منه : سال حتى أُرط . والأكحل : مرقى في اليد يصد .

١٤٩ — إن العَصَا قُرِعَتْ لَدَى الْحِلْمِ*

لقى النعمانُ بنَ النضرِ سعدَ بنَ مالك ، ومعه خيلٌ بمضها يُقاد ، وبمضها
أُغراءٌ مُهملَةٌ ، فلما انحنى إلى النعمان سألَهُ عنها ، قال سعدٌ : إني لم أَقَدْ هذه لِأَمْنِهَا ،
ولم أُعَرِّ هذه لِأَصْنِيعِهَا^(١) .

فأله النعمانُ عن أرضه : هل أصابها غَيْثٌ يَحْدُثُ أثره ، ويروى شجره ؟ قال
سعد : أَمَا المَطَرُ فَضَرِيرٌ ، وَأَمَا الْوَرَقُ فَشَكِيرٌ^(٢) ، وَأَمَا الْبَاقِلَةُ فَسَاهِرَةٌ^(٣) ، وَأَمَا
الْحَازِرَةُ^(٤) فَشَبَّهِي نَائِمَةً .

قال النعمانُ - وحسبه عَلَى ما رأى من ذَرَبٍ لِسَانِهِ : وأبيكَ إِنَّكَ لَقَوَّةٌ ، فَإِنْ
شَتَّ أَنْتَبَكْ بِمَا تَعْمَا عَنْ جَوَابِهِ . قال : شَتَّ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ إِفْرَاطٌ .
فَأَمَرَ النُّعْمَانُ وَصِيْفًا فَلَطَمَهُ - وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَتَعَدَّى فِي الْقَوْلِ فَيَقْتُلَهُ - قال :
مَا جَوَابُ هَذِهِ ؟ قال سعد : سَفِيهُ مَأْمُورٌ^(٥) ؛ قال النعمانُ لِلْوَصِيفِ : الْعَلِمَةُ أُخْرَى .
فَلَطَمَهُ ؛ وَقال : مَا جَوَابُ هَذِهِ ؟ قال : لَوْ نُهِيَ عَنِ الْأَوَّلَى لَمْ يَتَعَدَّ لِلْأُخْرَى .

قال النعمانُ : الْعَلِمَةُ أُخْرَى ، فَفَعَلَ . قال : مَا جَوَابُ هَذِهِ ؟ قال : رَبُّ يُوَدِّبُ
عِبْدَهُ . قال : الْعَلِمَةُ أُخْرَى ، فَفَعَلَ . قال : مَا جَوَابُ هَذِهِ ؟ قال : مَلَكَتْ فَأَسَجِحُ^(٦) ؛
قال النعمانُ : أَصَبْتَ فَأَتَقَدُّ ؟ فَسَكَتَ عَنْدهُ مَا مَكَثَ .

* الأمثال : ١ - ٣٣ ، بلوغ الأرب - ١ - ٣٣ .

(١) لأَمْنِهَا . (٢) شَكِيرٌ : صَغِيرٌ لَمْ يَكْبُرْ . (٣) الْبَاقِلَةُ : الَّتِي تَقْدَحُ مِنَ الْغَزَالِ .

(٤) الْحَازِرَةُ : حَزْرٌ لِلْمَالِ ؛ خِيَارُهُ . (٥) سَفِيهُ : سَارِبٌ أَسْثَالًا . (٦) الْإِسْجَاحُ : حَسَنُ الطَّوَرِ .

ثم بدا للنمان أن يبعث رائداً يرتاد له الكلاً ؛ فبعث عمرو بن مالك أخا سعد بن مالك ، فأبطأ عليه فأغضبه ذلك . فأقسم لئن جاء حامداً للكلأ أو ذامناً ليقتلنه .

فلما قدم عمرو دخل على النمان ؛ وعنده الناس وسعدٌ قاعدٌ لديه مع الناس ، وكان قد عرف ما أقسم به النمان من يمينه ؛ فقال سعد : أتأذن لي فأكلمه ؟ قال : إن كلمته قطعتُ لسانك . قال : فأشير إليه ؟ قال : إن أشرت إليه قطعت يدك . قال : فأدعى إليه ؟ قال : إذن أنزع حذقتك . قال : فأقرع له المصا ؟ قال : أقرع .

فتناول عصا من بعض جلسائه فوضعها بين يديه ؛ وأخذ عصاه التي كانت معه وأخوه قائم ؛ قرع بمصاه المصا الأخرى قرعة واحدة ، فنظر إليه أخوه ، ثم أومأ بالمصا نحوه ، فصرف أنه يقول له : مكانك ، ثم قرع المصا قرعةً واحدةً ؛ ثم رفعها إلى السماء ، ثم مسح عصاه بالأخرى ؛ فصرف أنه يقول : قل له : لم أجد جذباً . ثم قرع المصا مراراً بطرف عصاه ثم رفعها شيئاً ؛ فصرف أنه يقول : ولا نباتاً . ثم قرع المصا قرعة ، وأقبل بها نحو النمان ، فصرف أنه يقول : كلمه .

فأقبل عمرو بن مالك حتى وقف بين يدي النمان . فقال له النمان : هل عدت خصباً ، أو دمت جذباً ؟ قال عمرو : لم أذم جذباً ، ولم أحمد بقلاً ، الأرض مُشكلة لا خصبها يُعرف ، ولا جذبها يوصف ، رائدها واقف ، ومنكرها عارف ؛ وآمنها خائف .

فقال النمان : أولى لك ، بذلك نجوت ، فنجنا .

١٥٠ - فِطْرَةٌ*

اجتمع المهاجرون والأنصار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر : وعيشك يا رسول الله ما سجدتُ لصمّ قطّ ، فغضب عمر بن الخطاب ، وقال : تقول : وعيشك يا رسول الله ما سجدتُ لصمّ قطّ ، وقد كنت في الجاهلية كذا وكذا سنة ؟ فقال أبو بكر : ذلك أني لما ناهزتُ الحلم أخذني أبو قحافة^(١) بيدي ، فانطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام ، فقال لي : هذه آلهتك الشّم العوالي ، فاسجد لها ، وخالني وذهب .

فدنوتُ من الصمّ ، وقلتُ له : إني جائع فأطعمني ، فلم يجبني . قلت : إني عطشان فاسقني ، فلم يجبني . قلتُ له : إني غارٍ فاكسني . فلم يجبني . فأخذتُ صخرة ، وقلت : إني مثلي هذه الصخرة عليك ، فإن كنت إلهاً فامنع نفسك ، فلم يجبني . فألنيت عليه الصخرة ، فخرّ لوجهه ، فأقبل والدي ، وقال : ما هذا يا بني ؟ قلتُ : هو الذي ترى !

فانطلق بي إلى أمي ؛ فأخبرها ؛ فقالت : دَعَه فهذا الذي ناجاني به الله ! قلتُ : يا أمّاه ، ما الذي ناجاك به الله ؟ قالت : ليلة جاءني الخاض لم يكن عندي أحد ؛ فسمعتُ هاتفاً يهتف ، فاسمع الصوت ولا أرى الشخص ؛ وهو يقول : يا أمّاه الله ، أبشري بالولد العتيق ، اسمه في السماء صديق !

* أثناء نجباء الأبناء : ٤٢ .

(١) أبوه .

١٥١ - حَدِيثٌ عَلَى إِخْوَتِهِ*

لما ولد لسعيد بن العاص^(١) عَمَرُو ، وترعرع^(٢) ، تفرس فيه النجابة ، وكان بفضلَه على ولده ، فجمع بنيَه - وكانوا يومئذ أكثر من خمسة عشر رجلا - ولم يدعُ عمرا معهم ، وقال : يا بَنِيَّ ، قد عرفتم خُبْرَةَ الوالد بولده ، وإن أخاكم عمرا لنوهمة واعدة^(٣) ، يسمو جَدَّه ؛ ويبعد صِيتَه ، وتشددَ شَكِيمَتُه ، وإني آمركم إن نزل بي من اللوت مالا يحبس عنه أن تُظَاهِرُوهُ وتوازيروهُ وتمززوهُ فإنكم إن فعلتم ذلك يتألف بكم الكرام ، ويُنْحَأ^(٤) عنكم اللثام ، ويلبسكم عِزًّا لا تنهجه^(٥) الأَيَّام .

فقالوا جميعا: إنك توفّرهُ علينا، وتحاييه دوننا . فقال : سأربكم ما ستره البني عنكم ؛ وصرفهم ثم أمهلهم ، حتى ظَنَّ أن قد ذهلوا عما كان .

وراهق عمرو البلوغ ، واستدعاهم دونه، فلما حضروا قال : يا بَنِيَّ ؛ أَلَمْ تروا إلى أخيكم عمرو ، فإنه لا يزال يُلْحِفُ في مسألتِي مَالِي ، فَأُحْسِنُ عليه لصغره ، إلى أن استثبت أن أمه باعته على ذلك، فجزّتها فلم تَفْ ، وقد جاء يسألني الصمصامة^(٦) كأن لا ولد لي غيره ، وقد عزمْتُ على أن أَقْسَمَ مَالِي فيكم دونه .

* أنباء نجياء الأبناء : ٩٩ .

(١) سعيد بن العاص : صحابي من الأمراء الولاة الفاتحين ، ولاء عثمان الكوفة وهو شاب ، وكان قويا ، فيه تجبر وشدة ، توفي سنة ٥٩ هـ . (٢) ترعرع : شب . (٣) واعدة : يرجى خيرها ، ويقال شجرة واعدة : إذا ظهر لرائيتها أن قد سان لإعارها . (٤) ينحأ : يبعد ويطرده . (٥) لا تنهجه : لا تخلقه . (٦) الصمصامة : يريد سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدي الذي يضرب به الثلل ، وكان فيها يقال قد صار إلى سعيد بن العاص .

قالوا كلهم : يا أبانا ، هذا عملك بإيثارك له علينا ، واختصاصك إياناه ذوتنا .
قال : يا بني ، والله ما آثرته دونكم بشيء من مالي قط ، وما كان ما قلته
لكم إلا اختلاقاً ، وتساهلت فيه لما أملت من صلاح أمركم .

ثم قال : ادخلوا المخذع . فدخلوا ، ثم أرسل إلى عمرو فأحضره ، فلما حضر
قال : يا بني ، إني عليك حديد مُشْفِق لصغر سنك ، ونفاسة إخوانك على مكانك
منى ، وإني لا آمنُ بنتة الأجل ، ولي كنزٌ آذخته لك دون إخوانك ، وهأنذا
مُطْلِعُكَ عليه ؛ فآتكم أمره .

قال : يا أبت ؛ طال عمرك ، وعلا أمرك ، وإني لأرجو أن يطيلَ بك الإمتاع ،
فأما ما ذكرته من شأن الكنز ؛ فابصغي أن أقطعَ دون إخواني أمراً ، وأزدرع
في صدرهم غمراً^(١) .

قال : انصرف يا بني ، فذاك أبوك ! فوالله مالي من كنز ، ولكنني أردتُ
أن أبلو رأيك في إخوانك وبني أهلك .

فأطلق عمرو ، وخرج إخوانه من المخدع ، فاعتذروا إلى أبيهم وأعطوه موقوفاً
على أتباع مشورته .

(١) الغمر : الضمن والمقد .

١٥٢ — نافرني إلى قتاك فإنه نجيب*

كان المباسُ بن عبدالمطلب نديماً لأبي سفيان بن حرب في الجاهلية على شراب، ومعاوية يسقيهما وهو إذ ذاك غلامٌ ، فلما أخذت الحربُ منهما ثقي بشعر ابن كعب الخزاعي - وكان قد جاور بني سهم في سنة شديدة ، وله بنت ، فبرموا به ، وأظهروا له ذلك، ففرج عنهم وتحول هو وبناته يحملن الأثاث على ظهورهن؛ فقال:

يأيها الرجلُ المحولُ رحلَهُ هلا نزلتَ بآل عبد منافِ .
هَبْلَتِكَ أُمُّكَ^(١) لو نزلت إليهم ضمنوك من جوعٍ ومن إقْرافٍ^(٢)
الآخِذون المهد من آفاقها^(٣) والظاعنون لرحلته الإيلاف
ولللصِّقون قسِيراً بمنهم حتى يمودَ قسِيراً كالْكَافِ
والرائشون وليس يوجَد رائش^(٤) والقاتلون : هَلْ لِلأضيافِ
والضاريون الجيش يبرق بيضه^(٥) وللانمون البيض بالأسيافِ^(٦)
عمرو العلاء هشم الثريدَ لقومه^(٧) ورجال مكة مسِنَتون عجاف^(٨)

* أبيات نجباء الأبناء : ٦٢ .

(١) الجبل : التلّف والهلاك ، والعرب تطلق هذه الكلمة ونظائرها ، ولا تريد بها شراً ، وقد تجريها بحرى السدح عند استعظام الأمر ، أو تجريها بحرى الحس على القتل والقتل .
(٢) الإقراف هنا : تغيير اللحم ، وضوؤة الجسم . (٣) أخذوا اليهود من ملوك الشام ، والحبيشة ، واليمن والعراق ، فتوجهت قريش لتجارتهما في هذه الوجوه . (٤) الرائشون : الجاعلون لدوى الفاقة وريثا ، والريش والرياش : أصله اللباس ، ثم استعمل للمطية المطلقة . (٥) الأبيض : السيف وجمه يبيض . (٦) بيضة كل شيء : حوزته . (٧) كانت قريش قد أصابتها سنة فمات منهم فارحجل هاشم بن عبد مناف - واسمه عمرو - إلى الشام ، فأوقر عيرا من الكمك وقدم بها مكة ، ونحر الإبل وطبخ لحومها ، ثم هشم ذلك الكمك فسمى هاشما وغلّب على اسمه .
(٨) مسنّون : أصابتهم السنة ، وهي الشدة والمجاعة .

وإذا مَعَدُّ حَصَلَتْ أُنْسَابُهَا فَمَهُمُ لِمَسْرُكٍ جَوْهَرُ الْأَصْدَافِ
 فَمَحَى أَبُو سَفْيَانَ لِمَا سَمِعَ هَذَا الشَّعْرَ ، وَجَعَلَ يَمْدُدُ مَا تَرَى حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ ؟
 وَمَا تَرَى نَفْسَهُ ، وَتَنَاقَلًا^(١) فِي الْفَاخِرَةِ إِلَى أَنْ قَالَ لَهُ الْمُبَاسُ : نَافَرَنِي^(٢) إِلَى فِتَاكَ
 هَذَا ، فَإِنَّهُ نَجِيبٌ - يَعْنِي مَعَاوِيَةَ - فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ : قَدْ فَعَلْتَ - هَذَا وَهَذَا تَسْمَعُ -
 فَاهْتَبَلْتُ^(٣) الْفُرْصَةَ ؛ وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ مَخَاطِبَةً لِابْنِهَا مَعَاوِيَةَ :

أَقْضِ - فَذَتَاكَ نَفْسِي - لَّالَ عَبْدِ شَمْسٍ
 فَمَهُمُ سَرَائِدُ الْخُمْسِ^(٤) عَلَى قَدِيمِ الْحُرْسِ^(٥)

قَطَعَ مَعَاوِيَةَ قَوْلَهَا ، وَقَالَ :

صَهْ^(٦) يَا بِنْتَ الْأَكْلَامِ فَبِيدُ شَمْسٍ^(٧) هَاشِمٍ
 هَا بِرَغْمِ الرَّاغِمِ كَانَا كَغَيْرِي^(٨) صَارِمٍ
 فَلَمَّا سَمِعَ الْمُبَاسُ وَأَبُو سَفْيَانَ مَقَالَ مَعَاوِيَةَ ابْتَدَرَاهُمَا يَتَنَاولُهُ قَبْلَ صَاحِبِهِ ،
 فَتَمَارَوَاهُ ضِمًّا وَتَبِيلًا ، وَافْتَرَقَا رَاضِيَيْنِ .

(١) التناقلة في الكلام : أن يقول هذا مرة وهذا مرة فيتداول الكلام بينهما . (٢) النافرة :
 المحاكاة . (٣) اهتبلت الفرصة : انتهزتها فبادرت إليها . (٤) السراة : جمع سرى ، وسراة
 القوم : خياريهم . والحس : قرين وخزاعة ، وكل من غارب مكة من قبائل العرب . (٥) الحرس :
 الدهر . (٦) صه : أمر بالكوت . (٧) يريد أنهما كالشيء الواحد . (٨) النريان : الحدان .
 والصارم : الـ بـف التاطع .

١٥٣ — أنا أعلم بقرش من قرش *

لما قَدِمَ معاوية^(١) للدينة منصرفاً من مكة ، بعث إلى الحسن والحسين وعبدالله
ابن جعفر ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالله بن صفوان بن أمية
بهديايا من كساً وطيبٍ وصِلاتٍ من المال ؛ ثم قال لرسوله : ليحفظ كل رجلٍ منكم
ما يرى ويسمعُ من الردِّ .

فلما خرج الرسلُ من عنده ، قال لمن حضرَ : إن شئتم أنبأناكم بما يكون
من القوم ، قالوا : أخبرنا يا أمير المؤمنين . قال : أمّا الحسن فلهه ينيل نساءه شيئاً
من الطيب ، ويُنبه ما بقيَ من حضره ولا ينتظر غائباً .
وأما الحسين فيبدأ بأيتامٍ من قُتِلَ مع أبيه بصقين ، فإن بقيَ شيءٌ نَحَرَ به
الجُزُر ، وسقى به اللبن .

وأما عبدالله بن جعفر فيقول : يا بدّيح^(٢) ، اقضِ به دَينِي ؛ فإن بقيَ شيءٌ
فأنفذ به عِدائي^(٣)

وأما عبدالله بن عمر فيبدأ بقراءِ عديّ بن كعب ، فإن بقيَ شيءٌ أدخره لنفسه ،
وَمَا^(٤) به عياله .

وأما عبدالله بن الزبير ؛ فيأتيه رسولى وهو يسبح ، فلا يلتفتُ إليه ،

* عيون الأخبار : ٣ - ٤٠ .

(١) أسلم معاوية عام الفتح ، وكتب لابي موسى الله عليه وسلم وولى الشام لعمر وعثمان عشرين
سنة وولى الخلافة سنة ٤١ هـ ، وتوفى سنة ٦٠ هـ . (٢) بدّيح : اسم مولى كان لعبد الله بن
جعفر . (٣) عِدائي : تبع عديّة - (٤) ماله : ظم بكمايته .

ثم يماودة الرسول ، فيقول لبعض كفاته : خذوا من رسول معاوية ما بعث به ،
وصله الله وجزاه خيراً ، لا يلتفت إليها ، وهي أعظم في عينه من أحد ، ثم ينصرف
إلى أهله ، فيعرضها على عينه ، ويقول : ارضوا ؛ لعل أعود بها على ابن هند يوماً ما .
وأما عبد الله بن صفوان فيقول : قليل من كثير ، وما كل رجل من قریش
وصل إليه كهذا ، ردوا عليه ، فإن رد قبلناها .
فرجع رسله من عندهم بنحو مما قاله معاوية . فقال معاوية : أنا ابن هند ،
أعلم بقریش من قریش .

١٥٤ — أَوْقَدَ جِئْتَنِي سَالِمًا*

لَمَّا أَسَنَّ معاوية^(١) اعتراه أَرْقُ ؛ فَكَانَ إِذَا هُوَ^(٢) أَقْبَضَتْهُ نَوَاقِيسُ الرُّومِ ،
فَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمًا ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ ، قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ؛ هَلْ فِيكُمْ فِتْيٌ يَفْعَلُ
مَا أَمَرُهُ ، وَأَعْطِيهِ ثَلَاثَ دِيَّاتٍ أُحْجِلُهَا لَهُ ، وَدِيَّتَيْنِ إِذَا رَجَعَ ؟ فَتَقَامُ فِتْيٌ مِنْ غَسَّانٍ
قَالَ : أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قال : تَذْهَبُ بَكْتَابِي إِلَى مَلِكِ الرُّومِ ، فَإِذَا صَرْتَ عَلَى بَسَاطِهِ أُذِّنْتَ ، قَالَ :
نَمْ مَاذَا ؟ قَالَ : قَطْ . فقال : لَقَدْ كَلَّفْتَ صَغِيرًا وَأَتَيْتَ كَبِيرًا .
فَكُتِبَ لَهُ وَخَرَجَ ؛ فَلَمَّا صَارَ عَلَى بَسَاطٍ قَيَّصَرَ أُذُنٌ ؛ فَتَنَاجَزَتْ^(٣) الْبَطَارِقَةُ ،
وَاخْتَرَطُوا^(٤) سِوْفَهُمْ ؛ فَسَبَقَ مَلِكُ الرُّومِ ، فُجِنَّا عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ يَسْأَلُهُمْ بِحَقِّ عِيسَى
وَبِحَقِّهِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكْفُؤُوا .

ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ حَتَّى صَعَدَ عَلَى سَرِيرِهِ ، ثُمَّ جَعَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ
الْبَطَارِقَةِ ؛ إِنْ مَعَاوِيَةَ رَجُلٌ قَدْ أَسَنَّ ، وَقَدْ أَرْقَى ، وَقَدْ آذَنَتْهُ النِّوَاقِيسُ ؛
فَأَرَادَ أَنْ تَقْتَلَ هَذَا عَلَى الْأُذَانِ ، فَيَقْتُلَ مَنْ قَبْلَهُ مِنَّا بِيَلَادِهِ عَلَى النِّوَاقِيسِ ؛
وَاللَّهِ لِيرَجِعَنَّ إِلَيْهِ بِمُخَالَفِ مَا ظَنَّنَ . فَكَسَاهُ وَحَمَلَهُ ؛ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى مَعَاوِيَةَ قَالَ :
أَوْقَدَ جِئْتَنِي سَالِمًا ؟ قَالَ : نَمْ .

* عيون الأخبار : ١ - ١٩٨ .

(١) أسن : كبرت سنه . (٢) التهورم : هز الرأس من التماس . (٣) التناجزة : اللقطة .

(٤) اخترط السيف : استله .

١٥٥ — الأحنف يفهم معاوية*

جلس معاوية يوماً ، وعنده وجوه الناس ، وفيهم الأحنف^(١) ؛ فدخل رجل من أهل الشام ، قام خطيباً ، فكان آخر كلامه أن لمن علياً رضى الله عنه ، فأطرق الناس ، وتكلم الأحنف ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن هذا القاتل لو علم أن رضاك في لمن الرسلين لنعهم ، فاتق الله ، ودع علياً ؛ فقد لقي الله ، وأفرِد في حُفْرَتِهِ ، وخلا بماله ، وكان والله - ما علمنا - الطاهر في خلقه ، الميمون النقية ، العظيم للصيبة .

قال معاوية : يا أحنف ؛ لقد أغضيتَ الدينَ على القذى ، وقلتَ بغير ما ترى ، وإيم الله لتصعدنَّ للنير فلتلعنه طائفاً أو كارهها .

فقال الأحنف : إن مُعْنِي فهو خيرٌ ، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجزى به شفتاي .

فقال معاوية : قم فاصد ، قال : أما والله لأنصفنك في القول والفعل . قال معاوية ، وما أنت قائل إن أنصفتني ؟ قال : أصمدُ فأحمدُ الله وأثنى عليه ، وأصلى على نبيه ، ثم أقول : أيها الناس ؛ إن معاوية أمرني أن ألعنَ علياً ، ألا وإن علياً ومعاوية اختلفا واقتتلا ، وادَّعى كل واحد منهما أنه ميمنى عليه وعلى فتنه ، فإذا دعوتُ فأمنوا بحكم الله ، ثم أقول :

* نهاية الأرب ٧ : ٢٣٧ .

(١) الأحنف بن قيس : هو الضحاك بن قيس ، سيد تميم ، وأحد الظُلماء الدعاة للصحاء الشجعان الناجحين ، يضرب به المثل في الحلم ، ولد بالبصرة وتوفي سنة ٦٧ هـ .

اللهم أنت وملائكتك وأنبياؤك ورسلك وجميع خلقك الباغي منهم على صاحبه والفئة الباغية على المنيء عليها ، آمين يارب العالمين .
 قال معاوية : إذَنْ نَفِيكَ يَا أَبَا بَجْرٍ ^(١) .

١٥٦ — نُوطَى عَلَيْهِ يَا مُزَيْنُ التَّمَامُ*

كان لمعاوية ولد مضعوف ^(٢) اسمه عبد الله ، فبينما معاوية جالس مع أم عبد الله صرت بهما أم يزيد - وهي ميسون بنت بحدل الكلبية - فبرزت بها أم عبد الله ، فقال معاوية : أما والله إن ولدا خير من ولدك . قالت : لا والله ، ولكنك تحب ولدا وتحابيه ، فقال : سأريك ذلك عياناً . ثم أرسل إلى ابنها فجاء ، فقال له : يا عبد الله ، إني قاض لك كل حاجة فاذا كرهوا ثبكت كائنة ما كانت ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اشتر لي حماراً ، فقال له : يا بني ، أنت حمار ، وأشترى لك حماراً .

ثم استحضّر يزيد ، فلما حضر قال : يا بني ، إن أمير المؤمنين قد بسط لك أمله ، فاذا كره حاجتك إن كانت لك حاجة - فاستقبل القبلة - ثم رفع رأسه ، وقال : الحمد لله على جميل رأى أمير المؤمنين فيّ ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، اجلس إلى العهد . فقال معاوية : نعم ونعم ^(٣) عين ، وليتكت عهدي .

فسجد وحمد الله سبحانه ، فقال معاوية : هل غير هذا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ،

* أنباء نجباء الأبناء : ١٠٥ .

(١) كنية الأخنف . (٢) المضعوف : ما أضعف من شيء . (٣) العرب تقول : نعم ، ونعم عين : أي أفضل ذلك كرامة لك .

تزيد كل رجل من أهل الشام عشرة دنانير في عطائه ، وتعلمهم أن ذلك بشفاعتي .
قال : قد ضلت . فهل غير هذا ؟ قال : نعم . يا أمير المؤمنين ، يفرض أمير المؤمنين
للأولاد من قُتل معه بصفتين وغيرها . قال : قد ضلتُ ، فهل غير هذا ؟ فحمد يزيد
الله تعالى ، ثم قال : نعم ، ويجعل أمير المؤمنين غزو هذا المام إلى ، لأفتح أمري
بتجهيز الجيوش في سبيل الله تعالى ؛ قال : قد ضلت .

فلما رأت أم عبد الله أن يزيد قد حصل على الخلافة قالت : إن أمير المؤمنين
أعلم وأهدى لولده ، فأوصه بي وبولدي يا أمير المؤمنين ، ثم قام يزيد يدعو لوالده
وهو مولدٌ ، فتمثل معاوية بقول القاتل :

إذا مات لم تُفْلحْ مَزينَةُ^(١) بـدده فنوطي^(٢) عليه يا مُزِنَ التَّائِمَا .

(١) ناط الشيء ينوطه : علقه .

١٥٧ — ذكاء ابن عباس *

بيننا ابن عباس^(١) في المسجد الحرام ، وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه ، إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين موددين حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابن عباس ، فقال : أنشدنا ، فأنشده :

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَايَةُ مُبَكِّرٍ غَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحَ فَهَجْرٍ^(٢)
حتى أتى على آخر القصيدة ، فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال : الله يا ابن عباس ، إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتثاقل عنا ، وباتيك غلام مترف من مترف قريش فينشذك :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَخْزَى وَأَمَّا بِالْعِشَى فَيَخْسَرُ
فقال : ليس هكذا قال . قال : فكيف قال ؟ فقال : قال :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعِشَى فَيَخْصَرُ^(٣)
قال : ما أراك إلا وقد حفظت البيت ، قال : أجل ، وإن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها ، قال فإني أشاء ، فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها وما سمعها قط إلا تلك المرة صفحا^(٤) .

* الأعاني : ١ - ٧٢ .

- (١) هو ثاني ولد عباس بن عبد المطلب ، توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنه ثلاث عشرة سنة ، وكان عليه السلام يحبه . ودعا له فقال : اللهم عليه التأويل ، فكان أعلم الناس بآيات القرآن وتأويلها وتفقه في الدين ، على ما أوتيته من لسان طلق ذلك ، توفي سنة ٥٦٨ هـ .
- (٢) هجر : سار في الهجرة ، والهجرة : شدة الحر . (٣) يضحى : يظهر لأشمس ، وعارضت : قابلت ، وخصر : يرد . (٤) كان ابن عباس يقول : ما سمعت شيئا قط إلا روئته ، وإن أسمع صوت النائحة فأسد أذني كراهة أن أحفظ ما نقل . (٥) صفحا : مرورا .

١٥٨ — عمران بن حطان ينتقل في القبائل *

لما أطرد^(١) الحجاجُ عمران^(٢) بن حطان كان ينتقل في القبائل ، فكان إذا نزل في حَيٍّ انتسبَ نسباً يَقْرُبُ منه

ثم خرج حتى نزل عند رَوْح بن زُبَيْع^(٣) البجْدَامِي ، فأتى له من الأزد ؛ وكان رَوْح يَقْرِي الأضيَّافَ ، وكان مسامحاً لعبد الملك بن مروان ، أثيراً^(٤) عنده ؛ وكان رَوْح لا يسمعُ شعراً نادراً ، ولا حديثاً غريباً عند عبد الملك ثم يسألُ عنه عمران بن حطان إلا عرفه وزاد فيه . فذكر ذلك لعبد الملك ، قال : إن لي جاراً من الأزد ما أسمعُ من أمير المؤمنين خيراً ولا شعراً إلا عرفه وزاد فيه ! فقال : خبرني ببعض أخباره ؛ فخبَّرَه وأنشده ؛ قال : إن اللغةَ عَدَنَانِيَّة ، وإنِّي لأحسبُه عمران بن حطان !

ثم نذاكروا ليلة قول^(٥) عمران بن حطان يمدح ابن مُلجَم^(٦) :
ياضربةً من تَقْوٍ ما أرادَ بها إلا ليبلغَ من ذى العرشِ رِضواناً
إني لأذكُرُه حينَما فأحسبُه أو قى البرية عند الله ميزاناً

* رغبة الآمل : ٧ - ٨٤ ، الكامل : ٢ - ١٠٨ .

(١) أطرده : أمر بطرده ، وإخراجه عن البلد . (٢) كان عمران بن حطان رجل علم وحديث أدرك صدراً من الصحابة وروى عنهم ، ولما قام الخلاف بين أصحاب علي ، تزعج فرقة من الخوارج اسمها القند ، وأصبح خطيبها وشاعرها ، ومات سنة ٨٤ هـ بالكوفة . (٣) أمير فلسطين قال عبد الملك بن مروان عنه : إنه جمع طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق ، وقنه أهل الحجاز ، توفي سنة ٨٤ هـ . (٤) أثيراً : مكراً عنده . (٥) قلبه الفقيه الطبري فقال :

ياضربة من شقي ما أرادَ بها
إلى ليهم من ذى العرشِ بِنِباناً
إني لأذكُرُه يوماً فألمسه
إيهاً وألعن عمران بن حطاناً

(٦) ابن ملجم : قاتل علي بن أبي طالب .

قلم يدري عبد الملك لمن هو ! فرجع رَوْح إلى عمران فأله عنه ! فقال : هذا بقوله عمران : حِطَان يمدح به عبد الرحمن بن مُلْجَم قاتل علي بن أبي طالب . فرجع رَوْح إلى عبد الملك ، فأخبره ، فقال له عبد الملك : ضيفك عمران ابن حِطَان ! اذهب فاجثني به ؛ فرجع إليه ، فقال له إن أمير المؤمنين قد أحب أن يراك . قال عمران : قد أردت أن أسألك ذلك ، فاستحييت منك فامض ، فإني بالآخر ، فرجع رَوْح إلى عبد الملك فأخبره ، فقال عبد الملك : أما إنك سترجع فلا تجده ؛ فرجع وقد ارتحل عمران ؛ وخلف رُفْعة فيها :

يَارَوْحُ كَمْ مِنْ أَخِي مَثْوًى ^(١) نَزَلْتُ بِهِ قَدْ ظَنَنْتُ ظَنًّا مِنْ ظَنِّهِ وَعَسَانِ
حَتَّى إِذَا خِفْتُهُ فَارَقْتُ مَنَزِلَهُ مِنْ بَدْمٍ مَا قِيلَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَانِ !
قَدْ كُنْتُ جَارَكَ حَوْلًا مَاتُورُوعِي فِيهِ رَوَائِعٌ ^(٢) مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَانِ
حَتَّى أَرَدْتُ بَنِي الظُّلَمَى ^(٣) فَأَدْرَكَنِي مَا أَدْرَكَ النَّاسَ مِنْ خَوْفِ ابْنِ مَرْوَانَ
فَاعْزِرْ أَخَاكَ - ابْنَ زَنْبَاعٍ - فَإِنْ لَهُ فِي النَّاتِبَاتِ خُطُوبًا ^(٤) ذَاتَ أَلْوَانِ
يَوْمًا ^(٥) يَمَانٍ إِذَا لَاقَيْتُ ذَا يَمِينٍ وَإِنْ لَقِيتُ مَعْدِيًّا قَدْ دَنَانِي
لَوْ كُنْتُ مُسْتَغْفَرًا يَوْمًا لَطَاغِيَةٍ ^(٦) كُنْتُ لِلْقَدَمِ فِي سَرِيِّ وَإِعْلَانِي
لَكِنْ أَبَتْ لِي آيَاتُ مُطَهَّرَةٍ عِنْدَ الْوِلَايَةِ فِي طَلَةِ وَعِمْرَانِ ^(٧)

(١) المثوى : منزل الضيافة . وأخى : صاحب . وظن ظنك : رأى رأيك من أي رجل حين .
وظم وعسان : من اليمن من كهلان . (٢) الروح : الخوف ، والواحدة رائحة وجهه روائع .
(٣) الظلمى : لقاء عبد الملك ، إذ كان حرباً على الخوارج . (٤) الخطوب : الأمور الخطيرة .
(٥) يقول : أنا يوم يمان على الرفح ، يريد أنه مشتغل . (٦) أي نفس طاغية . أو يريد بالطاغية المذكور وزاد التاء للتوكيد والمبالغة كراوية وعلامة ونسابة . والطاغية : الجبار . (٧) أبَتْ لِي : منعتني الاستغفار لك . وطه وعمران : سورتان في القرآن ، وكان الخوارج يعتقدون أن غيرهم على ضلال .

ثم ارتحل حتى نزل بزفر بن الحارث الكلبي أحد بني عمرو بن كلاب ، فانقَسَبَ له أَوْزَاعِيًّا^(١) ، وكان عمران يطيل الصلاة ، وكان غلمان من بني عامر يضحكون منه . فأتاه رجل يوماً من رآه عند رَوْحِ بن زنباع ، فسلم عليه ، فدعاه زُفَرُ ، فقال : من هذا ؟ قال : رجل من الأزد رأيتُه ضيقاً لِرَوْحِ بن زنباع . فقال له زُفَرُ : يا هذا ، أزدياً مرة وأوزاعياً مرة ! إن كنت خائفاً أمتاك ، وإن كنت قهراً جبرناك .

فلما أُمسى هرب ، وخَلَفَ في منزله رُقعة فيها :

إِنِ الَّتِي أَصْبَحْتُ بِهَا زُفَرُ أَعْيَتْ عِيَاءً^(٢) عَلَى رَوْحِ بْنِ زَنْبَاعٍ
مَا زَالَ يَسْأَلُنِي حَوْلًا لِأَخِيرِهِ وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ غَدُوعٍ^(٣) وَخُدَّاعٍ
حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ^(٤) عَنِّي وَسَائِلُهُ كَفَّ السُّؤَالُ وَلَمْ يُوَلِّعْ بِإِهْلَاعٍ^(٥)
فَاكْتَفَى كَمَا كَفَّ عَنِّي ، إِنِّي رَجُلٌ إِمَّا صَمِيمٌ^(٦) ، وَإِمَّا قَقَّةُ الْقَاعِ
وَإَكْتَفَى لِنَاكَ عَنْ لَوْحِي وَمَسَائِلِي مَاذَا تَرِيدُ إِلَى شَيْخٍ لِأَوْزَاعٍ^(٧) !
أَمَّا الصَّلَاةُ فَأِنِّي غَيْرُ تَارِكِهَا كُلُّ امْرِئٍ لِلَّذِي يُعْنَى بِهِ سَاعٍ
أَكْرِمُ بِرَوْحِ بْنِ زَنْبَاعٍ وَأُسَرِّهِ قَوْمٌ دَعَا أَوْلِيَهُمْ^(٨) لِلْعِلَادَاعِ
جَاوَرَهُمْ سَنَةً فِيمَا أُسَرُّ بِهِ عِرْضِي صَحِيحٌ وَنُؤْمِي غَيْرُ هِجَاعٍ^(٩)
فَاعْمَلْ ، فَإِنَّكَ مَتْنِي^(١٠) بِوَاحِدَةٍ حَسْبُ اللَّيْلِ بِهَذَا الشَّيْخِ مِنْ نِعِ

(١) أَوْزَاعِي : نسبة إلى أَوْزَاعِ بطن من همدان . (٢) عِيَاءُها : يعجز عنها . وأعْيَتْ عليه : أعجزته ، والمراد معرفة ذاته . (٣) غَدُوع : مصدق لما أقول ، وخُدَّاع : ختال . (٤) انْقَطَعَتْ عَنِّي وَسَائِلُهُ : الوسائل جمع وسيلة وهي القرينة والسبب . (٥) إِهْلَاعِي : إيلزاعي وتروبي . (٦) الصَّمِيم : الخالص من كل شيء ، أي من خالص قومه . ويقال لمن لا أصل له : هو ققعة بدع ، وذلك لأن الققعة لا عروق لها ولا أغصان . والققعة : الككاة البيضاء ، والقاع : أرض سهلة . (٧) الْأَوْزَاعِ : الجماعات وبطن من همدان . (٨) أَوْلِيَهُمْ : جمع أول أي آبائهم أجداد . (٩) هِجَاع : يوم خفيف (١٠) مَتْنِي : خير بوفائك .

ثم ارتحل حتى أتى عُمان ؛ فوجدهم يُعظمون أمرَ أبي بلال ويظهرونه ، فأظهر أمره فيهم ؛ فبلغ ذلك الحجاج ، فكتب إلى أهل عمان ، فارتحل عِمرانُ هارباً حتى أتى قومًا من الأزد فلم يزل فيهم حتى مات ، وفي نزوله بهم يقول :

نزلنا بحمد الله في خيرٍ منزِلٍ نُسِرُ بما فيه من الأنسِ ^(١) وانفَرَّ
نزلنا بقوم يجمعُ الله شملهم وليس لهم عودٌ سوى المجدِ يُعتَصِرُ
من الأزدِ إن الأزدَ أكرمُ معشِرٍ بمانيةٍ طابوا إذا نُسِبَ البشرُ
فأصبحتُ فيهم آمِنًا لا كمشِرٍ أتوني قالوا: من ^(٢) ربيعةٍ أو مضرٍ ؟
أم الحميَّ قحطانٍ فتلكم سفاهةٌ كما قال لي رُوحٌ وصاحبه زُفَرُ
ومامنهما ^(٣) إلا يسرُ بنسبةٍ ^(٤) تَقَرَّبُني منه وإن كان ذا نَفَرُ
فنحن ^(٥) بنو الإسلام والله واحدٌ وأولى عباد الله بالله من شكرِ

(١) أصل المفرد شدة الحياء . يقال : امرأةٌ خفورة : إذا كانت مشرة لاستحيائها .

(٢) يريد : أمن ربيعة أم من مضر ؟ . (٣) ومامنهما واحد ، غذف لعم الخاطب . (٤) النسبة : بالضم والكسر : النسب . (٥) يقول : انقطعت الولاية إلا ولاية الإسلام لأن ولاية الإسلام قد قاربت بين القرباء . والله يقول : « إنما المؤمنون إخوة » .

١٥٩ — دهاء عمارة بن تميم اللخمي*

كان الحجاج حبيداً لا تتمُّ له صنعةٌ حتى يفسدها ، فوجّه عمارة بن تميم اللخميّ إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ؛ فظفر به ، وصنع به ما صنع ، ورجع إلى الحجاج بالفتح ، فلم ير منه ما أحبّ ، وكره مُنْأَفَرته ، وكان عاقلاً رقيقاً ، فجعل يترفق به ويداريه ، ويقول : أنت - أيها الأمير - أشرفُ العرب ، فمن شَرَّفته شَرُف ، ومن وَضَعته انضغ ، ومنْ ينكُرُ ذلك ، مع رفيك ويمنِّك ومشورتك ورأيك ؟ وما كان هذا كله إلا بصنع الله عز وجل وتديرك ، وليس أحدٌ أحقَّ بشكر صنيعك مني ، ومن ابنُ الأشعث ؟ وما خَطَرُه ؟

ثم عزم الحجاج على اللقي إلى عبد الملك فأخرج عمارة معه ، فلم يزل يلعب بالحجاج في مسيره ، ويمطّمه ، حتى قدموا على عبد الملك .

فلما قامت الخطباء بين يديه ، وأثنت على الحجاج ، قام عمارة ، قال : يا أمير المؤمنين ، سأل الحجاج عن طاعتي ومُنَاصحتي وبلائي ، فقال الحجاج : يا أمير المؤمنين ، صنع وصنع ، ومن بأبيه ونجدته وعقله ومكيدته كذا وكذا ، هو أئمنُ الناس نقيّة ، وأعلمهم بتدبير وسياسة ، ولم يبقَ غايّة في الثناء عليه .

قال عمارة : أرضيت يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، فرضى الله عنك ، حتى

قالها ثلاثاً ، في كلها يقول : قد رضيت .

قال عماره : فلا رضى الله عن الحجاج يا أمير المؤمنين ، ولا حفظه ولا عافاه ، فهو - والله - السيئ التدبير ، الذى قد أفسد عليك أهل العراق ، وألبّ عليك الناس ، وما أوتيت إلا من قلة عقله ، وضعف رأيه ، وقلة بصره بالسياسة . ولك والله أمثاله ، إن لم تمزله .

قال الحجاج : مه يا عماره ! فقال : لامة ولا كرامة يا أمير المؤمنين ! كلّ عمّلك له حرٌّ إن سارت تحت راية الحجاج أبداً . فقال عبدُك : ما عندنا أوسع لك .

فلما انصرف عماره إلى منزله بحث إليه الحجاج وقال له : أنا أعلم أنه ما خرج هذا عنك إلا عن معتبة^(١) ، ولك عندى العتبي^(٢) ، ولك ولك ، فأرسل إليه : ما كنت أظنُّ أن عتلك على هذا ، أرجعُ إليك بعد الذى كان من طعنى وقولى عند أمير المؤمنين ! لا ، ولا كرامة لك .

(٢) العتبي : الزمعا .

(١) المعتبة : العتاب .

١٦٠ — كيف رأيتم فراسى فى الأعرابى *

قدم على الحجاج ابن عم له من البادية ، فنظر إليه يوئى الناس ؛ فقال له :
أيها الأمير ؛ لم لا تؤتني بعض هذا الخضر ؟ فقال الحجاج : هؤلاء يكتبون ويحسبون
وأنت لا تحسب ولا تكتب .

فنضب الأعرابى ، وقال : بلى ، إني لأحسب منهم حسبا^(١) ، وأكّتبُ منهم
كُتبا ، فقال الحجاج : فإن كان كما تزعم فاقسم ثلاثة دراهم بين أربعة أنفس ، فما
زال يقول : ثلاثة دراهم بين أربعة ؛ ثلاثة بين أربعة ، لكل واحد منهم درهم يبق
الرابع بلا شيء ، كم هم أيها الأمير ؟ قال : هم أربعة ، قال : نعم أيها الأمير ، قد
وقفتُ على الحساب ، لكل واحد منهم درهم ، وأنا أعطى الرابع منهم درهما من
عندى ، وضرب بيده إلى تيكته^(٢) ، فاستخرج منها درهما ، وقال : أياكم الرابع ؟
فوالله ما رأيت كاليوم زورا مثل حساب هؤلاء الخضرين .

فضحك الحجاج ومن معه ، وذهب بهم الضحك كل منذهب ، ثم قال
الحجاج : إن أهل أصبهان أخرؤا حراجهم ثلاث سنين ، كلما أنام وال أعجزوه ،
فلأرمنهم بهذا ، فأخلق به أن يتجّب .
فكتب له عهدَه على أصبهان .

فلما خرج استقبله أهل أصبهان واستبشروا به وأقبلوا عليه يقبلون يده ورجله
وقالوا : أعرابى بدوى ، ما يكون منه !

* للموصى : ٢ - ١٦٠ .
١ . حسابا . ٢ . الشكة : رباط السراويل .

فلما أكثروا عليه ، قال : أما يَسْتَعْلِمُ ما أَخْرَجَنِي له الأمير !
فلما استقرَّ في داره بأَصْبَهان جمع أهلها ، قال : ما لكم تصومون ربكم وتُنْصِبون
أَمِيرَكُمْ ، وتُنْقِصون خراجكم ؟ فقال قائلهم : جَوْرٌ من كان قبلك ، وظلم من ظلم .
قال : فما الأمر الذي فيه صلاحكم ؟ قالوا : تؤخِّرُنا بالخراج ثمانية أشهر ،
ونجمه لك ، قال : لكم عشرة وتأتوني ببشرة ضمناء .
فأتوه بهم ، فلما توثق منهم أمهلهم ؛ وكلما قَرَّبَ الوقت رآهم غير مكترئين
لما تُدْبِرُوا^(١) إليه من الأجل ، وطال به ذلك ، فجمع الضمناء ؛ وقال لهم : اللال !
قالوا : أصابنا من الآفة ما قضى ذلك .
فلما رأى ذلك منهم آلى ألا يفطر - وكان في شهر رمضان - حتى يُجمَعَ ماله
أو يضرب أعناقهم .
ثم قدَّم أحدهم وضرب عنقه ، وكتب عليه : فلان ابن فلان أدَّى ما عليه !
وجعل رأسه في بَدْرَةٍ^(٢) ، وختم عليها ، ثم قدَّم الثاني ففعل به مثل ذلك .
فلما رأى القوم الروس تيمز ، وجعل في الأكيلس بدلاً من البدر ، قالوا :
أيها الأمير ؛ توقَّف علينا حتى نحضر لك اللال ؛ ففعل ، فأحضروه في أسرع وقت .
فبلغ ذلك الحجاج قال : إنا معاشر آل محمد - يسنى جدّه - وبدنا نجيب ،
فكيف رأيتم فراستى^(٣) في الأعراى !
ولم يزل والياً عليها حتى مات الحجاج .

١ - تدبروا : انقلبوا على أعقابهم .
٢ - بدر : بئر من بئر الكوفة .
٣ - فراستى : رأيي .

١٦١ - من بدائه الشعراء*

أُتِيَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(١) بِأَسَارَى ، وَكَانَ الْفَرَزْدَقُ حَاضِرًا ، فَأَمَرَهُ سُلَيْمَانُ
بِضَرْبِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَاسْتَمَفَاهُ فَأَبَى ، وَقَدْ أُشِيرَ إِلَى سَيْفٍ غَيْرِ صَالِحٍ لِلضَّرْبِ لِيَسْتَعْمَلَهُ
فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ : بَلْ أَضْرِبُ بِسَيْفِ أَبِي رَغْوَانَ^(٢) سَيْفٍ مُجَاشِعٍ - يَعْنِي نَفْسَهُ -
وَكَأَنَّهُ قَالَ : لَا يَسْتَعْمِلُ ذَلِكَ السَّيْفَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ ابْنُ ظَالِمٍ ، ثُمَّ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ الْأَسِيرَ ،
وَاتَّفَقَ أَنْ نَبَا السَّيْفَ ، فَضَحِكَ سُلَيْمَانُ وَمَنْ حَوْلَهُ ؛ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

أَيَسْجُبُ النَّاسُ أَنْ أَضْحَكَتُ سَيِّدَهُمُ خَلِيفَةَ اللَّهِ يُنْسَقِي بِهِ الْمَطْرُ
لَمْ يَنْبُ^(٣) سَيِّفِي مِنْ رُغْبٍ وَلَا دَهَشٍ عَنِ الْأَسِيرِ ، وَلَكِنْ أَمْرَ الْقَدَرِ
وَلَنْ يَقْدَمَ هَذَا قَبْلَ مَيْتَتِهَا جَمْعُ الْيَدَيْنِ وَلَا الصَّمَامَةِ^(٤) اللَّهُ أَكْرَمُ
ثُمَّ أَغْدَسِيهِ وَهُوَ يَقُولُ :

مَا إِنْ يُعَابُ سَيِّدٌ إِذَا صَبَا وَلَا يُعَابُ صَارِمٌ إِذَا نَبَا
* وَلَا يُعَابُ شَاعِرٌ إِذَا كَبَا *

ثُمَّ جَلَسَ يَقُولُ : كَأَنِّي بَابِنَ الْمَرَاغَةِ^(٥) قَدْ هِجَانِي ، فَقَالَ :

بِسَيْفِ أَبِي رَغْوَانَ سَيْفٍ مُجَاشِعٍ ضَرَبْتَ وَلَمْ تَضْرِبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمٍ

* أدب الدنيا والدين : ٧ ، بلوغ الأرب : ١٦ - ٢٠ .

(١) يُوَحَّسُّ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِالْخِلَافَةِ سَنَةَ ٩٦ هـ ، وَكَانَ فَصِيحًا لَبِقًا ، كَمَا كَانَ غُبُورًا شَدِيدَ
النِّيمَةِ ، أَلَمَّتْ الْقَتْرُوحُ فِي أَيَّامِهِ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٩٩ هـ . (٢) رَغْوَانُ : لَقَبُ مُجَاشِعِ بْنِ دَاوُدَ بْنِ
مَالِكِ بْنِ خُظَلَةَ ، لَقِبَ بِهِ لِفَصَاحَتِهِ وَجَهَارَةِ صَوْتِهِ . وَيُقَالُ : ثَلَّثَتْ امْرَأَةٌ سَمْعَهُ : مَاهِنًا إِلَّا يَرْغُو ،
فَلَقِبَ رَغْوَانًا . (٣) لَمْ يَنْبُ : لَمْ يَكُنْ عَنْ الْفَرِيقَةِ . (٤) الصَّمَامَةُ : السِّيفُ لَا يَتَنَبَّأُ ،
وَالْقَدَرُ : أَيْبَسُ الْحَدِيدِ وَأَجْوَدُهُ وَأَشَدُّهُ . (٥) يَرِيدُ جَرِيرًا .

وقام وانصرف .

وحضر جرير ، فخبّر الخبر ، ولم يُنشد الشعر ، فأنشأ قول :

بِسِيفِ أَبِي رِغْوَانَ سِيفٍ مِجَاشِعٍ ضَرَبْتَ وَلَمْ تَضْرِبْ بِسِيفِ ابْنِ ظَالِمٍ

فَأَعْجَبَ سَلِيلَانِ مَا شَاهَدَ ؛ ثُمَّ قَالَ جَرِيرٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَأَنِّي بَابِنِ الْقَيْنِ^(١) قَدْ أَجَابَنِي قَالَ :

وَلَا تَقْتُلِ الْأَسْرَى ، وَلَكِنْ نَفْسُكُمْ إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حُلُّ الْمَنَامِ

ثُمَّ أَخْبَرَ الْفَرَزْدَقُ بِالْهَجْوِ دُونَ مَا عَدَاهُ ، فَقَالَ مَجِيئاً :

كَذَاكَ سَيْوُفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُلُمَاتِهَا^(٢) وَتَقْطَعُ أَحْيَاءًا مَنَاطَ السَّامِ

وَلَنْ تَقْتُلَ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفْسُكُمْ إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حُلُّ الْمَنَامِ

وَهَلْ ضَرْبَةُ الرُّومِيِّ جَاعِلَةٌ لَكُمْ أَبَا عَنْ كُتَيْبٍ أَوْ أَخَا مِثْلِ دَارِمٍ

وَشَاعَ حَدِيثُ الْفَرَزْدَقِ بِهَذَا حَتَّى كَانَ زَمَانُ الْمُهْدِيِّ^(٣) ، فَأَتَى بِأَسْرَى مِنْ

الرُّومِ ، وَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ - وَكَانَ عِنْدَهُ شَبِيبٌ^(٤) بَنُ شَيْبَةَ - قَالَ لَهُ : اضْرِبْ عَنْقَ هَذَا

الْمَلِجِ^(٥) ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ عَلِمْتُ مَا ابْتُلَى بِهِ الْفَرَزْدَقُ فَمُيِّرَ بِهِ قَوْمُهُ إِلَى

الْيَوْمِ . قَالَ : إِنَّمَا أَرَدْتُ تَشْرِيفَكَ وَقَدْ أَعْفَيْتُكَ . وَكَانَ شَاعِرٌ حَاضِراً فَقَالَ :

جَزَعْتَ مِنَ الرُّومِيِّ وَهُوَ مُقَيَّدٌ فَكَيْفَ وَلَوْ لَأَقَيْتَهُ وَهُوَ مُطْلَقٌ

دَعَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِقَتْلِهِ . فَكَادَ شَبِيبٌ عِنْدَ ذَلِكَ يَفْرَقُ^(٦)

فَنَحَّ شَبِيبًا عَنْ قِرَاعِ كَتِيبَةٍ وَأَذِنَ شَبِيبًا مِنْ كَلَامٍ يُلْفَقُ

(١) القَيْن : العبد والمخداد ، وهو يريد الفرزدق . (٢) الظباء : جمع ظبة ، وهي حد السيف .

(٣) انظر صفحة ٢٦٢ . (٤) خطيب البصرة في زمانه ، كان في حلشبة المهدي حينما كان ولياً للمهد وبقي كذلك حتى ولي الخلافة فكان من سواره للفرسين ، توفي سنة ١٧٠ هـ .

(٥) الملاج : الواحد من كفار المعجم . (٦) يفرق : يخاف .

١٦٢ - قوة حجة*

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة^(١) : أن اجمع بين إياس^(٢)
ابن معاوية والقاسم بن ربيعة الجوشني ، فوالقضاء أنفذهما .
فجمع بينهما ، فقال له إياس : أيها الرجل ، سل عنى وعن القاسم قضيي البصرة :
الحسن البصري ، وابن سيرين .

وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين ، وكان إياس لا يأتيهما ، فلم القاسم
أنه إن سألهما عنه أشارا به ؛ فقال : لا تسأل عنى ولا عنه ؛ فوالله الذي لا إله إلا هو ،
إن إياس بن معاوية أقفه منى وأعلم بالقضاء . فإن كنت كاذباً فما ينبغي أن توليني ،
وإن كنت صادقاً فينبني لك أن قبل قولى .

فقال له إياس : إنك جئت برجل فأوقفته على شفير جهنم ، فنجى نفسه منها
بيمين كاذبة ، يستغفر الله منها ، وينجو عما يخاف .
فقال له عدى : أما إذ فهمتها فأنت لها ، فاستقضاه .

*المقد الشريف : ١ - ١١ .

(١) عدى بن أرطاة : أمير من أهل دمشق كان من الغلاء الشجعان ، ولاء عمر بن عبد العزيز
البصرة ، وقتل سنة ١٠٢ هـ . (٢) هو من مزينة ، ولاء عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة
وكان صادق اللسان لطيفاً فى الأمور ، ومات سنة ١٢٢ هـ .

١٦٣ - إياس في مجلس القضاء*

استودع رجلٌ رجلاً آخر مالا ؛ ثم طالبه به فجحدَه^(١) ، فخاصمه إلى إياس
ابن معاوية القاضي ، وقال : دفعت إليه مالا في مكانٍ كذا وكذا ، قال : فأى شيء
كان في ذلك للوضع ؟ قال : شجرة .

قال : فانطلق إلى ذلك للوضع ، وانظر إلى تلك الشجرة ، فقلل الله يوضح لك
هناك ما تبينُ به حقك ، أو لملك دفنت مالك عند الشجرة ، فنسيت ، فتذكر
إذا رأيت الشجرة .

فمضى وقال إياس للمطلوب منه : اجلس حتى يرجع صاحبك ؛ فجلس وإياس
يقضى وينظر إليه بين كل ساعة . ثم قال : ترى صاحبك بلغ موضع الشجرة ؟
قال : لا ! فقال : يا عدو الله ؛ أنت الخائن ، قال : أظنني ، أفالك الله ، فأمر بحفظه
حتى جاء خصمه ، فقال له : خذ منه بمحك قد أقر .

* المحاسن والساوى : ١ - ٤٣ .

(١) الجحود : الإنكار مع العلم .

١٦٤ - من ذكاء إياس *

استودع رجل أمين إياس مالا ، وخرج اللودع إلى الحجاز ، فلما رجع طلبه فوجدّه ؛ فأتى إياسا فأخبره . فقال له إياس : أعلّمتك أنك أتيتني ؟ قال : لا . قال : أفنأزعتك عند غيري ؟ قال : لا . قال : فانصرف ، واكتم سرّك ، ثم عدّ إلى بعد يومين .

ففى الرجل ودعا إياس أمينه ، قال : قد حضر عندنا مال كثير ، أريد أن أسلّمه إليك ، أفحصين منزلك ؛ قال : نعم ، قال : فأعدّ موضعاً للمال ، وقوماً يحملونه .

وعاد الرجل إلى إياس ، قال : انطلق إلى صاحبك ، فإن أعطاك اللال فذاك ، وإن جحد قل له : إني أخير القاضى بالقصة .

فأتى الرجل صاحبه ، قال : تعطيني الوديعة أو أشكوك إلى القاضى ، وأخبره بالحال . فدفع إليه اللال . فرجع الرجل ، وأخبر إياسا .

ثم جاء الأمين إلى إياس ليأخذ اللال للوعود به ، فزجره ، وقال له : لا تقربنى بعد هذا يا خائن .

١٦٥ — أَدْبَنِي فَتَأْدِبْتُ *

كان أبو سلمة حفص بن سليمان وسليمان بن كثير - وهما سيّدا دعاة الدولة العباسية - يَنْدَان كلّ عام على إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس ، فيأتيانه بهدياً لأهل الدعوة ، وكُتُبهم ، ولم يكن أحد من آل إبراهيم يعرفهما ، ولا يعرف الأمر الذي يأتيان له ، قدِمَا سنة من السنين ، فرأى العباس وأبا جعفر ، فأعجباهما ، وهما إذ ذاك غلامان ، فقال سليمان بن كثير لأبي سلمة : إني مسرّ إليك مهمّا من أمر الدين والدنيا ، فأخِيف لي على كِتَانه ، فخلف له أبو سلمة بأيّمان رضيها منه . فقال له سليمان : إني أرى عند هذين الصبيين من أمارات الاستقلال بالخلافة ، مالا كِفَاء له ^(١) . فقال له أبو سلمة : هما والله أولى بالأمر من صاحبتنا - يعني إبراهيم الإمام - . فقال سليمان : مامنعي من ذكر هذا إلا التَّسْتَرُّ .

وبينا هما يتفاوضان في هذا الأمر إذ مرّ العباس وأبو جعفر وهما يضربان كُرّة ، فدعاهما أبو سلمة فأتياه ؛ فقال لهما : إني أنشدت صاحبي هذا شعراً أنا مُعْجَبٌ به ، فلم يرضه ، وقد رضيته بحكمكما فيه . قالوا : أنشده ، فأنشدهما :

أَسْلَمْتُ إني يابنُ كلِّ خليفة وبافارس الهيجا وباجبل الأرض ^(٢)
شكرتك إن الشكرَ حبلٌ من التقى وما كل من أوليته نعمةً يَقْضِي ^(٣)
وشِدَّتْ ^(٤) من ذكرى وما كان خاملاً ولكنّ بعض الذكر أنبأ من بعض ^(٥)

فقال أبو جعفر : مَنْ قال هذا ؟ فقال : قاله أبو نُخَيْلَة ، ففضّ أبو جعفر

* أنباء نجباء الأبناء : ٩٥ .

(١) لا كفاء له : لا مثل له بكافته . (٢) أسلم : يريد أسلمة . (٣) حبل من التقى : سبب منه وعهد ، والعهد : الحبل . (٤) شِدَّتْ : وفست . (٥) أنبأ : أرفع .

على إصبعه ، ثم قال : أَمِنْ هَذَا الْعَبْدُ أَنْ تَدُولَ^(١) لِبْنِي هَاشِمٍ دَوْلَةَ فَيُولُوا^(٢) الْكَلَابَ دَمَهُ ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ : مَهْ^(٣) يَا أَخِي ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : مَنْ ظَهَرَ غَضَبُهُ ضَعُفَ كَيْدُهُ .

ثم أقبل أبو العباس على أبي سلمة ، وقال له : هذا شمرُ أحمق في أحمق ، كيف يقول لرجل هو في سلطان غيره ، وتابع له : يا جَبَلُ الْأَرْضِ ؟ أليس جَبَلُ الْأَرْضِ هو مُرْسِيهَا ، ولا يصلح أن يخاطبَ بهذا من هو تابع لغيره ، وأين تقعيه وتعليقه من قصص اسمه ، إذ يتأديه : « أمسلم » وهو مسلمة !

ثم إن العباس ولى ، فقال له أبو جعفر : هلمَّ يا أخى نلعب ، فقال له أبو العباس : هل أولفت^(٤) الكلابَ دمَ أبي نخيلة ؟ فقال : لا ، ولكنك أدبتي فتأدبت ، وذهبا .

فقال أبو سلمة لسليمان بن كثير : بمثل هذا يطلبُ الملكُ ، ويُدرِكُ النارُ .

(١) الدولة : الانتقال من حال إلى حال . (٢) أولفت الكلب : إذا جعلت له شيئاً يولع فيه .
(٣) مه : اسم فعل ، معناه : أكف . (٤) معناه : هل شغيت غيظك حتى نلعب .

١٦٦ - لا يقبل على اصطنام المعروف مكافأة*

لما حجَّ المنصور عرض عليه جوهرٌ نفيس له قيمة عظيمة للبيع ، فرفه ، وقال : هذا كان لهشام بن عبد الملك بن مروان ، فانتقل إلى ابنه محمد بن هشام ، وما بقي من بنى أمية غيرُهُ ، ولا بدُّ لي منه ، ثم التفت إلى حاجبه الربيع ، وقال : إذا صليتُ بالناس غداً في المسجد الحرام ، وحصل الناس كلهم فأغلق الأبواب كلها ، واكل بها جماعة من الثقات ، وأفتح باباً واحداً وقف عليه ، ولا تُخرج أحداً حتى تعرفه ، فإذا خلعت بمحمد بن هشام فأتني به .

فلما كان الغد فعل الربيع ما أمره به المنصور ، وكان محمد بن هشام في المسجد ، فرفه أنه المطلوب ، وأيقن أنه مأخوذ مقتول ، فتغير وارتاب واضطرب ، فبينما هو على تلك الحال إذ أقبل محمد بن زيد بن علي بن الحسين فرآه متحيراً - وكان لا يعرفه - فتقدم إليه وقال : يا هذا ، ما بالكَ ؟ قال : لا شيء ، قال : خبرني ولك الأمان إن شاء الله على نفسك .

قال محمد بن هشام : فمن أنت ؟ قال : أنا محمد بن زيد بن علي بن الحسين ! فزاد خوفه ، وطار عقله ، وتحقق الموت ، قال له : لا تفرح فليست قاتل أبي ولا جدتي ، وليس لي عليك ثأر ، وأنا أجتهد في خلاصك إن شاء الله ، ولكن تَمَذِّرني فيما أنا صانعُ بك من مكروه وقبيح خطاب . فقال له ، افعل ما شئت .

فطرح رداءه على وجهه ، وغطى به رأسه ، وجذبه وسجبه ، إلى أن قُرب من الربيع حاجب المنصور ؛ وهو على الباب ، فلما وقفت عين الربيع عليهما لطمه

محمد بن زيد لطأت على رأسه ، وجاء به إلى الربيع ، وقال : يا أبا الفضل ، إن هذا الخبيث جَمَّال من أهل الكوفة أَكْرأى جَمَّالاً ، فلما دفعتُ له الكِرَاءَ^(١) هرب مني ، وذهب ، فأكرى جماله لبعض أهل خراسان ، ولى عليه شهودٌ ، وأريد منك مَنْ يُوصِّلُهُ مَعِيَ إلى القاضي ، ويمسك جماله عن القهاب مع الخراسانيين . فرسم الربيع عليه اثنين وقال : لا تفارقه إلى القاضي - ومحمد قابضٌ على الرداء ، وقد استتر وجهه به - فخرجوا جميعاً من المسجد .

فلما بعدوا عن الربيع قال له محمد : اذهب إلى حال سبيلك ، فقَبِلَ محمد بن هشام يده ورأسه وقال : الله أعلمُ حيثُ يَحْمِلُ رسالته ، ثم أخرج له جواهر قيمتها عظيمة ، وقال : بالله - يا بنَ بنتِ رسولِ الله - شرفني بقبول هذا ، فقال له : اذهب بمتاعك ، فنحن أهل بيت لا قَبْلُ على اصطناع المعروف مكافأةً ، واحترز على نفسك ، من هذا الرجل ، إلى أن يخرجَ ، فإنه مجدٌّ في طلبك .

١٦٧ - حَدَرُ إِبرَاهِيمَ بْنِ هَرَمَةَ*

رجة المنصورُ رسولاً إلى ابنِ هَرَمَةَ^(١) ، ودفع إليه ألفَ دينارٍ وخِلْمَةً ، ووصفه له وقال : امضِ إليه ، فإنك تراه جالساً في موضعٍ كذا من المسجد ، فانسبْ له إلى بني أُمِيَّةٍ أو مَوَالِيهِمْ ، وسلِّه أنْ يُنشِدَكَ قصيدته الحاثية التي يقول فيها يمدح عبد الواحد بن سليمان :

وجدنا غالباً كانت جَنَاحاً وكان أبوك قادمة الجَنَاح
فإذا أنشدكها فأخرجه من المسجد واضربْ عُنُقَهُ وجثني برأسه ، وإن أنشدك قصيدته اللامية التي يمدحني فيها فادفعْ إليه الألفَ الدننارَ والخِلْمَةَ ؛ وما أراه يُنشِدُكَ غيرها ولا يترفُّ بالحاثية .

فأنه الرسولُ فوجدته كما قال المنصور ، فجلس إليه واستنشدته قصيدته في عبد الواحد ؛ فقال : ما قلتُ هذه القصيدة قط ولا أعرفها ، وإنما تحمّلها إيتاي من يُباديني ، ولكنْ إن شئتُ أنشدتك أحسنَ منها قال : قد شئتُ فهاهنا ، فأنشده :

* سَرى ثوبه عنك الصَّبَا المُنْتَخِلُ^(٢) *

حتى أتى على آخرها^(٣) ؛ ثم قال له : هاهنا ما أمرك أميرُ المؤمنين بدفعه إليّ ؛

* الأغانى : ٦ - ١١٢ .

(١) هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمه - شاعر غزل من سكان المدينة رحل إلى دمشق ومدح الوليد الأموي فأحازه . (٢) سرى عنه الثوب : كذفه . (٣) منها :
له لحظات عن حقائق سريره إذا كرها فيها غناب وفائل
فأمّ التي آمنت أمانة الردي وأمّ التي خوفت بالسكر ناكل
ن وحفاف الشيء : جانبه .

قَالَ : أَيْ شَيْءٍ تَقُولُ بِأَعْزَا ؟ وَأَيْ شَيْءٍ دَفَعْتَ إِلَى ؟ قَالَ : دَعَا عَنْكَ ، فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَكَ إِلَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَلِكُ مَالٍ وَكَسُوةٌ إِلَيَّ ، وَأَمْرُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي عَنْ هَذِهِ التَّصِيدَةِ ، فَإِنْ أَنْشَدْتُكَ بِإِيَّاهُ ضَرَبْتَ عُنُقِي وَحَلَمْتُ رَأْسِي إِلَيْهِ ، وَإِنْ أَنْشَدْتُكَ هَذِهِ اللَّامِيَةَ دَفَعْتُ إِلَى مَا حَمَلْتُكَ إِيَّاهُ . فَضَحِكَ الرَّسُولُ ، ثُمَّ قَالَ : صَدَقْتَ لِعَمْرِي ، وَدَفَعْتَ إِلَيْهِ الْأَلْفَ الدِّينَارَ وَالْخَلْعَةَ .

١٦٨ — المنصور ودليله بالمدينة*

لَا حُجَّ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ قَالَ لِلرَّبِيعِ : ابْتَغِ لِي فَتًى مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَدْبَارًا غُلُوبًا ، عَالِمًا بِتَدْرِيسِ دِيَارِهَا ، وَرُسُومِ أَمَلِهَا ؛ فَقَدْ بَعَدَ عَهْدِي بِدِيَارِ قَوْمِي ، وَأُرِيدُ الْوُقُوفَ عَلَيْهَا . فَاتَّقَمَسَ لَهُ الرَّبِيعُ فَتًى مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْمَدِينَةِ ، وَأَعْرَفَهُمْ بِطَرَفِ الْأَخْبَارِ ، وَشَرِيفِ الْأَشْعَارِ ؛ فَضَجِبَ الْمَنْصُورُ مِنْهُ ؛ وَكَانَ يَسِيرُهُ أَحْسَنَ صُيَاةٍ ، وَيَحَاضِرُهُ أَزْيَنَ مُحَاضِرَةٍ ، وَلَا يَبْتَدِئُهُ بِمُخَاطَبٍ إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْجَوَابِ ، فَإِذَا سَأَلَهُ أَتَى بِأَوْضَحِ دَلَالَةٍ ، وَأَفْصَحِ مَقَالَةٍ .

فَأَعْجَبَ بِهِ الْمَنْصُورُ غَايَةَ الْإِعْجَابِ ، وَقَالَ لِلرَّبِيعِ : ادْفَعْ إِلَيْهِ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَكَانَ الْفَتَى مُتِمِّقًا^(١) مُضْطَرًّا . فَتَشَاغَلَ الرَّبِيعُ عَنْهُ ، فَاجْتَنَزَعَ مَعَ الْمَنْصُورِ بَدَارَ عَاتِكَةٍ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ هَذَا بَيْتُ عَاتِكَةٍ بَنَتْ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الْأَحْوَصُ بْنُ مُحَمَّدٍ :

* ذيل زهر الآداب : ٥٨ .

(١) الإملاق : اللاتجار .

يَا بَيْتَ عَاتِكَةِ النَّبِيِّ أُنْمَزَلُ^(١) حَذَرَ الْعِدَا وَبِهِ الْفَوَادُ مُوَكَّلُ.
قال المنصور : ما حاج منه ما ليس هو طبعه ؛ من أن يُخَيَّرَ بما لم يُسْتَخَيَّرَ عنه
ويجب بما لم يُسأل عنه . ثم أقبل يردُّدُ أبيات القصيدة في نفسه إلى أن
بلغ إلى :

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبِمَضْمَنِهِمْ مَذِقَ الْإِنْسَانِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ^(٢)
فدعا بالربيع وقال له : هل دفعت للبدني^(٣) ما أمرنا به ؟ فقال : أَخْرَجْتَنِي عَلَيْهِ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قال : أضعفها له ومجتها .

(١) أنزل الشيء وأنزل عنه : انتهى . (٢) وجل مذاق : كغوب . (٣) الإ : أي : أضعف .
الرسول : بدني ، وإلى مدينة المنصور : مشين .

١٦٩ - لطفة كاتب المنصور*

قال أبو جعفر المنصور للمهدي يوماً : قد عزمْتُ على أن أوليك الأمرَ وأردّه إليك ، قد كبرتُ وعجزتُ عن مباشرة الأعمال والنظر فيها ، وأحببتُ الراحة والدعة . ففرج المهدي إلى أبي عبيد الله^(١) مستبشراً ، وعرفه ما عرضه عليه أبو جعفر ، فقال له أبو عبيد الله : اتقِ الله ولا تظهر لأمر المؤمنين قبُولاً لما ذاكرك به ، وإذا عاودك قتل له : لا والله ، لا أترض لهذا الأمر ما أبقي الله أمير المؤمنين ؛ ولا أنهيضُ له ، فإنه إنما سبرك^(٢) بما عرّض عليك .

فلما دخل المهدي على أبي جعفر قال له : يا أبا عبدالله ، هل فكرت فيما قلته لك ، أو شاورت أحداً فيه ؟ فقال : ما بي من قوة على ذلك ، ويُبقي الله أمير المؤمنين ، ويمتحننا بحياته . فقال له : سبحان الله ! مَنْ صدك عنه ومَنْ ناظرت فيه ؟ فقال له : شاورت معاوية^(٣) . قال : فأى شيء قال لك ؟ فعرّفه ما قال له ، فأطرق هنيئاً ثم قال : على معاوية .

فلما دخل عليه قال له : ما هذا الذي ناظرَكَ^(٤) فيه ابن عبدالله^(٥) ؟ وكيف رأيت ألا يقبل ؛ قال : أأصدقك وأنا آمن ؟ فقال له : هات ، ولم لا تصدقني ؟

* الوزراء والكتّاب : ١٢٨ .

(١) هو أبو عبد معاوية بن عبيد الله بن يasar من أهل فلسطين . كان كاتب أبي جعفر في الإنفاق والتصرف في بيت المال وقد ضمه إلى المهدي حين أتته إلى الرى . (٢) سبر الجرح : نظّر ما غوره . (٣) هو أبو عبيد الله . (٤) للناظرة : أن تناظر أعناك في أمر إذا نظرنا فيه معاً كيف تأتيه . (٥) اسم المهدي محمد بن عبد الله .

قال له : إنه والله ما عرضت عليه ما عرضته وأنت تريد أن توليه ، وإنما أردت أن تختبر عقله ، وما كنت لطبيب فساداً بترك ما أنت فيه ..

فقال له : وكيف توهمت ذلك ؟ قال : لأني سمعتك تقول : إني أستيقظ بالليل فأدعو بالكتب ، فأضعها بين يدي ، وأدعو بوصيف فأمره أن يبرح^(١) ظهري بالدهن ، فيفعل ذلك ، وأنا مقبل على كتي وتديري ، والنظر في أموري ؛ فعلت أنك لا تدع شيئاً يكون موقعه منك هذا الموقع وتؤثر به غيرك .

فقال : ما كنت أرى أن أحداً يتفقد ما تفقدته ، وقد أصبت الرأي وأحسن .

بارك الله عليك .

(١) يبرح : يدهن .

١٧٠ - حيلة طريفة

قال داود بن الرشيد : قلت للمهتّم بن عدى : بأى شيء استحقّ سعيد بن عثمان أن ولّاه المهديّ القضاء ، وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة ؟ قال : إن خبره فى اتصاله بالمهديّ طريف ، فإن أحببت شرحته لك ، قلت : والله قد أحببت ذلك ، قال :

اعلم أنه وافى الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة إلى المهديّ ، فقال : استأذن لى على أمير المؤمنين . فقال له الربيع : من أنت ؟ وما حاجتك ؟ قال : أنا رجل قد رأيتُ لأمر المؤمنين رؤيا سالحة ، وقد أحببتُ أن تدكرنى له . فقال له الربيع : يا هذا ؛ إن القوم لا يصدقون ما يروونه لأنفسهم ، فكيف ما يراه لم غيرهم ، فاحتلّ بحيلة هى خير لك من هذه . فقال له : إن لم تخبره بمكاتى سأل من يوصلنى إليه ، فأخبرته أنى سألتك الإذن عليه فلم تفعل .

فدخل الربيع على المهديّ ، فقال له : يا أمير المؤمنين ؛ إنكم قد أطمعتم الناس فى أنفسكم ، قد احتالوا لكم بكلّ ضرب . قال له : هكذا صنع اللوك . فاذاك ؟ قال : رجل بالباب يزعم أنه قد رأى لأمر المؤمنين رؤيا حسنة ، وقد أحبّ أن يقصّها عليه . فقال له المهديّ : ويحك ياربيع ! إني والله أرى الرؤيا لنفسى ، فلا تصحّ لى ، فكيف إذا ادّعاها من لعله قد اقتضها . قال : والله قلتُ له مثل هذا فلم يقبل . قال : هات الرجل .

فَادْخَلَ إِلَيْهِ سَعِيدٌ ، وَكَانَ لَهُ رُؤْيَا وَجَالٍ وَمَرْوُوءَةٌ ظَاهِرَةٌ ، وَلِحْيَةٌ عَظِيمَةٌ
وَلِسَانٌ . فَقَالَ لَهُ الْمُهْدِيُّ : هَاتِ ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ! مَاذَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آتِيًا أَنَا فِي مَنْحَى فَقَالَ لِي : أَخْبِرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُهْدِيَّ أَنَّهُ يَمِيشُ
ثَلَاثِينَ سَنَةً فِي الْخِلَافَةِ ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّهُ يَرَى فِي لَيْلَتِهِ هَذِهِ فِي مَنْامِهِ كَأَنَّهُ يُقَلَّبُ
يَوَاقِيتُ ؛ ثُمَّ يَمُدُّهَا فَيَجْعَلُهَا ثَلَاثِينَ يَاقُوتَةً ؛ كَأَنَّهَُا قَدْ وَهَبَتْ لَهُ .

فَقَالَ الْمُهْدِيُّ : مَا أَحْسَنَ مَا رَأَيْتَ ! وَنَحْنُ نَمْتَحَنُ رُؤْيَاكَ فِي لَيْلَتِنَا الثَّقِيلَةِ عَلَى
مَا أَخْبَرْتَنَا بِهِ ، فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ أُعْطِينَاكَ مَا تَرِيدُ ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ
بِمُخْلَافِ ذَلِكَ لَمْ نَعَاذِبْكَ ، لَمَلْنَا أَنَّ الرُّؤْيَا بِرَبِّهَا صَدَقَتْ ، وَبِمَا اخْتَلَفَتْ .

قَالَ لَهُ سَعِيدٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَمَا أَنَا صَانِعُ السَّاعَةِ إِذَا صَرْتُ إِلَى مَنْزِلِي
وَعَيْلِي فَأُخْبِرُهُمْ أَنِّي كُنْتُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ صِفْرًا^(١) ؟ قَالَ لَهُ
الْمُهْدِيُّ : فَكَيْفَ نَعْمَلُ ؟ قَالَ : يَسْجُلُ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَحَبَّ ؛ وَأُحْلِفُ لَهُ أَنِّي
قَدْ صَدَقْتُ ، فَأَمْرُ لَهُ بِمَشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ ؛ وَأَمْرُ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ كَفِيلٌ لِيَحْضُرَ مِنْ غَدٍ
ذَلِكَ الْيَوْمَ . فَبُضِيَ الْمَالُ ، وَقِيلَ لَهُ : مَنْ يَكْفُلُ^(٢) بِكَ ؛ فَدَخَّ عَيْنِيهِ إِلَى خَادِمٍ فَرَأَاهُ
حَسَنَ الْوَجْهِ وَالزَّيِّ . قَالَ : هَذَا يَكْفُلُ بِي . قَالَ لَهُ الْمُهْدِيُّ : أَنْ كَفُلْتُ بِهِ ؟
فَاجْهَرْ وَخَبِّلْ ، وَقَالَ : نَعَمْ . وَكَفُلَ بِهِ وَانْصَرَفَ .

فَلَمَّا كَانَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ رَأَى الْمُهْدِيُّ مَا ذَكَرَهُ لَهُ سَعِيدٌ حَرَفًا بِحَرْفٍ ، وَأَصْبَحَ
سَعِيدٌ فِي النَّبِ ، وَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا رَقَعَتْ عَيْنُ الْمُهْدِيَّ عَلَيْهِ قَالَ : أَيْنَ
مَسِينٍ مَا قُلْتُ لَنَا ؟ قَالَ لَهُ سَعِيدٌ : وَمَا رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ لَهُ الْمُهْدِيُّ : قَدْ
وَاللَّهِ رَأَيْتُ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ سَعِيدٌ : اللَّهُ أَكْبَرُ ! فَأَنْحَزِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَعَدْتَنِي بِهِ .

(١) الْمَقْر : الْخَالِي . (٢) الْكَفِيل : الضَّامِنُ .

قال له : حُبًّا وكرامة . ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار ، وعشرة نخوت^(١) ثياب ،
وثلاثة مراكب من أنفسي دوابه محلاة ، فأخذ ذلك وانصرف .

فلحق به الخادم الذي كان قد كفّل به ، وقال له : سألتك بالله ؛ هل كان لهذه
الرؤيا التي ذكرتَها من أصل ؟ فقال له سعيد : لا والله ! قال الخادم : كيف وقد
رأى أمير المؤمنين ما ذكرته له ؟ قال : هنا مما لا يأبه به أمثالكم ، وذلك أني لما
أقيتُ إليه هذا الكلام خطر بباله ، وحدث به نفسه ، وشغل به فكره ، فساءة
نام خُيِّل له ما حل في قلبه ، وما كان شغل به فكره في المنام .

فبُهِت الخادم ، وتعجّب ، فقال له سعيد : قد صدقتك ، وجملت صدق لك
مكافأتك على كفالتك ؛ فاسترْ على . ففعل .

ثم طلبه المهدي لمناذمته ، فناداه ، وحطّى عنده وقلده القضاء على عكره .
فلم يزل كذلك حتى مات المهدي .

(١) النخت : وعاء تصان فيه الثياب .

١٧١ — الأمين والمأمون بين يدى الرشيد*

قال محدث : إن الرشيد ناظر يحيى بن خالد ؛ أى ولديه يعهد إليه ، وعلم يحيى ابن خالد ميله إلى أم جعفر وإيثاره هواها ؛ فقال : أمير المؤمنين أعلم بولده ، وكان المأمون والأمين حاضرين ، فأغرى^(١) كل واحد منهما بالأخرى ، فأسرع^(٢) الأمين وحلم المأمون ، ثم أمرها بالمصارعة ، فوثب الأمين ، وثبت المأمون جالساً . فقال له الرشيد : مالك اليوم يا عبد الله ! أخفت ابن الهاشمية ؟ أما إنه لأيد^(٣) ، فقال المأمون : هو كما ذكر أمير المؤمنين ، ولكننى لم أخفه ، ولكن قبض بدى عنه ما قبض لسانى حين نال منى . فقال الرشيد : وما الذى قبض يدك ولسانك عنه ؟ قال : قول الأموى لبنيه متمثلاً^(٤) :

انفوا الضغائن^(٥) بينكم وتواصلوا عند الأباعد والحضور الشهيد
فصلاح ذات البين طول بقاءكم ودماركم بقطع وتفرد .
إن التداخ إذ جُمعن ورامها بالكسر ذو حنق وبطش أيد
عزت ولم تكسر وإن هى بددت فالوهن والتكسر للتبذد
فقتل ربيب الدهر ألف بينكم بتعاطف وتراحم وتودد
حتى نلين جلودكم وقلوبكم لسود منكم وغير مود

* أنباء نجباء الأبناء : ١١٣ .

(١) أغرى بينهم : سلط أحدهم على الآخر . (٢) أسرع : أى اسمه قولاً مكرهاً .

(٣) أيد : شديد . والأيد : القوة . (٤) الأبيات أنفذها عبد الملك يومى بها ولده .

(٥) الضغائن : الأحقاد .

فرق الرشيد رقة شديدة ، واغرورقت عيناه بالدموع ، ثم تشدد وكفكفها^(١) وأقبل على الأمين ، وقال : يا محمد ؛ ما أنت صانع إن صرف الله إليك أمر هذه الأمة ؟ قال أكون مهديها يا أمير المؤمنين . فقال الرشيد : إن تفعل فأنت أهل لذلك .

ثم أقبل على المأمون وقال له : يا عبد الله ؛ ما أنت صانع إن صرف الله إليك أمر هذه الأمة ؟ فاجلرت دموع المأمون ، وقطن الرشيد لما أبكاه ، فلم يملك عينيه فأرسلهما ، وبكى يحيى ؛ فلما قصوا من البكاء أرباباً^(٢) بكى الأمين لبكاثهم ، فأعاد الرشيد المسألة للمأمون . فقال : أعفى يا أمير المؤمنين من ذلك . فقال : عزمت عليك لقولان ، قال : إن قدر الله ذلك أجعل الحزن شعاراً^(٣) ، والحزم دثاراً ، وسيرة أمير المؤمنين مشعراً لا تستحل حرماته ، وكتاباً لا تبدل كلماته .

فأشار إليهما بالانصراف ، فذهبا ، ثم أقبل على يحيى بن خالد فأنشد بيت صخر بن عمرو بن الشريد السلمي أخى النفساء ، وهو قوله :
أهمُّ بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والزوان^(٤)
فقال يحيى بن خالد : هيا الله لأمر المؤمنين من أمره رشداً .

(١) كفكفها : كنها . (٢) الأرب : الحاجة . (٣) الشعار : ما ولي الجسد من الثياب ، والذثار : ما غرق ذلك . (٤) العير : حمار الوحش . الزوان : الوثوب . والبيت مثل ، وأول من ظاه صخر .

١٧٢ — قَمَرًا مَجِيدٍ وَفَرَعًا خَلِيفَةً*

قال الكِسَائِيُّ^(١) :

دخلتُ على الرشيد ، فلما قضيتُ حقَّ التسليم والدعاء وثبتتُ للقيام ، فقال :
أقمُد ، فلم أزل عنده حتى خفتُ عامَّةً من كان في مجلسه ، ولم يبق إلا خاصته ،
فقال لي : يا عليّ ؛ ألا تحبُّ أن ترى محمداً وعبد الله^(٢) ! قلت : ما أشوقني إليهما
يا أمير المؤمنين ، وأسرتني بمأينة نعمة الله على أمير المؤمنين فيهما .

فأمر بإحضارهما ، فلم ألبث أن أقبلَا كوكبي أُنُق ، يزنيها هدوء ووقار ،
وقد غصَّ أبصارهما ، وقاربا خطوهما ، حتى وقفا على باب المجلس ، فسما على أبيهما
بالخلافة ؛ ثم قال : تمَّ الله على أمير المؤمنين نعمه ، وشفعها بشكره ، وجعل ما قلده
من هذا الأمر أحمد عاقبة ، ولا كدَّر عليه ما صفا ، قد صرت للسلطين ثقة ؛
إليك يفزعون في أمورهم ، ويتصلون في حوائجهم .

فأمرهما بالدنو منه ؛ فصير محمداً عن يمينه وعبد الله عن ياره ، ثمَّ التفَّت
إليّ فقال : يا عليّ ؛ ما زلتُ ساهراً مفكراً في معاني آياتٍ قد خفيتُ عليّ ، قلت :
إن رأى أمير المؤمنين أن ينشدنيها ، فأنشدني :

قَدْ قَاتُ قَوْلًا لِلغَرَابِ إِذَا حَجَلْ عَلَيْكَ بِالْقُودِ الْمَانِفِرِ الْأَوَّلِ

* نَعْدَ مَا شَتَّ عَلَى غَيْرِ عَجَلْ *

* للمعدي : ٢ — ٢٧١ ، معجم الأدباء : ١٣-١٢٤ ، المحاسن والساوى : ٤٤٠ .

(١) اسمه علي بن حزة وأصله من فارس أشهر نخاع الكوفة وأحد القراء البجة ، استفد منه
المخلفاء العباسيون ليعلم أبناءهم ، وألف كثيرا من الكتب في النحو والقراءات والأدب والنحو ،
توفي سنة ١٨٩ هـ . (٢) محمد الأمين وعبد الله المأمون ابنا الرشيد .

قلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ إن العير^(١) إذا فصلت من خيبر ، وعليها التمير ،
يقع الغراب على آخر العير فيطردها السواق ؛ يقول : تقدم إلى أوائل العير ؛
فكل على غير محل . والقود : الطوال الأعناق . والمسانيف : للتقدمة .
ثم أنشدني :

وإني وإن عشت من خشية الردى نهأت حمار إني لجزوع^(٢)

قلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ كان الرجل من العرب إذا دخل خيبر أكب^(٣)
على أربع ، وعشر تمشير الحمار ؛ وهو أن ينهق عشر نهقات متتابعات ، يفعل ذلك
ليدفع من نفسه حتى خيبر .

ثم أنشدني قول الآخر :

أجاعل أنت يبقورا مضرمة ذريسة لك بين الله والطر^(٤)

قلت : نعم ، كانت العرب إذا أبطلوا للطر شدت المشر^(٥) والساع ، وما ضربان
من النبت في أذنان البقر وألهبوا فيه النار ، وشرّدوا البقر تغاولا بالبرق والطر .
ثم أنشدني لرجل آخر :

وسرب ملاح قد رأيت وجوههم إناث أدا نيه ، ذكور أواخره

قلت : إنه يعني الأضراس .

ثم أنشدني قول الآخر :

فإني إذ ن كالثور يضرب جنبه إذا لم ينف شربا وعافت صواحبه

قلت : نعم ، كانت العرب إذا أوردت البقر ، فشربت الثيران وأبت البقر
ضربت الثيران حتى تشرب البقر ، وهو كما قال : « كالثور يضرب لما عافت البقر » .

(١) العير : الإبل التي تحمل اللبن . (٢) البيت لمروة بن الورد .

(٣) اسم جمع لبقرة ، وفي اللسان : « معلقة » بدل مضرمة ، والبيت للورد الطائي .

(٤) شجر لم يقتدح الناس في أجود منه .

نم أنشدني :

بمُتَحَدِّرٍ من رَأْسِ بَرَقَاءَ حَطَّهٗ نَدَّ كُرْبَيْنٍ من حبيب مُزَايلِ
قلت : نعم ، يعنى الدموع . والبرقاء : العين ؛ لأن فيها سوداءً وبياضاً .
وحطَّه : أسالاه ، وحبيب : محبوب ، ومزاييل : مفارق .
فوثب الرشيد فجذبني إلى صدره ، وقال : لله در أهل الأدب ! ثم دعا بجارية ،
فقال لها : احملى إلى منزل الكسائي خمسَ بِدَرٍ على أعناق خمسة أعبد يلزمون
خِدْمَتَهُ .

ثم قال لى : استنشدنا - يعنى ابنه - فأنشده محمد الأمين :

وإِنِّي لَعَفُّ الْقَمَرِ مُشْتَرِكُ الْيَنَى وَتَارِكُ شَكْلِ لَابُؤَافِقِهِ شَكْلِي
وَشَكْلِي شَكْلٌ لَا يَقُومُ بِمَثَلِهِ من الناس إلا كلُّ ذِي نَيْفَةٍ مِثْلِي ^(١)
وَلِي نَيْفَةٌ فِي الْحَدِّ وَالْبَذَلِ لَمْ يَكُنْ تَأْتَقَهَا فِيمَا مَضَى أَحْسَدٌ قَبْلِي
وَأَجْلُ مَالِي دُونَ عِرْضِي جُنَّةٌ لِنَفْسِي وَأَسْتَفْنِي بِمَا كَانَ مِنْ فَضْلِي
وَأُنْشِدُنِي عَبْدَ اللَّهِ لِلْأَمُونِ :

بَكَرَتْ تَلَوْمُكَ مَطْلَعِ الْفَجْرِ وَلَقَدْ تَلَوُّمٌ بَغِيرِ مَا تَذَرِي
مَا إِنْ مَلَكَتُ مَعْصِيَةً تَزَلَّتْ إِذَا لَا يُحْكَمُ طَائِفًا أَمْرِي ^(٢)
مَلِكُ اللُّوْكِ عَلَى مُقْتَدِرٍ يَعْطَى إِذَا مَا شَاءَ مِنْ يُسْرِ
قَرَبٌ مُغْتَبِطٌ بِمَرْزِقَةٍ وَمُتَجَمِّعٌ بِنَوَائِبِ الدَّهْرِ
وَمُكَلِّشٌ لِي قَدْ مَدَدَتْ لَهُ تَحَرُّاً بِلَا ضَرَعٍ وَلَا غَر ^(٣)
حَتَّى يَقُولَ لِنَفْسِهِ لَهْفًا فِي أَيْ مَذْهَبٍ غَايَةً أَجْرِي

(١) النيف : اسم من تنوق في الأمر : تجود وتأنق فيه . (٢) حك الأمر : أحكمه .

(٣) الضرع : من ضرع : إذا ذن وخضع . والامر : من لم يجرب الأمور ، وبالنحر : ك : الحقد

وترى قتاتى حين يُعْمِزُها غَمَزَ الشُّكَّافِ بَطِيئَةَ الْكَسْرِ
ثم أمرنى أن أسألهما ، فقلت : فاسألهما عن شيء إلا أحسنًا الجواب فيه
وانتروج منه ، فسرَّ بذلك الرشيد ، حتى نَبَيْتُهُ فيه ، ثم قال : يا على ! كيف ترى
مذهبهما وجوابهما ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ! هما كما قال الشاعر :

أرى قرى مجيد وفرعى خلافة يزنيها عرق كرم ويحتد
يسدان آفاق السماء بشيمة يؤبدها حزم وعصب مهند
سليلى أمير المؤمنين وسائرئ موارث ما أبقي النبي محمد

يا أمير المؤمنين ، ها فرع زَكَ أَصله ، وطالب مَغْرَسه ، وتمكَّنت في الثرى
عروقه ، وعذُبت مشاربه ، أبوهما ملك أغر ، نافذ الأمر ، واسع العلم ، عظيم الحلم ،
فهما يستضيئان بنوره ، وينطقان بلسانه ، ويتقلبان في سعادته ، فأتمعت الله أمير
المؤمنين بهما ، وآس جميع الأمة ببقائه وبقائهما ! فأرأيت أحداً من أولاد الخلفاء
وأغصان هذه الشجرة المباركة أَذْرَبَ^(١) منهما لساناً ، ولا أعذب كلاماً ، ولا أحسن
ألفاظاً ، ولا أشدَّ اقتداراً على تأدية ما حفظا ورويا ؟ ودعوتُ لهما دعاءً كثيراً ،
وأمن الرشيد على دعائى ، ثم ضمَّهما إليه ، وجميع يده عليهما فلم ييسطها حتى رأيتُ
الدموع تنحدر على صدره ؛ رقةً عليهما وإشفاقاً . ثم أمرهما بالخروج .

فلما خرجا أقبل علىّ ، فقال : كأنك بهما - وقد حُمَّ القضاء ونزلت مقاديرُ
السماء ، وبلغ الكتابُ أجله ، واتتهى الأمرُ إلى وقته المحدود ، وحينه المعلوم ، الذى
لا يذفه دافع ، ولا يمنع منه مانع - قد تشقتُ أمرهما ، وافتقرتُ لكلهما ، وظهر
نعاديهما ، ثم لم يبرح ذلك بهما حتى تسفك الدماء ، وتكثر القتلى ، وتهتك
سُتُور النساء ، ويمتدَّ كثيرٌ من الأحياء أنهم في عداد الموتى ! قلت : أليكون ذلك

(١) القرب : المديد اللسان .

يا أمير المؤمنين لأمر رأيت، أو لرؤيا ؛ أو لشيء تبين لك في أصل مولدهما، أو لأثر وقع لأمر المؤمنين في أمرهما ؟ فقال : لا ؛ بل أثر صحيح ؛ حملته العلماء، عن الأوصياء عن الأنبياء .

١٧٣ — قرأتاً عينية *

قال محمد بن عبد الرحمن الهاشمي ^(١) :

كانت أم جعفر بن يحيى تزور أمتي ؛ وكانت ليبيبة من النساء ، حازمة فصيحة برزة ^(٢) ، يعجنني أن أجدها عند أمتي فاستكثر من حديثها ؛ فقلت لها يوماً : يا أم جعفر ؛ إن بعض الناس فضل جعفرًا على الفضل ، وبعضهم يفضل الفضل على جعفر ، فأخبريني . قالت : ما زلنا نعرف الفضل للفضل . قلت : إن أكثر الناس على خلاف هذا ، قالت : سأحدثك واقص أنت - وكان ذلك الذي أردت منها .

قالت : كنا يوماً يلعبان في داري ، فدخل أبوها فدعا بالتداء وأحضرهما ، فطعما معه ، ثم أنسهما بحديثه وقال لهما : أتلمبان بالشطرنج ؟ فقال جعفر - وكان أجراًهما : نعم ، قال ؛ فهل لاعبت أخاك بها ، قال جعفر : لا . قال : فاعبا بها بين يدي لأرى لمن التلب ، فقال جعفر : نعم ، وكان الفضل أبصر منه بها ، فحجى بالشطرنج ، فصفت بينهما ، وأقبل عليها جعفر وأعرض عنها الفضل .

* أنباء نبياه الأبناء : ١٣٠ .

(١) هو محمد بن عبد الرحمن صاحب صلاة الكوفة . (٢) البرزة من النساء : التي تظهر للناس ويجلس إليها القوم ، وهي مع ذلك عفيفة عاقلة .

قَالَ لَهُ أَبُوهُ : مَا لَكَ لَا تُلَاعِبُ أَخَاكَ ؟ قَالَ : لَا أَحِبُّ ذَلِكَ . قَالَ جَعْفَرُ :
إِنَّهُ يَرَى أَنَّهُ أَعْلَمُ بِهِمَا مَنِّي فَيَأْتِي مِنْ مُلَاعِبَتِي ؛ وَأَنَا أَلَاعِبُهُ مُحَاطَرَةً ^(١) .
قَالَ الْفَضْلُ : لَا أَفْعَلُ . قَالَ أَبُوهُ : لَا عَيْبَ وَأَنَا مَعَكَ . قَالَ جَعْفَرُ : رَضِيتُ ،
وَأَبَى الْفَضْلُ ، وَاسْتَعْفَى أَبَاهُ فَأَعْفَاهُ .

ثُمَّ قَالَتْ لِي : قَدْ حَدَّثْتُكَ نَاقِضٌ ، قُلْتَ : قَدْ قَضَيْتُ بِالْفَضْلِ لَجَعْفَرٍ عَلَى أَخِيهِ .
قَالَتْ : لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لَا تَحْسِنُ الْقَضَاءَ لَمَا حَكَمْتُكَ ، أَفَلَا تَرَى أَنَّ جَعْفَرَ قَدْ سَقَطَ
أَرْبَعُ سَقَطَاتٍ تَنْزَعُ الْفَضْلُ عَنْهُنَّ : فَسَقَطَ حِينَ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنَّهُ يَلْعَبُ
بِالشَّطْرَنْجِ ، وَكَانَ أَبُوهُ صَاحِبُ حِجْدٍ . وَسَقَطَ فِي الْإِتِمَانِ مُلَاعِبَةُ أَخِيهِ ، وَإِظْهَارُ الشَّهْوَةِ
لنَفْسِهِ ، وَالتَّمَرُّضُ لِنَفْسِهِ . وَسَقَطَ فِي طَلَبِ الْقَامَرَةِ وَإِظْهَارِ الْحِرْصِ عَلَى مَالِ أَخِيهِ .
وَالرَّابِعَةُ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ حِينَ قَالَ أَبُوهُ لِأَخِيهِ : لَا عَيْبَ وَأَنَا مَعَكَ ، قَالَ أَخُوهُ : لَا ،
وَقَالَ هُوَ : نَعَمْ ؛ فَصَاحِبُ ^(٢) صِفًا فِيهِ أَبُوهُ وَأَخُوهُ .

قُلْتَ : أَحْسَنْتُ وَاقِفٌ ، وَإِنَّكَ لِأَقْضَى مِنَ الشَّعْبِ ^(٣) ! ثُمَّ قُلْتَ لَهَا : عَزَمْتُ
عَلَيْكَ أَخْبِرِيْنِي ؛ هَلْ خَفِيَ مِثْلُ هَذَا عَلَى جَعْفَرٍ وَقَدْ قَطُنَ لَهُ أَخُوهُ ؟ قَالَتْ : لَوْلَا
الْعَزْمَةُ ^(٤) لَا أَخْبِرْتِكَ ، إِنْ أَبَاهَا لَمَا خَرَجْتُ لِلْفَضْلِ خَالِيَةً بِهِ : مَا مَنَعَكَ مِنْ
إِدْخَالِ السَّرُورِ عَلَى أَيْكَ بِمُلَاعِبَةِ أَخِيكَ ؟ قَالَ : أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا لَوْ لَا عَيْبَتُهُ
لَنَلَبِثْتُ فَأَخْبَلْتُهُ ، وَالثَّانِي قَوْلُ أَبِي : لَا عَيْبَ وَأَنَا مَعَكَ ؛ فَمَا يَسُرُّنِي أَنْ يَكُونَ أَبِي مَعِي
عَلَى أَخِي . ثُمَّ خَلَوْتُ بِجَعْفَرٍ فَقُلْتُ لَهُ : يَسْأَلُ أَبُوكَ عَنِ اللَّعْبِ بِالشَّطْرَنْجِ فَيَصْمُتُ
أَخُوكَ وَتَعْتَرِفُ ، وَأَبُوكَ صَاحِبُ حِجْدٍ ! قَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : نَعَمْ لَهَوِ الْبَالِ
لِلْكُودِ ^(٥) ! وَقَدْ عَلِمَ مَا نَقَاهُ مِنْ كَدِّ التَّعَلُّمِ وَالتَّأَذُّبِ ، وَلَمْ أَمْنِ أَنْ يَكُونَ بَلْعُهُ أَنَا

(١) الْمُحَاطَرَةُ : الْمُرَاحَنَةُ . - (٢) نَاصِبُ الْمَفْذُوعِ : وَهِيَ إِزَاءَةٌ وَعَادَةٌ . - (٣) الشَّعْبُ :
أَحَدُ رِجَالِ الْحَدِيثِ وَالْقَضَاءِ . - (٤) عَزَمَ عَلَيْهِ : أَقْسَمَ ، وَعَزَمْتَ عَلَيْكَ : أَيْ أَمَرْتُكَ أَمْرًا
جِدًّا ، وَهِيَ الْعَزْمَةُ . - (٥) كَدُّهُ : أَجْهَدُهُ وَأَتَمُّهُ .

تَلَبُّبُهَا وَأَنْ يُبَادِرَ فَيَنْكَرَ ، فَبَادَرَتْ بِالْإِقْرَارِ إِشْفَاقًا عَلَى نَفْسِ وَعَلَيْهِ ؛ وَقَلَّتْ :
إِنْ كَانَ تَوْبِيخٌ فَدَيْتُهُ مِنَ الْمَوَاجِهةِ بِهِ .

قَلَّتْ لَهُ : يَا بَنِيَّ ؛ فَلَمْ يَقُولْ أَلَا عِبَهُ غَاطِرَةٌ ؟ كَأَنَّكَ تَقَامِرُ أَخَاكَ وَتَسْتَكْثِرُ
مَالَهُ ! قَالَتْ : كَلَّا ، وَلَكِنَّهُ يَسْتَحْسِنُ الدَّوَاءَ الَّتِي وَهَبَهَا لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَعَرَضَتْهَا
عَلَيْهِ ؛ فَأَبَى قَبُولَهَا ، وَطَمِعْتُ أَنْ يَلَاعِبَنِي فَأَخَاطِرُهُ عَلَيْهَا ، وَهُوَ يَنْلَبِئُ فَتَطْلُبُ
نَفْسَهُ بِأَخْذِهَا .

قَلَّتْ لَهَا : يَا أُمَّاهُ ؛ مَا كَانَتْ هَذِهِ الدَّوَاءُ ؛ قَالَتْ : إِنْ جَفَرْتُ دَخَلَ عَلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ فَرَأَى بَيْنَ يَدَيْهِ دَوَاءً مِنَ الْمُقَيِّقِ الْأَحْمَرِ مَحْلَاةً بِالْيَاقُوتِ الْأَزْرَقِ وَالْأَصْفَرِ ،
فَرَأَاهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا فَوَهَبَهَا لَهُ . قَلَّتْ : إِلَيْهِ .

قَالَتْ : ثُمَّ قَلَّتْ لِلْجَمْفَرِ : هَبْكَ اعْتَذَرْتُ بِمَا سَمِعْتُ ؛ فَمَا عَذْرُكَ مِنَ الرِّضَا
بِمَنَاصِبَةِ أَيْلِكَ حِينَ قَالَ : لَاعِبُهُ وَأَنَا مَمْلُوكٌ ؟ قَلَّتْ أَنْتِ : نَعَمْ ، وَقَالَ هُوَ : لَا . قَالَتْ :
عَرَفْتُ أَنَّهُ غَالِي ، وَلَوْ قَتَلْتُهُ لَمُنَّابِتُ مَعَهُ ، مَعَ مَالِهِ مِنَ الشَّرَفِ وَالسَّرُورِ بِتَحْدِيزِ
أَبِيهِ إِلَيْهِ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ : قَلَّتْ : بَخْرَجَ^(١) ! هَذِهِ وَاللَّهِ السِّيَادَةُ ! ثُمَّ قَلَّتْ
لَهَا : يَا أُمَّاهُ ، أَكَانَ مِنْهَا مَنْ بَلَغَ الْحُلْمَ ؟ قَالَتْ : يَا بَنِي ، أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ ؟
أَخْبِرْكَ عَنْ صَبِيحِينَ يَلْعَبَانِ فَقُولِ : أَكَانَ مِنْهَا مَنْ بَلَغَ الْحُلْمَ ! لَقَدْ كُنَّا نَنْهَى
الصَّبِيَّ إِذَا بَلَغَ الْعُشْرَ وَحَضَرَ مَنْ يُسْتَعْنَى مِنْهُ أَنْ يَنْتَسِمَ .

(٢) قَالَ : بَخْرَجَ ، لِعَجَابِهَا بِالشَّيْءِ وَإِظْهَارِ السَّرُورِ بِهِ .

١٧٤ - حيلة وال*

بلغ الرشيد أن موسى بن عيسى^(١) - وكان أميراً على مصر من قبله - عازم على خَلْمه ، فقال : والله لأعزّله بأخسّ مَنْ على بابي ، وقال ليحيى بن خالد^(٢) : اطلب لي كاتباً عفيفاً يصلح لعمل مصر ، واكتم خبره ، فلا يشر به موسى حتى يَفْجَأَه ، فقال : قد وجدته ، قال : من هو ؟ قال : عمر بن مهران^(٣) .

فكتب له بخطه كتاباً إلى موسى بتسليم العمل إليه ، فسار وليس معه غير غلام أسود على بغل استأجره ، ومعه خُرْج فيه قميص وطيلسان^(٤) وخُفٌّ !

فلما وصل إلى مصر نزل خاناً ، فأقام فيه ثلاثة أيام يبحث عن أخبار البلد ، وعَمَّن فيه من العال ؛ وأخير من كانوا بمجواره في الخان أنه قد ولى مصر ؛ واستعمل منهم كاتباً وحاجباً وصاحب شرطة ، وقد آخريت المال ؛ وأمر من تبعه ووثق به أن يدخل معه على موسى ، فإذا سمعوا حركة في دار الإمارة قبضوا على الديوان . فلما أبرم أمره بكر إلى دار الإمارة ؛ فأذن موسى للناس إذناً عاقفاً ، فدخل في جملتهم ومن اتفق معهم ، وموسى جالس في دَسْتِه^(٥) ، والقواد بين يديه ، وكلُّ من قُضِيَتْ حاجتُه ينصرف . وعمرُ جالس ، والحاجبُ ساعة بعد ساعة يسأله عن حاجته ، وهو يتعافَلُ ، حتى خفَّ الناس ، ف تقدّم ، وأخرج كاتب الرشيد ودفعه

* غرر الحقائق : ٤٤ ، النجوم الزاهرة : ٢ - ٧٨ .

(١) هو موسى بن عيسى الأمير العباسي ، ولى إمرة مصر على الصلاة سنة ٢٧١ هـ ، ثم عزله الرشيد وولاه ثانية سنة ١٧٤ هـ وعزل سنة ١٧٦ هـ ، وكان عاقلاً جواداً عمدوحاً . (٢) يحيى ابن خالد : وزير هارون الرشيد . (٣) كان عمر قائداً للجيش كاتباً للخارج كما كان مديراً لأُملاك الدولة . (٤) الطيلسان : نوع من الأكسية . (٥) الدست : صدر البيت .

لموسى ؛ فَبَدَّلَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى رَأْسِهِ نَمَ فَتَحَهُ وَقَرَأَهُ فَاتَّقِمْ^(١) لَوْثُهُ ؛ وَقَالَ : - السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ .

نَمَ قَالَ : أَقْرَأْ أَبَا حَفْصَ السَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُ : كُنْ بِمَوْضِعِكَ حَتَّى نَتَّخِذَ لَكَ مَنْزِلًا ، وَنَأْمُرَ الْجُنْدَ بِسُقْبُلُونِكَ ! فَقَالَ : أَنَا عَمْرُ بْنُ مِهْرَانَ ، وَقَدْ أَمَرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَقِيمَكَ لِلنَّاسِ وَأَنْصِفَ لِلظَّالِمِينَ مِنْكَ ، وَأَنَا فَاعِلٌ مَا أَمَرَنِي بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ !
فَقَالَ لَهُ مُوسَى : أَنْتَ عَمْرُ بْنُ مِهْرَانَ ! قَالَ : نَمَ ، قَالَ : لِمَنِ اللَّهُ فِرْعَوْنَ حَيْثُ قَالَ : أَلَيْسَ لِي مَلِكُ مِصْرَ ؟ وَاضْطَرَبَ الْمَجْلِسُ .

فَقَبِضَ عَلَى الدِّيَّانِ ؛ وَنَزَلَ مُوسَى عَنْ فَرَسِهِ ، وَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! هَكَذَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، مَا ظَنَنْتُ أَنْ أَحْدًا يَبْلُغُ مِنَ الْحَيَلَةِ وَالْحَزَمِ مَا بَلَغْتَ ؛ تَسَلَّتْ بِمَنِ الْعَمَلِ ، وَأَنْتَ فِي مَجْلَى .

نَمَ نَهَضَ عَمْرُ إِلَى الدِّيَّانِ ، وَنَظَرَ فِيهِ ، وَأَمَرَ وَنَهَى ، وَعَزَلَ وَوَلَّى .

(١) اتَّقِمْ لَوْثُهُ . قَطِّير .

١٧٥ — أُعْطِنِي عَلَى قَدْرِي *

— —

دخل رجلٌ بدوىٌ عليه شَعْتُ الفِر ، على داود^(١) للمهاجى . وكان إذا حضرَ
الْعَامُ أَمْ يَتَقَدَّمُ بِصَرْفِ الْبَوَائِنِ ، ولا يَمْنَعُ مِنَ الْوَصُولِ إِلَى طَعَامِهِ . فلما فرغ من الطعام
ومب قائماً وأومى إليه ، وقال : من أَنْتَ يا فقي؟ قال : شاعرٌ قَصَدْتُكَ بِأَيَّاتٍ مِنَ الشَّعْرِ .
قال داود : مهلاً قليلاً ، ثم دعا بقوس فأوترها^(٢) ، وأومى إليه ، وقال له : قل ،
فإن أَنْتَ أَحْسَنْتَ خَلَعْتُ وَأَجَزَلْتُ ، وَإِنْ أَخْطَأْتَ رَمَيْتُكَ بِهَذَا السَّهْمِ يَقَعُ فِي أَى
مَوْضِعٍ يَقَعُ فِيهِ ؟ فَتَبَسَّمَ الْبَدْوِيُّ ، وقال :

أَمَنْتُ بِداودِ وَجُودِ يَمِينِهِ	مِنَ الْخَلْدِ لِلْمَرْهُوبِ وَالْبُؤْسِ وَالْفَقْرِ
وَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى بِداودِ نَبْوَةً	وَلَا حَدَثَانًا إِنْ شَدَّدْتُ بِهِ أَزْرِي
لَهُ حَكْمُ لُقْمَانَ وَصُورَةُ يَوْسُفَ	وَمُلْكُ سُلَيْمَانَ وَصِدْقُ أَبِي ذَرٍّ
فَقِي تَهْرُبُ الْأَمْوَالُ مِنْ جُودِ كَفِّهِ	كَمَا يَهْرُبُ الشَّيْطَانُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ
فَقَوْسُكَ قَوْسُ الْجُودِ ، وَالْوَتْرُ الْبَنْدَى	وَسَهْمُكَ فِيهِ لَوْتُ فَأَقْتُلُ بِهِ فَقَرِي

فَضَحِكَ داودُ وَرَمَى بِسَهْمِهِ مَعَ الْقَوْسِ مِنْ يَدِهِ ، وقال : يا فقي العرب ؛ يا الله
هل كان ذَكَرُ الْقَوْسِ فِي الْأَيَّاتِ ؟ فقال : لا والله ، فَرَحَ بِمُلْكِكَ ، وقال : يا فقي

* المختار من نوادر الأخبار - مخطوط .

(١) هو داود بن يزيد بن حاتم المهلبى أمير من العجمان المقلاد ، كان والياً على إفريقية ، وبقى
في إمارتها تسعة أشهر ، ثم ولاء الرشيد السند ، فالتقت له أمورها ، واستمر بها إلى أن توفى
سنة ٢٠٥ هـ . (٢) أوتر قوسه : جعل لها وترأ .

العرب ؛ بالله أيما أحب إليك : أعطيك على قدرِك أم على قدرِي ؛ قال : بل على قدرِي ، قال : كم على قدرِك ؟ قال مائة ألف درهم ، فأمر له بها .
ثم قال : مامنك أن تقول على قدرِي ؟ فقال : أيها الأمير ؛ أردتُ أن أقول ذلك ، فإذا الأرض لم تُساوِ قدرَ الأمير ، فطلبتُ على قدرِي ، فقال : لهدرك ! والله إن نترك لأحسن من نظمِك ، وأمر له بمائة ألف ثانية ، وأمره ألا ينقطع عنه .

١٧٦ — طاهر بن الحسين والمأمون *

لما انقبض طاهر^(١) بن الحسين بخراسان عن المأمون ، وأخذ حيزه ، أدب له المأمون وصيفاً^(٢) بأحسن الآداب ، وعلمه فنون العلم ، ثم أهداه إليه مع الطاف كثيرة من طرائف العراق ، وقد واطأه على أن يسمه ، وأعطاه ستم ساعة ، ووعدته على ذلك بأموال كثيرة .

فلما انتهى إلى خراسان ، وأوصل الهدية قيل طاهر الهدية ، وأمر بإزالة الوصيف في دار ، وأجرى عليه ما يحتاج إليه من التوسعة ؛ وتركه أشهرأ .

فلما برم الوصيف بمكانه كتب إليه :

يا سيدي ؛ إن كنت تقبلني فأقبلني ، وإلا فردني إلى أمير المؤمنين .

فأرسل إليه وأمر بإدخاله ؛ فلما انتهى إلى باب المجلس الذي كان فيه أمره بالوقوف عند باب المجلس ، وقد جلس على لبذ أبيض وقرع^(٣) رأسه ، وبين يديه مصحف منشور ، وسيف مسلول . فقال : لقد قبلنا ما نمت به أمير المؤمنين غيرك ؛ فإننا لا قبلك ، وقد صرفناك إلى أمير المؤمنين ، وليس عندي جواب أكتبه إلا ما ترى من حالي ، فأبلغ أمير المؤمنين السلام ؛ وأعلمه بالحال التي رأيتني فيها .

● القند الفريد : ١ - ٢٥٩ .

(١) كان طاهر بن الحسين أكبر من اشتهر في عهد المأمون بقيادة الخيوش وبين انقباضه وبعد الصيت ، وهو الذي قتل الأمين سنة ١٩٨ هـ . ولاح المأمون خراسان ، وكان مستقلاً بها ، يؤدي الحراج عن عمله بها ، وتقير عليه المأمون حينما بلغه أنه امتنع عن الدعاء له على المنبر ، وتوقى بمرور سنة ٢٠٧ هـ (٢) الوصيف : الخادم والمخادمة . (٣) قرع رأسه : ضربه بالصاع .

فلما قدم الوصيف على المأمون، وكلّمه بما كان من أمره، ووصف له الحال التي
رآه فيها شاور وزراءه في ذلك؛ وسألهم عن معناه فلم يعلّمه واحد منهم، فقال المأمون:
لكنى قد فهمت معناه: أمّا تقريبه رأسه وجلوسه على اللبّد الأبيض فهو يخبرنا أنه
عبد ذليل، وأمّا للصحفُ للنشور فإنه يذكرنا باليهود التي له علينا، وأمّا السيفُ
للسلول فإنه يقول: إن نكثت تلك اليهود فهذا يحكم بيني وبينك. أغلقوا عنا بابَ
ذكره، ولا تهيجوه في شيء؛ فلم يهجه المأمون حتى مات.

١٧٧ — مَحَبَّةُ الْوَطَنِ وَجَدَّاهَا*

سمع طاهرُ بن الحسين عوف بن مُحَمَّد^(١) الخزاعي ينشد شعراً يقول فيه :

عَجِبْتُ لِمُرَاقَبَةِ ابْنِ الْحُسَيْنِ كَيْفَ تَعُومُ وَلَا تَفْرُقُ
وَبَحْرَانِ : مِنْ تَحْتِهَا وَاحِدٌ وَآخَرُ مِنْ فَوْقِهَا مُطْبِقُ
وَأُحِبُّ مِنْ ذَلِكَ عَيْلَانَهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ
فَادْخُلْهُ ، وَأَنْشُدْهُ إِيَّاهَا ؛ ثُمَّ اخْتَصِمَ بِمَنَادِمَتِهِ ؛ وَاخْتَارَهُ لِمَاسِمَتِهِ ؛ وَكَانَ لَا يَخْرُجُ
فِي سَفَرٍ إِلَّا أَخْرَجَهُ مَعَهُ وَجَعَلَهُ زَمِيلَهُ وَأَنْيَسَهُ وَعَدِيلَهُ ، وَكَانَ عَوْفٌ يَسْتَأْذِنُهُ فِي
الْإِنْصِرَافِ إِلَى أَهْلِهِ وَوَطْنِهِ ، فَلَا يَأْذَنُ لَهُ ، وَلَا يَسْمَحُ بِهِ ، فَلَمَّا مَاتَ طَاهِرٌ ظَنَّنَ أَنَّهُ
قَدْ تَخَلَّصَ ؛ وَأَنَّهُ سَيَتْرَكُهُ يَلْحَقُ بِأَهْلِهِ ، وَيَرْجِعُ إِلَى وَطْنِهِ ، فَتَرَبَّهَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ
مِنْ نَفْسِهِ ؛ وَأَنْزَلَهُ مَنْزِلَتَهُ مِنْ أَبِيهِ — وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَدِيبًا فَاضِلًا عَالِمًا بِأَخْبَارِ النَّاسِ —
فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى أَدَبِ عَوْفٍ وَفَضْلِهِ تَمَسَّكَ بِهِ ؛ وَأَفْضَلَ عَلَيْهِ حَتَّى كَثُرَ مَالُهُ ، وَحَسُنَ
حَالُهُ ، وَتَلَطَّفَ بِجَهْدِهِ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ فِي الْعَوْدِ إِلَى وَطْنِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَى
ذَلِكَ سَبِيلًا .

وَحَفَظَهُ الشَّوْقُ إِلَى أَهْلِهِ ، وَأُمَمَهُ أَمْرُهُمْ ، فَاتَّفَقَ أَنْ يَخْرُجَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ بَنْدَادٍ
يُرِيدُ خِرَاسَانَ ، فَصَيَّرَ عَوْفًا عَدِيلَهُ^(٢) ، يَسْتَمِعُ بِمَاسِمَتِهِ ، وَيُرَتَّاحُ إِلَى مَحَادِثَتِهِ ،
إِلَى أَنْ دَنَا مِنَ الرَّيِّ^(٣) ؛ فَلَمَّا شَارَفَهَا سَمِعَ صَوْتَ عَنَّادٍ يَفْرُدُ بِأَحْسَنِ تَعْرِيدٍ ،

* معجم الأدباء : ١٦ : ١٤٠ .

(١) أحد العلماء الأدباء الرواة التمام الشعراء اختصه طاهر بناديمته فبقى معه ثلاثين سنة لا يفارقه .

وعوفي نحو سنة ٧٢٠ هـ .

(٢) عدليه : يقال عادله في العمل ، أي ركب معه . (٣) كانت مدينة غلبيية فتبعها نعيم بن

مقرن في خلافة عمر ، وهي الآن أطلال على مسافة خمسة كيلومترات من طهران .

وَأَشْجَى صَوْتٍ ؛ فَأَجَبَ عَبْدُ اللَّهِ بِصَوْتِهِ ، وَانْفَتَ إِلَى عَوْفِ بْنِ مُحَلٍّ ، قَالَ لَهُ :
يَا بْنَ مُحَلٍّ ؛ هَلْ سَمِعْتَ قَطُّ أَشْجَى مِنْ هَذَا الصَّوْتِ وَأَطْرَبَ مِنْهُ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ
أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! وَإِنَّهُ لِحَسَنُ الصَّوْتِ شَجَى النَّفْثَةِ ، مُطْرِبُ التَّغْرِيدِ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ :
قَاتَلَهُ اللَّهُ أَبَا كَبِيرٍ حَيْثُ يَقُولُ :

أَلَا يَا حَكَّامَ الْأَيْلِ الْفُلُكُ حَاضِرٌ وَعُصْنُكَ مَيَّادُ قَبِيحِ تَنُوحٍ
أَفِقْ لَا تَنْعُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ، فَإِنِّي بَكَيْتُ زَمَانًا وَالْفَوَادُ صَحِيحُ
وُلُوعًا ^(١) فَتَطَلَّتْ غُرْبَةً دَارُ زَيْنَبٍ فَهَانَا أَبْكَى وَالْفَوَادُ قَرِيجُ
قَالَ عَوْفٌ : أَحْسَنَ وَاللَّهِ أَبُو كَبِيرٍ وَأَجَادَ . ثُمَّ قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ ؛ إِنَّهُ
كَانَ فِي الْهَذَلَيْنِ مَائَةً وَثَلَاثُونَ شَاغِرًا ، مَا فِيهِمْ إِلَّا مُفْلَقٌ وَمَا كَانَ فِيهِمْ مِثْلُ
أَبِي كَبِيرٍ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُبْدِعُ فِي شِعْرِهِ ، وَيُفْهَمُ آخِرُ قَوْلِهِ وَأَوَّلُهُ ، وَمَا شَيْءٌ أُبْلَغَ فِي
الشَّعْرِ مِنَ الْإِبْدَاعِ فِيهِ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا أَجَزْتُ شِعْرَ أَبِي كَبِيرٍ ! قَالَ عَوْفٌ : أَصْلَحَ
اللَّهُ الْأَمِيرُ ! قَدْ كَبُرَتْ سَنَى ، وَفَقِيَ ذَهْنِي ، وَأَنْكَرْتُ كُلَّ مَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ !
قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : سَأَلْتُكَ بِحَقِّ طَاهِرٍ إِلَّا فُتِلَ . وَكَانَ لَا يُسَالُّ بِحَقِّ طَاهِرٍ شَيْئًا إِلَّا ابْتَدَرَ
إِلَيْهِ . فَلَمَّا سَمِعَ عَوْفٌ ذَلِكَ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَفَى كُلِّ عَامٍ غُرْبَةً وَزَوْجُ أَمَّا لَنُؤَى مِنْ وَنِيَةٍ ^(٢) قَرِيجُ ؛
لَقَدْ طَلَعَ ^(٣) الْبَيْنَ لَلْشَيْتِ رَكَائِي فَهَلْ أَرَيْنَ الْبَيْنَ وَهُوَ طَلِيحُ
وَأَرْقَى بِالرَّيِّ نُوْحُ حَمَامَةٍ فَتَحْتُ وَذُو الْبَثِّ الْغَرِيبِ يَنُوحُ
عَلَى أَنَّهَا نَاحَتْ وَلَمْ تُذَرِ ^(٤) دَمْعَةً وَنُحْتُ وَأَسْرَابُ الدَّمُوعِ سَفُوحُ

(١) وَلُوعًا : مصدر وَلَعَ بِهِ : استغنى شوقًا .

(٢) الْوَنِيَّة : الفترة . (٣) طَلَعَ : أَعْيَا . (٤) لَمْ تُذَرِ : لَمْ تَرْسَلْ مِنْ عَيْنِهَا دَمْعَةً ، وَأَسْرَابُ
الدَّمُوعِ : جَمَاعَتُهَا . سَفُوحُ : مصدر سَفَحَتِ الدَّمْعَ كُنْتُ : صَيَّجَتْ ، أَوْ سَفَحَ الدَّمْعُ : انْصَبَ .

وَنَلَحْتُ وَفَرَحَافَا بِمَيْتُ تَرَاهَا وَمِنْ دُونَ أَفْرَافِي مَهَامِهِ فَيُحْ
 أَلَا يَأْتِيهِمَ الْإِيكَ الْفُكُ حَاضِرُ وَغُصْنُكَ مَيَّادُ قَعِمِ تَنْسُوحُ ١
 عَمِي جُودُ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يَكْسِرَ النَّوَى فَيُلْقِي عَصَا التَّطَوَّافِ وَهِيَ طَرِيحُ ٢
 فَإِنَّ الْغَنَى يُدْنِي الْفَقْرَ مِنْ صَدِيقِهِ وَعَدُمُ الْغَنَى بِالْمُقْتَرِينَ طَارُوحُ ٣
 فَاسْتَعْمَرَ ٣) عَبْدُ اللَّهِ ، وَرَقَّ لَهُ وَجَرْتُ دُمُوعِهِ ، وَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَنَصِينٌ
 بِمَفَارِقَتِكَ ، شَجِيحٌ عَلَى النَّائِتِ مِنْ مُحَاضَرَتِكَ ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا أَعْلَتُ مَعِي خُفُوفًا
 حَافِرًا إِلَّا رَاجِعًا إِلَى أَهْلِكَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَقَالَ يَدْعُ عَبْدُ اللَّهِ وَأَبَاهُ :
 يَا بْنَ الذِّي دَانَ لَهُ الشَّرِيفَانِ وَالْيَسَّ الْأَمَنَ بِهِ الْفَرِيفَانِ ٤)
 إِنْ الثَّانِيَيْنِ - وَبُلَّتْهُمَا - قَدْ أَخَوَجْتُ سَمِيحِي إِلَى تَرْجُمَانِ
 وَأُبَدِّلْتَنِي بِالشُّطَاطِ الْخَفَا وَكُنْتُ كَالصُّعْدَةِ تَحْتَ السَّنَانِ ٥)
 وَعَوَّضْتَنِي مِنْ زَمَاعِ الْفَقْرِ وَهَمَّتْ مِمَّ الْعَبَّانِ الْهَدَانِ ٦)
 وَقَارَبْتُ مَنِي خَطَا. لَمْ نَكُنْ مُقَارَبَةً وَثَلْتُ مِنْ عِنَانِي ٧)
 وَلَمْ تَدْعُ فِي لِسْتَنْتِيحِ إِلَّا لِيَانِي ، وَحَسْبِي لِيَانِي ٨)
 أَدْعُو بِهِ اللَّهُ وَأَتْنِي بِهِ عَلَى الْأَمِيرِ الْمُصْطَفَى الْهَجَّانِ ٩)
 وَهَمْتُ بِالْأَوْطَانِ وَجَدًا بِهَا وَبِالنَّوَانِي ، أَيْنَ مَنَى النَّوَانِي ١٠)
 قَرَّبَانِي - بِأَبِي أَتْمَا - مِنْ وَطَنِي قَبْلَ اصْفَرَارِ الْبَنَانِ ١١)
 ثُمَّ وَدَّعَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَسَارَ رَاجِعًا إِلَى أَهْلِهِ ؛ فَفَاتَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ .

(١) التطواف : مصدر طاف : ولقاء عصا التطواف : كناية عن الاستفرار وترك السفر ، وطريح بمعنى مطروح . (٢) طروح : رام وغاذف ، صيغة مبالغة . والمقترين : الضيقين على عيالهم في النفقة . (٣) استعمر : جرت عبرته أي دمهته وحزن . (٤) أي يابن من حكم للشريطين ، وأجل الأمن في الغريين . (٥) الشطاط : الطول وحسن القوام أو اعتداله . والمنا : الانحناء ، يريد تقوس الظهر . والصعدة : المتخوية ، والسنان : حديدتها . (٦) الزماع : القضاء في الأمر ، والزمع : الضيق الذي يزعم بالأمر ، ثم لا يثنى عنه ، والهدان : الأذى التليل . (٧) السنان : سير الهجام . (٨) الهجان : الحبيب . (٩) همم بالأوطان : أحبتها وتلفت بها من الوجد والحزن ، والنواني : جم غفيرة ، وهي المرأة الجيلة التابعة للسنتية بجمالها . (١٠) كناية عن الموت .

١٧٨ — فِرَاسَة أُعْرَابِي *

قال أبو السَّمَرَاء :

خرجنا مع الأمير عبد الله بن طاهر متوجهين إلى مصر ، حتى إذا كنّا بين الرَّمْلَة ^(١) ودمشق إذا نحن بأعْرَابِيٍّ قد اعترض ، فإذا شيخٌ فيه بَقِيَّةٌ ، على بعير له أَوْزَقٌ ^(٢) ، فسلم علينا فرددنا عليه السلام ، وكان معنا إسحاق بن إبراهيم الرافقي وإسحاق بن أبي ربيعٍ ، ونحن نسايرُ الأمير وكنا يومئذ أقره ^(٣) من الأمير دَوَابٌّ ، وأجودَ منه كُسا ^(٤) .

فجعل الأعْرَابِيُّ ينظرُ في وجوهنا ، فقالت : يا شيخُ ؛ قد ألححت في النظر . أعرفت شيئاً أم أنكرته ؟ قال : لا ، والله ما عرفكم قبل يومى هذا ، ولا أنكرتكم لسوء أراه فيكم ؛ ولكفى رجلٌ حسنُ القِرَاسَةِ في الناس ؛ جيّدُ المعرفة بهم ؛ فأشرتُ له إلى إسحاق بن أبي ربيعٍ ، فقالت : ما تقول في هذا ؟ فقال :

أرى كاتباً داهى الكتابة بين عليه وتأديبُ العراف منسِيرُ له حركاتٌ قد يشاهدُنْ إنه عليم بتقسيم الخراج بصير ونظر إلى إسحاق بن إبراهيم الرافقي ، فقال :

ومظهر نُسكٍ ما عليه ضميره يحبُّ الهدايا بالرجال مَكُور

* عصر المأمون : ١ - ٤١٣ .

- (١) الرملة : غرة الواض ، أشهرها بلد بالشام . (٢) الأوزق من الإبل : ما في لونه يابس إلى سواد ، هو من أطيب الإبل لحماً لا سيراً . (٣) دابة ظرعة : نشيطة سادة قوية . (٤) كسا : جمع كوة .

إِخَالُ بِهِ جِنًّا وَبُخْلًا وَشِيمَةً تُخَيِّرُ عَنْهُ إِنَّهُ لَوَزِيرُ
ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ؛ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
وَهَذَا نَدِيمٌ لِلْأَمِيرِ وَمُؤْنِسٌ لَهُ يَكُونُ لَهُ بِالْقَرَبِ مِنْهُ سُرُورُ
وَأَحْسِبُهُ لِلشَّمْرِ وَالْعِلْمِ رَاوِيًا فَبِمَضِّ نَدِيمٍ مَرَّةً وَسَمِيرُ
ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْأَمِيرِ؛ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
وَهَذَا الْأَمِيرُ لِلرَّيْحَى سَبَبٌ ^(١) كَفَّهُ فَإِنْ لَهُ فِيمَنْ رَأَيْتُ نَظِيرُ
عَلَيْهِ رَدَاءٌ مِنْ جِهَالٍ وَهَيَّيَّةٍ وَوَجْهُ يَدْرَاكَ التَّجَاحَ بِشِيرِ
لَقَدْ عَصِمَ الْإِسْلَامُ مِنْهُ بَلَانْدٌ ^(٢) بِهِ عَاشَ مَعْرُوفٌ وَمَاتَ نَكِيرُ
أَلَا إِنَّمَا عَبْدُ الْإِلَهِ بْنِ طَاهِرٍ لَنَا وَاللَّهُ بَرٌّ بَنَا وَأَمِيرُ
فَوَقَعَ ذَلِكَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَحْسَنَ مَوْقِعٍ ، وَأَعْجَبَهُ مَا قَالَ الشَّيْخُ ، فَأَمَرَ لَهُ بِمَحْصَاثِهِ
دِينَار ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَصْحَبَهُ .

١٢٩ — ثابت الجنان*

قال أحمد بن داود :

ما رأيت رجلاً عُرِضَ على الموت، ورأى النُّطْعَ مفروشاً والسيِّفَ مسلولاً، ولم يكثرثَ لذلك؛ ولأعدَّلَ به عما أراد إلَّا تميمَ بنَ جَهِيلٍ؛ وقد كان خرج على المعتصم في أيام دولته، ونزع يده من الطاعة؛ وانقطع إلى بعض النواحي؛ وكان قد عظم أمره على المعتصم؛ ولقد رأيتُه وقد جىء به مكتوفاً أسيراً، وقد اجتمع الناسُ من الآفاق والنواحي ينظرون كيف يقتله المعتصم، وكان المعتصم قد جلس له مجلساً؛ وأمر الناس بالدخول.

وذخل تميم، وحضر السيِّف وفرش النُّطْع، وكان تميمُ جميلَ الوجه تامَّ الخلقة عذبَ المنطق، فرآه المعتصم غيرَ دَهِشٍ ولا مُسْكِرِثٍ لما نزل به. فأراد أن يستنطقه ليعلم أين عقله في ذلك الوقت؛ فقال له: يا تميم؛ إن كان لك عذرُ فأت به، فقال: أما إذ أذن أميرُ المؤمنين؛ فالحمد لله الذي جبرَ بك صدعَ^(١) الدين، ولم يك بك شعثَ^(٢) المسلمين، وأُنا نار بك سبيل الحقِّ، وأُتخذ بك شهاب الباطل؛ إنَّ الذُّنُوبَ يا أميرَ المؤمنين تُخْرِسُ الألسنةَ الفصيحة، وتُعمي الأفتدةَ الصحيحة، ووالله لقد كُبرِ الذنب، وعظمت الجريرة، وانقطعت الحجَّة، وساء الظن، ولم يبق إلَّا عفوُك أو انتقامك، وأنت إلى العفو أقرب، وهو بك أشبه وأليق، ثم أنشد:

* المختار من نواذر الأخبار — مخلوط، نهاية الأرب: ٦١٦.

(١) الصدع: القلق. (٢) الشعث: انتشار الأمر.

أَرَى لِلوَتَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنَّطْعِ كَأَمَّا
 وَأَكْبَرُ عَلَيَّ أَنْكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي وَأَيُّ امْرِئٍ مِمَّا قَضَى اللَّهُ يُفْلِتُ^(١)
 وَأَيُّ امْرِئٍ يَأْتِي بِمَذْرٍ وَحُجَّةٍ وَسَيْفُ النَّيَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصَلَّتٌ^(٢)
 وَمَا جَزَعَنِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ لِلوَتَ شَيْءَ مُؤَقَّتٍ^(٣)
 وَلَكِنْ خَلَفِي صَبِيحَةً قَدْ تَرَكْتُهُمْ وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَنَفَّتُ
 كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أُنَى إِلَيْهِمْ وَقَدْ حَشَوْا^(٤) تِلْكَ الْوُجُوهُ وَصَوَّتُوا
 فَإِنْ عَشْتُ عَاشُوا سَالِمِينَ بِضِلَّةٍ أَدُودُ الرُّدَى عَنْهُمْ، وَإِنْ مِتُّ مَوْتُوا^(٥)
 قَالَ : فَبَكَى الْمَعْتَمِرُ حَتَّى ابْتَلَّتْ لَحْيَتُهُ وَقَالَ : إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا ، ثُمَّ قَالَ :
 يَا تَيْمٌ ؛ كَادَ السِّيفُ أَنْ يَسْبِقَ الْغَمُّ ، وَقَدْ وَهَبْتَكَ اللَّهُ تَعَالَى وَلِصَبِيَّتِكَ ، وَغَفَرْتُ
 لَكَ الصَّبُوءَ^(٦) ، ثُمَّ أَسْرَفَكَ قَيُودُهُ ؛ وَعَقْدَ لَهُ الْوَلَايَةَ عَلَى مَوْضِعِهِ الَّذِي كَانَ خَرَجَ
 مِنْهُ ، وَوَصَلَهُ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ .

(١) أَفْلَتَ : تَخَلَّى وَتَجَا . (٢) أَصَلَتِ السِّيفُ : اسْتَلَهَ مِنْ غَمْدِهِ . (٣) مُؤَقَّتٌ : مُقَدَّرٌ .
 (٤) حَشَوْا وَجْهَهُ : لَطَمَهُ . (٥) مَوْتُوا : كَثُرَ فِيهِمُ اللُّوْتُ . (٦) الصَّبُوءُ : الزَّلَّةُ .

١٨٠ - إسحاق الموصلي حَكَمَ بين أبيه وابن جامع

أتى إسحاق أباه إبراهيم الموصلي يوماً مسلماً فقال أبوه : يا بني ، ما أعلمُ أحداً بلغ من برٍّ ولده ما بلغته من برك ، وإني لأستقلُّ ذلك لك ، فهل من حاجة أصيرُ فيها إلى محبتك ، قال : قد كان - جِئْتُ فذاك - كلُّ ما ذكرتُ فأطال الله بقاءك ، ولكفي أسألك واحدة : يموتُ هذا الشيخ غداً أو بعد غد ولم أسمعه ، فيقول الناس لي ماذا ؟ وأنا أحلُّ منك هذا الحل . قال لي : ومَنْ هو ؟ قلت : ابنُ جامع . قال : صدقت ، يا بني أسْرِجُوا^(١) لنا .

فجئنا ابن جامع ، فدخل عليه أبي وأنا معه ؛ فقال : يا أبا القاسم ، قد جئتُك في حاجة فإن شئت فاشتُمْنِي ؛ وإن شئت فاقدِرْني ، غير أنه لا بدَّ لك من قضائها ، هذا عبدُك وابن أخيك إسحاق قال لي كذا وكذا ، فركبتُ معه أسألك أن تُسَعِّفه فيما سأل . فقال : نعم ، على شريطة . تَجمانُ عندي أطعمسكاً مشوشة^(٢) وقلية^(٣) ، وأسفيكاً وأغنيكاً ، فإن جاءنا رسولُ الخليفة مَصِيناً إليه وإلا أقمنا يومنا . فقال أبي : السم والطاعة ! وأمر بالدواب فرُدَّت .

فجاءنا ابن جامع بالمشوشة والقلية فأكلنا وشربنا ، ثم اندفع فنَّاناً ، فنظرتُ إلى أبي يقلُّ في عيني ، ويعظمُ ابنُ جامع حتى صار أبي في عيني كلاً شيئاً ! فلما

* الأغانى : ١ - ٩ .

(١) أسْرِجُوا لنا : شعو على الخيل سروجها لتزكها .

(٢) المشوشة : زيت يُضرب مع يابس البيض فيصنع منه طعام دسم . (٣) القلية : مرقعة تتخذ من أكباد الجوز والحرمها .

طربنا غايةً الطَّرب جاء رسولُ الخليفة ، فركبا وركبتُ معهما ؛ فلما كنا في بعض الطريق، قال لي أبي : كيف رأيتَ ابنَ جامع يابني ؟ قلتُ له : أو تُعَفِّينِي - جعلتُ فداك ، قال لستُ أعفِيكَ قُل ، قلتُ له : رأيتُكَ - ولا شيءَ أكبرَ عندي منك - قد صَفَرْتُ في عيني في الفناء حتى صرتُ كلاً شيءَ .

ثم مضى إلى : الرشيد، وانصرفَ إلى منزلي - وذلك لأنني لم أكن بعد وصلت إلى الرشيد - فلما أصبحتُ أرسلُ إلى أبي فقال : يابني ؛ هذا الشاه قد هم عليك وأنت تحتاجُ فيه إلى معونة - وإذا مالٌ عظيمٌ بين يديه - فاصرف هذا المال في حوائجك ، قمتُ فقبَلْتُ يده ورأسه ، وأمرتُ بحمل المال واتبعتُه ؛ فصوتَ : يا إسحاق ؛ ارجع ، فقال لي : أتدري لِمَ وهبتُ لك هذا المال ؟ قلتُ : نعم ؛ جعلتُ فداك ، قال : لِمَ ؟ قلتُ : لصِدْقِي فيك وفي ابن جامع، قال : صدقتَ يابني ؛ امضِ راشداً .

١٨١ — البُحْثَرِيُّ وَأَبُو تَمَامٍ*

حَدَّثَ الْبُحْثَرِيُّ^(١) قَالَ : أَوَّلَ مَا رَأَيْتُ أَبَا تَمَامٍ^(٢) أَتَى دَخَلْتُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ مُحَمَّدَ بْنَ يُونُسَ ، وَكَانَ مَدَحُهُ بِقَصِيدَةٍ فُسِّرَ بِهَا أَبُو سَعِيدٍ ، وَقَالَ ، أَحْسَنَ يَافِي ، وَأَجَدْتَ !

وَكَانَ فِي مَجْلِسِهِ رَجُلٌ نَبِيلٌ دَرَفِيعُ الْمَجْلِسِ فَوْقَ مَنْ حَضَرَ عِنْدَهُ تَسْكَدُ تَمَسُّ رُكْبَتَهُ رُكْبَتَهُ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : يَافِي ! أَمَا نَسْتَحْيِي مَنِي ! هَذَا شِعْرِي لِي تَنْتَحِلْهُ وَتَنْشُدْهُ بِحَضْرَتِي ! قَالَ لَهُ أَبُو سَعِيدٍ : أَحْسَنًا تَقُولُ ! قَالَ : نَمَّ ! وَإِنَّمَا أَخَذَهُ مِنِّي فَسَبَقَنِي بِهِ إِلَيْكَ وَزَادَنِي . ثُمَّ انْدَفَعُ فَأَنْشَدَ أَكْثَرَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ حَتَّى شَكَّكُنِي - عِلْمُ اللَّهِ - فِي نَفْسِي وَبَقِيَّتُ مَتَحِيرًا .

فَأَقْبَلَ عَلَيَّ أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ : يَافِي ! قَدْ كَانَ قَرَابَتُكَ لَنَا وَوَدَّنا لَكَ مَا يَنْفِيكَ عَنِ هَذَا ، فَجَعَلْتُ أَحْلَفُ لَهُ بِكُلِّ مُخْرَجَةٍ مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ الشُّعْرَ لِي مَا سَبَقَنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ ، وَلَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ وَلَا انْتَحَلْتُهُ . فَلَمْ يَنْفَعْ ذَلِكَ شَيْئًا .

وَأَطْرَفَ أَبُو سَعِيدٍ ، ثُمَّ دَنَانِي حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي سُوخْتُ فِي الْأَرْضِ ؛ فَجَعَلْتُ مُنْكَسِرًا الْبَالُ أَجْرُ رَجُلِي وَخَرَجَتْ .

فَإِذَا هُوَ إِلَّا أَنْ بَلَفَتِ الدَّارَ حَتَّى خَرَجَ الْبُلْمَانُ فَرَدُونِ . فَأَقْبَلَ عَلَيَّ الرَّجُلُ فَقَالَ :

* الْأَعْنَى : ١٨٠-١٦٩ .

(١) هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَلَاءِ ، كَانَ شَاعِرًا مَطْبُوعًا ، قِيلَ : إِنَّهُ أَشْهَرُ مَنْ اسْتَعْبَقَ لُغَبَ شَاعِرٍ يَمْدُ أَبِي نَوَاسٍ . مَاتَ سَنَةَ ٢٨٤ هـ . (٢) هُوَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ ، كَانَ يَمْدُ رَأْسَ الطَّبَقَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ شُعْرَاءِ الْمُهَدِّثِينَ ، وَلَدَهُ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ بِرِيدُ الْمَوْصِلِ ، فَاتَمَّ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ٢٣٣ هـ .

الشمر لك يابني ، والله ما قلت قط ، ولا سمعته إلا منك ؛ ولكنني ظننت أنك
تَهَوَّنْتَ في موصي ، فأقدمت على الإنشاد بحضرتي ، من غير معرفة كانت بيننا ،
تريد بذلك مضاهاتي ومكاثرتي حتى عرفني الأمير نسبك وموضعك . ولوددت
ألا تلد أبداً طائفةً إلا مثلك .

وجمل أبو سعيد يصحك ، ودعاني أبو تمام وضمني إليه وعانقني وأقبل يقرظني .
ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه ، واقتديت به .

١٨٢ — فِرَاسَةُ عَضْدِ الدَّوْلَةِ*

قدم رجل إلى بنداد للحجّ ، وكان معه عِقد يساوي ألفَ دينار ، فاجتهد في
بيعه ، فلم يَنْفُقْ^(١) ؛ فجاء إلى عطار موصوف بالخير ، فأودعه إياه ، ثم حجّ ، وعاد ،
فأثابه بهدية ، فقال له العطار : من أنت ؟ وما هذا ؟ فقال : أنا صاحب العِقد
الذي أودعتك إياه ؛ فما كُله حتى رَفَسَهُ رُفْسَةً رماه عن دُكَّانه ، وقال : تدعى
على مثل هذه اللعوى .

فاجتمع الناس ، وقالوا للحاج : وبلك ! هذا رجل خير ، وما وجدت من
تدعى عليه إلا هذا ! فتخبر الحاج وتردّد إليه ، فما زاده إلا شتماً وضرباً . فقبل له :
لو ذهبت إلى عضد الدولة ؛ فله في هذه الأشياء فِرَاسَةٌ !

فكتب قصته ، ورفعها لعضد الدولة ، فصاح به فجاء ، فسأله عن حاله ،
فأخبره بالتصمة ، فقال : اذهب إلى العطار بكرة ، واقعد على دُكَّته^(٢) ، فإن منك

* الأذكياء : ٣١ .

(١) نفق : نفق (بضم الفاء) : إذا كثر مشروءه . (٢) الدكة : بناء يسطح أعلاه مقمود .

فأقعد على دكةٍ تقابله من بُكرةٍ إلى الغرب ولا نكله ، وأضل هكذا ثلاثة أيام ،
فلما سَأَمَرُهُ عليك في اليوم الرابع ، وأَقَفْتُ وأَسْلَمْتُ عليك ، فلا تَمُّ لِي ولا تَرَدُّي على
رَدِّ السلام ، وجوابٍ ما أَسْأَلُكَ عنه ، فإذا انصرفتُ فَأَعِدُّْ عليه ذكرَ المقد ، ثم
أَعْلِنِي ما يَقُولُ لك ، فإن أعطاكه جِئْتُ بِهِ إِلَيَّ .

فجاء إلى دُكَانِ المطَّار ليُجْلِسَ فَنَمَ ، فجلس على دكةٍ تقابله ثلاثة أيام ، فلما كان
في اليوم الرابع اجتاز عَصُدُ الدولة في مركبه العظيم ؛ فلما رَأَى الخراسانيَّ وَقَفَ وقال :
سلامٌ عليكم ؛ فقال الخراساني : ولم يتحرك ؛ وعليكم السلام . قال : يا أَخِي ؛ تَقْدُمُ
فلا تَأْتِ إلَيْنَا ولا تَعْرِضْ حَوَائِجَك عَلَيْنَا ، قَالَ : كما اتفق ، ولم يشبهه الكلام ،
وعَصُدُ الدولة بِأَسْأَلِهِ ، وَيُنْعِي (١) وقد وَقَفَ ، ووقف المسكر كله ، والمطَّار قد
أَغْيَى عليه من الخُوف .

فلما انصرفت التفت المطَّار إليه . قَالَ : ويحك ، متى أودعتني هذا المقد ؟
وفي أي شيء كان ملفوفًا ؟ فَذَكَّرَنِي لَمَلِي أَذْكَرُهُ ؛ قَالَ : مِنْ صَفْتِهِ كَذَا وَكَذَا ،
قَامَ وَقَفَّسَ ، وَفَضَّ جِرَّةً عِنْدَهُ ، فَوَقَعَ المقد ، قَالَ : قد نَسِيتُ ، وَلَوْ لَمْ تَذَكِّرْنِي
الْحَالُ مَا ذَكَرْتُ ؛ فَأَخَذَ المقد ، ثُمَّ قَالَ : وَأَيَّ فَائِدَةٍ لِي فِي أَنْ أَعْلَمَ عَصُدَ الدَّوْلَةِ ؟
ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ : لِمَ يَرِيدُ أَنْ يَشْتَرِيهِ ، فَهَبْ إِلَيْهِ فَأَعْلَمَهُ ، فَبَسَّ بِهِ مَعَ الْحَاجِبِ
إِلَى دُكَانِ المطَّار ، فَمَلَقَ المقدَ فِي عُنُقِ المطَّار ، وَصَلَبَهُ بِبَابِ الدَّكَانِ ، وَنَوْدَى
عَلَيْهِ : هَذَا جِزَاءُ مِنْ اسْتَوْدَعْتُ فَجَعَدْتُ (٢) . فَلَمَّا ذَهَبَ النَّهَارُ أَخَذَ الْحَاجِبُ المقد ،
فَسَلَّمَهُ إِلَى الْحَاجِ ، وَقَالَ : اذْهَبْ بِهِ .

(١) أَخْبَرَنِي السُّؤَالُ : رَدَّدَهُ . (٢) جَعَدَ : أَنْكَرَ .

١٨٣ - ملك لا تَتَّعِمُ الطيور منه*

قصد المنصور بن عامر رجل جوهرى من تجار المشرق من مدينة عدن ،
بجوهر كثير وأجرا نفيسة ، فأخذ للمنصور من ذلك ما استحسنه ؛ ودفع إلى التاجر
الجوهرى صُرمته - وكانت قطعة يمانية - فأخذ التاجرُ فى انصرافه طريقَ الرَّملةِ
على شطِّ النهر ، فلما توسَّطها واليومُ قائظٌ ؛ وعرفه منصبٌ ، دعتُه نفسه إلى التَّبرُّدِ
فى النهر ، فوضع ثيابه وتلك الصُّرَّةَ على الشطِّ ، فرتِ حِدَاةٌ فاختلطت الصُّرَّةُ ،
تحسبها لحماً ، وطارت فى الأفق ذاهبةً بها .

فقامت قيامةُ التاجر ؛ وعلم أنه لا يقدرُ أن يستدفعَ ذلك بحيلة ، فأسرَّ الحزنَ
فى نفسه ، ولحقه لأجل ذلك عِلَّةٌ اضطرب فيها ، واستبان للمنصور ما بالرجل من
المهانة والكَآبَةِ ، وَقَدْ ما كان عنده من النشاط وشدة العارضة ، فأنه للنصور
عن شأنه ، فأعلمه بقصته ، فقال له : هَلَّا أتيتَ إلينا حين وقوع الأمر فكنا
نستظهِرُ على ذلك بالحيلة ! فهل هُديتَ إلى الناحية التى أَخَذَ المائزُ إليها ؟ قال :
مرَّ شرقاً على سَمْتٍ^(١) هذا الجبل الذى على قصرِك - يبنى الرَّملة -

فدعا المنصورُ شُرطيَّه انلصَّ به ، فقال : جئنى بمشيخة أهل الرملة الساعة ؛
ففضى وجاء بهم سريما . فأمرهم بالبحث عن غير حال الإقلال^(٢) منهم سريما ،
وانتقل عن الإضافة دون تدريج ، فتناظروا فى ذلك ، ثم قالوا : يامولانا ؛ ما نعلم
إلا رجلاً من ضفائنا كان يعملُ هو وأولادُه بأيديهم ، ويقنولون السَّيقَ

* نصح الطيب : ١ - ١٩٢ .

(١) السمت : الطريق . (٢) الإقلال : القتر .

بأقدامهم ؛ عَجَزًا عن شراء دابةً ، فابتاع اليوم دابةً واكتسب هو وولده كسوة متوسطة .

فأمر بإحضاره من الغد ، وأمر التاجر بالندو إلى الباب ، فحضر الرجل بين يدي المنصور فاستدّاه ، والتاجر حاضر ؛ وقال له : سبب ضاع منا وسقط إليك ، ما فعلت به ؟ قال : ها هو ذا بامولاي - وضرب بيده إلى حُجْزَةٍ^(١) سراويله ، فأخرج الصرة بعينها - فصاح التاجر طرباً ، وكاد يطير فرحاً .

فقال له المنصور : صِفْ لي حديثها . فقال : بينا أنا أعمل تحت نخلة إذ سقطت أمانى فأخذتها ، وراقني منظرها ، فقلت : إن الطائر اختلسها من قصرِكَ لتُرَبِّ الجوار ، فأجنزتُ بها ، ودعتني فأتيتُ إلى أخذ عشرة مثاقيل كانت معها مصرورة ، وقلت : أقل ما يكون في كرم مولاي أن يسمح لي بها .

فأعجب المنصور ما كان منه ، وقال للتاجر : خُذْ صُرَّتَكَ ، وانظرها ، واصدقني عن عدها . ففعل ، وقال : وَحَقُّك يا مولاي ، ما ضاع منها شيء سوى الدنانير التي ذكرها وقد وهبتها له .

فقال له المنصور : نحنُ أولى بذلك منك ولا تُنَمِّصْ عليك فرحك ، ثم أمر للتاجر بمشرة دنانير عوضاً عن دنانيره ، وللرجل بمشرة دنانير ثواباً له ، وقال : لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث لأوسعنا جزاء !

فأخذ التاجر في الثناء على المنصور ، وقد علوده نشاطه . وقال : لأبين في الأقطار عِظَمَ ملكك ، ولأبين أنك تملك الطير ، فلا تمتص منك ، ولا تؤذى جارك .

(١) الحجة من السراويل : موضع النكة .

فضحك للنصور ، وقال : أقصد في قولك بفرا اللهك ، فعجب الناس من تُلطف للنصور في أمره وحيلته في تفریح كُرْبته .

١٨٤ — صبي يهجو صديقا*

كان أبو بكر بن للنخل وأبو بكر الملاح متاخَّين متصافيين ، وكان لهما ابنان صغيران قد برعا في الطلب ، وحازا قصب السبق في حلبة الأدب ؛ فهاجى الابنان بأقذع الهجاء ، فركب ابن للنخل في سحر من الأسحار مع ابنه عبد الله ، فجلس يبت عليه على هجاء للملاح ، ويقول له : قد قلمت ما بيني وبين صديق وصفي أبي بكر في إقذاعك بابنه .

قال له ابنه : إنه بدأني والبادي أعظم ، وإنما يجب أن يلحى^(١) من بالشر تقدّم ؛ فذره أبوه .

فبينما هما كذلك إذ أقبل على واد تنق فيه الضفادع ، قال أبو بكر لابنه أجز :

تنق ضفادع الوادي

قال ابنه :

بصوت غير معتاد

قال الشيخ :

كَأَنَّ تَقِيْقَ مِقْوَلِهَا

* فتح الطيب : ٢ - ٣٠١ .

(١) يلحى : يلام وينسف .

قال ابنه :

بنو الملاح في الوادي

فلما أحسَّتِ الضفادع بهما صممت ، قال أبو بكر :

وَصَمْتُ مِثْلَ صَمَّتِهْمُ

قال ابنه :

إذا اجتمعوا على زاد

قال الشيخ :

فلا غوث لِمَلْهُوفٍ

قال الابن :

ولا غيثٌ لمرتاد

١٨٥ — رسولان*

أقبل المستكني يوما على محمد بن محمد بن يحيى الكاتب، فقال له: أنصرفُ خبر الحجاج بن يوسف مع أهل الشام؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، قال: ذَكُرُوا أَنَّ الحجاج كان اجتنب^(١) قوماً من أهل العراق وَجَدَ عندهم من الكفاية ما لم يجدَ عند مختصيه من الشاميين؛ فثَقَّ ذلك على الشاميين، وتكلموا فيه.

فبلغ إليه كلامهم؛ فركب في جماعة من الفريقين، وأوغل بهم في الصحراء، فلاح لهم من بُدِّ قطار^(٢) إبل، فدعا برجلٍ من أهل الشام، فقال له: امضِ فاعرف ما هذه الأشباح؟ واستقصِ خبرها. فلم يلبث أن جاء وأخبره أنها إبل، قال: أمحلتني أم غير محملة؟ قال: لا أدري؛ ولكنني أعود وأتصرف ذلك.

وقد كان الحجاج أنبئه برجلٍ آخر من أهل العراق، وأمره بمثل ما كان قد أمر به الشامي، فلما رجع العراقي، أقبل عليه الحجاجُ. — وأهل الشام يسمعون — قال: ما هي؟ قال: إبل، قال: وكم عددها؟ قال: ثلاثون. قال: وما تحمل؟ قال: زبنا. قال: من أين صدرت؟ قال: من موضع كذا. قال: ومن ربها؟ قال: فلان.

فالتفت إلى أهل الشام وقال:

أَلَا مَ عَلَى عَمْرُوا وَلَوْ مَاتَ أَوْ نَأَى لَقَلَّ الَّذِي يُنْسِي غَنَاءَكَ يَا عَمْرُو

* المحدثي: ٢ - ٤٤١.

(١) اجتنب: اختاره. (٢) القطار: أن تعد الإبل على لفق، واحدا خلف واحد.

قال ابن أبي عمير : قد قال يا أمير المؤمنين بمض أهل الأدب في هذا المعنى :
شرُّ الرسولين من يحتاجُ مِرْمَلَهُ منه إلى العودِ ، والأمرانِ سيَّانِ
كذلك ما قال أهل العلم في مثل : طريقُ كلِّ أخى جهلٍ طريقان
ثم قال المستكني : ما أحسن ما وصف بهجتي الرسول بالدِّكَا بقوله :
وكانَ الدِّكَا يَبْعَثُ منه في سَوَادِ الأمورِ شُعْلَةٌ نار

انتهى الباب الخامس ، وهو آخر الجزء الأول

١ - فهرس القصص

الباب الأول

في القصص التي تسبب بها مظاهر حياتهم وأسباب مدينتهم ؛ بذكر أسواقهم
وأجلاّب تجارتهم ؛ وللساكن التي كانت تؤويهم ، وسائر أماكن على عهدهم من
دلائل الحضارة ووسائل المعاش :

رقم القصة	الصفحة	العنوان
١	٨	قوس حاجب بن زرارة
٢	١٠	فككة اليراض
٣	١٢	حياة آل جفنة
٤	١٤	الأعشى والحق
٥	١٦	احكام الشعراء في عكاظ
٦	١٨	عند كبرى
٧	٢٠	عند النجاشي
٨	٢٢	رسول الله في سوق عكاظ
٩	٢٤	الكريم طروب
١٠	٢٦	الأعراب في جهنم وفضل عيشهم
١١	٢٨	حفل غناء
١٢	٣٧	الفناء يحكي القلب
١٣	٣٩	صَرْبٌ مِنَ التَّمْثِيلِ
١٤	٤٠	وفود ابن مسجح على عبد الملك بن مروان

رقم القصة	الصفحة	العنوان
١٥	٤٣	دعاية للوطن
١٦	٤٤	أى الأمم أعقل؟
١٧	٤٧	قران العلية
١٨	٥٢	في قصور بنى أمية
١٩	٥٤	في دار الفضل بن الربيع
٢٠	٥٩	للمتصم في يوم العيد
٢١	٦٣	حائك الكلام
٢٢	٦٧	ندامة الكسبي
٢٣	٦٩	رسل الروم عند الناصر
٢٤	٧٢	ليلة بمالقة

الباب الثاني

في القصص التي تتضمن معتقداتهم وأخبار كهانهم وكواهنهم، وتبسط ما كانوا يرفون من حقائق التوحيد والبحث والدار الآخرة وما كانوا يتوسلون به من إقامة الأوثان، وتتمدها بألوان الزلفى والقربان :

رقم القصة	الصفحة	العنوان
٢٥	٧٦	قوم عاد يستقون بمكة
٢٦	٧٨	زيد بن عمرو يتلقى الدين الصحيح
٢٧	٧٩	النمان بن المنذر يتنصر
٢٨	٨٠	طريقة الكاهنة
٢٩	٨١	عفيرة ومروند بن عبد كلل

رقم القصة	الصفحة	النون
٣٠	٨٧	كاهنة بنى سعد
٣١	٩٠	كاهنة سَطِيع
٣٢	٩٣	مُصْرَعُ الْمُزَيَّ
٣٣	٩٤	أمية بن أبي الصلت ورؤيا شقّ الصدر
٣٤	٩٦	أم العوّام
٣٥	٩٨	عمارة بن الوليد والسواحر
٣٦	١٠١	في خمر زمزم
٣٧	١٠٤	سيف بن ذى يزن والبطارة برسول الله
٣٨	١٠٨	بطارة بحيرى
٣٩	١١٠	في بئنة رسول الله
٤٠	١١٣	تطير المنصور
٤١	١١٥	للمنصور تمنى إليه نفسه
٤٢	١١٦	رؤيا الرشيد
٤٣	١١٩	تطير الأمين
٤٤	١٢١	ذنب لا يطلع صاحبه في عُفْرانه
٤٥	١٢٢	طيرة ابن الرومى
٤٦	١٢٤	تطير الرشيد بن المتمد
٤٧	١٢٦	رؤيا

الباب الثالث

القصص التي تجلو علومهم ومعارفهم ، وتوضح منها ثقافتهم ، وما كان متداولاً بينهم من مسائل العقل والنقل ؛ التي هدتهم إليها فطرتهم ، أو أنهتها إليهم تجاربهم :

رقم القصة	الصفحة	العنوان
٤٨	١٢٨	فراصة أبناء زَرَار
٤٩	١٣١	ارعى واحذر
٥٠	١٣٢	طب الحارث بن كَلْدَة
٥١	١٣٧	حديث قس بن ساعدة مع ملك الروم
٥٢	١٤٣	أعرابي في سفر
٥٣	١٤٤	في موت رسول الله
٥٤	١٤٦	عيافة لِهَب
٥٥	١٤٨	أبو الفُشْتَانَس وَلِهَب
٥٦	١٤٩	غراب يبشر بموت الحجاج
٥٧	١٥٠	صدق الزاجر
٥٨	١٥٢	علم للأمون وسمة معارفه
٥٩	١٥٤	وفود الفارابي على سيف الدولة

الباب الرابع

القصص التي يُرى بها ما كانوا يتفنون به من الكارم والفاخر ، وما كانوا يتذمّمون به من الناقص والعمّات ، سواء أكان ذلك بتعلّق بكلّ منهم في نفسه ، أم فيما يتصل بالأقربين من ذويه ، أم فيما يضم أهل قبيلته ، أم فيما يشمل الناس جميعاً :

رقم القصة	الصفحة	العنوان
٦٠	١٥٨	سبق السيف المثل
٦١	١٦١	إيثار ابن مامة الإيادي
٦٢	١٦٢	وفاء السمومل
٦٣	١٦٣	لا حرّ بوادي عوف
٦٤	١٦٥	مروءة حاتم
٦٥	١٦٧	ماوية تصحلت عن كرم حاتم
٦٦	١٦٩	بين حاتم وماوية
٦٧	١٧١	مروءة وفاء
٦٨	١٧٥	مكرمة
٦٩	١٧٨	أجاره من اللوت
٧٠	١٧٩	يزيد بن عبد اللدان عند الحارث بن جفنة
٧١	١٨٣	إغاثة
٧٢	١٨٦	ارحموا عزيراً ذلّ
٧٣	١٨٨	زعم المعجم وعمر بن الخطاب
٧٤	١٨٩	أبو سفيان عند هرقل

العنوان	الصفحة	رقم القصة
إسلام أبي ذرٍّ	١٩٣	٧٥
جود عثمان بن عفان	١٩٥	٧٦
ليد والوليد بن عُقبة	١٩٦	٧٧
الخطيئة والزرقان بن بدر	١٩٨	٧٨
قِلوم الخطيئة على عُتَيْبَةَ بن النُهاس	٢٠٥	٧٩
قَتِير عند سعيد بن العاص	٢٠٧	٨٠
قصر سعيد بن العاص	٢٠٩	٨١
معاوية وسعيد بن العاص	٢١١	٨٢
كرم معاوية	٢١٣	٨٣
معاوية يَغْفُو	٢١٥	٨٤
الوفى	٢١٨	٨٥
أَسْخَى من البحر إذا زخر	٢٢٠	٨٦
يُجُود على مقدار نفسه	٢٢١	٨٧
من حَيْل الكرماء	٢٢٣	٨٨
يد عند عبيد الله بن السباع	٢٢٤	٨٩
لو بدأت في	٢١٥	٩٠
اختبار الأجواد	٢٢٧	٩١
إِنَّ هذا لَأَسْخَى منى	٢٢٩	٩٢
إنا نزل العريف ولا نرحله !	٢٣٠	٩٣
الأخطل محبوس في كنيسة	٢٣١	٩٤
عمارة الفقيه وعبد الملك بن مروان	٢٣٢	٩٥
بين الحجاج الثقفى ويزيد بن المهلب	٢٣٤	٩٦

رقم القصة	الصفحة	العنوان
٩٧	٢٣٦	زفر بن الحارث يهجر خالد بن عتاب
٩٨	٢٣٨	احتكوا وأكثروا
٩٩	٢٤٠	أنت أخو الندى وحليفه
١٠٠	٢٤٢	ما كذب مذ شئت عليه إزاره
١٠١	٢٤٣	أعطيك مالى إن شئت
١٠٢	٢٤٤	الشمعة والسراج
١٠٣	٢٤٥	حديث عمر بن عبد العزيز مع ابنه عبد الملك حين احتضر
١٠٤	٢٤٦	عفة جرير ونجور الفرزدق
١٠٥	٢٤٨	خالد القسرى وزيد بن عبيد الله
١٠٦	٢٥٠	الفقر خصم الجوع
١٠٧	٢٥١	يشتكى الفقر
١٠٨	٢٥٢	حدثني عن أغرب مامر بك
١٠٩	٢٥٤	للمصور وأهله
١١٠	٢٥٦	هذا بغية أمير المؤمنين
١١١	٢٥٨	معن بن زائدة والأسود
١١٢	٢٦٠	عقيد الجذ والجود
١١٣	٢٦١	منك بضطلع
١١٤	٢٦٢	نمة عدوك قلادة في عنق
١١٥	٢٦٣	جود عبد الواحد بن سايان
١١٦	٢٦٥	أبو حنيفة يرعى الجوار
١١٧	٢٦٦	يربى الله الصدقات

رقم القصة	المنفعة	الدوران
١١٨	٢٦٨	المرق دسّاس
١١٩	٢٧٠	إن بعد الصّبر يُنْصَر
١٢٠	٢٧٥	لا أسأل سواك ولو سَفِفتُ التراب
١٢١	٢٧٧	تبه وكرم
١٢٢	٢٧٩	لكل جديد لذة
١٢٣	٢٨٠	جود البرامكة
١٢٤	٢٨٥	حسن العفو
١٢٥	٢٨٨	واغظ الرشيد
١٢٦	٢٩٢	أُمَوِيٌّ عند الرشيد
١٢٧	٢٩٦	يواصي بعضهم بعضاً
١٢٨	٢٩٧	وفى للبرامكة
١٢٩	٣٠٢	أفضل الأصحاب
١٣٠	٣٠٣	ما ولدتِ العربُ أكرمَ منك
١٣١	٣٠٥	الأصمعي يطلب القرى
١٣٢	٣٠٦	لقد أمكنك الله من الوفاء
١٣٣	٣١٢	إبراهيم بن المهديّ ولأُمون
١٣٤	٣١٩	من جود أبي دُلَف
١٣٥	٣٢٠	عبد الله بن طاهر والحِصْنِي
١٣٦	٣٢٢	حسن للكفاة
١٣٧	٣٢٥	رجوتك دون الناس
١٣٨	٣٢٦	لأُمون ينفو عن الحسين بن الضحّاك
١٣٩	٣٢٨	وفاء كافور

رقم القصة	المنفعة	العنوان
١٤٠	٣٣٠	درس يُلقى على حاسد
١٤١	٣٣٣	عفة الشريف الرضى
١٤٢	٣٣٥	أمين

الباب الخامس

القصص التي تعدد غرائزهم وخصالهم ، فتكشف ما طُبعوا عليه من وقرة العقل
وحدة الذكاء ، وصدق الفراسة ، وقوة النفس ، وما أهلتهم للطبيعة بلادهم ، وأسلوب
حياتهم من شريف السجايا ، ومملوح الخصال :

رقم القصة	المنفعة	العنوان
١٤٣	٣٤٠	غنم من نجاة من الموت
١٤٤	٣٤٢	وافق شنّ طبقة
١٤٥	٣٤٤	لن يبرح العبدان حتى يُقتلا
١٤٦	٣٤٥	النذير
١٤٧	٣٤٦	حديث عن امرئ القيس
١٤٨	٣٤٩	صحيفة المتلمس
١٤٩	٣٥١	إن المصاقرعت لئنى الحلم
١٥٠	٣٥٣	فطرة
١٥١	٣٥٤	حلب على إخوته
١٥٢	٣٥٦	نافرنى إلى قتاك فإنه نجيب
١٥٣	٣٥٨	أنا أعلم بقريش من قريش

رقم القصة	الصفحة	العنوان
١٥٤	٣٦٠	أوقد جنتي سالماً
١٥٥	٣٦١	الأحف يفهم معاوية
١٥٦	٣٦٢	نوطى عليه يامزَيْن النماثا
١٥٧	٣٦٤	ذكاء ابن عباس
١٥٨	٣٦٥	عمران بن حِطّان ينقل في القبائل
١٥٩	٣٦٩	دهاء حُبارة بن تميم اللخمي
١٦٠	٣٧١	كيف رأيتم فراسق في الأعرابي ١
١٦١	٣٧٣	من بناءه الشعراء
١٦٢	٣٧٥	قوة حجة
١٦٣	٣٧٦	إياس في مجلس القضاء
١٦٤	٣٧٧	من ذكاء إياس
١٦٥	٣٧٨	أدبتي فتأديت
١٦٦	٣٨٠	لا يقبل على اصطناع المعروف مكافأة
١٦٧	٣٨٢	حذر إبراهيم بن هرمة
١٦٨	٣٨٣	النصور ودليله بالمدينة
١٦٩	٣٨٥	فطنة كاتب للنصور
١٧٠	٣٨٧	حيلة طريفة
١٧١	٣٩٠	الأمين والأمين بين يدي الرشيد
١٧٢	٣٩٢	قرا مجد وفرعا خلافة
١٧٣	٣٩٦	قرنا عين
١٧٤	٣٩٩	حيلة وال
١٧٥	٤٠١	أعطني على قدرى

رقم القصة	المنحة	المتوان
١٧٦	٤٠٣	طاهر بن الحسين والمأمون
١٧٧	٤٠٥	همت بالأوطان وجداً بها
١٧٨	٤٠٨	فراصة أعراجه
١٧٩	٤١٠	ثابت الجنان
١٨٠	٤١٢	إسحاق الموصلي بين أبيه وابن جامع
١٨١	٤١٣	البحترى وأبو تمام
١٨٢	٤١٥	فراصة عضد الدولة
١٨٣	٤١٧	ملك لا تقصم الطيور منه
١٨٤	٤١٩	سبي بهجو صبياً
١٨٥	٤٢١	رسولان

٢ - فهرس الأعلام

(١)

أمنة بنت وهب : ١٠٦

إبراهيم (عليه السلام) : ٨٨ ، ٧٨

إبراهيم بن سليمان : ٢٥٣ ، ٢٥٢

إبراهيم بن محمد الإمام : ٣٧٦

إبراهيم بن المهدي : ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧

٦٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ٣١٢

٣١٨

إبراهيم الموصلي : ٢٧٩ ، ٢٨٠ ،

٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤

٤١٨

إبراهيم بن هرمة = ابن هرمة

ابن البواب (حاجب للأمون) :

٣٢٧ ، ٣٢٦

ابن جامع : ٤١٢ ، ٤١٣

ابن الرومي : ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٦

ابن سريج : ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٥ ، ٤٦

ابن سيرين : ٣٨٠

ابن عائشة : ٣٧ ، ٤٥

ابن كعب أنزاعي : ٣٦١

ابن مخزوم : ٣٤ ، ٣٦

ابن القفح : ٥٠

ابن اللبابة : ١٢٤

ابن هرمة (إبراهيم بن علي) : ٢٦٣ ، ٢٦٦

أبو إسحاق بن للأمون : ٣٣١

أبو بكر الصديق : ١٤٦ ، ١٩٥ ،

٣٥٨

أبو بكر الإشبيلي : ١٢٤

أبو بكر الللاح : ٤١٩

أبو بكر بن للنخل : ٤١٩

أبو بلال مرداس بن أدية : ٣٦٨

أبو تمام : ٤١٤ ، ٤١٥

أبو حذيفة الطرسوسي : ١٢٢

أبو حنيفة : ٢٦٥

أبو خالد (وزير للمهدي) : ٣٢٣

أبو دواد الإيادي : ٢٠٥

أبو دلف المجل (القاسم بن عيسى) :

٣١٩

إسحاق بن إبراهيم الرافعي : ٤٠٨
 إسحاق بن إبراهيم اللوصلي (الغني) :
 ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ،
 ٦٦ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ،
 ٤١٢ ، ٤١٩ .
 إسحاق بن أبي ربي : ٤٠٨
 أسد بن خُوَيْلِد : ١٠٤
 إسماعيل (عليه السلام) : ٨٨ ، ١٠٢
 إسماعيل بن أحمد التيجي : ٧١
 إسماعيل بن صبيح : ١٣٩
 الأسود القُتَيْبِي : ١٧٨
 الأصمعي : ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ،
 أعشى قيس : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ،
 ٢٤ ، ١٧٨
 أعشى همدان : ٥٠
 ألفد، الجُرْهُمِي : ١٢٩
 امرؤ القيس الكندي : ١١٢ - ٣٤٦ ،
 ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣
 الأمين بن الرشيد : ١١٩ ، ٢٥٧ ،
 ٣٢١ ، ٣٣٢ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ،
 ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ،
 أم الحويرث (امرأة من خزاعة) :
 ١٤٦ ، ١٤٧

أبو ذؤيب الهذلي : ١٤٤
 أبو ذر القناري : ١٩٣ ، ١٩٤
 أبو سفيان بن أمية : ٢٤ ، ١١٠ ،
 ١١١ ، ١١٢ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،
 ٣٥٦ ، ٣٥٧
 أبو طالب بن عبد المطلب : ٨٧ ،
 ١٠٨ ، ١٠٩
 أبو عبيدة بن الجراح : ١٤٥
 أبو علي القالي : ٧٠
 أبو صر يوسف الرَّمَادِي : ٣٣٠ ،
 ٣٣١
 أبو الصيناء (عمد بن القاسم) : ٣٢٥
 أبو كبير الهذلي : ٤٠٦
 أبو الفشنش (أحد لصوص بني تميم) :
 ١٤٨
 أده نصر القاراني : ١٥٤
 أحمد بن أبي خَلْد : ٢٩٧ ، ٣٠١ ،
 ٣١٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣
 أحمد بن أبي دَوَاد : ١٥٢
 أحمد بن إسماعيل بن علي : ٢٥٤ ، ٢٥٥
 الأحنف بن قيس : ٣٦١ ، ٣٦٢
 الأحوص بن عمَد : ٣٨٣
 الأخطل : ٢٣١
 الأزرد (قبيلة) : ٨٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣

بكر بن وائل (قبيلة) : ١٤ ، ٣٤٥ ،
 بليلة (مغنية) : ٤٢
 البلحاء (امرأة من الخوارج) : ٢٢٠
 بنو أبي طالب : ٣١٩
 بنو الأصغر : ١٩٢
 بنو أمية : ٤٩ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٢٥٢
 بنو جفنة : ١٨ ، ٣٥٥
 بنو زرارة : ١٤ ، ١٥
 بنو سهم : ٩٩
 بنو شيبان : ١٦٣
 بنو عبد للطلب : ٢٨ ، ٢٩
 بنو عبد مناف : ٢٢ ، ٢٨
 بنو كعب بن زبيدة : ٢٨
 بنو مخزوم : ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٩ ، ١٠٢
 بنو النهرة : ٩٨ ، ٩٩

(ب)

بعم (قبيلة) : ١٦٦ ، ١٨٥
 بعم بن جميل : ٤١٦ ، ٤١٧

(ث)

تليف (قبيلة) : ٩٦

(ج)

جبريل بن يحيى شوع : ١١٦ ، ١١٨

أم شذرة : ١٩٨ ، ١٩٩
 أمية بن أبي الصلت : ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩
 أمية بن عبد شمس : ١٠٤
 أنف الناقة (قبيلة) : ١٩٩
 أنمار بن نزار : ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٩ ، ١٤٠
 أوس بن حارثة : ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧
 إلياس بن معاوية : ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧
 (ب)

بجرية بن قيس القشيري : ٢٨ ، ٢٩
 البحتري : ٤١٤ ، ٤١٥
 بحيري (الراب) : ١٠٨ ، ١٠٩
 بدح : ٣١ ، ٣١ ، ٣٥٨
 البراحم (قبيلة) : ١٦٥
 البراض بن قيس : ١٦ ، ١٧
 البرامكة : ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨
 ٦٢ ، ٢٨٠ ، ٢٩٧

برد القواد : ٣٩

برودة اللوسوس : ١٢٣
 برق الأنق : ٤٧

بشر بن أبي حارم : ١٧٨ ، ١٧٩

بشير المريضي : ١٥٢

بشير (خاذم أبي ذؤيب) : ٣١٩

بغيمض (قبيلة) : ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١

حَبَاة (المنفية) : ٤١٠
 الحجاج بن يوسف الثقفي : ١٤٩ ،
 ١٥٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ،
 ٣٨٢ ، ٣٧٥ ، ٣٧٢ ، ٣٧٦ ،
 ٣٧٧ ، ٤٢١
 حرب بن أمية : ١٦
 حرب بن خالد : ٢٣٠
 حسان بن ثابت : ١٨ ، ٢٢ ، ٢٣ ،
 ١٤٧ ، ٢٠٢
 الحسين بن سهل : ٣٢٢
 الحسن بن عليّ : ٢٢١ ، ٢٢٦ ، ٣٥٨
 الحسين بن بدر = الزريقان بن بدر
 الحسين بن الضحاك : ٣٢٦ ، ٣٣٢
 الحسين بن عليّ : ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٠
 ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٣٥٨
 الحصين بن الجمام : ١٨٣
 الخطيئة : ١٧٨ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ،
 ٢٠٥ ، ٢٠٦
 حفص بن سليمان : ٣٧٨ ، ٣٨٤
 الحكم بن عبدالرحمن الناصر : ٦٩ ، ٧٠
 حمدون بن إسماعيل النديم : ٦٥ ، ٦٦
 ٦٧ ، ٦٨
 (٢٩ - قصص - أول)

جبله بن الأيهم : ١٨
 جذام (قبيلة) : ٢٧١
 الجرادتان (منفتان) : ٧٦ ، ٧٧
 جروول بن أوس = الخطيئة
 جرير بن عطية : ٢٤٦ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤
 جشم (قبيلة) : ١٨٤
 جعفر بن أبي طالب : ٢٦
 جعفر بن محمد الأنصاري : ١٥٢
 جعفر بن يحيى : ٥٣ ، ٦١ ، ٦٤ ،
 ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٣ ، ٢٧٤ ،
 ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٢٩٨ ،
 ٢٩٩ ، ٣٠٤ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨
 جميلة المنفية : ٣٤ - ٤٦
 (ح)
 حاتم الطائي : ١٦٧ - ١٧٢ ، ١٨٦ ،
 حاجب بن زارة : ١٤ ، ١٥
 الحارث بن جفنة : ١٨١ ، ١٨٢
 الحارث بن خالد الخزومي : ٣٤
 الحارث بن ظالم : ١٨٣
 الحارث بن عبد المطلب : ١٠٢
 الحارث بن عوف : ١٨٣
 الحارث بن كَلْدَة : ١٢٨ ، ١٣٣ ،
 ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦

(د)

راثة الفنية : ١٨

رافع بن الليث : ١١٧

الربيع بن يونس : ١٢٣ ، ٢٥١ ،

٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٦ ،

٣٨٧ ، ٣٩٣

ربيعة بن نزار : ١٢٨ ، ١٢٩ ،

١٣١

ربيعة (قبيلة) : ٢٦٣

رجاء بن حيوة : ٢٨٩

رجة : ٤٠

الرخجى : ٦٣

الرشيد بن المعتد : ١٢٦

رُسم (قائد الفرس) : ١٨٨

روح بن زنباع : ٣٦٥ ، ٣٦٦ ،

٣٦٧

(ز)

الزبرقان بن بدر : ١٩٨ ، ١٩٩ ،

٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ،

٢٠٦

الزبرقى القاضى : ٥٥

الزرقاء (للفنية) : ٤٢

زرياب : ٥٩

حنظلة بن أبى سفيان : ١١٠

حنظلة (مُضيف النعمان) : ١٧١ ، ١٧٤

حنين الملقى : ٥٠

(خ)

خارجة بن يزيد : ١٨

خالد بن برمك : ٥٠٤ ، ٥١٩

خالد بن عتاب القسرى : ٢٤٨ ،

٢٥٠ ، ٢٥٢

خالد بن عتاب : ٢٣٦ ، ٢٤٩

خالد بن الوليد : ٢٧ ، ٩٨

خزيم بن نوفل : ١٥٩ ، ١٦٠

خُلَيْدَة : ٤٢

خُجاعة بنت عوف بن مُحَلَّم : ١٦٣

الخنساء : ٢٢ ، ٢٣

(د)

داود بن سلم : ٢٣٠

داود بن يزيد المهلبى : ٤٠١

دُبَيْيَّة بن حَرَمَى الشيبانى : ٩٣

دحمان الأشقر : ٤٦

دريد بن الصمة : ١٨٩

الدَّلال : ٣٩

(ز)

ذؤاب بن أسماء : ١٦٩

- زفر بن الحارث الكلابي : ٢٣٦ ، ٣٦٧
- زهير بن أبي سلى : ٢٠٥
- زياد بن أبيه : ٢١٥
- زيادة بن عبيد الله : ٢٤٨ ، ٢٤٩
- زيد بن عمرو : ٧٨
- (س)
- ساعدة بن النعمان بن ثواب العبدي :
- ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢
- سالم بن عبد الله : ٢٨٠
- سالم (مولى أبي حذيفة بن عتبة) :
- ١٤٥
- سبأ : ٨٠ ، ٨١
- سطيح الكاهن : ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢
- سعد (قبيلة) : ١٨٥
- سعد بن عبادة : ١٤٤
- سعد بن مالك : ٣٥١
- سعد بن النعمان بن ثواب العبدي : ١٩٤
- سعدى (أم أوس بن حارثة) : ١٧٦ ، ١٧٧
- سعدة (مغنية) : ٤٢
- سميد بن العاص : ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧
- ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥
- سميد بن عثمان : ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩
- سميد بن مسجح : ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٨ ، ٤٩
- سميد بن النعمان بن ثواب العبدي :
- ١٥٨ ، ١٦٠
- السفاح (الخليفة العباسي) : ٢٣٤ ، ٣٧٨ ، ٣٨٩
- سفانة بنت حاتم : ١٦٧ ، ١٧٦
- سفيان بن عيينة : ٢٨٨
- سكلام (الغنية) : ٤١
- سلم الأسود (خادم المنصور) : ٢٥٢
- سليمان بن عبد الملك : ٢٣٤ ، ٢٣٥
- ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣
- ٣٤٨ ، ٣٤٩
- سليمان بن كثير : ٣٧٨ ، ٣٧٩
- السومل : ١٦٢ ، ١٦٣
- سنان بن أبي حارثة : ١٨٣
- سنان (وصيف طريفة الكاهنة) : ٨٠
- سَوَادَة بن الخطيئة : ١٩٨

طويس (اللقى) : ٣٩
 طي^٢ (قبيلة) : ١٦٦ ، ١٨٦
 (ع)
 عائشة بنت جعفر البرمكي : ٥٥
 عائكة بنت يزيد بن معاوية :
 ٣٨٣ ، ٣٨٤
 عاد (قبيلة) : ٧٦ ، ٧٧
 العاص بن وائل : ٩٨ ، ٩٩
 عامر بن صعصعة (قبيلة) : ٢٨ ، ٢٩
 عامر بن الطفيل : ٢٣ ، ١٧٨
 عامر بن الظرب العدواني : ٣٤٠
 عامر بن مالك : ١٨٠
 العباس بن عبد المطلب : ١١٠ ،
 ١١١ ، ١١٢ ، ٢٩٠ ، ٣٥٦ ،
 ٣٥٧
 العباس بن المأمون : ٣٢١
 العباس (صاحب شرطة المأمون) : ٣٠٩
 عبد الرازق بن همام : ٢٨٨
 عبد الرحمن بن إربق الأزدي : ١٤٦
 عبد الرحمن بن الأشعث : ٣٦٩
 عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : ١٨
 عبد الرحمن بن ملجم : ٣٦٥ ، ٣٦٦

سوار : ٣٦٦ ، ٣٦٧
 سيف الدولة بن حمدان : ١٥٥ ، ١٥٤
 (ش)
 شبيب بن شيبه : ٣٧٤ ، ٥٠
 شُرْحَبِيل بن السمط : ٢١١
 الشريف الرضي : ٣٣٣ ، ٣٣٤
 الشريف المرتضى : ٣٣٣ ، ٣٣٤
 شريك بن عمرو : ١٧٢ ، ١٧٣
 شمس بن لأى : ٢٠٠ ، ٢٠١
 الشمسية (الفنية) : ٤٢
 شمول (غلام صفلي) : ٧٢
 شن (صاحب طبقة) : ٣٤٣ ، ٣٤٣
 (ص)
 صخر بن عمرو : ٢٣
 (ض)
 ضباعة بنت عامر : ٢٩
 ضف (الفنية) : ١١٩
 (ط)
 طاهر بن الحسين : ٤١٨ ، ٤١٩
 طبقة (صاحبة شن) : ٣٤٢ ، ٣٤٣
 طرفة بن العبد : ٣٤٩ ، ٣٥٠
 طريفة السكاهنة : ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢
 طلحة بن عبيد الله : ٢٤٠ ، ٢٤١

١٠٧، ١٠٦، ١٠٥
 عبد الملك بن صالح : ١٣٧
 عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز : ٢٤٥
 عبد الملك بن عمير : ٣٥٣، ٣٤٦
 عبد الملك بن مروان : ٤٨، ٥٠، ٢٣١
 ٣٦٥، ٢٤٣، ٢٣٧، ٣٢٦
 ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١
 عبد الواحد بن سليمان : ٢٦٤، ٢٦٣
 عبيد بن الأبرص : ١٣٣، ٢٠٥
 عبيد الله بن زياد : ٢١٩، ٢١٨
 عبيد الله بن العباس : ٢٢٠، ٢٢١
 ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤
 عبس (قبيلة) : ١٦٣
 عَتِيْبَةُ بن التماس : ٢٠٥، ٢٠٦
 عَمَّان بن حيان للرّى : ٢٣٨، ٢٣٩
 عَمَّان بن سليمان : ٢٦٨
 عَمَّان بن عفان : ٩٥، ٩٧
 عدى بن أوطاة : ٣٨٠
 عدى بن حاتم : ١٦٧، ١٦٩، ١٨٦
 ١٨٧
 عدى بن زيد : ٥١، ٧٩
 عَرَابَةُ الأوسى : ٢٢٧، ٢٢٨

عبد الرحمن الناصر : ٦٨، ٦٩
 عبد عمرو (ابن عم طرفة) : ٣٤٩
 عبد قيس بن حُفَّاف البُرْجُمِيّ : ١٦٥
 عبد الله بن أبي ربيعة : ١٠٠
 عبد الله بن جُدعان : ١٠٤
 عبد الله بن جعفر : ٣٠، ٣١، ٣٨
 ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٩
 عبد الله بن حاتم : ١٦٧
 عبد الله بن حُفَّاف السهمي : ١١١
 عبد الله بن الزبير : ٢٢٧، ٣٥٨
 عبد الله بن صفوان : ٣٥٨، ٣٥٩
 عبد الله بن طاهر : ٣٢٠، ٣٢١
 ٤٠٥، ٤٠٧
 عبد الله بن عباس : ٣٦٤
 عبد الله بن عمر : ٣٥٨
 عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان :
 ٣٦٢
 عبد الله بن هاشم بن عتبة : ٢١٥
 عبد المسيح بن عمرو : ٩٠، ٩١، ٩٢
 عبد المطلب بن هاشم : ٨٧، ٨٨
 ٨٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤

٣٥٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢
 عمرو بن عبد العزيز : ٢٤٣ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،
 ٣٧٥ ، ٢٩٠
 عمرو بن هبيرة : ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٣٤٦ ،
 عمرو بن أمية الضمري : ٢٦
 عمران بن حطان : ٣٦٥ ، ٣٦٦ ،
 ٣٦٨ ، ٣٦٧
 عمران بن مهران : ٣٩٩ ، ٤٠٠
 عمرو بن سعيد بن العاص : ٢٠٩ ،
 ٢٣٠ ، ٣٥٤ ، ٣٦٥
 عمرو بن شأس : ٣٧
 عمرو بن العاص : ٢٦ ، ٢٧ ، ٩٨ ،
 ١٠٢ ، ١٠٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧
 عمرو بن عامر مزيقياء : ٨٠ ، ٨١ ،
 ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦
 عمرو بن قارب : ١٦٣
 عمرو بن مالك : ٣٥١
 عمرو بن مسعدة : ٥٧ ، ٦٣
 عمرو بن هند : ١٦٤ ، ٣٤٩
 عوف بن محلم : ١٦٣ ، ١٦٤
 عوف القوافي : ٢٤٠
 عيسى (عليه السلام) : ٧٩

عراء بن عمرو بن شأس : ٣٧
 العرجي : ٣٤
 عروة بن عتبة بن جعفر (الرحال) :
 ١٦ ، ١٧
 عزة (مغنية) : ١٨ ، ٣١ ، ٤١
 عطارد بن حاجب : ١٥
 عفراء الكاهنة : ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦
 عقيل بن أبي طالب : ٢١٣
 عقيلة (المغنية) : ٤٢
 عقلة بن علاثة : ١٧٨
 علاوية : ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤
 علي بن إبراهيم : ١٢٢
 علي بن أبي طالب : ١٨٦ ، ١٩٣ ،
 ٢٢٩ ، ٣٦٧
 علي بن محمد : ٥٣
 عمارة بن تميم اللخمي : ٣٦٩ ، ٣٧٠
 عمارة بن حزة : ١٥٠ ، ١٥١ ، ٢٧٦ ،
 ٢٧٨
 عمارة الفقيه : ٢٣٢ ، ٢٣٣
 عمار بن الوليد : ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠
 عمر بن أبي ربيعة : ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ،
 ٤١ ، ٣٦٤
 عمر بن الخطاب : ١٠٠ ، ١٤٥ ، ١٨٨

أبو العيثاء : ٣٢٥
(غ)
الغريض : ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٥
غسان (قبيلة) ٣٦١
غفار (قبيلة) ١٩٥ ، ١٩٦
غيلان بن سلمة : ٢٤
غيلان بن خرشة : ٣٢ ، ٢١٨
(ف)
فاطمة (زوج عمر بن عبدالعزيز) : ٢٤٣
الفرزدق : ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٣٧٣ ، ٢٧٤
الفضل بن الربيع : ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢
٦٤ ، ٦٦ ، ١١٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٨
الفضل بن يحيى : ٥٦ ، ١٣٧ ، ٦٠
١٤٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،
٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٩٩
٣٠١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٩٦
٣٩٧ ، ٣٩٨
الفضيل بن عياض ٢٨٨ - ٢٩١
(ق)
القاسم بن ربيعة : ٣٧٥
قراد بن أجدع : ١٧٣ ، ١٧٤
قريش (قبيلة) : ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨
٢٩ ، ٨٨ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٣
١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٥٩
١٦١ ، ١٩٤
القرميون : ٢٠٠
قس بن ساعدة : ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤١
القنقاع بن حبيب : ٢٣٨
قيس بن سعد بن عبادة : ٢٢٧ ، ٢٣٠
قيس بن عاصم المنقري : ١٨٣
قيس (قبيلة) : ٢٣٨
قيصر (ملك الروم) : ١٦٢
قيل بن عُنُق : ٧٦
(ك)
كافور الإخشيدي : ٣٢٨
كثير عزة : ١٤٦ ، ١٤٧
الكسائي : ٣٩٢ - ٣٩٦
كسرى : ١٥ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٩٠
٩٢ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٦
الكسي : ٦٧ - ٦٩
كعب (صحابي) : ١٤٣
كعب بن مامة : ١٦١
كننة (قبيلة) : ١٦٢
(ل)
لؤي بن غالب : ٢٠٩
ليبد بن ربيعة : ١٩٦ ، ١٩٧
لخم (قبيلة) : ٣٦٦
لقمان بن عاد : ٧٦
لهب (قبيلة) : ١٤٦ ، ١٤٨

أبو العيثاء : ٣٢٥
(غ)
الغريض : ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٥
غسان (قبيلة) ٣٦١
غفار (قبيلة) ١٩٥ ، ١٩٦
غيلان بن سلمة : ٢٤
غيلان بن خرشة : ٣٢ ، ٢١٨
(ف)
فاطمة (زوج عمر بن عبدالعزيز) : ٢٤٣
الفرزدق : ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٣٧٣ ، ٢٧٤
الفضل بن الربيع : ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢
٦٤ ، ٦٦ ، ١١٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٨
الفضل بن يحيى : ٥٦ ، ١٣٧ ، ٦٠
١٤٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،
٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٩٩
٣٠١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٩٦
٣٩٧ ، ٣٩٨
الفضيل بن عياض ٢٨٨ - ٢٩١
(ق)
القاسم بن ربيعة : ٣٧٥
قراد بن أجدع : ١٧٣ ، ١٧٤
قريش (قبيلة) : ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨
٢٩ ، ٨٨ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٣
١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٥٩
١٦١ ، ١٩٤

ليث بن مالك : ١٦٣

(م)

للأمون (الخليفة المباسي) : ٤٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ،

٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١٣٧ ، ١٥٢ ،

١٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ،

٣٠٣ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ،

٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ،

٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٩٠ ، ٣٩٦ ، ٣٩٤ ،

٣٩٥ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ،

مازن (قبيلة) : ٢٦٨

مالك بن أبي السمع (اللقي) : ٣٨ ، ٤٥

مالك (ابن حاتم الطائي) : ١٧٠

ماوية (زوج حاتم الطائي) : ١٦٧ ،

١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠

مبارك التركي : ١٥٠٠

الثلث : ٣٤٩ ، ٣٥٠

الحلق : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢

محمد بن إبراهيم الإمام : ٢٧٥ ، ٢٧٦

محمد بن حميد الطوسي : ٣٠٣

محمد بن خلف (وزير بهاء النولة) :

٣٣٣ ، ٣٣٤

محمد بن زيد بن علي : ٣٨٠ ، ٣٨١

محمد بن عبد البر الكيساني : ٢٦٦

محمد بن عبد الرحمن الهاشمي : ٣٩٦ ،

٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩

محمد بن عبد الله (الرسول ﷺ) :

٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٠٦ ،

١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٥٤ ،

١٤٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ،

٢٩٠ ، ٣٥٨

محمد بن عبد الله (مولى يحيى بن خالد) :

٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ،

محمد بن الفضل الخراساني : ٣٢٠ ،

٣٨٥ ، ٣٨٦

محمد بن محمد بن يحيى : ٤٢١ ، ٤٢٢

محمد بن هشام بن عبد الملك : ٣٨٠ ،

٣٨١

محمد بن يزيد الأموي الحنفي :

٣٢٠ ، ٣٢١

مخارق للقي : ٦٠ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ،

٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤

منحج (قبيلة) : ١٨٤

مرّقد بن عبد كلال : ٨٤ - ٨٦

مرداس بن حدير : ٢١٨ ، ٢١٩

مروان بن الحكم : ١٤٨

مروان بن زنباع : ١٦٣ ، ١٦٤

ملاعب الأسنة = عامر بن مالك

مليكة بنت الحطيئة : ٢٠١

للنضر بن سعيد : ٦٨ ، ٧٠

للنضر بن النيرة : ٥٦

للنصور بن أبي عامر : ٧٦ ، ٣٣٠ ،

٣٣١ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩

منصور بن زياد : ٢٨٥ ، ٢٨٦

للنصور (الخليفة العباسي) : ١١٣ ،

١١٥ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ،

٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ ،

٣٨٣ ، ٣٨٤

للنهدى (الخليفة العباسي) : ٢٦٦ ،

٢٦٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ،

٣٨٨ ، ٣٨٩

موسى (عليه السلام) : ١١١

موسى بن يحيى البرمكي : ٥٦

(ن)

النايفة الجعدي : ١١٩

النايفة اللبباني : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧٩

الناصر لدين الله : ٦٩

نافع بن الأزرق : ٣٩٩

نافع بن طنبورة (النقي) : ٣٨

نزار بن معد : ١٢٨

النعمان بن ثواب العبدي : ١٥٨ ، ١٥٩

مزاحم (مولى عمر بن عبد العزيز) :

٢٤٥

المستكني بالله : ٤٢١ ، ٤٢٢

مسرور (خادم الرشيد) ١١٨

مسلم بن عقبة المري : ٢١١ ، ٢١٢

مسلم بن عقيل : ٢١٣ ، ٢١٤

المسيب بن زهير : ١٥١

مضر (قبيلة) : ١٤

مضر بن نزار : ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠

معاوية بن أبي سفيان : ٣٠ ، ٣١ ،

٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،

٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،

٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣

معاوية بن بكر : ٢٧٨

معاوية بن عبيد الله بن يسار : ٣٩٠ ، ٤٠١

معبد (المتني) : ٣٦

المعتمد (الخليفة العباسي) : ٦٥ - ٦٨ ،

٤١٦ ، ٤١٧

معن بن أوس : ٣٦

معن بن زائدة : ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،

٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣

مكشوح (قيس بن عبد يثوث)

المرادي : ١٧٩ ، ١٨٥

هود (عليه السلام) : ٧٦

(و)

الواقدي : ٣١٢

الوليد بن عبد الملك : ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،

٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨ ،

الوليد بن عقبة ١٩٦

(ي)

يحيى بن أكثم : ٣٢٥

يحيى بن خالد البرمكي : ٥٣ ، ٥٥ ،

٥٦ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،

٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٩٧ ،

٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،

٣٣٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٩

يحيى (حاجب يزيد بن المهلب) : ٢٣٩

يزيد بن المهلب : ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،

٢٣٦ ، ٢٣٩

يزيد بن عبد اللذان : ١٧٩ ، ١٨٠ ،

١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٥

يزيد بن عمرو : ١٧٩

يزيد بن شجرة الزهري : ٢١١

يزيد بن معاوية : ٣٦٢ ، ٣٦٣

يزيد : ١١١ ، ١١٢ ، ١٨٩ ، ١٩٠

النعمان بن النضر : ١٦ ، ٧٩ ، ٩٠ ،

١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ،

١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،

٣٥٢ ، ٣٥١

النمر بن قاسط (قبيلة) : ٢٠٠

نومة الضحى (مغنية) : ٣٩

(هـ)

هارون الرشيد : ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ،

٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،

٢٨٠ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ،

٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٢٧ ،

٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ،

٤٠٠ ، ٤١٣

هاشم بن حرمة : ١٨٣

هاشم بن عقبة : ٢٢٥

هبة الله (مغنية) : ٤٠

هذيل (قبيلة) : ٢٦٨

الهذيل بن زفر : ٢٣٨

هرقل : ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،

الهرمزان : ١٨٨

هشام بن عبد الملك : ٢٤٨ ، ٢٦٢

هند (أم معاوية بن أبي سفيان) : ٣٥٧

هند (زوج الزبرقان بن بلر) : ١٩٩

٣- فهرس الأماكن

حصص : ١٩١	(١)
الحيرة : ١٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣	أجباد : ٣٥
خراسان : ٤٠٣	أصبهان : ٣٧١ ، ٣٧٢
خيبر : ١٦	(ب)
خيف : ٣٥	البحرين : ٣٤٩ ، ٣٥٠
(د)	البصرة : ٢١٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠
دمشق : ٤٧ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ١٥٤	بصري : ٣٧ ، ١٠٨ ، ١٩٠
٢١٥ ، ٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٦٣ ، ٣٠٦	بطن نخلة : ٩٤
٣٠٧ ، ٣٠٩	بنباد : ٥٤ ، ١١٣ ، ١٥١ ، ٣٠٦
الدهناء : ٣٤٥	٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٤١٥
دومة الجندل : ٣٤٥	البيق : ٢٠٩
(ذ)	(ت)
ذومرخ : ٢١٢	تهامة : ١٦ ، ١٠٩
(ر)	(ج)
الرقعة : ١١٦ ، ١١٨ ، ٢٥٥	جاسم : ٣٨
الرملة : ٤٠٨	الجدان : ٤٠
الري : ٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٧٦ ، ٣١٢	جمع : ٥٤
٤٠٦	(ح)
(ز)	الحيشة : ١٠٠ ، ١٠٤
الزهراء : ٦٨ ، ٧١	الحجاز : ٣٤ ، ١٩٠
(س)	الحديثة : ١٩١
ساوة : ٩٠ ، ٩١	الحرّة : ٢٣٦

(ك)	(ش)
كافر (نهر) : ٣٥٠	الشام : ٣٠ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٧٨ ، ٨٨
كلاء : ١٠٦	٩١ ، ٩٦ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٩٠
(ل)	١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢١١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦
لحج : ٣٥	٢٤٨ ، ٣٣٣ ، ٣٥٥
(م)	(ص)
مأرب : ٨٣	صفين : ٢١٥ - ٢١٧ ، ٣٦٣
مأقة : ٧١	الصمان : ٣٤٥
محسر : ٤٤	(ط)
للدينة : ٣٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٢	الطائف : ٢٥
٢٢٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٦٣	طوس : ١١٧
للريد : ٥٠	(ع)
مصر : ٢٤٢ ، ٣٢٠ ، ٣٢٨ ، ٤٠٨	عدن : ٣٥
مكة : ١٧ ، ٢٧ ، ٢٤ ، ٤٦ ، ٧٦	العراق : ٢٤ ، ١٩٨ ، ٢١٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٨
٩٩ ، ١١٢ ، ١٩٩	(غ)
للوصل : ١٢١	غرناطة : ١٢٥
(ن)	غزة : ١٨٩ ، ١٩٠
نجد : ١٦	(ف)
نجران : ١٢٨ ، ١٨٥	الفرع : ٤٠
نهر عيسى : ٣٣٤	(ق)
(ي)	قرطبة : ٦٩
يثرب : ١٠٧	قرقرى : ١٩٨
اليامة : ٢٠	قصوان : ١٤
الين : ٣٥ ، ١١٠	

٤ — مراجع القصص

أخبار الأذكياء	: لابن الجوزي
أدب الدنيا والدين	: للماوردي
أسواق العرب	: لسعيد الأفندي
الأصنام	: لابن الكلبي
الأغاني	: لأبي الفرج الأصفهاني
أملئ الزجاجي	
أملئ أبي علي القتالي	: لابن ظفر الصقلبي
أنباء نجيلاء الأبناء	: لعلي بن ظافر الأزدي
بدائع البدائع	: لابن كثير
البداية والنهاية	: للألويسي
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب	: للزبيدي
التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح	: لابن جرير الطبري
تاريخ الأمم والملوك	: للشمالي
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب	: لابن حجة الحموي
ثمرات الأوراق	: لأبي زيد الخطابي
الجمهرة	: للبيهقي
خزانة الأدب	: للحصري
ذيل زهر الآداب	

زهر الآداب	: للحصرى
"السيرة النبوية	: لابن هشام
السيرة الحلبية	: لنور الدين بن برهام الحلبي
سيرة عمر بن عبدالعزيز	: لابن عبد الحكم
شرح ديوان الحماسة	: للمرصفي
شرح المختار من شعر بشار	: للخالدين
شرح نهج البلاغة	: لابن أبي الحديد
عصر المأمون	: للدكتور فريد رفاعي
العقد القريد	: لابن عبد ربه
العقد القريد للملك السعيد	: لأبي سالم محمد بن أبي طلحة
عين الأدب والسياسة	: لأبي الحسن علي بن هذيل
عيون الأخبار	: لابن قتيبة
غرر المعاني الواضحة	: لأبي إسحاق الوطواط
الفرج بعد الشدة	: للتنوخي
الكامل في التاريخ	: لابن الأثير
الكامل في الأدب	: للبرد
مجاني الأدب	: للأب لويس شيخو
مجمع الأمثال	: للسيداني
الحاسن والأضداد	: للجاحظ
الحاسن والمساوي	: للبيهقي
محاضرات الأبرار	: لابن عربي
المختار من نواذر الأخبار (مخطوط)	: لـ محمد بن أحمد الأنباري
مروج الذهب	: للسعدي

المستطرف في كل فن مستظرف	: للأبشي
المطالعة العربية	: للسرو. رايت بالتحف البريطاني
معجم الأدباء	: لياقوت
معجم البلدان	: لياقوت
مناهل التنصيص	: ليدر الدين العباسي
المنتقى من أخبار الأصبغى	
مذهب الأغاني	: للشيخ الخضرى
النجوم الزاهرة	: لابن تفرى بردى
نفع الطيب	: المقرئ
نقائض جرير والفرزدق	: لأبى عبيدة
نهاية الأرب	: للنويرى
الوزراء والسكفاب	: للحمشيارى
وفيات الأعيان	: لابن خلكان

٥ - مراجع الضبط والشرح والتحقيق والتراجم

سامن البلاغة	: للزحشرى
الأعلام	: للزركلى
تاريخ آداب اللغة العربية	: لجورجى زيدان
تاريخ الأمم الإسلامية	: للزحشرى
رغبة الأمل من كتاب الكامل	: المرصفى
شرح ديوان الحماسة	: المرصفى
سمط اللآلى	: للبكرى
طبقات الشعراء	: لابن سلام
الشعر والشعراء	: لابن قتيبة
الفاخر	: للضحى
فهرس خريطة الممالك الإسلامية	: لأمين واصف
القاموس المحيط	: للفيروز أبادى
لسان العرب	: لابن منظور
المعارف	: لابن قتيبة
معجم البلدان	: لياقوت الحموى
وفيات الأعيان	: لابن خلكان

